



التحقيق

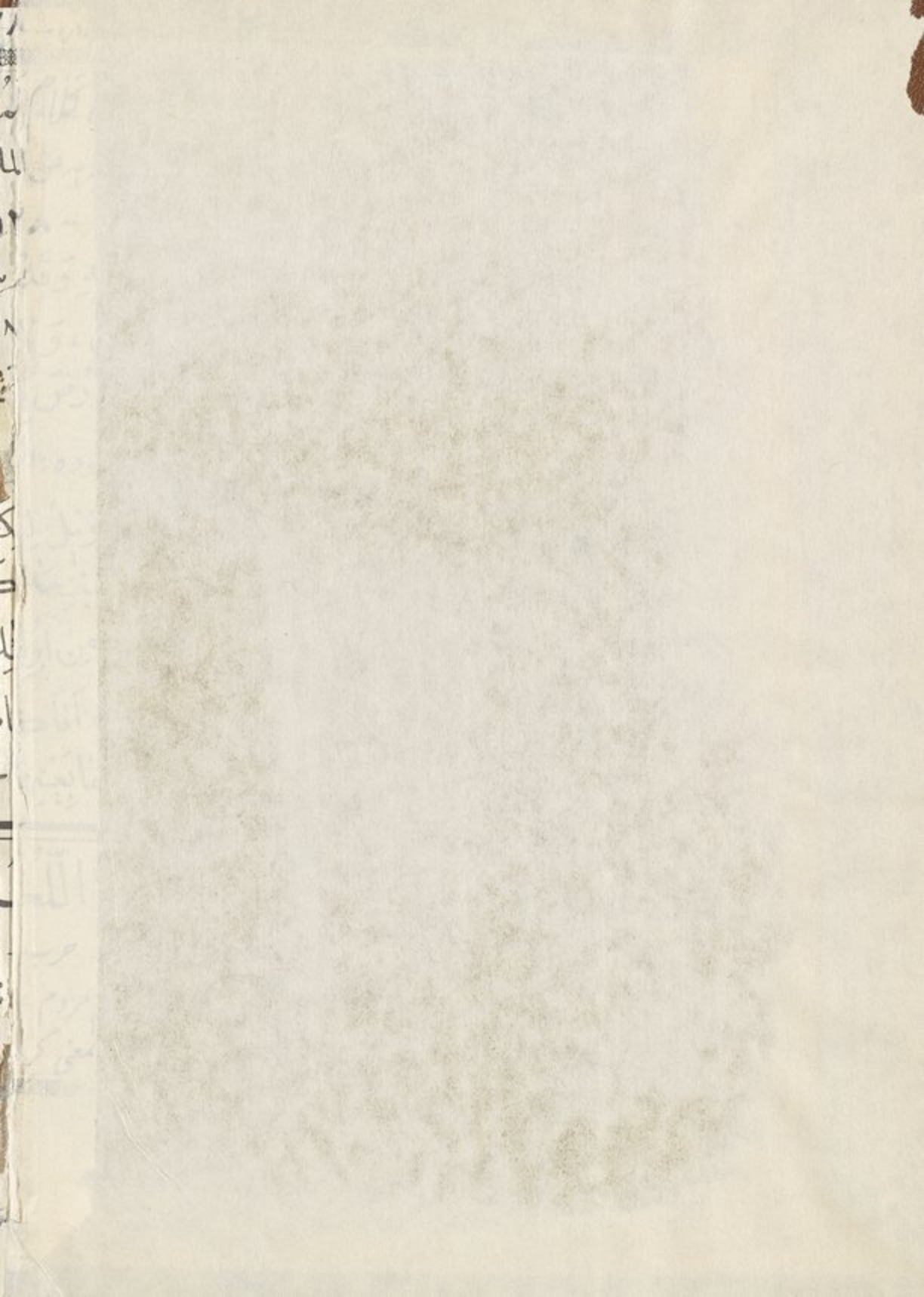
موسى بن النوراني العظيم

دراسة وتحقيق

مختار مرضى العالم

الطبعة الأولى





Princeton University Library



32101 066594415

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

--	--

J. M. 'Amili

جعفر مرتضى العالمى

الصحيح

من سيرة النبي الاعظم
صلى الله عليه
وآله وسلم

الجزء الاول

دراسة وتحليل

١٤٠٣ هـ ق

~~(Arab)~~

BP 75

2

A44

juz' 1-2

(RECAP)

الكتاب : ماهو الصحيح في سيرة النبي الاعظم (ص)
المؤلف : جعفر مرتضى الحسيني العاملي
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف
قم المقدسة ١٣٠٠ هـ - ق

الإهداء

إليك يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين.
وإلى أخيك ووصيك علي أمير المؤمنين.
وإلى بضعتك الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء
وإلى الأئمة من ولدهما.
وإليك يا بقیة الله يا حُجته على خلقه يا ابن الحَسَن العسكري، عجل الله تعالى فرجك
... اليكم جميعاً...
أرفع كتابي هذا
راجياً منكم القبول

جعفر

ايضاحات ضرورية

بسم الله الرحمن الرحيم:

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ.
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
وَأَهْلِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.
وَاللَّعْنَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ، مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَالْآخِرِينَ، إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ.

وبعد...

فانني إذا قدم إلى القراء الكرام هذا الكتاب: « الصحيح من
سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ». أرى لزاماً عليّ أن أشير
باختصار إلى الامور التالية:

أ— لقد اعتمدت بالدرجة الأولى في ما كتبه هنا على ما كتبه السابقون، وأما مراجعتي لمؤلفات المعاصرين... فلا تكاد تذكر؛ لأن ما رأيت منها رأيت أنه عموماً يجتر ما كتبه السابقون إلا في كيفية التنسيق و الإخراج، ثم التبرير والتوجيه له... بزيادة أنهم يظهرون براعتهم وتفوقهم في ترصيف الكلمات البراقة في تأييده وتأكيد... من دون أي تحقيق له أو تدقيق فيه صحة وفساداً، حتى ليخيل إليك أن تلك التصوص جزء من الوحي الإلهي، الذي لا يتطرق إليه الشك، ولا يرق إليه الريب، ومهما كانت متناقضة و متنافرة فإنه لا بد من الجمع بينها و تصحيحها مهما أمكن... أولاً... فلا بد من السكوت عنها والاعتراف بالعجز عن فهم حقيقة الحال فيها...

٢— ولكنني في هذا الكتاب قد اهتمت في التحقيق حول صحة و فساد الكثير مما يقال و يدعى أنه «تاريخ». ولكن بالمقدار الذي يتناسب مع كتاب كهذا... يهتم في اعطاء صورة متقاربة الملامح مهما أمكن عن فترة زمنية ثرية بالاحداث والمواقف الحساسة... كانت ولا تزال محط نظر بشكل رئيسي لاصحاب المطامح والاهواء السياسية والمذهبية... بل هي أخطر وأهم مرحلة على الإطلاق، لأنها قد غيرت جذرياً— وليس فقط أصلحت— كل الأسس والمنطلقات الخاطئة لكل شؤون الانسان و الانسانية جمعاء...

و كان ذلك في الحقيقة شاقاً و صعباً للغاية ، و لكنني رضيت باقتحام تلك المصاعب، و تحمّل هاتيك المشاق، لأنني أدركت مدى حاجة المكتبة الاسلامية إلى جهد كهذا مهما كان ناقصاً و محدوداً؛ ليكون النواة والخطوة الأولى على طريق اعتماد المنهج التحقيقي العلمي في التعرف على حقيقة ظروف و أحداث تلك الفترة الزمنية الهامة جداً...

٣ و قد يلاحظ القارئ بعض الفجوات، أو مدأ و جزراً في الشمولية والاستقصاء. وله أن يرجع ذلك— إن شاء— إلى أن هذا الكتاب قد أعد في فترات زمنية متباعدة.. فرضها واقع الظروف، التي تمنع الانسان من الاستفادة من عنصر الوقت على النحو الأفضل والأمثل... كما انه لا يمكن

استبعاد حالات النشاط الفكري المتفاوتة، تبعاً لتفاوت حالات الهدوء والإستقرار، الأمر الذي يؤثر بشكل واضح في القدرة على الاستمرار في تحمل مشاق البحث، و مواجهة مصاعبه..

٤- وحيث إن التاريخ الاسلامي - كما سنشير إليه - مثل بالباطيل والاكاذيب، بسبب تلاعب الالهواء السياسيّة والمذهبية، وغيرها فيه... وكان الوصول إلى الحقيقة فيه بالغ الصعوبة، إن لم يصل أحياناً إلى حدالتعدّر.. فقد كان لابد لنا من الأخذ بنظر الاعتبار مايلي:

الف: إن الاعتماد على نوعية معينة من المؤلفات و المؤلفين ربما يكون سبباً في ان يحرم القارئ من الكثير من الحقائق التي تناثرت هنا وهناك، و استطاعت أن تحترق تلك الحواجز الثقيلة، وتصل إلينا سليمة - إلى حدما - من التحريف، على إعتبار أنها لم يرفها السياسيون المحترفون خطراً، ولا رأى فيها المتمذهبون المتعصبون ضرراً، فتركها اولئك و هؤلاء ليتلقفها طلابها وعشاقها القليلون جداً، بعيداً عن غوغائية المتعصبين، و في مأمن من جبروت وتعنّت المحترفين...

إذ كثيراً ما لا يجد النصّ الصحيح من يهتم به، و يلتفت إليه، و يبقى تائها حائراً إلى ان يقع في يد بعض المعوزين الذين تجاوزوا الأجواء المصطنعة، والقيود الوهمية، من أجل أن يحولوا اتجاه تيار الحياة ليعود زائراً بالمفاجئات، غنياً بكل جديد...

باء: إننا رأينا والحالة هذه أن البحث في الأسانيد، والاعتماد عليها لتكون مقياساً و ميزاناً نهائياً في هذا الموضوع، إنما يعني: أن نقيّد انفسنا في حدود نصوص قليلة جداً، لا تكاد تقي بالتصور العام، والفهرسة الاجمالية لسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن مجمل تاريخ صدر الاسلام، ولسوف يفقدنا ذلك الكثير من النصوص الصحيحة التي لم توفّق لسندٍ تتوفر فيه أدنى شرائط القبول... هذا... عدا عن أن الباحث سوف يفقد حرية الحركة والربط والاستنتاج.. ولسوف لن يكون لفهمه العميق للاجواء والظروف،

الذي اكتسبه من الممارسة الطويلة أية فعالية تذكر في استخلاص الحقائق التي أريدها لسبب أو لآخر أن تبقى طبي الكتمان، و رهن الابهام و الغموض..

هذا كله... عدا عن المشكلات الرئيسة التي لا بد من التغلب عليها، ليمكن للبحث أن يكون مقبولاً و معقولاً لدى أرباب الفكر والمعرفة ولا سيما مشكلة المنطلقات الأولى للبحث السندي، و موازين القبول و الرد فيه، والتي تركز—عموماً—على أسس عقائدية أولية، يتطلب البحث فيها وقتاً طويلاً، و جهداً عظيماً، هذا... ان لم ينته الى الطريق المسدود، و يعود عقيماً ممجوجاً في كثير من الأحيان... حيث إن مصادر الفكر والمعرفة، و كثيراً من الأسس العقائدية، لا تزال موضع اخذ و رد بين العلماء من مختلف الفرق والمذاهب..

و إذا كنا قد بحثنا في السند أحياناً فقد اعتمدنا الطريقة المعقولة التي يتوافق عليها إن لم يكن كل، فأكثر عدد ممكن من أهل الفرق والتي تؤدي إلى نتيجة مقبولة لدى الجميع، وإن كان منشأ هذا القبول يختلف بين أولئك وهؤلاء في أحيان كثيرة

جيم: ولقد حتم علينا ذلك المنهج بالإضافة إلى ماتقدم أن نتخذ من المبادئ الاسلامية و القرآنية، و شخصية و روحية و اخلاق النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم اساساً لتقييم الكثير من النصوص، و الحكم عليها من خلال انسجامها مع ذلك كله، بل و ينسحب هذا بالنسبة إلى كل شخصية استطعنا الحصول على فهم عام لسيرتها و أخلاقها و مواقفها..

دال: هذا بالإضافة إلى الكثير من أدوات البحث الاخرى التي توفرها الممارسة الطويلة في هذا المجال، كتناقض النصوص، و كونها تتعرض لفترة زمنية لم تعش فيها الشخصية التي هي محط النظر، أو لا يمكن وقوع ذلك الحدث فيها، بعد المحاسبات التاريخية الدقيقة، أو نحو ذلك، مما سوف يتضح للقارئ الكريم من خلال مطالعته لهذا الكتاب.

٥- و بعد... و إذا كان الكل يعلم بأن المسلمين قدهموا بتدوين التاريخ بشكل لانظيرله لدى أي من الأمم الأخرى، فهو بحق و برغم كل ما حصل أثرى تاريخ أمة و اغناه على الاطلاق... و حيث إن تدوينه قد تأثر بالأهواء السياسية والعصبية المذهبية المختلفة و غيرها، مما جعله مثقلاً بالاكاذيب والباطيل— كما قلنا— فان من الطبيعي أن يكون الاستقصاء لكل النصوص والمواقف و تمحيصها متعسراً، بل و متعذراً أيضاً، ولذا فقد كان لا بد من الاكتفاء بالبحث في جانب يهينى لنا تصوراً عاماً، وهيكلية متكاملة عن حياة النبي صلى الله عليه و آله، والأحداث التي رافقتها بقدر الامكان.. كما قلنا...

٦- هذا... ولسوف يلاحظ القارئ الكريم: أنني حاولت الاقتصار على أقل قدر ممكن من المصادر والشواهد، مع علمي بأن بالامكان حشد أضعاف ذلك في تأييد و تأكيد الحقائق التي أوردتها بشكل عام..

٧- كما وأني قد نسبت كل شيى استفدته و استشهدت به إلى قائله أو كاتبه، و لم انسب شيئاً من ذلك لنفسى ولا أهملت الإشارة إلى مأخذه؛ فاما ما لمصدر أو ماخذله فلم أعتمد فيه على أحد...

٨- و أخيراً... فقد كانت تسنح بعض الفرص في فترات النشاط الفكري، لتسجيل بعض الملاحظات والتعليقات التاريخية و غيرها على بعض المواقف والاحداث.. و هي وإن كانت لا تصل في الأكثر إلى مستوى البحث الشامل و الكامل، لأنها كانت على العموم مرتجلة لم يسبقها إعداد و لا مطالعة، ولكنها تعتبر— على الأقل— بمثابة استراحات للقارئ الكريم، كما كانت استراحات للكاتب نفسه من ذي قبل...

وللقارئ الخيار— بعد هذا— في أن يحكم عليها بالعمق، أو بالجمال...

و في الختام... فاني أرجو من القارئ الكريم أن يتحفني بأرائه و ملاحظاته ولسوف اكون له من الشاكرين

١٠ الصحيح في سيرة النبي ج ١

والحمد لله وصلاته على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين

قم - ١٤٠٠/١٢/١٦ هـ

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

تقديم (١)

صلة الماضي بالحاضر؛ وتدوين التاريخ:

بديهي أن حياة المجتمعات ليست أحداثاً متميزة، بحيث لا يرتبط بعضها ببعض، ولا تتصل فترة منها بالأخرى بنحو من الارتباط والاتصال... وإتمامي: استمرار يضع الماضي فيه كل ما حصل عليه وجناه من عمله الدائب،. وجهاده المستمر في صميم هذا الحاضر؛ ليستمد منه الكثير من عناصر حركته وقوته، ووسائل تطوره وتقدمه بخطى ثابتة ومطمئنة نحو المستقبل الذي يطمح و يصبو إليه...

وهكذا... فإنه يكون طبيعياً جداً: أننا كثيراً ما نجد للحدث التاريخي الذي كان قبل الف سنة مثلاً آثاراً بارزة حتى في واقع حياتنا اليومية الحاضرة... ويكون له الأثر الكبير في وضع الأمة وفي حياتها وفي تصرفاتها، بل وفي مفاهيمها وعواطفها... فضلاً عن تأثيره على المستوى الديني

(١) هذا التقديم هوفي الحقيقة تلخيص لتمهيد كتابنا: حياة الامام الرضا السياسية أثبتناه هنا لصلته المباشرة في موفوع البحث، وحتى لا تضطر لاحالة القارئ عليه...

والأدبي والعلمي، والسياسي، والاقتصادي، والعلاقات الاجتماعية، وغير ذلك . وإن كان تأثير الأحداث يختلف شمولاً وعمقاً من أمة لأخرى، ومن شعب لآخر...

ومهمة التاريخ هي أن يعكس بأمانة ودقة حياة الأمة في الماضي، ومامت به من أحوال وأوضاع، وماتعرضت له من أزمت فكرية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وغير ذلك ...

ومن هنا تبرز أهمية التاريخ، ونعرف مدى تأثيره في حياة الأمم، ونعرف أيضاً، لماذا عنيت الامم على اختلافها بالتاريخ، تدوينها، ودرسها، وبحثها، وتمحيصها، وتعليقها، فهي تريد أن تتعرف من ذلك على واقعها الذي تعيشه؛ لتستفيد منه في مستقبلها الذي تقدم عليه.

ولتكتشف منه عوامل رقيها وانحطاطها، ولتنطلق من ثم لبناء نفسها، والاعداد لمستقبلها على أسس متينة، وسليمة...

ونحن... هل نملك تاريخاً؟!

ونحن أمة، ولكننا لانملك تاريخاً،— وأقصد بذلك كتب التاريخ— نستطيع أن نستفيد منه الكثير في هذا المضمار؛ لأن أكثر ما كتب منه تتحكم فيه النظرة الضيقة، والهوى المذهبي، والتزلف للحكام. وأقصد بـ «النظرة الضيقة» عملية ملاحظة الحدث منفصلاً عن جذوره وأسبابه.

نعم... إن كل ما لدنيا هو في الاكثر تاريخ الحكام والسلاطين... وحتى تاريخ الحكام هذا نراه مشوهاً وممسوخاً، ولايستطيع أن يعكس بامانة وحيدة الصورة الحقيقية لحياة أولئك الحكام، لأن المؤرخ كان لايسجل إلا مايتوافق مع هوى الحاكم، وينسجم مع ميوله... مهما كان ذلك مخالفاً للواقع ولعقيدة المؤرخ نفسه واتجاهاته.

ومن هنا... فليس من الغريب: أن نرى المؤرخ يعنى بأمر تافهة وحقيرة، فيسهب القول في وصف مجلس شراب، أو منادمة، أو يختلق أحداثاً أو شخصيات لا وجود لها. ثم يهمل أحداثاً، أو يتجاهل شخصيات لها مكانتها واثرها في التاريخ... ويشوه أموراً صدرت من الحاكم نفسه أو من غيره، مما كان له دور هام في حياة الأمة، واثراً كبيراً في حاضرها ومستقبلها، أو يحيطها— لسبب أو لآخر— بالكتمان والابهام والغموض...

دراسة التاريخ

ومن هنا... فلا بد لمن يريد الاستفادة من الكتب التاريخية، ويطالعها... أن يطالعها بحذر ووعي، وأن يفتح عينيه وقلبه على كل كلمة فيها، ويحاول— مهما أمكن— أن يستخلص منها ما ينسجم مع الواقع، ويرفض أو يتوقف في كل ما لعبت فيه الأهواء، وأثرت عليه الميول... وذلك بطبيعة الحال ليس بالأمر السهل واليسير، ولا سيما في ذلك الجانب الذي يرتبط بتاريخ الإسلام الأول، والذي دُونَ— غالباً— بعقلية متعصبة متحيزة، بل وظالمة في كثير من الأحيان...

دراستنا نحن للتاريخ

ونحن بدورنا هنا سوف نحاول استخلاص صورة واضحة ونقية مهما أمكن عن تاريخنا الذي يبدأ بتاريخ الإسلام... ولسوف نهتم بشكل أساسي في أبعاد كل ذلك الجانب المريض من النصوص المبعولة تاريخياً، وهي في الحقيقة لا تعدو عن أن تكون خيالات وأوهاماً ابتدعها القصاصون والمحدثون، واصحاب الأغراض والأهواء...

حقيقة مهمة لا بد من تسجيلها

هذا... ولا بد من الإشارة هنا إلى حقيقة هامة، وهي أن تاريخ الإسلام المدون— على ما فيه من هنات يعتبر اغنى تاريخ أمة على الإطلاق.

ويمتاز عن كل التواريخ الاخرى بدقته وشموله، حتى إنك لتجده كثيراً ما يسجل الحركات واللفظات واللمحات، فضلاً عن الكلمات والمواقف والأحداث بدقة وشمولية لانظيرها... كما انه يملك من النصوص الصحيحة— الشئ الكثير، بحيث لا يضارعه في ذلك اي تاريخ آخر على الاطلاق، هذا ان لم نقل إن هذا الامر من مختصات تاريخ الاسلام، اذا تأكدنا انه ليس بإمكان غيره أن يثبت آياً من مقولاته، ولا سيما في جزئيات الامور، بل وفي اغلب أحداثه الرئيسية على نحو القاطع واليقين...

وميزة اخرى يمتاز بها تاريخ الاسلام لم تتوفر لغيره، وهي انه— يمتلك قواعد و منطلقات تستطيع ان توفر للباحث السبل المأمونة التي يستطيع سلوكها في الوصول إلى الحقائق التي يريدتها دقت اوجلت وبكل ثقة وطمأنينة، اذا استطاع ان يلتزم بتلك الضمانات والقواعد التي اشرنا، وسوف نشير إليها، في التمهيد الآتي...

وبعد... واذا كانت البداية الطبيعية لتاريخ الاسلام، واعظم مافيه، هوسيرة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله الطاهرين... فلا بد من البدء بها، وتسجيل الخطوط الرئيسية فيها لتكون خطوة على طريق البحث الشامل لها في فترات تالية من قبل المتخصصين والباحثين ذوى الكفاءات العالية، فها نحن نبدأ بها بعد تقديم تمهيد كنا قد ذكرناه ناقصاً كثيراً في بداية كتابنا «حديث الافك» ثم اكملناه واضفنا عليه ما يتناسب مع بحثنا في سيرة النبي الاعظم (ص)... فإلى التمهيد التالي...

تمهيد

صفات النبي (ص):

المفروض بالنبي - أى نبي كان - أن يكون خليفة الله على الارض... ومن يمكن ان يكون هذا الخليفة غيرالنبي الاعظم (ص) الذى هو الانسان، الانسان، بكل ماهذه الكلمة من معنى... والذى هو رجل الفضل، والعقل، والكمال، ومثال الحكمة، والوقار، والجلال، عالماً حكيماً، تقياً، شجاعاً، حازماً، إلى غير ذلك من صفات انسانية فاضلة، وكمالات رفيعة... لا ترى في اعماله أي خلل، أضعف، ولا في تصرفاته أي تشتت، أو تناقض وبكلمة: انه الرجل المعصوم من الخطا المبرء من الزلل، اكمل الخلق وفضلهم. ولأجل ذلك جعل الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم اسوة لبني الانسان مدى الدهر، وفرض عليهم أن يقتدوا به، حتى في جزئيات افعالهم، فقال تعالى: «ولكم في رسول الله اسوة حسنة» (١)

(١) المتحفة ٦.

خيانة الدين والامة

ولكننا لو راجعنا الروايات التي يدعى: أنها تسجل تاريخ نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم، لوجدنا هذا النبي الذي وصفه القرآن بأنه: «على خلق عظيم» (١) والذي هو اشرف الانبياء والمرسلين، واعظم، واكمل رجل على وجه الارض... وعقل الكل، ومدبر الكل، وامام الكل - لوجدناه - رجلاً عاجزاً ومتناقضاً، يتصرف كطفل، ويتكلم كجاهل... يرضى، فيكون رضاه ميوعة وسخفاً ويغضب، فيكون غضبه عجزاً واضطراباً... يحتاج دائماً إلى من يعلمه، ويدبر أموره ويأخذ بيده، ويشرف على شؤونه، ويحل له مشاكله... الكل اعرف وأقوى وأعقل منه!!...

وبماذا؟!... وكيف نفسر: حمل هذا النبي زوجته على عاتقه، لتنظر إلى لعب السودان، وخده على خدها؟!... ثم هو يترك الجيش لينفرد بزوجه ليسابقها في قلب الصحراء اكثر من مرة؟!... كما أنه يعشق زوجة ابنه بالتبني بعد أن رآها في حالة مثيرة... إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة جداً عن حياته الزوجية مما نربأ نحن بأنفسنا عن ذكره، فكيف ممارسته وفعله؟!...

وبماذا؟!... وكيف نفسر أيضاً: أن يرى هذا النبي الرأي فتنزل الآيات مفندة لرأيه ومصوبة لرأي غيره؛ فيقعده ليكفي وينوح؟!... وأن يمر على سباطة قوم فيبول قائماً... وأن يكون له شيطان يعتره، وكان يأتيه في صورة جبرئيل، وقد أعانه الله على شيطانه فاسلم... ثم شر به للتبديد! وكونه أولى بالشك من ابراهيم!!

إلى غير ذلك مما يزيد في قبحه أضعافاً مضاعفة على ما ذكرناه، مما خرت به المجاميع الحديثية، والتاريخية...

نعم... هكذا تشاء الروايات - وكثير منها مدون في الكتب التي يقال عنها: إنها أصح شئى بعد القرآن - أن تصور لنا أعظم رجل، وأكرم

(١) وإن كان يحتمل بعض العلماء أن يكون المراد بالخلق: الدين أو العادة والسنة العظيمة... ولكن هذا خلاف المتبادر من هذه العبارة.

وأفضل نبي على وجه الأرض...

وهذه هي الصورة التي يستطيع أن يستخلصها من يراجع هذا الركام الهائل من المجموعات، إذا كان خالي الذهن من الضوابط الحقيقية، والمنطقات الأساسية التي لا بد من التوفر عليها في دراسة التاريخ، وكذلك إذا كان لا يعرف شيئاً مما يجب أن يتوفر في الشخصية التي يفترض أن تمثل خلافة الله وإرادته على الأرض... وكذلك إذا لم يكن خالي النفس عن تقديس النص تقديساً ساذجاً عشوائياً... هذا التقديس الذي ربما يرفع هذا المنقولات عن مستوى الابتذال، ويمنع - ولو جزئياً - من تقييمها تقيماً واقعياً سليماً، يعطيها حجمها الطبيعي في ميزان الاعتبار.

وما هو المبرر لتقديس كهذا؟ - مادام لم يثبت بعد: أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو من صفاته وشؤونه، أو مما صدر عنه...

إن إعطاء مثل هذه الصورة عن نبي الأمة الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، هو الخيانة العظمى للتاريخ والأمة، وللإنسانية جمعاء... ولازلنا نتجرع غصص هذه الخيانة، ونهيم في بهمها وظلماتها.

الخطبة الملعونة:

وأما... لماذا كل هذا الافتراء على شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم... فنحن نعتقد: أنه قد كان ثمة خطة مرسومة ومدروسة لطمس معالم الشخصية النبوية والتعظيم على الصورة الحقيقية لهذه الشخصية الرسالية الفذة، ليكون ذلك مقدمة لهدم الاسلام من الأساس من قبل الحكم الأموي البغيض وأعوانه. ونذكر هنا بعض الأمثلة المعبرة عن خطط الأمويين التي تستهدف الاسلام، وشخصية النبي معاً، وهي التالية:

١- إنهم يذكرون: أن زيد بن علي عليه السلام يقول: إنه شهد

١٨ الصحيح في سيرة النبي ج ١
هشام بن عبد الملك ، والنبي يسب عنده، فلم ينكر ذلك ، ولم يغيره (١) اي
هشام—

٢— لقد ذكروا في ترجمة خالد بن سلمة المخزومي المعروف بـ
«الفأفأ» انه كان مرجياً، ويغض علياً. وأنه كان ينشد بني مروان الاشعار
التي هُجى بها المصطفى... وخالد هذا يروى عنه أصحاب الصحاح الست،
ماعد البخاري (٢).

٣— كما أن عمرو بن العاص لا يرضى بضرب نصراني يشتم النبي
الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم. (٣)

٤— وتفأخر أموي وأنصاري، فذكر له الأموي الأمويين الذين توفي
النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم عمال له، فقال الأنصاري: صدقت،
ولكنهم حالقوا أهل الردة على هدم الاسلام. فكأنما ألقمه حجراً (٤).

٥— ونرى الكميت يذكر: أنه كان إذا مدح رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اعترض عليه جماعة، ولم يرضو بذلك... يقول الكميت:

إلى السراج المنير احمدلا	يعدلني عنه رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره، ولورفع الناس	الي العيون وارتقبوا
وقيل: أفرطت، بل قصدت ولو	عنفني القائلون، أو ثلبوا
إليك ياخير من تضمنت الارض	وإن عاب قولي العيب
لج بتفضيلك اللسان ولو	اكثر فيك الضجاج واللجب

(١) كشف الغممة للاربلي ج ٢ ص ٣٥٢ عن دلائل الحميري، وقاموس الرجال ج ٤ ص ٢٧٠.
(٢) راجع: بحوث مع اهل السنة والسلفية ص ١٠١ ودلائل الصدق للمظفر ج ١ ص ٢٩،
والعلامة المظفرها هنا تعليق لابأس بمراجعته...
(٣) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص ١٩٣، والاصابة ج ٣ ص ١٩٥ عن البخاري في تاريخه
باسناد صحيح.

(٤) ربيع الابرار للزمخشري ج ١ ص ٧٠٨/٧٠٩.

ولعل الكمية قد أحس: أن وراء هذا السياسة أمراً عظيماً، حيث

يقول:

رضوا بخلاف المهتدين وفيهم غبأة أخرى تصان وتعجب

وتفسير هذا البيت بأن «المخبأة» هي تفضيل الخليفة على الرسول... في غير محله... إذ أن ذلك لم يكن مخبأً، بل صرح به عمال الأمويين، مثل خالد القسري، والحجاج بن يوسف، فلا بد وأن تكون هذه المخبأة هي طمس دين الله (١)... أو تشويه صورة النبي (ص) الحقيقية في اذهان الناس، ومن ثم طمس معالم الشخصية النبوية نهائياً... كما سنرى

٦- حديث مطرف بن المغيرة: أن معاوية قال للمغيرة- بعد أن ذكر ملك أبي بكر، وعمر، وعثمان وانهم هلكوا؛ فهلك ذكرهم-: «وإن أخاهاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله... فأى عمل يبقى مع هذا، لأأم لك... لا والله إلا دفناً دفناً» (٢)

ويقال: إن هذه القضية بالذات هي السبب في اقدام المأمون في سنة ٢١٢ هـ على النداء بلعن معاوية، لولا أن اقنع بالعدول عن ذلك (٣).

٧- وحين استولى ابن الزبير على مكة والحجاز، نجد عبد الملك بن مروان قد: «منع الناس من الحج، فضج الناس؛ فبنى القبة على الصخرة، والجامع الأقصى؛ ليشغلهم بذلك عن الحج، ويستعطف قلوبهم. وكانوا يقفون عند الصخرة، ويطوفون حولها، كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد، ويحلقون رؤوسهم (٤)»

(١) راجع ذلك في كتاب: بحوث مع اهل السنة والسلفية ص ١٠١ و ١٠٢.

(٢) الموقيات ص ٥٧٧ و شرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ١٢٩ و ١٣٠ و مروج الذهب ج ٣ ص ٤٥٤، وقاموس الرجال ج ٩ ص ٢٠.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٥٤ و ٤٥٥.

(٤) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٨٠ و ٢٨١، وليراجع: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٦١، ومآثر الانافة في معالم الخلافة ج ١ ص ١٢٩، وحياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٦٦، والسنة قبل التدوين ص ٥٠٢-٥٠٦.

ثم حولوا القبلة— كما ينص عليه الجاحظ— والظاهر أنهم حولوها إلى بيت المقدس، تجاه الصخرة التي هي قبلة اليهود كما يقتضيه ما تقدم. قال الجاحظ «حتى قام عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد، وعاملها الحجاج، ومولاهما يزيد بن أبي مسلم، فأعادوا على البيت بالهدم، وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدمو الكعبة، واستباحوا الحرم، وحولوا قبلة واسط... إلى أن قال: فاحسب أن تحويل القبلة كان غلطاً، وهدم البيت كان تأويلاً، واحسب مارووا من كل وجه: أنهم كانوا يزعمون: أن خليفه المرء في أهله ارفع عنده من رسوله إليهم...» (١)

ويقول أيضاً: «وتفخرهاشم بأنهم لم يهدموا الكعبة، ولم يحولوا القبلة، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة...» (٢)

ومما يدل على ذلك: أن قاضي واسط، أسد بن عمرو قدرأى قبلة واسط رديئة؛ فتحرف فيها؛ فاتهم بالرفض» (٣)

والحجاج هو الذي بنى واسطاً والظاهر ان قبلتها أولاً كانت صحيحة— ثم حولت الى جهة أخرى بعد مدة وجيزة...

ولعل هذا يفسر ماورد من استحباب التياسر لأهل العراق دون غيرهم من سائر الامصار— أي ليكونوا أقرب إلى الكعبة حينئذ، ولكن الأئمة قد أشاروا الى شيعتهم بذلك سراً، ثم لما كانوا يسألون عن سره تراهم يبررونه بما يبعد الشبهات عنهم (٤)... ولكن يظهر أن خصوم الشيعة قد التفتوا الى هذا منهم، ولذلك تراهم يتهمون كل من يتحرى القبلة بالرفض كما تقدم...

٨— روى أحمد بن أبي طاهر في كتاب: «أخبار الملوك»: أن

(١) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ١٦.

(٢) آثار الجاحظ ص ٢٠٥.

(٣) نشوار المحاضرات ج ٦ ص ٣٦، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٦.

(٤) راجع: كتاب الوسائل أبواب القبلة في الصلاة.

معاوية سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله. فقال: لله أبوك يا ابن عبد الله، لقد كنت عالي الهمة، مارضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين (١)...

٩- عن سلمة بن كهيل، قال: اختلفت أنا وذو المرهبي (من عباد أهل الكوفة، ومن رجال الصحاح الست) في الحجاج؛ فقال: مؤمن. وقلت: كافر. قال الحاكم: وبيان حجته: ما اطلق فيه مجاهد بن جبير، فيما حدثناه من طريق أبي سهل، أحمد القطان، عن الأعمش، قال: والله لقد سمعت الحجاج بن يوسف يقول: يا عجباً من عبد هذيل (يعني عبد الله بن مسعود) يزعم أنه يقرأ قرآناً (أو ان قرآنه) من عند الله، والله، ماهو الارجز من رجز الاعراب. والله، لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه... وزاد ابن عساكر، وغيره ولأخيلين منها (أي من قراءة ابن مسعود) المصحف، ولو بضلع خنزير... أو: لأحكنها من المصحف، ولو بضلع خنزير (٢)...

وقد استفطع ابن كثير هذا الكلام في بدايته ونهايته، فليراجعه من أراد...

١٠- الف: قال الجاحظ: خطب الحجاج بالكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (ص) بالمدينة؛ فقال: تبا لهم إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟ ألا يعلمون أن خليفة المرؤخ من رسوله؟! رسله؟! رسله؟! رسله! رسله!

وعند المبرد: إن ذلك مما كفرت به الفقهاء الحجاج. وأنه قال ذلك والناس يطوفون بالقبر. وعلى كل حال فإن هذه القضية معروفة ومشهورة (٣)

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ١٠١

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٦٥٦ وتلخيصه للذهبي، هامش نفس الصفحة، وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٦٩، والغدير ج ١٠ ص ٥١ عنها، والبداية والنهاية ج ٩ ص ١٢٨ عن أبي داود، وابن أبي خيثمة.

(٣) راجع في ذلك: النصاب الكافية ص ٨١ لمحمد بن عقيل عن الجاحظ والكامل للمبرد ج ١ ص ٢٢٢ ط النهضة بمصر، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٤٢، والبداية والنهاية ج ٩ ص ١٣١، وسنن أبي داود ج ٤ ص ٢٠٩.

باء: بل لقد كتب الحجاج إلى عبد الملك: «إن خليفة الرجل في اهله
أكرم عليه من رسوله إليهم وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة
من المرسلين...» (١)

جيم: قال خالد بن عبد الله القسري— وذكر النبي (ص): أيما أكرم،
رسول الرجل في حاجته أو خليفته في اهله، يعرض أن هشاماً خير من النبي
(ص) (٢)

د: ولذلك نجد منفذى السياسة الأموية في العصر الحاضر، وهم
الوهابية يسرون على نفس هذا النهج؛ فنجد زعيمهم محمد بن عبد الوهاب
يقول عن النبي (ص) «انه طارش»؛ وبعض أتباعه يقول بحضرته، أو يبلغه
فيرضى: عصاي هذه خير من محمد؛ لأنه ينتفع بهافي قتل الحية ونحوها، ومحمد
قدمات، ولم يبق فيه نفع، وإنما هو طارش (٣)

١١— وخطب خالد القسري بمكة— وقد أخذ بعض التابعين فحبسه
في دور آل الحضرمي، فأعظم الناس ذلك، وأنكروه— فقال: قد بلغني ما
أنكرتم من أخذى عدو أمير المؤمنين ومن حاربه. والله، لو أمرني أمير المؤمنين أن
أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها. والله، لأمرني المؤمنين أكرم على الله من
انبيائه عليهم السلام (٤)

وقال المدائني: كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين لنقضت الكعبة
حجراً، حجراً ونقلتها إلى الشام (٥)

١٢— وقال ابو عبيدة: خطب خالد (اي القسري) يوماً فقال: إن
ابراهيم خليل الله استسقى ماء فسقاه الله ملحاً أجاباً، وإن أمير المؤمنين استسقى

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٥٤.

(٢) الأغاني ج ١٩ ص ٦٠.

(٣) كشف الارتباب ص ١٣٩ عن خلاصة الكلام ص ٢٣٠، والطارش: الرسول في الحاجة.

(٤) الاغانى ج ١٩ ص ٦٠.

(٥) نفس المصدر ج ١٩ ص ٥٩.

الله ماء فسقاه عذبا نقاخاً (١)

وقال خالد القسري يوماً لعامله ابن أمي: أيما اعظم ركيبتنا أم زمزم؟!.

فقال له: أيها الأمير، من يجعل الماء العذب النقاخ مثل الملح الاجاج؟!... وكان يسمى زمزم أم الجعلان (٢)

١٣- وقد روى عبدالرزاق، عن الثوري عن مغيرة، عن أبيه، قال: رأيت الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام - مقام ابراهيم -، فينزجره عن ذلك ابن الحنفية، ويناهاه عن ذلك (٣)

١٤- وأعظم من ذلك، وأشد خطراً، وأعظم جرأة على الله عزوجل: أن الحجاج لم يكتف في حربه لابن الزبير برمي الكعبة بالمنجنيق، بل لقد رماها - والعياذ بالله - بالعدرة أيضاً، لعنه الله واخزاه (٤)

١٥- وقرأ الوليد بن يزيد لعنه الله ذات يوم: «واستفتحوا ونخاب كل جبار عنيد من ورائهم جهنم...» (٥) فرمى المصحف بالنشاب، وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد (٦)

(١) المصدر السابق ج ١٩ ص ٦٠.

(٢) نفس المصدر ج ١٩ ص ٥٩.

(٣) مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٤٩، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٨٤، والقضية في ربيع الأبرار ج ١ ص ٨٤٣ وفيه أن ابن الحنفية قال: «والله، لقد كنت عزم أن ارادني أن اجتذب عنقه فاقطعها»..

(٤) عقلاء المجانين ١٧٨. والفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٤٨٦.

(٥) ابراهيم ١٥.

(٦) بهج الصباغ ج ٥ ص ٣٣٩ والحوار العين ص ١٩٠ ومروج الذهب ج ٣ ص ٢١٦.

كما أن الوليد هذا هو الذي انفذ مجوسياً لبني له على الكعبة مشربة للخمر كما أنه قد ذهب في عهد هشام الى مكة، ومعه خمرو قبة ديباج على قدر الكعبة، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة، ويجلس فيها، فخوفه اصحابه من ثورة الناس حتى امتنع (١)

١٦- وأخيراً... فقد قال البعض عن الشافعية «والعجب منهم من يستجيز مخالفة الشافعي لنص له آخر، في مسألة بخلافه، ثم لا يروون مخالفته لأجل نص رسول الله (ص) (٢) وليس هذا الا لان شأن رسول الله لم يكن عند هؤلاء في المستوى الطبيعي اللائق به كما هو ظاهر.

ويقول ابوزهرة: «ووجدنا مالكا يأخذ بفتواهم (أي الصحابة) على أنها من السنة، ويوازن بينها وبين الاخبار المروية إن تعارض الخبر مع فتوى صحابي. وهذا ينسحب على كل حديث عنه ص، حتى ولو كان صحيحاً» (٣) واجراء حكم المتعارضين من قبل مالك بين فتوى الصحابي وبين الحديث عن الرسول هو الذي دفع الشوكاني إلى الحملة على كل من يعتبر أقوال الصحابة حجة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله فراجع كلماته القيمة إن شئت. (٤) وهذا موضوع طويل نكتفي منه بهذه الاشارة الخاطفه من أجل اعطاء صورة عن مكانة النبي (ص) وتعاليمه وقيمة اقواله لديهم.

السر المكنون:

وأما لماذا يجاولون النيل من المقدسات الاسلاميه، وبالاخص من شخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والخط من كرامته، فلعل ذلك يعود إلى:

(١) بهج الصباغة ج ٥ ص ٣٤٠ عن الطبري والأغاني.

(٢) مجموعه الرسائل المنيرية ص ٣٢.

(٣) ابن حنبل لأبي زهره ص ٢٥٥/٢٥١ وكتاب: مالك، له ص ٢٩٠.

(٤) ابن حنبل لأبي زهره ص ٢٥٤/٢٥٥ عن: ارشاد الفحول للشوكاني ص ٢١٤.

١- الكيد السياسي الأموى ضد الهاشميين، خصومهم قديماً وحديثاً، بما فهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، والذي أصبح هو مصدر العزة والشرف والمجد لكل أحد، ولا سيما الهاشميين.

٢- تبرير كل انحرافات وتفاهات الهيئة الحاكمة، والتقليل من بشاعتها، وفضاعتها في عين الناس، على اعتبار أنه ليس ثمة فواصل كبيرة جداً بين مواقف وتصرفات هؤلاء، ومواقف وتصرفات الرجل الأول والمثال. فهي وإن اختلفت كمية وشكلاً ولكنها لا تختلف مضموناً وهدفاً...

٣- إرادة دفن هذا الدين، والقضاء عليه نهائياً؛ لأنه يضر بمصالحهم، ويقف في وجه مآربهم وشهواتهم...

٤- ثم هناك عدم القناعة الكاملة لدى الكثيرين منهم بأن محمداً صلى الله عليه وآله النبي مرسل حقاً، وهذا ما عبر عنه يزيد الخمور. والقروذ صراحة بقوله.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل...

ثم تبعه الوليد بن يزيد بقوله:

تلعب بالخلافة هاشمي فقل لله يمنعني طعامي
بلا وحي أتاه ولا كتاب
وقل لله يمنعني شرابي (١)

ويقول- بعد أن ذكر الخمر:

فلقد أيقنت أنني سأروض الناس حتى
غير مبعوث لنار يركبوا (أير... الحمار
الجنة يسعى لتبار (٢) وذر وامن يطلب

(١) الحور العين ص ١٩٠، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢١٦، وبهج الصباغة ج ٥ ص ٣٣٩ عنه، والبيت الثاني مقتبس من قصيدة قالها أبو بكر، سيأتي الإشارة إليها في فصل ما بين بدر واحد إن شاء الله تعالى...

(٢) الحور العين ص ١٩٠/١٩١.

نتائج سياسة الامويين تلك:

وكان من نتيجة هذه السياسة— ومعها سياسة المنع من الحديث عن النبي (ص)، واحراق ما كتبه كبار الصحابة عنه، ابتداء من عهد أبي بكر الذي أحرق خمسمائة حديث كان قد جمعها من أحاديث رسول الله (ص) (١) ثم اشتد الأمر في عهد عمر، حيث إنه منع من الحديث عن النبي (ص) إلا بشاهد، وحبس كبار الصحابة في المدينة، وصار يستعمل على الأمصار من لا معرفة ولا اطلاع له على الدين واحكامه، ولم يسمح بالتحديث إلا لأعوان الحكم ومؤيديه من أمثال أبي هريرة، وأنس وكعب الأحرار، وعائشة، حتى إن مروان يقول: «كيف يسأل أحد وفينا أزواج نبينا وأمهاتنا (٢)» ثم إنه يعني عمر جمع ما كتبه الصحابة عن رسول الله (ص) وأحرقه (٣)، حيث يقولون: «كثرت الاحاديث على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتيه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: مشناة (والصحيح مشناة) (٤) كمشناة اهل الكتاب (٥)» أوقال: «ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً؛ فاكبوا

(١) راجع النص والاجتهاد ص ١٥٢/١٥١.

(٢) المصنف ج ١ ص ١٦٦.

(٣) وقد بلغ التحاشي عن الحديث عن رسول الله (ص): أن الشعبي يقول: قعدت مع ابن عمر سنتين، أوسنة ونصفاً فما سمعته يحدث عن رسول الله إلا حديثاً (سنن الدارمي ج ١ ص ٨٤، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ١٥ ومسند احمد ج ٢ ص ١٥٧، ولفظه: جالست ابن عمر سنتين باسمعته روى شيئاً عن رسول الله». وراجع الغدير ج ١٠ ص ٦٥ عنهم) وقد جرى على أبي ذر بسبب اصراره على الرواية عن رسول الله (ص) ما يخالف رأى الحكام ما يعرفه كل أحد، وبقي الخلفاء يمتنعون من الحديث عن رسول الله (ص) إلا حديثاً كان على عهد عمر، حتى مات الصحابة عموماً، وبقي منهم صغار ومتاجرون، ينخدع بهم السذج والبسطاء وما اكثرهم...

وهذا موضوع هام يستدعي بحثاً مُستقلاً ومُعمقاً... والله هو الموفق والهادى...

(٤) المشناة: هي روايات شفية دونها اليهود وسميت «مشناة» ثم شرحها علماؤهم ويسمى الشرح «جمارا» والتلمود مؤلف منها.

(٥) أضواء على السنة المحمدية ص ٤٧، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٤٠ وتقييد العلم ٥٢.

عليها وتركوا كتاب الله واني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً»

ثم اتبع الذين جاؤا بعد عمر طريقتهم، وساروا على نهجه في المنع عن الحديث، إلا حديثاً كان على عهد عمر (١)

وقد نتج عن سياسة الأمويين هناك، وسياسة المنع عن الحديث وعن كتابته هنا: أن لم يبق من الدين الا اسمه، ومن القرآن الارسمه، حتى لقد روى الامام مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال:

«ما أعرف شيئاً مما ادركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة (٢)»
قال الزرقاني، والباجي: يريد الصحابة. وأن الأذان باق على ما كان عليه، لم يدخله تغيير ولا تبديل، بخلاف الصلاة فقد أخرجت عن أوقاتها، وسائر الافعال دخلها التغيير (٣)... انتهى!

(١) اضواء على السنة المحمدية ص ٤٧ عن جامع بيان العلم ج ١ ص ٦٤ و ٦٥ وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٠٦.

إشارة هامة: لقد كان اليهود على فرقتين: فرقة تؤمن بالكتابة والتدوين، وفرقة تؤمن بوجود الحفظ، وعدم جواز كتابة شئى غير التوراة، ويقال لهم القراء (على مانص عليه محمد حسن ضاضا في كتاب: التفكيرالديني عنداليهود) ويظهر: أن كعب الأحبار كان من القراء الذين كثروا بعد ضعف امرالفريسيين. كما يظهر من جوابه لعمرو، حينما سأله عن الشعر، فكان مما قاله عن العرب: «قوماً من ولداسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة». وهب ابن منبه ايضاً كذلك في رواية مطولة في البداية والنهاية ج ٦ ص ٦٢ ونزهة المجالس ج ٢ ص ١٩٩: أن موسى قال: «يارب، إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتبهم نظراً، ولا يحفظونها، فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة محمد» فلعن الخليفة قد قبل هذه النظرية من كعب الأحبار الذي كان مقرباً لديه، بسبب حسن ظنه به، وأولأى سبب آخر...

كما أن هذا المنع عن الحديث ينسجم مع سياسة وتدبيرالحاكم الذي لا يريد أن تكثر الاعتراضات عليه بمخالفة اقواله وافعاله لأقوال وافعال الرسول ص أو للقرآن الكريم... ولاجل ذلك ايضاً فقد منع عن السؤوال عن القرآن وتفسيره، حيث لم يكن مجال للمنع عن كتابته وتلاوته.

ومن الجهة الثالثة... فان ذلك يطمئن السلطة إلى أن الأمور التي تهم بطمسها واخفائها، سواء مما يرتبط ببعض شخصياتها، أو يقوى موقف خصومها— هذه الأمور— لن تظهر، وستبقى رهن الخفاء والكتمان، ولن يكون لها اثرهم السلطة في أن تتجنبه...

(٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤، والموطأ (المطبوع مع تنويرالحوالك) ج ١ ص ٩٣.

(٣) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٢٢١، وتنويرالحوالك ج ١ ص ٩٤/٩٣ عن الباجي.

واخرج الشافعي من طريق وهب بن كيسان، قال: رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة. ثم قال: «كل سنن رسول الله (ص) قد غيرت حتى الصلاة (١)».

ويقول الزهري: دخلنا على أنس بن مالك بدمشق — وهو وحده يبكي، قلت: ما يبكيك؟! قال: «لأعرف شيئاً مما أدركت إلهذه الصلاة، وقد ضيعت (٢)».

وقال الحسن البصري: «لوخرج عليكم اصحاب رسول الله ما عرفوا منكم إلا قبلتكم (٣)».

ولكن قد قدمنا: أن القبلة قد غيرت أيضاً.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنه قال: «لأن رجلين من أوائل هذه الأمة خلوا بمصحفها في بعض هذه الأودية؛ لأتيا الناس اليوم، ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه (٤)».

وحيثما صلى عمران بن الحصين خلف علي (ع) أخذ بيد مطرف بن عبدالله وقال: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد (ص) (٥)

هذا... ولا بد من الإشارة هنا: إلى أنه قد كان ثمة تعمد لمخالفة السنن، لأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يلتزم بها، حتى قال ابن عباس:

(١) كتاب الام للشافعي ج ١ ص ٢٠٨.

(٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤، وراجع ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٦٥ عن البخاري، والترمذي، وليراجع: الزهد والرقائق ص ٥٣١ وفي هامشه عن طبقات ابن سعد ترجمة أنس وعن الترمذي ج ٣ ص ٣٠٢.

(٣) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤.

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٦١.

(٥) أنساب الاشراف ج ٢ ص ١٨٠ ط الاعلمى، وسنن البيهقي ج ٢ ص ٦٨ وكنز العمال ج ٨ ص ١٤٣ عن عبدالرزاق وابن ابي شيبة

«اللَّهُمَّ العنهم، قد تركوا السنة من بغض علي (١)» قال السندی:
أي وهو كان يتقيد بها (٢)

وقال النيسابوري عن ترك الجهر بالبسملة في الصلاة: «وأيضاً ففيه
تهمة أخرى، وهى أن علياً (رض) كان يبالي في الجهر بالتسميه، فلما كان
زمن بني أمية بالغوا في المنع عن الجهر، سعياً في ابطال آثار علي (٣)».

واخيراً... فقد ذكروا: أن الناس والهاشميين في زمن السجاد
عليه السلام كانوا لا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون (٤)... وينقل
العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني: أن في ترجمة أبان بن تغلب أنه يقول:
ما كانت الشيعة تعرف الحلال والحرام، ومسائل الحج إلا ما نقل هؤلاء (يعني
علماء الجمهور) عن علي عليه السلام...

وبعد... وإذا كانت الصلاة، التي هي الركن الأعظم في الاسلام
وعمود الدين ويؤديها كل مسلم خمس مرات يومياً... كان لا يعرف حدودها
واحكامها أقرب الناس الى مهبط الوحي والتنزيل، والذين يفترض فيهم أن
يكونوا أعرف من كل أحد بالشرعية واحكام الدين... فكيف تكون حالة
غيرهم من أبناء الأمة، وما هو مقدار معرفتهم بالشرعية والدين اذن... وما هو
مدى معرفة الأمة، وبالأخص من هم أبعد عن مصدر العلم والمعرفة بالأحكام،
وخصوصاً ما يقل التعرض له، والابتلاء به؟!...

وبعد هذا... فان من الطبيعي أن يُعتبر من حفظ عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بعض الأحاديث— ثلاثين— اربعين حديثاً مثلاً،
أو عرف بعض الأحكام— يعتبر أعلم الناس، واعظمهم في عصره— كما يظهر
من مراجعة كتب الرجال لبعض الفرق... ولا سيما إذا أضاف الى ذلك وزاد

(١) سنن النسائي ج ٥ ص ٢٥٣، وسنن البيهقي ج ٥ ص ١١٣ والغدير ج ١٠ ص ٢٠٥ عنها
وعن كنز العمال عن ابن جرير نص آخر.

(٢) تعليقه السندي على هامش سنن النسائي ج ٥ ص ٢٥٣.

(٣) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج ١ ص ٧٩.

(٤) كشف القناع عن حجية الاجماع ص ٦٧.

عليه، ماشاءت له قريحته، وسمحت به نفسه، حيث لا رقيب عليه ولا حسيب، ولا من يستطيع أن يميز هذا عن ذلك ...

ولذلك نجد: أن سوق الكذابين والوضاعين— وحتى بعض من أظهر الاسلام من اهل الكتاب— قدراج، وصاروا هم المصدر للعلم والمعرفة!! والثقافة للأمة!! حينما انضووا تحت لواء الحكام، وأبعدوا أهل بيت النبوة عن الساحة، وأجبروهم على التخلي عنها؛ حتى لنجد الامام السجاد عليه السلام يقول:

«... اللهم إن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك، ومواقع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصاصتهم بها قد ابتزوها... حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين، يرون حكمك مبدلاً، وكتابك منبذاً، وفرائضك محرفة عن جهات أشراعك، وسنن نبيك متروكة إلخ (١)».

وهذا موضوع هام جداً يحتاج إلى بحث وتمحيص مشبع، وقد ذكرنا نبذة يسيرة عنه في مقال لنا بعنوان: «الامام السجاد باعث الاسلام من جديد» في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام... فراجع... ونأمل أن يوفقنا الله لبحث هذا الموضوع الهام في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى...

أسس تقييم النصوص:

ولأجل ما ذكرناه فيما تقدم من الخطة الملعونة التي تستهدف شخصية النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم؛ وكل المقدسات الاسلاميه، بل وأساس الاسلام— من أجل ذلك— نجد أن من الضروري جداً، إذا اردنا تقييم النصوص الروائية والتاريخية النبوية، وتاريخ الاسلام... أن نعتمد بالاضافة: إلى:

سلامة النص لغوياً، ونحوياً، ونظافة سنده من الكذابين والوضاعين،

وأصحاب الأهواء السياسية وغيرها، وملاحظة تاريخ حياة الرواة وارتباطاتهم السياسية والمصلحية وغيرها، وسلامته من التناقض، وعن المعارض والمنافى والتأكد من امكانه تاريخياً، وغير ذلك (١).

— إن من الضروري أن نعتمد ويعتمدوا في تقييمهم النص بالاضافة إلى ذلك وسواه... الأمور التالية:

١— عرضه على القرآن الكريم... فقد.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تكثروا لكم الأحاديث بعدي، فإذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالف فردوه (٢)...

وعن ابن عباس إذا سمعتموني أحدث عن رسول الله، فلم تجدوه في كتاب الله أو حسناً عند الناس، فاعلموا اني كذبت عليه (٣).

وعن ابن مسعود: فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه (٤).

وعن ابى بكر في ضمن خطبة له: فان كانت للباطل غزوة، ولاهل الحق. جولة يعفوها الأثر وتموت السنن فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن (٥).

(١) ما ذكرناه هنا إنما يمكن ملاحظته كله في خصوص النصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام. وأما بالنسبة للنصوص التاريخية، فقد لا يتيسر ملاحظة كل ذلك ولا سيما السند، وذلك لأن التاريخ قد دون عموماً بأيد غير امينة كما أشرنا إليه من قبل... فلا بد إذن من ملاحظة أقصى ما يمكن للتأكد من النصوص التاريخية، وعدم التحريف والجعل فيها قبل عرضها على انها تاريخ يمكن الاعتماد عليه...

(٢) عن أصول الحنفية للشاشي ص ٤٣.

(٣) سنن الدارمي ج ١ ص ١٤٦.

(٤) المصنف ج ٦ ص ١١٢ وراجع: خطبة ابن مسعود في ج ١١ ص ١٦٠، وجامع بيان العلم ج ٢ ص ٤٢، وحياة الصحابة ج ٣ ص ١٩١ عنه.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٣ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٤٤ العقد الفريد ج ٤ ص ٦٠.

وعن أبي بن كعب فيما أوصى به رجلاً: اتخذ كتاب الله إماماً،
وارض به قاضياً وحكماً الخ (١)...

وعن معاذ: فاعرضوا على الكتاب كل الكلام، ولا تعرضوه على شيئ
من الكلام (٢).

وعن الامام الصادق عليه السلام: ما لم يوافق كتاب الله فهو زخرف (٣).

وقال الإمام السجاد عليه السلام عن القرآن: «وميزان قسط لا يحيف
عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضل
من أم قصد سنته».

ومثل ذلك كثير عن أئمة اهل البيت عليهم السلام...

وبعد هذا... فلا يمكن أن يصغى لقولهم: «السنة قاضية على الكتاب
وليس الكتاب بقاض على السنة» (٤)

ولا إلى قول أبي بكر البيهقي: «والحديث الذي روي في عرض
الحديث على القرآن باطل. وهو ينعكس على نفسه بالبطلان؛ فليس في القرآن
دلالة على عرض الحديث على القرآن (٥)».

ولا إلى قول عبدالرحمان بن مهدي: «... الزنادقة والخوارج وضعوا
ذلك الحديث، يعني ماروي عنه (ص) أنه قال: ما أتاكم عنى فاعرضوه على
كتاب الله، فان وافق كتاب الله فأنا قلته، وان خالف كتاب الله فلم أقله،
وانما أنا موافق كتاب الله، وبه هداني الله. وهذه الالفاظ لا تصح عنه (ص)

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٥٣ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٧٦.

(٢) حياة الصحابة ج ٣ ص ١٩٧ عن كنز العمال ج ٨ ص ٨٧ عن ابن عساكر...

(٣) اصول الكافي ج ١ ص ٥٥، وفي الباب روايات كثيرة أخرى فن ارادها فليراجعها...

(٤) تأويل مختلف الحديث ص ١٩٩، وسنن الدرامي ج ١ ص ١٤٥، ومقالات الاسلاميين ج ٢

ص ٣٢٤، وجامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٤.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٢٦.

عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم. وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء، ونعتمد على ذلك، فلما عرضناه على كتاب الله، وجدناه مخالفاً لكتاب الله، لأننا لم نجد في كتاب الله الآ يقبل من حديث رسول الله إلا ما وافق كتاب الله. بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسى به والأمر بطاعته، وكذا المخالفة عن أمره جملة على كل حال» (١).

وقال أبو عمر: «وقد أمر الله عز وجل بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً لم يقيد بشيء، كما أمرنا باتباع كتاب الله، ولم يقل: وافق كتاب الله، كما قال بعض أهل الزيغ (٢)».

ونحن لا بد وأن نقول للبيهقي، ولا بن مهدي ولأبي عمر: لقد غلطتم وغلط أهل العلم الذين أشرتم إليهم.

وذلك لأن عدم وجدانكم هذا الحكم في كتاب الله لا يعني أن هذا الحكم يكون مخالفاً للكتاب ولا موافقاً له... ولا ندري هل أنكم ترون أنه كان يجب أن يذكر في القرآن صراحة كل كلية وجزئية... وإذا كان كذلك فلسنا ندري كم سوف يكون حجم ذلك القرآن حينئذ، أو هل يمكن حفظه، والاستفادة منه؟! وكيف؟!...

وأيضاً فإن هذا الحديث ناظر إلى قبول الموافق وردة المخالف، وأما ما لا يوافق ولا يخالف، فهو باق تحت ادلة حجية الأخبار (٣).

وحول الحديث المذكور الذي يقول: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: ما ندري، ما وجدنا في

(١) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٣. وليراجع: في هذا النص وفي غيره مما تقدم كتاب: بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ٦٧/٦٨.

(٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٣.

(٣) هذا كلام المحقق البهائي السيد مهدي الروحاني حفظه الله...

كتاب الله اتبعناه... قال الخطابي: «في الحديث دليل على أن لاجحة بالحديث أن يعرض على الكتاب (ونحن لاندرى كيف دل الحديث على ذلك)، وأنه مهما ثبت عن رسول الله شيء كان حجة بنفسه. فأما ما رواه بعضهم: أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه... فإنه حديث باطل لا أصل له. وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة» (١).

وبعد هذا... فكيف يصنع هؤلاء بكلام عمرحين وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: حسبنا كتاب الله...

وهل انزل الله القرآن ليقراً على القبور، وفي الفواتح فقط؟ أوليعلق على الصدور، و يترنم به المقرئون بنغماتهم والحانهم؟!...

وهل القرآن كتاب موت، وليس كتاب حياة؟!...

وماهي فائدة ما اشتمل عليه القرآن من أوامر ونواهي، سياسية واجتماعية وفقهية وغيرها؟!...

وإذا كان كذلك، فهل يبقى لقوله: «هدى للمتقين» و «يهدى للتي هي أقوم» و «افلايتدبرون القرآن» وغير ذلك، هل يبقى له معنى أو فائدة تذكر؟!...

وهل يبقى أي معنى لجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن أحد الثقلين، الذين لا يضل من تمسك بها إلى يوم القيامة؟!...

ولماذا يكلف الناس بحفظ وتلاوة هذا الفضول من الكلام— والعياذ بالله— مادام لا ربط له بحياتهم، ودينهم، ومعاشهم؟!...

ولما ذا أخيراً... يهتم العلماء والمفكرون بتفسير القرآن، وشرح الفاظه، وبيان معانيه ومراميها؟!...

الى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة التي لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع والمفيد.

ثم إننا إضافة إلى ماتقدم لاندري ماذا نعمل... فهذا أبو بكر وعمر وعثمان، ومعاوية وغيرهم من خلفاء الأمويين... ينعون الناس من رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كتابته، ويجمعون ما كتبه الصحابة عنه... ويحرقونه...

كما ونجد عمر بن الخطاب يصر على أن كتاب الله كاف وواف... ولكنه يضرب من سأل عن تفسيره ومعناه!!...

وهؤلاء يصرون على ترك الكتاب وتقديم السنة عليه!!...

٢- إنه لا بد للباحث في السيرة النبوية أولاً من تحديد معالم الشخصية النبوية، ومعرفة حدودها على أساس صحيح، وذلك بالاعتماد في ذلك على القرآن أولاً، وعلى الاحكام العقلية القطعية والفطرية... ثم ملاحظة: إن كان النص - أي نص كان، وفي أي كتاب كان - منسجماً مع الوضع الطبيعي للشخصية النبوية المثلى... والتي قلنا: إنها تمثل اعظم إنسان وجد ويوجد على وجه الارض، متحلياً بكل صفات الفضل والكمال، وسائر الصفات الانسانية الفضلى...

فان كان ينسجم معها كل الانسجام... من دون أي تأثير لأي من العوامل العاطفية، أو السياسية، أو المصلحية الأخرى - قبلناه... وإلا... فما علينا إذا رددناه جناح... وإلا فهل يستطيع أن يقبل أحد أن يقال: إن المرجع الديني الفلاني كان يشرب الخمر مثلاً في المكان العام الفلاني، أو أنه الف الاغنية الفلانية للمغنية الشهيرة فلانة مثلاً؟!... فلما ذا ينسب ذلك أو ما هو اشنع منه إلى ساحة قدس الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

٣- ان لا يخالف ضرورة العقل وبداهته، فان القرآن قداهم بمخاطبة العقل وجعله حكماً، ونعى على كل من لا يهتدى بهداه... فليس

من المعقول: أن يطلب منا القرآن أن نصدق: أن الاثنین لیست نصف الأربعة... وهكذا...

ولیکن ذلك هو منطلقنا في تعاملنا مع كل ما يرتبط بالقضايا الأخرى، تاريخية كانت، أو عقائدية، أو غيرها... وليكن موقفنا منها قائماً على أسس واقعية سليمة أولاً وبالذات...

خاتمة المطاف:

وبعد كل ماتقدم... فاننا نستطيع بملاحظة تلك الأسس مجتمعة أن نعرف مدى قيمة تلك النصوص الكثيرة، التي تحاول أن تظهر نبينا الاعظم بذلك المظهر الصبياني العاجز والجاهل، والمزري والمهين... وتعطى على هذا الأساس حجمها، وتتخذ مكانها الطبيعي، ولا يبقى لها بعد فرصة للتسلل - بشكل أو بآخر - إلى عقائد، وفقه، وتاريخ المسلمين، بحيث تعطى انطباعاً لا ينسجم مع روح الاسلام ومبادئه، وواقع المسلمين، وتاريخ نبیهم الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم...

وحيثنئذ فقط... نستطيع أن ندعي: أن بإمكاننا أن نقدم للامة التراث النقي، الذي يكون بحق مصدر فخر واعتزاز واعجاب للمسلمين جميعاً، وللانسان ايضاً وجد، ولأى فئة انتمى، ولنستفيد الكثير الطيب الذي يساعد على اكتشاف عناصر الضعف والقوة في واقعنا ومواقفنا الحاضرة، من أجل البناء للمستقبل المشرق الرغيد...

إن شاء الله تعالى...

البداية الطبيعية:

وبديهي... أن البداية الطبيعية لتاريخ الاسلام وأعظم ما فيه هوالسيرة النبوية العطرة تحتم علينا: أن نذكر لحظة خاطفة عن تاريخ ما قبل

البعثه؛ لنتعرف على الاجواء والمناخات التي انطلقت فيها دعوة الدين الحق... الذى هو عند الله (الاسلام).

الباب الاول

ماقبل البعثة

- الفصل الاول: ما قبل ميلاد النبي (ص)
- الفصل الثاني: من الميلاد إلى البعثة
- الفصل الثالث: بحوث تسبق السيرة

الفصل الاول:

ما قبل ميلاد النبي (ص)

الوضع الجغرافي لشبه جزيرة العرب

هي شبه جزيرة مستطيلة يحدها شمالاً: الفرات وآخر قطعاتها بادية الشام والسماءة وفلسطين، وشرقاً خليج فارس، وجنوباً خليج عدن، والمحيط الهندي، وغرباً: البحر الأحمر... ولا يعنينا الوضع الجغرافي هنا إلا في النواحي التالية:

الأولى انه لم يكن في جزيرة العرب حتى نهر واحد، وأكثرها جبال، وأودية، وسهول جرداء، لا تصلح للزراعة والعمل... ومن ثم فهي لا تساعد على الاستقرار، وتنظيم الحياة...

ومن هنا فقد كان أكثر سكانها، بل قيل: خمسة أسداد سهم من البدو الرحل، الذين يمسون في مكان، ويصبحون في آخر...

الثانية: ان هذا الوضع قد جعل هذه المنطقة في مأمن من فرض السيطرة عليها، من قبل الدولتين العظيمين آنئذ: الرومان والفرس وغيرهما؛

فلم تتأثر المنطقة بمفاهيمهم وأديانهم كثيراً. بل لقد هرب اليهود من حكامهم الرومان إلى جزيرة العرب، واحتما فيها في المدينة وغيرها... وقد نشأت عن هذا الوضع ظاهرة الدويلات القبلية، فلكل قبيلة حاكم، وكل ذي قوة له سلطان...

الثالثة: ان هذه الحياة الصعبة، وهذا الحكم القبلي، وعدم وجود روادع دينية، أو وجدانية قوية... قد دفع بهذه القبائل إلى ممارسة الاغارة والسلب ضد بعضها البعض، كوسيلة من وسائل العيش احياناً، واحياناً لفرض السيطرة والسلطان، واحياناً أخرى للثار وإدراك الأوتار، إلى آخر ما هنالك.. فتغير هذه القبيلة على تلك فتستولى على أموالها، وتسبي نساءها واطفالها، وتقتل أو تأسر من تقدر عليه من رجالها. ثم تعود القبيلة المنكوبة لتربص بهذه الغالبة الفرصة لمثل ذلك... وهكذا...

ومن هنا... فان من الطبيعي أن يكون شعور افراد كل قبيلة بالنسبة لابناء قبيلتهم قوياً جداً، بدافع من شعورهم بالحاجة إلى بعضهم البعض للدفاع عن الحياة، والكفاح من أجلها... مما كان سبباً قوياً للتعصب القبلي، الذي لا يرثي، ولا يرحم، ولا يلين... بل لا بد من الوقوف إلى جانب ابن قبيلته، سواء كان الحق له، أو عليه... حتى لقد قال شاعرهم يتمدحهم بذلك...

لايسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا.

ومن الجهة الأخرى... فان قبيلته تتحمل عنه كل جناية أو جريمة يرتكبها، وتحميه من كل من اراده بسوء... بل يكون أخذ الثار من غير الجاني إذا كان من قبيلته كافياً وشافياً للموتورين الذين يريدون شفاء مافي نفوسهم، و إدراك أوتارهم...

الحضر في شبه جزيرة العرب

اما الحضر في جزيرة العرب، وهم الذين يسكنون المدن، ويستقرون

فيها، فانهم وإن كانوا في حياتهم أرق من العرب الرحل... إلا أن رقيهم هذا لم يكن من القدر بحيث يجعل الفارق بينها كبيراً...

ومن هنا... فاننا نلاحظ تشابهاً كبيراً في العقلية، وفي المفاهيم، وفي العادات والتقاليد، وأساليب الحياة وبدائيتها... هذا إن لم نقل إن العرب الرحل كانوا أصح أبداناً، وأفصح لساناً، وأقوى جناناً، وأصفي نفساً، وفكراً وقرحة... ولكن إمتياز هؤلاء واولئك في بعض الأمور لم يكن إلى الحد الذي يحتم على الباحث فصل الحديث عنها ولاسيا بالنسبة إلى اولئك الحضريين الذين يسكنون الحجاز. والخلاصة... اننا إذا كنا لم نجد في تاريخ ماقبل الاسلام ما يبرر نسبة التفوق إلى أحد الطرفين على الآخر... كما يتضح من كلمات أميرالمؤمنين الآتية وغيرها... فليس في فصل الحديث عنها كبير فائدة ولا جليل أثر.

الحالة الاجتماعية عند العرب:

وإن من يطالع كتب التاريخ سيرى بوضوح إلى أي حد كانت الحالة الاجتماعية متردية في العصر الجاهلي... وقد قدمنا: ان السلب والنهب والاغارة، والتعصب القبلي، وغير ذلك قد كان من مميزات الانسان العربي... حتى إنه إذالم تجد القبيلة من تُغير عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها، وحتى على ابناء عمها، يقول القطامي:

وكن إذا اغرن على فبيل	وأعوزهن نهب حيث كانا
اغرن من الضباب على حلال (١)	وضبة إنه من حان حانا
واحياناً على بكر أخينا	إذا ما لم نجد إلا اخانا

ولقد رأينا ان تلك الظروف الصعبة والفقر والجوع، التي كانوا يعانون منها، والمفاهيم الخاطئة التي كانت تعيش في اذهانهم - وخصوصاً عن المرأة -

(١) الضباب اسم قبيلة. والحلال: المجاور.

٤٦ الصحيح في سيرة النبي ج ١
وكذلك ظروف الغزو والاغارة، التي تعني سبي النساء والاطفال... قد
دفعتهم إلى قتل أوواد أولادهم، ولاسيا البنات. وكان ذلك في قبائل تميم،
وقيس، وأسد وهذيل وبكر بن وائل (١).

بل اننا نستطيع ان نعرف مدى شيوع الواد بينهم من تعرض القرآن
لهذه المسألة، وردعهم عنها، وإدانتها قال تعالى: «... ولا تقتلوا أولادكم
خشية املاق، نحن نرزقكم وياهم (٢)».

وقال أيضاً: «وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت (٣)».

كما اننا نجد (ص) قد نص على ذلك في بيعة العقبة فقد قال محمد بن
اسماعيل التيمي، وغيره— تعليقاً على هذا: خص القتل بالأولاد؛ لأنه قتل
وقطية؛ رحم فالعناية بالنهي عنه أكد؛ ولأنه كان شائعاً فيهم، وهو
وأد البنات، وقتل البنين، خشية الاملاق إلخ (٤)».

المرأة في الجاهلية:

وقد كانت حياة المرأة أصعب حياة؛ حيث لم يكن لها عندهم قيمة
أبدأ، وقد كُتِبَ الكثير عن هذا الموضوع؛ ولذا فلانرى حاجة كبيرة للتوسع
فيه، ويكفي أن نذكر هنا قوله تعالى:

«واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى
من القوم من سوء ما بشره، ايمسكه على هون؟ أم يدسه في التراب؟ الاساء
ما يحكمون. (٥)».

ومن ذلك نعرف أن الخنضري قد حاول تكذيب القرآن حينما ادعى أن

(١) راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ١٧٤.

(٢) سورة الانعام الآية ١٥١.

(٣) سورة التكوير الآيات ٨-٩.

(٤) فتح الباري ج ١ ص ٦١.

(٥) النحل ٥٨-٥٩.

العربي قبل الاسلام كان يحترم المرأة ويجلها (١)... نعوذ بالله من الخذلان،
ومن وساوس الشيطان.

شواهد عن حالة العرب في الجاهلية:

وعن حالة العرب في الجاهلية يكفي ان نذكر بعض ماقاله
سيد الخلق بعد الرسول أمير المؤمنين عليه السلام: «بعثه والناس ضلال في
حيرة، وحاطبون في فتنة، قد استهوتهم الاهواء، واستزلتهم الكبرياء،
واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل
..» (٢).

وقال (ع): «... وانتم معشر العرب على شر دين، وفي شردار
تنيخون بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب،
وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام
فيكم معصوبة» (٣).

وقال عليه السلام: «فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة والكثرة
متفرقة في بلاء أزل، وأطباق جهل، من بنات موؤودة، واصنام معبودة،
وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة» (٤)...

وكلمات أمير المؤمنين هنا حجة دامغة على كل مكابر متعصب...

ويقال إن المغيرة بن شعبه قد قال ليزد جرد: «... وأما ما ذكرت
من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع.
كنا نأكل الخنافس والجعلان، والحيات، ونرى ذلك طعامنا. أما المنازل فانما
هي ظهر الأرض. ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الأبل، واشعار الغنم. ديننا

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ص ١٧ - ٢٠.

(٢) نهج البلاغة الذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده الخطبة ٩١.

(٣) نهج البلاغة، عبده، الخطبة ٢٥.

(٤) نهج البلاغة، عبده، الخطبة ١٨٧.

أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يبغى بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليد فن ابنته وهي حية، كراهية أن تأكل من طعامه (١)». ولابن العاص أيضاً كلام يشير إلى بعض ذلك فن أراد فليراجعه (٢).

علوم العرب:

لقد أوضح لنا الامام اميرالمؤمنين عليه السلام في كلماته المتقدمة حالة العرب، ومستواهم العلمي والثقافي، وأنهم كانوا يعيشون في ظلمات الجهل، والحيرة، والضياع...

وهذا يكذب كل ما يدعيه الآخرون— كالألوسي وغيره— من أن العرب كانوا قد تميزوا ببعض العلوم، كعلم الطب، والانواء، والقيافة، والعيافة، والسماء، ونحو ذلك... فان ما كان عندهم منه هو مجرد ملاحظات بسيطة ساذجة مبنية على الحدس والتخمين، متوارثه عن مشايخ الحي وعجائزه...

وهذا هو رأي ابن خلدون أيضاً، الذي كان يرى أن علم الطب عندهم لا يتعدى معلومات أولية، وملاحظات بسيطة، لا تستحق أن تسمى علماً، ولا شبه علم...

ومثل هذا يقال عنهم في علم الانواء والسماء... فضلاً عما يسمى بالقيافة، والعيافة... هذا عدا عن أن بعض هذه الأمور، لا تستحق أن يطلق عليها اسم «علم».

ويكفي أن نذكر هنا: انهم كانوا أميين، لا يعرفون القراءة والكتابة

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٢ والطبري ج ٣ ص ١٨.

(٢) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٣٧، عن الطبراني، حياة الصحابة ج ٣ ص ٧٧٠ عن المجمع...

أصلاً، إلا من شذمهم... حتى ليزكرونا: أنه (ص) أرسل رسالة الى بكر بن وائل؛ فلم يجدوا قارئاً لها في القبيلة كلها (١)...

ويروي البلاذري: أن الاسلام قد دخل، وفي قريش سبعة عشر رجلاً فقط، وفي الأوس والخزرج في المدينة اثنا عشر رجلاً يعرفون القراءة والكتابة (٢)... ويرى ابن خلدون: أن اكثرهم كان لا يتقنها، بل كان بدائياً، وضعيفاً فيها بشكل ملحوظ...

بل ربما كانوا يعتبرون القراءة والكتابة عيباً؛ فقد قال عيسى بن عمر: «قال لي ذوالرمة: إرفع هذا الحرف. فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه— أي اكتب علي؛ فانه عندنا عيب (٣)».

هذا.. مع أن قريشاً كانت أعظم قبيلة شأنًا وخطراً ونفوذاً في الحجاز كله، ومع أن التجارة تتطلب مثل ذلك عادة... وكان الأوس والخزرج أيضاً في المرتبة الثانية بعد قريش، تحضراً ونفوذاً في الحجاز... فاذا كان مستواهم الثقافي هو هذا، فمن الطبيعي أن يصير لليهود عموماً وللنصارى— ولو بصورة أضعف— هيمنة فكرية، وأن ينظر إليهم العرب نظرة التلميذ إلى معلمه، ولربما نشير إلى ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى...

هذا... ومن الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: أن اميتهم تلك كانت هي السر في قوة الحافظه عندهم. ولكنها عادت إلى الضعف التدريجي حسب نسبة اعتمادهم على الكتابة في العصور المتأخرة، ابتداء من عصر التدوين.

ولسوف نشير ان شاء الله تعالى إلى مدى الأهمية التي أولاها الاسلام لمحو الأمية، حتى لقد ورد أنه صلى الله عليه وآله قد جعل فداء الأسير في غزوة

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٥، وقال: ان رجاله رجال الصحيح، عن أحمد، والبخاري، وأبي يعلى، والطبراني في الصغير، عن أنس، ومرثد بن ظبيان...

(٢) فتوح البلدان ط أورپا ص ٤٧١؛ فابعدھا، و ص ٨٠ في القسم الثالث من الطبعة التي حققها صلاح الدين المنجد... وإن كنا ناقش في بعض من عدهم في من يكتب أو يقرأ— كعمر— الذي سيأتي في قضية اسلامه: أنه لم يكن يعرف حتى القراءة...

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٣٤.

بدر: أن يعلم عشرة من أطفال المسلمين... وبدر كانت أدق مرحلة يمرها الاسلام والمسلمون في دعوتهم إلى الله، وحرهم مع المشركين. وسيأتي بعض الحديث عن ذلك في غزوة بدر وفي اواخر غزوة أُحُد، ان شاء الله تعالى...

وخلاصة القول: إن الجهل كان هو الحاكم المطلق ولا نلاحظ أية ظاهرة للنبوغ فيهم قبل الاسلام... بل على العكس من ذلك يمكن ملاحظة الكثير مما كان يزيدهم جهلاً، وحيرة، وضياًعاً...

ميزات وخصائص:

لقد امتاز العرب قبل الاسلام ببعض الصفات التي تمدحهم الناس، واثنوا عليهم لاجلها. وهي صفات قليلة بالنسبة إلى ما يقابلها من صفات وعادات ذميمة. ولكننا إذا دققنا النظر فيها... فاننا لانجد فيها ما يوجب مدحاً... بل ربما كانت في كثير من الأحيان موجبة لعكس ذلك تماماً.

لأن ما يعطي للشيء قيمته الحقيقية من أي نوع كانت هو دوافعه ومنطلقاته، وأهدافه. ونحن لانجد في تلك الأمور المنسوبة إلى العرب ما يبرر تمدحهم من اجلها لامن حيث المنطلقات والدوافع. ولا من حيث الاهداف والغايات.

فقد امتاز العرب:

١- بالكرم وحسن الضيافة— وهذا هو الأمر الوحيد الذي احتج به أبوسفیان على صحة دينه!! حيث قال لكعب بن الاشرف: «اديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى في رأيك، وأقرب إلى الحق؟: إنا نطعم الجزور الكوماء، ونسقى اللبن على الماء، ونطعم ماهبت الشمال. فقال له ابن الأشرف: انتم أهدى منهم سبيلاً (!!!)».

ولكن ذلك في الحقيقة لا يمكن أن يعد فضيلة للعرب؛ حيث إنه لم يكن بذمهم المال نابعاً من إيمان العربي بمثل أعلى، يدفعه إلى البذل والعطاء،

ولامن عاطفة انسانية مصدرها رؤيا حاجة الآخرين، والتفاعل معها، بحيث يندفع إلى العطاء والبذل بنفسه، ومن دون سؤال أو تحريك... بل الدافع لذلك غالباً أمر غير إنساني، وهو ابعاد العار، والتحرز من هجاء الشعراء، وحتى لا يسير ذكركم في البلاد في اللؤم والخسة، ولا تتعرض اعراضهم وكراماتهم للهدر... أو املاً بحسن الذكر، وطيب الاحدوثة... أو طمعاً بزعامة قبيلة، أو منافسة قرين... والشواهد على ذلك في التاريخ غير قليلة، والاستثناء لا يلتفت إليه...

هذا... ولا بد من الأشارة اخيراً... إلى أن عجز البدوي تجاه قوى الطبيعة القاسية، التي تستولي على الصحراء، من شأنه أن يولد فيه الشعور بضرورة الضيافة، وضرورة البذل، حيث لا يمكنه حمل قوته في سفره الشاق الطويل، الذي يمتد عشرات الأيام...

٢- حميتهم وعصبيتهم... وهذه في الحقيقة صفة ذميمة، إذ أنهم يرون أن النصر لا بد وأن يكون لذوى قرابتهم، ولا بن قبيلتهم، وأن العون لا بد وأن يحض له، ظالماً كان أو مظلوماً... وقد نعى القرآن عليهم ذلك، وعبر عنها بـ «حمية الجاهلية»، لأنها مبنية على الجهل، وعدم التثبت...

وقد تقدم ما يشير إلى سر نشوء ذلك فيهم، فلانعيد...

٣- الشجاعة: ويستحق صاحبها المدح والذم بملاحظة الاهداف في الموارد التي يستعملها فيها فإذا استعملت في مورد حسن استحق صاحبها مدحاً، وإلا فذماً...— ولهذا فليس هناك اشجع من الأسد، ولكن ذلك لا يعتبر فضيلة له...

ونحن إذا دققنا النظر فاننا نجد: أن سر شجاعة العرب هو أنهم بحكم بيئتهم وحياتهم في الصحراء، بلا حواجز وموانع طبيعية أو غيرها يشعر كل فرد منهم: أنه مسئول عن حماية نفسه، والدفاع عنها بنفسه، ولا يرد عنه الايده وسيفه... ولاسيا وأنه يرى نفسه— في كل حين— عرضة للغزو والنهب والسلب وأخذ الثارات منه...

هذا بالاضافة إلى أنه لا يأكل في كثير من الأحيان إلا من سيفه و يده و إلفانه هو نفسه يكون عرضة لأن يؤكل... فمن لم يكن شجاعاً فاتكأ الأكل، أو على الأقل لم يستطع أن يأكل... فكأنهم يتعاملون بمنطق: إن لم تكن ذئباً اكلتك الذئاب: وبعد فهل يمدح الذئب على فتكه في فرسته، وتمزيقه لها...

٤- النجدة والاقدام... ولا يختلف الكلام في ذلك عن الكلام في الشجاعة الا أننا نشير هنا... إلى أن ذلك يرجع لاطمينانه إلى أنه غير مسئول عما يعمل، بل هو منصور من قبل قبيلته على كل حال، ظالماً كان أو مظلوماً.

يضاف إلى ذلك : أن حياة البادية والغز والمفاجئ، وعمليات الاغتيال ثاراً، التي كانت تتهددهم باستمرار، كل ذلك يستدعي سرعة الاقدام، ومباشرة العمل فوراً. فاذا أضيف إلى ذلك شعورهم بعدم المسؤولية عن كل ما يحصل... فان الاقدام بلا ترو ولا تريث لا بد وأن يصبح هو الصفة المميزة لهم، والطاغية على تصرفاتهم...

ولا بدو أن نشير هنا: إلى أن قدرتهم على الانتقام فوراً من شأنها أن تجعل فيهم حساسية متناهية... ولذا فقد قل أن تجد فيهم حليماً، إلا من بعض المسنين أو أصحاب الهمم العالية، أو الجبناء.

٥- الأنفة والعزة، والاعتداد بالنفس، والنزوع إلى الحرية، وقوة الارادة، والفصاحة، وقوة البيان... والجوار.

والكلام فيها لا يختلف عما تقدم... فان هذه الصفات لا تستحق مدحاً أو ذمماً الا بملاحظة الدوافع والاهداف التي تكون من اجلها، أو تستعمل فيها...

ومنشأ هذه الصفات فيهم بالاضافة إلى ماتقدم... هو عدم تعرضهم للخضوع إلى سلطة مركزية، تحاول الهيمنة عليهم وفرض النظام فيهم، ولو بالاذلال، والقهر... مما من شأنه أن يعطيهم حرية في التصرف، والحركة، والقول، وما إلى ذلك...

٦- وأخيراً... الوفاء بالعهد... وهو أمر حسن بنفسه ولا بأس به إلا أن يكون عهداً مضرراً بالمجتمع، وقد فرضته عليهم طبيعة حياتهم التي أشرنا إليها آنفاً...

وقد اتضح من كل ماتقدم: أن كل تلك الصفات ليست جديدة بأن تعتبر فضائل أخلاقية، وصفات إنسانية، لأنها قل ما كانت تصدر عن خلق فاضل، وإنسانية كريمة... ولا عن تقوى وشعور ديني،... وإنما على العكس، يمكن أن تعبر عما يناقض ذلك وينافيه...

الاسلام... وتلك الصفات:

أما الاسلام فقد حاول أن يضع تلك الصفات في خطها الصحيح، وأن يجعلها تنطلق من قواعد انسانية، وعواطف حقيقية، وفضائل اخلاقية. وبالأخص من إحساس ديني صحيح، ويستفيد منها في بناء الأمة على أسس صحيحة وسليمة...

وما كان منها لا يصلح لذلك... فقد كان يهتم في القضاء عليه، وإستئصاله بالحكمة، والموعظة الحسنة، كلما سنحت له الفرصة، وواتاه الظرف...

فثلاً... نلاحظ: أنه قد حاول أن يجعل المنطلق للكرم، وبذل المال، هو العاطفة الانسانية، والشعور بحاجة الآخرين... كما يظهر من كثير من النصوص... هذا بالاضافة إلى طلب الأجر والمغفرة من الله تعالى... وذلك هو صريح قوله تعالى: «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً، ويتيماً، وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء، ولا شكوراً... (١)» بل لقد تعدى ذلك وتخطاه إلى تمدح الايثار على النفس، فقال تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة... (٢)».

(١) سورة الانسان الآية ٨-٩.

(٢) الحشر ٩.

أما العصبية القبلية، فقد حاول أن يوجهها، وجهة بناءة، ويقضى على كل عناصر الشر والانحراف فيها، فدعى إلى بر الوالدين، وإلى صلة الرحم، وجعل ذلك من الواجبات، حينما يكون سبباً في ربط المجتمع ببعضه ببعض.

ولكنه أدان كل تعصب لغير الحق، وندد به، وعاقب عليه واعتبر ذلك من دعوات الجاهلية المنتنة، كما هو صريح بعض النصوص التي سنشير إليها في السيرة النبوية...

وكذلك فإنه قد حاول أن يوجه الشدة والقسوة إلى حيث تكون في صالح الدين والانسان. ومثمرة للحق والخير، والحفاظ عليها... والنصوص الدالة على ذلك كثيرة جداً، ويكفي أن نشير إلى قوله تعالى: «أشداء على الكفار، رحماء بينهم (١)»... وقوله تعالى: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم (٢)» و «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجداوا فيكم غلظة (٣)» والآيات والروايات في هذه المجال كثيرة جداً... فهو يريد الشدة في دفع الظلم والانحراف. والحفاظ على الحق، وأن لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم... ويريد أن تتحول هذه الشدة إلى رحمة وحنان وسلام فيما بين المؤمنين...

وهكذا يقال بالنسبة الى سائر الصفات المتقدمة، فإن من يراجع النصوص القرآنية، والأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن آله المعصومين عليهم السلام... لا يبقى لديه أدنى شبهة فيما ذكرناه من أن الاسلام قد صب كل اهتمامه على توجيه الصفات الحسنة، إلى مافيه خير وصلاح الدين والأمة، والقضاء على الصفات الذميمة، التي تقضى على سعادة البشر، وتهدم بناء الحق الشامخ...

(١) الفتح ٢٩.

(٢) التوبة ٧٣.

(٣) التوبة ١٢٣.

متى كان بناء مكة

لانستطيع أن نحدد بدقة تاريخ بناء مكة، واتساعها حتى صارت جديدة باسم: «أم القرى». والظاهر أن بدء بنائها كان قبل بناء ابراهيم عليه السلام للبيت، حسبما تشير إليه بعض الروايات، بل ويدل عليه قول الله تعالى حكاية عن ابراهيم: «رب اجعل هذا البلد آمناً (١)».

و عليه فمما يحاول البعض اثباته، من أن قصياً هو أول من بنى مكة، وكان البيت وحيداً في الصحراء، ولا سيما ليلاً، بدليل أن قصياً سمي «مجمعاً»؛ لأنه جمع القبائل حول البيت.. لا يصح، بل هو لا يدل أيضاً؛ لأن تاريخ مكة قبل قصي خير شاهد على أنها كانت آهلة بالسكان، معمورة، ومعروفة ومشهورة. نعم ربما يكون قصي قد نظم سكن القبائل في مكة بالشكل المناسب..

و مهما يكن من أمر، فإن تحديد ذلك لا يهمننا كثيراً الآن.. وما يهمننا هو التعرف على المكانة الدينية لمكة، ومدى ارتباط قبائل العرب، بل وغيرهم بها.. والحديث عن ذلك لا ينفصل عن الحديث عن البيت العتيق، الذي تحتضنه مكة. ثم عن قریش التي كان لها شرف خدمة ذلك البيت؛ فنقول:

ألف: بناء الكعبة:

الكعبة هي أول بيت وضع للناس بيكة، مباركاً، وهدى للعالمين، كما هو صريح القرآن.. والمعروف المشهور. هو: أن واضعه هوشیخ الأنبياء ابراهيم عليه السلام

ولكننا نجد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على أن البيت قد كان من لدن آدم أبي البشر عليه السلام.. أما ابراهيم فهو رافع قواعده، ومشيّد بنيانه وأركانه..

قال عليه السلام: «ألاترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم، صلوات الله عليه، وإلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام» (الذي جعله للناس قياماً). ثم وضعه بأو عربقاع الارض حجراً، وأقل نتائق الدنيا مدرأ، واضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنه، ورمال دَمته، وعيون وشلة، وقرى منقطعه لا يزكو بهاخف، ولا حافر ولا ظلف. ثم أمر آدم وولده: أن يثنوا اعطا فهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية للملئ رحالهم، تهوى إليه الافئدة من مفاوز سحيفة الخ.. (١)»

ويدل على ذلك أيضاً: روايات وردت من طرق الخاصة وغيرهم فن أرادها فليرا جمعها في مظانها (٢).

ولعل ظاهر القرآن لا يأتى عن هذا أيضاً؛ حيث عبر تعالى عن تجديد بناء ابراهيم للبيت بقوله: «واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت» (٣) وهذا لاينا في أن تكون الأسس والقواعد قد وضعت قبل ذلك، و ابراهيم هو الذى رفع هذه القواعد، وشيد على تلكم الأسس.. وهذا موضوع يحتاج إلى بحث وتحقيق، نسأل الله أن يوفقنا لمعالجته في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى..

باء: دعاء ابراهيم

ومهما يكن من أمر، فان ابراهيم عليه السلام قد لاحظ: أن البيت الذى اختبر الله الناس به قد وضع في بقعة تكون الحياة فيها صعبة وشاقة، كما يظهر من كلمات الامام أميرالمؤمنين عليه السلام المتقدمة؛ ولذلك فقد دعاربه فقال:

«رب إنني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع، عند بيتك المحرم،

(١) نهج البلاغة بشرح عبده، الخطبة المعروفة بالقاصعة رقم ١٨٧.

(٢) راجع على سبيل المثال: تفسير نورالثقلين ج ١ ص ١٢٦-١٢٩، والطبري، والدرالمنثور، و شرح النهج، وغير ذلك.

(٣) البقرة ١٢٧.

ربنا ليقموا الصلاة؛ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، و ارزقهم من الثمرات، لعلهم يشكرون (١)»

ولقد استجيبت دعوة ابراهيم عليه السلام، و أصبحت مكة قبلة الآملين، ومهوى أفئدة الصفة من العالمين..

جيم: تقديس الكعبة:

لقد كانت الكعبة مقدسة ومعظمة عند جميع الأمم، فيذكر العلامة الطباطبائي أيده الله:

ان الهنود يعتقدون: أن روح سيفا، و هو الاقنوم الثالث عندهم، قد حلت في الحجر الاسود، حينما زار هو و زوجته بلاد الحجاز.

والصابئة من الفرس و الكلدانيون يعدون الكعبة أحد البيوت السبعة المعظمة (٢) و ربما قيل إنها بيت زحل لقدم عهدها، و طول بقائها..

واليهود أيضاً كانوا يعظمونها، و يدعون أنهم يعبدون الله فيها على دين ابراهيم (ع) و يقولون: إنه كان فيها تماثيل و صور، منها تمثال ابراهيم واسماعيل، و بأيديهما الازلام، و أن فيها صور تا العذراء و المسيح، و يشهد على ذلك تعظيم النصارى لأمرها كاليهود.

و كانت العرب أيضاً تعظمها كل التعظيم، و تعدها بيت الله تعالى.. و كانوا يحجون إليها من كل جهة.. (٣)..

هذا ما ذكره العلامة الطباطبائي مد الله في عمره، ولكن بعضه يحتاج إلى السند التاريخي القوي..

(١) ابراهيم ٣٧.

(٢) البيوت السبعة هي: الكعبة، و مارس: على رأس جبل بأصفهان. و هندوستان: ببلاد الهند. و نوبار: بمدينة بلخ. و بيت غمدان: بمدينة صنعاء. و كاوسان: بمدينة فرغانة من خراسان، و بيت بأعلى بلاد الصين.

(٣) راجع الميزان ج ٣ ص ٣٦١، ٣٦٢.

فالكعبة اذن.. كانت مقدسة عند جميع الامم والطوائف، و بالأخص عند العرب، في مدد متطاولة في العصر الجاهلي، و يزيد ذلك قوة ورسوخاً: أن العربي كان يعتبرها مصدر عزته، وموضع أمله... وكيف لا يكون كذلك، وهو يرى أن الأمم الأخرى تنظر اليه— لاجلها— بعين الحسد و الشنآن. وتعمل على انتزاع هذا الشرف منه، أو على الاقل على التقليل من خطره وأهميته.. حتى لقد:

- ١— أقام الغساسنة بيتاً في الحيرة في مقابلها (١)
- ٢— و في نجران أيضاً: أقيمت كعبة أخرى لتضاهي كعبة مكة، يقول الأعمش:

و كعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بأعتابها

وكعبة نجران هذه يقال: بيعة بناها بنوعبدالمدان ابن الديان الحارثي، على بناء الكعبة، وعظموها مضاهاةً للكعبة، وسموها: كعبة نجران (٢)

- ٣— وفي الشام كانت الكعبة الشامية (٣)

- ٤— وفي اليمن الكعبة اليمانية (٤)

ويكفي أن نذكر: أن أبرهة بن الاشم أقام في اليمن بيتاً، ودعا الناس إلى تعظيمه، والحج إليه. ورغم أنه زخرفه وفرشه بأفخر ما يقدر عليه، إلا أن ذلك لم ينفع في صرف الناس حتى اليمنيين عن الكعبة إليه، فضلاً عن أن يصرف أهل مكة عن كعبتهم، واستمر الناس... واهل اليمن على الحج إلى مكة، وبعد أن تغوط أحد بني كنانة في كنيسة أبرهة، غضب، واندفع إلى مكة في عام الفيل.. وقال لعبدالمطلب: إنه لا يقصد إلا هدم البيت، فأجابه أن للبيت رباً يحميه، وجرى ماجرى لابرهة وجيشه: ألم تركيف فعل ربك

(١) حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ٦٣.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥ ص ٢٦٨.

(٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٩٢.

(٤) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٩٢.

باصحاب الفيل أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ .
ترميمهم بججارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول .. (١)

٥- ويقولون: إن تبع بن حسان كان قبل ذلك، قدحاول أن يهدم البيت، ويحول حجارته إلى اليمن، فيبني بها بيتا هناك تعظمه العرب، فدفع الله عن البيت شره وكيده.. (٢)

الاصنام.. والكعبة:

ويقولون: إن عمرو بن لحي، كبيرخزاعة، عندما كان يتولى أمر البيت، سافر إلى الشام، وحمل معه منها الصنم المسمى بـ «هبل»، ووضع على الكعبة. وكان أول صنم وضع عليها، ثم اتبعه بغيره، وفي ذلك يقول شحنه بن خلف الجرهمي:

يا عمرو انك قد احدثت الهة
وكان للبيت رباً واحداً أبداً
شقي بمكة حول البيت أنصابا
فقد جعلت له في الناس أربابا

قالوا: «وكان قوله— أي عمرو بن لحي— فيهم كالشرع المتبع؛
لشرفه فيهم، و محلته عندهم، و كرمه عليهم.. (٣)»

فشاعت عبادة الأصنام بين العرب، واصبحت كل قبيلة تضع لها صنماً على الكعبة، تختلف إليه من جميع الأقطار، حتى صارها أكثر من (٣٠٠) صنماً، وأوتنصبه فيالموضع المناسب لها، فاذا أرادوا الحج و قفوا عندالصنم، و صلوا عنده، ثم يلبون حتى يصلون إلى مكة (٤) ..

واتخذ اهل كل دار صنماً يعبدونه في دارهم، فإذا ارادالرجل سفراً

(١) سورة الفيل

(٢) ثمرات الاوراق ص ٢٨٧

(٣) البداية النهاية ج ص ١٨٧

(٤) تاريخ يعقوبى ج ١ ص ٢٥٥

تمسح به حين يركب، و إذا قدم تمسح به أول ما يصل، قبل أن يصل إلى اهله..

و كان ذلك هوججة من قال: إن العرب لم تكن تعبد الاصنام قبل عمرو بن لحي..

و ثمة رأي آخر يقول: إن بني اسماعيل كانوا لا يفارقون مكة حتى كثروا، و ضاقت بهم مكة، فاضطروا إلى التفرق في البلاد، و ما من أحد منهم إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم؛ فحيث ما نزلوا، وضعوه فظافوا به، كظوافهم بالكعبة، حتى أدى بهم ذلك إلى عبادة تلك الحجارة.. ثم جاء من بعدهم؛ فنسوا ما كان عليه آباؤهم من دين اسماعيل، فعبدوا الاوثان (١)

و نحن نرجح أن هذا الأخير هو سر عبادتهم للاوثان.. و أم عمرو بن لحي، فالظاهر أنه أول من وضع الاصنام على الكعبة، و تبعه غيره. و ربما يشهد لذلك أن مجيئه بالصنم من الشام لا بد وأن يسبقه نوع قبول للاصنام، و تعظيم لها، هذا.. إن لم نقل إنه يعني أنه كان يعبد الاصنام قبل أن يذهب إلى الشام...

و على كمال حال... فان ما يهمننا هنا هو الاشارة الى ما كان للكعبة من مكانة لدى الانسان العربي، فضلا عن غيره سواء في الوقت الذي كان يعبد فيه الاوثان و يعظمها، أو في تلك الظروف التي بدأ يشعر فيها بسخافة عبادة الاوثان، و عدم معقوليتها..

ولاية الكعبة:

كانت ولاية الكعبة أولاً في يد ولد اسماعيل، ثم خرجت من يدهم إلى أخوالهم الجرهميين (٢) و يقال: ثم إلى العماليق، ثم عادت إلى جرهم. ثم لما

(١) البداية و النهاية ج ٢ ص ١٨٨، و المستطرف ج ٢ ص ٧٥ عن ابن اسحاق، و غير ذلك

(٢) يقال: إن زوجة اسماعيل كانت جرهميه، و هم في الاصل يمنيون قحطانيون، لامن عدنان

كثُر ولد اسماعيل، و أصبحوا ذوي قوة و منعة حاربوا الجرهميين بقيادة كبير خزاعة، و انتزعوا منهم ولاية البيت، و استمرت في الخزاعيين إلى إن أخرجها منهم قصي بن كلاب، الجد الخامس للنبي صلى الله عليه و آله و سلم..

و كانت الولاية بيد حليل الخزاعي أبي زوجة قصي، فجعل الولاية بعد موته لابنته، التي كانت تحت قصي، ولكنه جعل مفتاح البيت مع رجل يقال له أبو غبشان. فيقال: إن قصياً اشتراه منه بزق خمر، و بذلك يضرب المثل: «اخسر من صفقة أبي غبشان»، و قال في ذلك بعضهم:

ابوغبشان اظلم من قصي و اظلم من بني فهر خزاعة
فلا تلحقو قصياً في شراه ولوموا شيخكم إذ كان باعه (١)

و من اجل ذلك فقد جرت بين قریش و خزاعة حرب كان النصر فيها لقریش، و هم اولاد فهر بن مالك (٢)... هكذا يقولون...

ولكن ذلك ليس هو الزاي النهائي هنا؛ إذا اننا نرى البعض الآخر يقول:

إن قصياً قد استعاد البيت من خزاعة بعد حروب جرت بينه و بينهم ثم تحاكموا إلى عمرو بن عوف، فحكم لقصي (٣)

و ثمة قول آخر يفيد: أن حليلاً أوصى عند موته بولاية البيت لصهره قصي، و هذا ما تزعمه خزاعة (٤)

و إذا كانت خزاعة تزعم ذلك فما هو المبرر لحرها، إلا الحسد له، و البغي عليه؟!... و الظاهر ان حليلاً قد أوصى إليه به فحاربتة خزاعة حسداً و بغياً،

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠

(٢) البداية و النهاية ج ٢ ص ٢١٠، و غيره

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٤٠ و البداية و النهاية ج ٢ ص ٢٠٧ عن ابن اسحاق

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٣٩، و البداية و النهاية ج ٢ ص ٢٠٥ عن ابن اسحاق.

ثم تحاكموا إلى يعمر بن عوف، فحكم له... فان حكم عمرو بن عوف له لعله يقرب وصية حليل بالولاية إليه... أو كان قد اطلع عليها إن لم يكن لقصي حجج أخرى في المقام جعلت الحكم يكون في صالحه...

وعلى كل حال... فقد جدد قصي بناء البيت في القرن الثاني قبل الهجرة. وبنى إلى جانب الكعبة دارالندوة، التي كانت تجتمع فيها قريش للحكومة والقضاء والشورى. وهذا من مآثره الجليلة، الدالة على درايته وحكمته، وبعده نظره...

مكانة قريش..:

و واضح أن سداة قريش للبيت العتيق، وهو الذى يعظمه كل أحد من بنى الانسان.. ثم اتصال نسبا باسما عيل و ابراهيم عليهما السلام، والعربى - بطبعه يحترم نسباً كهذا، انطلاقاً من اهتمامه بالانساب، وإذعانه لها على أنها مصدر شرف وسؤدد- وأيضاً.. لان قريشاً كانت أقرب إلى الحنيفية، من غيرها، والحنيفية ايضاً هي الدين الذى يحترمه العربى و يقده و يعنوله... إن كل ذلك، وغيره من أمور قدا كسب قريشاً شرفاً، ومنحها مكانة، ونفوذاً وخطراً.. واصبح الناس عامة ينظرون إلى قريش نظرة فيها الكثير من الاحترام و التقديس..

والشواهد على هذا كثيرة، و يكفى أن نذكر قول قصي لقريش: «قد حضر الحج وقد سمعت العرب: ما صنعتم، وهم لكم معظمون..(١)»

وقول أبى طالب حين تزويج خديجة من رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحمد لرب هذا البيت الذى جعلنا من زرع ابراهيم و ذرية اسماعيل، وانزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه.(٢)»

(١) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) ستأق بعض المصادر لذلك إن شاء الله تعالى

وهكذا.. وإذا كانت قريش من نسل اسماعيل، وتحترم دين الحنيفة..

وإذا كانت مكة تعتبر حتى من العرب، أهل الحرب والغارة حرماً يأمن من لجا إليه... وقد يلتقي العربي فيها بقاتل ولده، أو أبيه؛ فلا يؤذيه، ولا يستطيع أن يثار منه... وإذا كان تقديس مكة قد بلغ عندهم هذا الحد؛ فإن من الطبيعي أن يكون لسادة مكة نصيب وافر من هذا التقديس وان يتميزوا على سائر الناس باحترام خاص أضف إلى ذلك سدانتهم للبيت الذي تقد إليه العرب من جميع الاقطار والانحاء.

وإذا كانت قريش ترى: أن شرفها، و سؤدها، ومجدها، وحتى اقتصادها، مرتبط بالبيت ومتصل به اتصالاً وثيقاً.. فن الطبيعي أن تدرك أن انتهاك حرمة ليس من مصلحتها.. لأن ذلك يقلل من تقديس البيت، و من احترام سدنته، ويفقدهم — من ثم — أعز وأغلى مالديهم.. ومن هنا كانت المبادرة إلى عقد حلف المطيبين وبعده حلف الفضول الذي ينص على أن ترد كل مظلمة إلى صاحبها، لا فرق بين قرشي وغيره، وعلى التأسى بالمعاش. و سيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى

أنا ابن الذبيحين:

ويذكرهنا: أنه حين لقي عبدالمطلب — وهو يحفر زمزم — من قريش مالقي: من مخاصمتها إياه في شأنها، وشدتها عليه.. حلف لئن ولد له عشرة نفر لينحرن أحدهم فلما ولد والده دعاهم إلى الوفاء لله بالنذر؛ فأجابوه، فضرب القداح فخرجت على ولده عبدالله، أصغر بني أبيه، على حد تعبير ابن هشام.. والصحيح: بني أمه، والإ.. فان حمزة والعباس كانا أصغر منه. كما أننا نشك في قولهم إن ضرب القداح كان عند هبل، واردة التنفيذ كانت عند إساف وناثلة؛ لأن عبدالمطلب كان على دين الحنيفة كما سيأتي، ولم يكن يحترم الاصنام..

وأراد عبدالمطلب ذبح ولده عبدالله، فأطاعه ولده؛ فنعموه من ذلك؛ فضربت القداح عليه، وعلى عشرة من الابل - مقدار دية الرجل - فخرجت عليه، فزادها عشرة، وضربت القداح فخرجت عليه... وهكذا إلى أن بلغت مئة؛ فخرجت على الابل، فنحرت: ولذلك يقال: إن النبي (ص) كان يقول: أنا ابن الذبيحين، أي اسماعيل، وعبدالله.

ويقول البعض: إن المراد هو هايل، وعبدالله.. على اعتبار أن المراد بالذبيح هو اسحاق، كما جاء في بعض الروايات.. (١).

وهذا لا يصح؛ أما:

أولاً: فإنه صلى الله عليه وآله وسلم ليس من ولد هايل اجماعاً. الا أن يقال: إن العم بمنزلة الأب.. ويرده:

أ: أن أبوة الذبيح الآخر له في قوله انا ابن الذبيحين لا بد وان لاختلف عن أبوة عبدالله له، لأنه ذكرهما في كلام واحد، فارادة هذا المجاز البعيد في أحدهما والحقيقة في الآخر غير معقول..

ب: إن الذي بمنزلة الأب - لو سلم أنه عرفاً كذلك فانما هو العم القريب لا العم الذي يأتي بعد عشرات الالباء والاجداد.

ثانياً: كون الذبيح هو اسحاق لا يصح.

أ: إذ قد ذكر في سورة الصافات قضية الذبح، ثم عقبها بالبشارة

(١) راجع ابن اسحاق، والسهيل وبه جزم ابن سلام الجمحي في كتاب طبقات الشعراء ص ١٠٧، وحكاه عن: عمر، والعباس، وابن مسعود، ومسروق، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومقاتل عبيدالله بن عمر، وأبي ميسرة، وزيد بن اسلم، وعبدالله بن شقيق، والزهري، والقاسم، وابن ابي بردة، ومكحول، وعثمان؟ والسدي، والحسن وقتادة، من السلف وغيره قالوا بذلك كل ذلك في البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٩. ولكنه ذكر معهم عليا (ع) و ابن عباس.. ونحن نجلها عن الالتزام بأمر يخالف القرآن.. بل إنه هو نفسه قد ذكر عنها أنها قالا اسماعيل..

باسحاق فقال: «وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين (١)»، مما يشعر بان اسحاق قد ولد بعد قضية الذبح، لأن هذه بشارة بالميلاد بقرينة قوله تعالى في آية أخرى: وبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب.

وقد روي هذا الاستدلال عن الصادق عليه السلام وعن محمد بن كعب القرظي (٢) ويشير إلى هذا أيضاً: الترتيب الذي جاء على لسان ابراهيم عليه السلام «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق» كما أن الله قد ذكر اسماعيل واسحاق في القرآن معاً في ست آيات وفي كلها يقدم ذكر اسماعيل على اسحاق..

٢— ولو اغمضنا النظر عن ذلك فاننا نقول: إنه من غير المعقول: أن يبشر الله تعالى نبيه بغلام سيكبر، ويكون نبياً، ويتزوج ويولده ثم يأمره بذبح ذلك الولد نفسه، فانه لا يرتاب حينئذ بأن الأمر بالذبح ليس حقيقياً وانما هو صوري وهذا يفقد قضية الذبح كل قيمتها. فلاحظ قوله تعالى: «وبشرناه باسحاق نبياً» وقوله: «وامراته قائمة فضحكت، فبشرناها باسحاق، ومن وراء اسحاق يعقوب (٣)»

وبعد هذا. فان السؤال الذي يلح في طلب الأجابة عليه هو: من أين جاء هذا الامر الغريب: أن الذبيح هو اسحاق:

والجواب: هو ما قاله ابن كثير «انما أخذوه— والله اعلم— من كعب الاحبار، أو من صحف أهل الكتاب. وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم، حتى نترك من أجله ظاهر الكتاب (٤)» فاليهود إذن... ارادوا ترويح عقيدتهم بين المسلمين، وتخصيص هذه الفضيلة بجدهم اسحاق، حسب زعمهم...

(١) الصافات ١١٢

(٢) راجع: الميزان ج ١٧ ص ١٥٥ والبداية والنهاية ج ١ ص ١٦١ و ١٥٩

(٣) هود ٧١

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ١٦١ و ١٥٩

ولكن اليهود انفسهم قد فاتهم: ان التوراة نفسها متناقضة فانها في حين تقول: «خذابنك ، وحيدك ، الذي تحبه اسحاق . واذهب إلى أرض المريا، واصعده هناك محرقة على الخ...» (١)

فقد عبرت هنا بكلمة: «وحيدك» الدالة على أن اسحاق هو أكبر ولد ابراهيم.. ولكنها تعود فتكذب نفسها، وتنص على أن اسحاق لم يكن وحيداً، وإنما ولد وعمر اسماعيل أربعة عشر سنة (٢)

بل لقد ذكر ابن كثير: أنه لاخلاف بين اهل الملل: أن اسماعيل أول ولد ابراهيم وبكره (٣)

ملاحظات هامة:

الأولى: إننا نلاحظ: أن ابراهيم قد رزق ولده اسماعيل في شيخوخته، كما أشار اليه القرآن.. وطبعي أن يكون تعلقه بهذا الولد أشد، وحب له اعظم.. ونلاحظ أيضاً: أن أمر الله تعالى له بذبحه كان، وولده في اروع أيام حياته، وفي السن التي يزداد تعلق والديه به فيه، وحبهم له.. حيث تمتزج المحبة بالعاطفة، والرافة بالاعجاب..

وايضاً.. إنه قد رزق ولدأ هوفى اعلى درجات الكمال الانساني، عقلاً ودراية، وسلوكاً و استقامة، الى غير ذلك من فضائل و كمالات إنسانية فاضلة..

وبعد ما تقدم... فاننا نجد أن الله يكلف هذا الأب بذبح طفل كهذا.. بيده.. وإذا كان التخلي عن طفل كهذا في ظروف كهذه هومن

(١) سفر التكوين، الاصحاح ٢٢، الفقرة ١-٣٣

(٢) سفر التكوين الاصحاح ١٦ الفقرة ١٥/١٦ نص على أن عمر ابراهيم حين ولادة اسماعيل ٨٦ سنة. وفي سفر التكوين الاصحاح ١٧ والاصحاح ١٨ نص على أنه ولده اسماعيل وهو ابن ٩٩، اومئه سنة.. وراجع: البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٣.

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧.

أصعب الأمور، فكيف إذا كان يجب أن يتم هذا التخلي بيد نفس ذلك الأب؟!..

ويلبي ابراهيم ويستجيب إلى أمر الله، دون أن يسأل عن السبب، ودون أن يبرمه أمر كهذا، وحتى دون أن يتحير في ذلك .. لأنه واثق بحسن ما يختاره له ربه، وبصلاح ما يأمره به ..

يستجيب لهذا الأمر .. ولا يندفع إلى تنفيذه بسرعة ليريح اعصابه من عبثه .. الأمر الذي يخفى وراءه الضعف والوهن .. ويخبر ولده بالأمر، ويطلب منه أن يتخذ هو نفسه أيضا القرار الحاسم في الاستسلام لذلك .. وذلك يدل على ثقته بحسن اختيار ولده .. ويدل على أنه كان يحترم فيه كبر عقله، وسداد رأيه ... ولا يعتبره طفلاً لا يمكن أن توكل إليه أية مسؤولية؛ .. وطبيعي أيضاً: أن يكون توجه اسماعيل لذلك وأن يتخذ هو نفسه القرار في ذلك: يا ابت افعل ماتومر ستجدني إن شاء الله من الصابرين مما يزيد في آلام أبيه.

واسماعيل .. الذي أراد أبوه أن ينيله أجر الطاعة ويجعله يتذوق حلاوة التسليم .. لم يكن منه إلا التسليم لأمر الله، والانصياع له بثقة ورضا .. ولكنه لا يعتبر هذا التسليم والرضا شجاعة وبطولة منه .. وإنما يعتبره خضوعاً لمشيئة الله تعالى وأن صبره مستمد منه، ومنته إليه ولذلك عبر الله تعالى عن حالتها هذه بقوله: «فلما أسلما» فهما قد أسلما لله تعالى وليس لغيره من الشهوات، وللغرائز ولم تقيد هما القيود المادية، ولا الدنيوية في شيئ .. (١) ولذلك فإن ابراهيم وولده هما من يكون الله أحب إليه من كل شيئ مما نصت عليه الآية الكريمة: «قل إن كان آباؤكم وبنائكم وخواصكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتوها، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها، أحب إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامرهم، والله لا يهدي القوم الفاسقين» (٢)

(١) لقد اشار في كتاب: في ظلال القرآن الى بعض ما ذكرناه أيضاً.

الثانية: إن من الواضح أن ذبح اسماعيل، وارقة دمه لم يكن هو المقصود النهائي، و ذلك لقوله تعالى لابراهيم: «قد صدقت الرؤيا»، و إنما كان المقصود هو البلاء والامتحان لابراهيم و ولده لقوله تعالى: «إن هذا هو البلاء المبين»

وحكمة هذا البلاء.. هي.. أن يزيد في تزكيه، وتصفية نفس اسماعيل، في مراحل إعداده لتحمل مسؤولية النبوة، وقيادة الأمة.. وكذلك.. فان في ذلك تزكية وتصفية وامتحاناً لنفس ابراهيم.. ولربما يكون ذلك من الكلمات اللواتي استحق باتمامهن ان يجعله الله للناس إماماً. قال تعالى: «وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال: اني جاعلك للناس إماماً. قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين» (١) وكانت قضية الذبح هي البلاء المبين كما نصت عليه الآية.

وقد رأيت بعد أن كتبت هذا: أن العلامة الطباطبائي يذكر أن البعض قد تنبه لذلك كالطباطبائي نفسه واستدل له، بقوله تعالى: «ومن ذريتي» إذ لا معنى لقوله هذا إن لم يكن له ذرية بالفعل، كما انه لم يكن يعلم ولا يظن انه سيكون له ولد قبل تبشير الملائكة له بذلك، و ابراهيم لا يتفوه بما لعلم له به، ولو كان ذلك قبل ولادة اسماعيل لكان اللازم أن يقول: «ومن ذريتي إن رزقتي ذرية» (٢).

كما أن من حكم هذا البلاء هو أن يضرب بذلك المثل الا على للاجيال، في التضحية في سبيل المبدأ الحق.. ولا يكتفى بمجرد رفع الشعارات، والاعلان عن المواقف كلامياً فقط... باسماعيل و ابراهيم ينبغي أن تكون القدوة لكل مؤمن ومؤمنة.

كما أن في اخراج فضائلها من عالم القوة إلى عالم الفعل، و اظهارها تشجيع للفضائل الكامنة في غيرهم، و تحريك لها لتقوم بمحاولة الظهور على

(١) البقرة ١٢٤.

(٢) راجع: الميزان ج ١ ص ٢٦٧/٢٦٨.

الصعيد العملي، أي أن في ذلك هزة عاطفية مؤثرة في كل من يملك عاطفة جياشة تستطيع أن تستثير الفضائل الكامنة في نفس الانسان؛ لتكون واقعاً حياً وملموساً، ولتقود عملية التغيير الشاملة في حياة الانسان، ومستقبله بشكل عام..

هذا كله.. بالاضافة إلى ما احتمله بعض الاخوة من أن من غير البعيد: ان يكون المجتمع الذي عاش فيه ابراهيم واسماعيل، قد طغت عليه المادية.. فاراد الله تعالى تحويل هذا الاتجاه بصورة عملية، دون الاقتصار على إسداء النصائح، والتوجيهات..

ولعل المتأمل في هذه القضية يكتشف الكثير، مما لم نذكره أولم نشر إليه.. والله هو الموفق والمسدد..

الثالثة: ويبقى أن نشير إلى أن من المقطوع به: أن النبي لا يريد أن يفتخر بقوله هنا: أنا ابن الذبيحين وإنما لعله يريد من قوله هذا: أن يوجه الانظار للاستفادة من هذين الحديثين الهامتين جداً.. وأيضاً.. أن يفهم الآخرين.. أنه هوليس غريباً عن هذا الجوى، وأنه إذا كان أولئك قد بلغوا هذه المكانة في القرب من الله، والتفاني في سبيله والتسليم له، فلا يجب أن يتوقع منه موقف آخر، يختلف عن هذا، أو يقل عنه. واذن فان آمالمهم في أن يقف موقف المساوم— في يوم ما إنما هي سراب في سراب فان القضية قضية مبدا و عقيدة، وليست قضية مصالح شخصية، كما يتخيلون..

الرابعة: إن نذر عبدالمطلب هذا ربما يقال فيه: انه غير جائز؛ اذ كيف جازله التصرف في شخصية غيره إلى هذا الحد؟! وهل يمكن أن يعتقدا حد بوجود الوفاء بنذر كهذا، يكون الضحية فيه نفس محترمة مثل عبدالله بن عبدالمطلب؟!

والجواب: إننا نلاحظ: أن عبدالمطلب قد سارفي ايمانه سيراً تكاملياً.. فنجد في أول أمره يسمى ابناؤه بـ «عبدمناف» ومناف اسم

صنم، و«عبدالعزى» والعزى كذلك. ولكنه يترقى ويتقدم حتى يبلغ به الأمر حداً من التسليم والأيمان بالله.. أن أربع ايمانه هذا أبرهة صاحب الفيل.. كما يذكره المؤرخون. كما ويقولون عنه إنه كان يقطع يد السارق، ويمنع من طواف العرأة، ويوفي بالنذر، ويؤمن بالمعاد، ويحرم الزنا والخمر، ونكاح المحارم، وكان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الاخلاق، وينهاهم عن دنيا الأمور، وكان مجاب الدعوة، وترك الاصنام (١)

وقد بلغ الحد الايماني الاعلى بعد ولادة حفيده محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث سمع ورأى الكثير من العلامات الدالة على نبوته بام عينيه. وشهد وعاین الكثير من الكرامات والدلالات القطعية فيه...

وعلى هذا فلا مانع من أن يكون اعتقاده أولاً: أنه يرى لنفسه الحق في تصرف كهذا، ونذر كهذا (٢) ولم يكن ذلك مستهجناً لدى العرف آنئذ..

أضف إلى ذلك.. أنه لم يثبت عدم جواز نذر كهذا في الشرايع السابقة.. فقد نذرت امرأة عمران ما في بطنها محرراً لخدمة بيوت الله.. وأمر الله تعالى نبيه ابراهيم بذبح ولده اسماعيل..

البداء عند الشيعة:

ويتفرع على ما سبق مسألة البداء التي هي موضع خلاف بين الشيعة وغيرهم، وقد صارت مصدراً للأفتراءات الكثيرة على الشيعة.. ونحن نشير إلى توضيح هذه المسألة بما يسمح لنا به المجال، فنقول.

قال سيدنا ومولانا المرحوم آية الله الحجة السيد عبدالحسين شرف الدين:

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٤، ومسالك الحنفا ص ٤١، عن الملل والنحل للشهرستاني.

(٢) هذا الجواب أشار إليه المحقق البهائي السيد مهدي الروحاني أيده الله تعالى...

«وحاصل ما تقوله الشيعة هنا: إن الله عز وجل قد ينقص من الرزق، وقد يزيده فيه، وكذا الأجل، والصحة والمرض، والسعادة والشقاوة، والمحن والمصائب، والإيمان والكفر، وسائر الأشياء، كما يقتضيه قوله تعالى: «يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (١)»

وهذا مذهب عمر بن الخطاب، وأبي وائل، وقتادة. وقد رواه جابر عن رسول الله صلى عليه وآله. وكان كثير من السلف يدعون، ويتضرعون إلى الله أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وقد تواتر ذلك عن أئمتنا في أدعيتهم الماثورة. وورد في السنن الكثيرة: أن الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف، يحول الشقاء سعادة، ويزيد في العمر الخ...» (٢)

نعم.. هذا هو البداء الذي تعتقد به الشيعة تبعاً لأئمتهم..

وأما البداء بمعنى ظهور رأي جديد له تعالى بعد أن لم يكن يعلم به أولاً، أو بمعنى أن يعمل عملاً ثم يندم عليه، حيث ظهر له أن المصلحة كانت في خلاف ذلك.. أما البداء بهذا المعنى فهو محال على الله، ولم يقل به الشيعة أبداً.. كيف؟! وهم أتباع أمير المؤمنين علي عليه السلام منسئ نهج البلاغة المشحون بالمعاني التي يعجز العقل البشري عن ادراكها... علي الذي تعلم الناس منه ومن أبنائه المعصومين تنزيه الله تعالى عن كل نقص. وأخذوا عنه أدق المعارف حول الله وصفاته سبحانه وتعالى..

وقد نقل عن الصادق عليه السلام قوله: من زعم أن الله بداله في شيء، ولم يعلمه أمس فأبرأ منه..

وعنه عليه السلام: من زعم أن الله سبحانه بداله في شيء بداء ندامة؛ فهو عندنا كافر بالله العظيم.

(١) الرعد ٣٩.

(٢) أجوبة موسى جار الله ص ٨٦/٨٧. وقد ذكر مصادر ما أشار إليه ثمة؛ فراجع.

التوضيح والتطبيق:

فالله عزوجل يقدر لزيد من الناس مثلاً رزقاً معيناً، أو عمراً معيناً. بحسب ما تقتضيه طبيعته وسجيته، واستعداده الذاتي ولكنه يعلم أنه سوف يتصدق فيكون ذلك سبباً في زيادة رزقه المقدر له أولاً، بقطع النظر عن هذه الصدقة. أو سوف يبرّ بوالديه فيزيد عمره لذلك كذلك. والله يعلم بذلك كله من أول الأمر..

وقد تقتضي المصلحة أن يطلع الله نبيه على المقتضى بوجود شيء، من دون أن يطلعه على ما سوف يجتهد في المستقبل له من الموانع، أو ما سوف يفقده من شرائط. فيخبر ذلك النبي عنه..

ثم بعد ذلك يطلع النبي على أنه يوجد موانع، أو أن المقتضى يحتاج إلى توفر شرائط ومناخات معينة مفقودة فعلاً.. مع علم الله سبحانه بكل ذلك أولاً و آخراً.. فإن الله علم اختصاص به وعلم يطلع عليه نبيه أو يثبتته في لوح المحو والاثبات، وقد اشار إلى هذين العلمين. في قوله تعالى: «يحموا الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب».

فمثلاً.. لو بيننا بيتاً، فانه بحسب طبعه صالح للبقاء مئة سنة مثلاً.. ولكنه ربما ترد عليه عواصف، أو زلازل أو سيول أو نحوها تمنع من بقائه هذه المدة، ويتلاشى في مدة عشر سنوات مثلاً..

فلو اخبرنا الناس: أن هذا البيت يبقى مئة سنة، مع علمنا بأنه سيتلاشى بسبب سيل يأتي من الناحية الفلانية يصل اليه بعد عشرة أيام.. ولو اخبرنا ثانياً بأن البيت سيهدم بعد عشرة أيام؛ فان كلاً من الخبرين يكون صحيحاً.. وقد يترتب على اخبارنا الأول مصلحة هامة لاغنى عن تحققها في موطنها.

وقد يكون من هذا القبيل ما نجده في علامات الامام صاحب الزمان عليه السلام حيث قد نص على بعضها: أنه من المحتوم، وسكت عن البعض

الآخر.. فلربما يتحقق الجميع، ولربما تفقد بعض الشروط لبعض الاشراف وتوجد بعض الموانع عن تحقق بعضها، ويكون المخبر إنما اخبر عن السير الطبيعي للأمر بغض النظر عن العوارض والطوارئ..

ويمكن أن تكون قضية ابراهيم واسماعيل الذبيح من هذا القبيل أيضاً، حيث إنه تعالى— لمصلحة يراها، كالاتحان والابتلاء، وغير ذلك مما تقدم— قد أمر نبيه ابراهيم بذبح ولده،

ثم فدا ذلك الذبيح بذبح عظيم.. وقد اخبر ابراهيم بأنه قد صدق الرؤيا.

ولعل قضية اسماعيل ابن الامام جعفر الصادق عليه السلام، كانت من هذا القبيل فقد اقتضت المصلحة أن تتوجه الانظار نحو اسماعيل هذا، من اجل حفظ نفس الامام الحق من الاخطار، ثم يموت اسماعيل، ويظهر أن الامام الحقيقي هو أخوه موسى عليه السلام..

اشكال.. وجوابه:

الاشكال: إن كلمة «بدا» معناها: ظهر (وليس اظهر) فبدالله لا بد وأن يكون معناه ظهر له وعلم به بعد أن كان يجهله. وذلك محال عليه تعالى كما قلتم.. وكيف يمكن توجيه قوله عليه السلام: «مابدالله في شيى كما بداله في اسماعيل» وغير ذلك من كلمات عبرت بـ «بداله» أو «بدالله»؟!..

والجواب: ان قوله تعالى: «وناديناه أن: يا ابراهيم، قد صدقت الرؤيا» بل وكذا قوله تعالى: «وبداهم سيئات ما كسبوا» (١).. يشير إلى أن كلمة بدالم تستعمل بمعنى الاظهار أو الظهور. وإنما استعملت بمعنى: تحقق ما علم في عالم الكون والوجود، نظير كلمة: «علم» في قوله تعالى «ثم بعثناهم

لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً (١) .. وقوله تعالى: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين، ونبلو اخباركم» (٢) .. وقوله سبحانه: «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه» (٣) ..

والمقصود ليتحقق معلومنا، ويتجسد في عالم الوجود...

وبدا.. أيضاً كذلك؛ فبداله، أي تحقق ما علمه في الخارج وعلى صفحة الكون (٤)

اليهود.. والبداء:

ولو أننا نقل بالبداء... لكننا مثل اليهود، الذين نعى الله عليهم اعتقادهم الفاسد، حيث انكروا البداء.. وقالوا: إن الله قد قدر الارزاق والاشياء منذ الازل، ولا تغيير ولا تبديل فيما قدر، فقد «جف القلم».

قال تعالى مقبحاً قولهم هذا: «..وقالت اليهود: يدالله مغلولة، غلت أيديهم، ولعنوا بما قالوا، بل يدها مبسوطتان، ينفق كيف يشاء»

فلاعتقاد بالبداء ضرورة اسلامية وعقيدية، ومن لوازم ومقتضيات تنزيه الله و توحيده.. و هو كذلك منسجم مع مفاد الآيات القرانية، والأحاديث الشريفة..

(١)-الكهف ١٢. (٢)-محمد ٣١ (٣)-البقرة ١٤٣.

(٤) هذا ما نبهني إليه الباحثة المحقق السيد مهدي الروحاني سلمه الله تعالى..

الفصل الثاني

من الميلاد الى البعثة:

نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

هو ابوالقاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بن عبدالله، بن عبدالمطلب، شيبه الحمد، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لوى، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن نضر، بن كنانة، بن خزيمه، بن مدركه، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان..

قالوا إن هذا هو المتفق عليه من نسبه الشريف، اما ما فوقه ففيه اختلاف كثير، غير أن مما لاشك فيه هو أن نسب عدنان ينتهي إلى اسماعيل عليه السلام..

وقد روي أنه (ص) قال: «إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا» (١)... ونحن نمسك هنا مثلاً لأمره صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمه: هي آمنه بنت سيد بني زهره، وهب بن عبدمناف، بن زهره، بن كلاب..

مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة عام الفيل على المشهور (١) .. أي .. قبل البعثة بأربعين سنة.

والمشهور عند الامامية وبعض من غيرهم: أنه ولد في السابع عشر من شهر ربيع الاول، و المشهور عند غيرهم، ووافقهم الكليني: أنه ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت منه (٢) .. وثمة اقوال اخر لا مجال لذكرها

ونص الطبرسي، والكليني على أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد ولد في يوم الجمعة، وعند غير الامامية: أنه ولد في يوم الاثنين .. وورد: أن أمه قد حملت به في ايام التشريق. وهي الحادي عشر، والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة (٣) ..

ولا يخلو ذلك من اشكال لانها إن كانت ولدته في تلك السنة، فإن حملها به صلى الله عليه وآله يكون اربعة أشهر، وتزيد قليلاً، وان كانت ولدته في السنة الثانية، فمدة حملة تكون ستة عشر شهراً، مع أن اقل مدة الحمل ستة أشهر، واقصاها سنة عند المشهور من الامامية ..

وأجيب: بأن ذلك مبني على النسب في الاشهر الحرم عند العرب، فانهم كانوا يقولون: مثلاً إن الاشهر الحرم توضع بعد اربعة اشهر مثلاً .. ثم يستحلون القتال في نفس الاشهر التي رفع الاعتبار عنها .. ولكننا إن كانت الرواية صحيحة سنداً، وإن لم نقل بان الحمل به (ص) اربعة اشهر يمكن ان يكون من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم ... لا بد لنا من مناقشة ذلك ..

(١) راجع: سيرة مغلطاي ص ٧/٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٥، وغير ذلك وحكى الاتفاق عليه.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٣٦٤ ط المكتبة الاسلامية بطهران سنة ١٣٨٨.

(٣) اصول الكافي ج ١ ص ٣٦٤، وليراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٦.

بأن كون تلك الرواية واردة بناء على اشهر النسبي يحتاج إلى اثبات..
فاننا لم نعهد في تعبيرات المعصومين بناء كلامهم على النسبي، كما لم نعهد ذلك
في كلمات المحدثين والمؤرخين..

تعقيب هام وضروري:

لقد قال الاربلي رحمه الله، بعد أن أشار إلى الاختلاف في تاريخ
ولادته صلى الله عليه وآله وسلم: «إن اختلافهم في يوم ولادته سهل؛ إذ لم
يكونوا عارفين به، و بما يكون منه، وكانوا أميين لا يعرفون ضبط مواليدهم
أبنائهم. فأما اختلافهم في موته، فعجيب.. ولا عجب من هذا مع اختلافهم
في الأذان والاقامة، بل اختلافهم في موته اعجب؛ فان الأذان ربما ادعى كل
قوم انهم رووا فيه رواية فأما يوم موته فيجب أن يكون معيناً معلوماً (١)».

وكلام الاربلي رحمه الله ظاهر المأخذ؛ فهو يقول: إن اختلافهم في
تاريخ ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربما تكون له مبرراته، ولكن ما
يشير الدهشة حقاً هو اختلافهم في يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم مع أنهم
كانوا قد عرفوا فيه صلى الله عليه وآله وسلم المنقذ والمخرج لهم من الظلمات إلى
النور، ومن الموت إلى الحياة، ومع عدم هوى سياسي أو مذهبي يقتضي ابهام
ذلك، أو اجماله، أو التلاعب فيه.

وأغرب من ذلك كله.. هو اختلافهم في الكثير الكثير من الأمور التي
كانوا يمارسونها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة مرات يومياً، طيلة سنين
عديدة، حتى انك لتجدهم يروون المتناقضات عنه صلى الله عليه وآله وسلم
في افعال الوضوء والصلاة، وهم كانوا يؤدونها معه (ص) خمس مرات في
كل يوم. بل قد تجد بعضهم يقول: انهم إنما كانوا يعرفون أنه صلى الله عليه وآله

وسلم يقرأ في صلاة الظهر والعصر، من اضطراب لحيته (١)

أما اختلافهم في الأذان الذي كانوا يترَّبون على سماعه منذ صغرهم؛ فذلك ظاهر أيضاً، كما أشار إليه الأربلي رحمه الله..

وإذن.. فاهومدى معرفتهم بتلك الأحكام التي يقل الابتلاء بها، والتعرض لها عادة ياترى؟!..

وأيضاً.. هل يصح اعتبار اقوال هؤلاء، وفعالهم سنة ماضية، وشريعة متبعة،— كما هو عند بعض الفرق الإسلامية— بل تجد بعضهم ربما يرد الحديث الصحيح لقول صحابي، أو لقول حاكم.. إن ذلك لعجيب! وأي عجيب!!..

و إذا كانوا يختلفون حتى في مثل هذه الأمور فهل يعقل بعد هذا أن يصح قول البعض: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك الأمة هكذا هملاً، بلا قائد ولا رائد؟ ولا معلم، ولا مرشد؟ على اعتبار أن الأمة تكون مستغنية عن الهداية والرعاية؟!..

وهذا موضوع هام جداً يحتاج إلى بحث وتمحيص بصورة مفصلة..

مصير الدار التي ولد فيها النبي (ص):

وكانت ولادته صلى الله عليه وآله وسلم، في شعب إبي طالب في الدار التي اشتراها محمد بن يوسف، أخو الحجاج من عقيل بن إبي طالب رحمه الله تعالى.. ثم صيرتها الخيزران أم الرشيد مسجداً، يصلي فيه الناس (٢) و يزورونه، و يتبركون به، وبقي على حالته تلك فلما: «أخذ الوهابيون مكة في

(١) صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ ج ١ ص ٩٠ و ٩٣، ومسنند احمد بن حنبل ج ٥ ص ١٠٩

و ١١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٣٧ و ٥٤ عن الصحيحين.

(٢) اصول الكافي ج ١ ص ٣٦٤.

عصرنا هذا هدموه، ومنعوا من زيارته، على عاداتهم في المنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وجعلوه مرابطاً للدواب (١)».

رضاعه صلى الله عليه وآله وسلم

ويقولون إن امه قد أرضعته يومين أو ثلاثة، ثم أرضعته ثوية مولاة أبي لهب أياماً (٢) ثم قدمت حليلة السعدية رحماً لله مكة مع رفيقات لها، بحثاً عن ولد ترضعه؛ لتستفيد من رعاية اهله، ومعوناتهم؛ فعرض عليها، فرفضته - في بادئ الأمر - ليطمه.. ولكنها عادت، فقبلته، حيث لم تجد غيره فرأت فيه كل خير وبركة؛ فأرضعته سنتين. ثم أعادته إلى اهله، وهو ابن خمس سنين ويومين - كما يقولون - ليكون في كفالة جده عبدالمطلب، ثم عمه ابي طالب.. ويقول العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني: إن قولهم: انها رفضته في اول الامر ليطمه انما يصح بالنسبة ليطم ضائع، لاهمية له... واما بالنسبة لمحمد فإن كافله عبدالمطلب سيد هذا الوادي.. واهه آمنة بنت وهب، من اشراف مكة.. بل ثمة من يقول: إنه لم يكن حينئذ يتيماً، وان اباه قد توفي بعد ولادته بعدة اشهر، قيل: ثمانية وعشرين شهراً. وقيل: سبعة اشهر (٣).. انتهى كلامه..

وعلى كل حال فقد كان ارسال الاطفال إلى البادية للرضاع، هو عادة اشراف مكة، حيث يرون: ان بذلك ينشأ اطفالهم:

١- أصبح ابداناً، لأنهم يعيشون في الهواء الطلق، ويواجهون مصاعب الطبيعة فتصير لديهم مناعة طبيعية تجاه مختلف المتغيرات، في مختلف الظروف.

٢- أفصح لساناً.. حيث انهم يقلل اختلاطهم باهل الاقطار الاخرى، من الامم الاخرى، على العكس من سكان المدن، ولاسيما مكة، التي

(١) اعيان الشيعة ج ٢ ص ٧.

(٢) فاموس الرجال ج ١٠ ص ٤١٧ ترجمة ثوية، عن البلاذري...

(٣) صفة الصفوة ج ١ ص ٥١ وكشف الغمة ج ١ ص ١٦.

كانت تقيم علاقات تجارية بينها وبين سائر الاقطار والامم.. ولها رحلتا الشتاء والصيف، إلى البلاد التي تتاخم البلاد الاجنبية، التي لا يبعد تأثرها— قليلاً كان ذلك او كثيراً— بها..

٣— اقوى جنانا.. لما قدمناه في مطاوى كلما تنا في الفصل الأول..

٤— اصنى فكراً وقريحة، حيث يتعد الانسان حينئذ عن هموم المدينة، وعن علاقاتها المعقدة والمرهقة، حيث لا يواجه في البادية الالعيش الساذج والبسيط، والحياة على طبيعتها. ولا يتأثر فكره و عقله، بالمفاهيم والافكار التي تفرضها تلك الحياة المثقلة بالعلاقات المنحرفة، ثم هو يجد الفرصة للتأمل والتفكير، والتعرف على اسرار الطبيعة والكون، ولو في حدود عالمه الناشئ المحدود، ومداركه المحدودة ايضاً..

وليكون من ثم ذا فكر مبدع خلاق، وقريحة صافية وغنية..

ولكن بشرط عدم الاستمرار في هذه الحياة؛ فإن الاستمرار في حياة البادية من شأنه أن يجعل الانسان يعاني من الجمود والانغلاق، ثم هو يكون لنفسه مفاهيم و افكاراً، يحولها الزمن الى حقائق لا تقبل الجدل عنده، و يصير من الصعب عليه قبول أي رأي آخر يسير في غير اتجاه قناعاته وافكاره، فان تدرّب الانسان على ان يسمع النقد والمخالفة في الرأي يبعده عن الاستبداد الفكري، ويجعله يبحث عن الدليل، والمبرر لكل فكرة لديه.. وإلا فانه يصير على استعداد للتخلي عنها إلى غيرها مما يستطيع ان يدافع عنه و يستدل عليه.. وهذا امر طبيعي يعرفه الانسان بالمشاهدة، و يستدل عليه بالتقصي والتجربة..

حديث شق الصدر:

ومادنا في الحديث عن رضاعه صلى الله عليه وآله في بني سعد... فاننا لانرى مناصباً من إعطاء رأينا في رواية وردت في هذه المناسبة، وهي:

قال: مسلم بن الحجاج «عن أنس بن مالك، إن رسول الله (ص) أتاه

جبرئيل، وهو يلعب مع الغلمان؛ فأخذه وصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه؛ فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب، بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه.

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه— يعني ظئره— فقالوا: إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه، وهو منتقع اللون.

قال أنس: «وقد كنت أرى اثر ذلك المحيط في صدره (١)».

وكان ذلك هو سبب إرجاعه إلى أمه (٢)...

وكتب الحديث والسيرة— عند غير الامامية... لا تخلوا عن هذه الرواية غالباً. وقد ذكروا أنه قد شق صدره صلى الله عليه وآله وسلم خمس مرات، أربع منها ثابتة: مرة في الثالثة من عمره، وأخرى في العاشرة، وثالثة عند مبعثه، ورابعة عند الأسراء، والخامسة فيها خلاف كما قلنا...

توجيه هذه الرواية:

ويقولون: إن تكرار شق صدره صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو زيادة في تشریفه عليه الصلاة والسلام... وقد نظم بعضهم ذلك شعراً فقال:

أيا طالباً نظم الفرائد في عقد	مواطن فيها شق صدر لذي رشد
لقد شق صدر للنبي محمد	مراراً لتشريف، وذا غاية المجد
فأولى له التشريف فيها موئل	لتطهيره من مضغة في بني سعد
وثانية كانت له وهو يافع	وثالثة للمبعث الطيب الند
ورابعة عند العروج لربه	وذا باتفاق فاستمع يا أخا الرشد

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٠١-١٠٢ وفيه ثمة روايات أخرى عن شق صدره صلى الله عليه وآله فليراجع من أراد.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٤/١٧٥، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٠، وغير ذلك.

الصحيح في سيرة النبي ج ١
وخامسة فيها خلاف تركتها لفقدان تصحيح لها عند ذي النقد (١)

كما أننا نرى أنه في نفس الوقت الذي يعتبر فيه البعض هذه الرواية من ارهاصات النبوة كما صرح به ناظم الابيات السابقة وغيره (٢) ومثار اعجاب وتقدير..

فاننا نرى انها عند غير المسلمين، إما مبعث تهكم وسخرية... وإما دليل لاثبات بعض عقائدهم الباطلة، والظعن في بعض عقائد المسلمين كما سنرى...

ونرى فريقاً ثالثاً يعتبر الرواية، موضوعة، من قبل من أراد أن يضع التفسير الحرفي لقوله تعالى: «الم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك» (٣)

واعتبرها صاحب مجمع البيان أيضاً «مما لا يصح ظاهره، ولا يمكن تأويله الا على التعسف البعيد؛ لأنه كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء؟» (٤).

ونجد آخر (٥) يحاول أن يناقش في سند الرواية. ونظرة فقط إلى رواية ابن هشام، عن بعض أهل العلم ولم يعلم أنها واردة في صحيح مسلم بأربعة طرق... ولوأنه اطلع على ذلك لرأينا له موقفاً متحمساً آخر؛ لأنها تكون حينئذ كالوحي المنزل، على النبي المرسل... وشك في هذا الحديث أيضاً الشيخ محمد عبده، كما نقله عنه أبو رية.

ولعل خير من ناقش هذه الرواية نقاشاً موضوعياً سليماً هو العلامة

(١) راجع: اضواء على السنة المحمدية ص ١٨٧.

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٥٣، وراجع سيرة المصطفى للحسني ص ٤٦.

(٣) راجع حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ٧٣ والنبي محمد للخطيب ص ١٩٧.

(٤) الميزان ج ١٣ ص ٣٤، عن مجمع البيان..

(٥) النبي محمد لعبدالكريم الخطيب ص ١٩٦.

الشيخ محمود أبو رية في كتابه القيم: أضواء على السنة المحمدية...»

رأينا في الرواية:

ونحن هنانشير الى مايلي:

١- إن ابن هشام وغيره يذكرون: أن سبب إرجاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى أمه، هو أن نفراً من الحبشة نصارى، رأوه مع مرضعته، فسألوا عنه، وقلبوه، وقالواها: لناخذن هذا الغلام، فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا الخ (١)...

وبذلك تصير الرواية المتقدمة التي تذكر ان سبب إرجاعه إلى امه كان هو قضية شق الصدر محل شك وشبهة...

٢- كيف يكون شق صدره صلى الله عليه وآله وسلم هو سبب إرجاعه إلى امه... مع انهم يذكرون: أن هذه الحادثة قد وقعت له صلى الله عليه وآله وسلم وعمره ثلاث سنين، او سنتان وأشهرًا... مع أنه إنما أعيد إلى أمه بعد أن أتم الخمس سنين.

٣- هل صحيح أن مصدر الشرهو غدة، أوعلقة في القلب، يحتاج التخلص منها إلى عملية جراحية؟!

وهل يعني ذلك أن باستطاعة كل أحد- فيما لو أجريت له عملية جراحية لاستئصال تلك الغدة- أن يصبح تقياً ورعاً، خيراً؟!

أم أن هذه الغدة أو العلقه قد اختص الله بها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وابتلاه بها دون غيره من بني الانسان؟!... ولماذا دون غيره؟!...

٤- لماذا تكررت هذه العملية أربع، أو خمس مرات، في أوقات

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٧ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٥٧٥.

متباعدة؟ حتى بعد بعثته بعدة سنين، وحين الاسراء والمعراج بالذات؟!...

فهل كانت تلك العلقة السوداء، وحظ الشيطان تستأصل، ثم تعود إلى النمو من جديد؟! وهل هي من نوع مرض السرطان الذي لا تنفع معه العمليات الجراحية، والذي لا يلبث أن يخنف حتى يعود إلى الظهور بقوة أشد، وأثر أبعده؟!...

ولما ذا لم تعد هذه العلقة إلى الظهور بعد العملية الرابعة أو الخامسة، بحيث يحتاج إلى السادسة فالتى بعدها؟!.

ولما ذا يعذب الله نبيه هذا العذاب، ويتعرض لهذه الآلام بلاذنب جناه؟! ألم يكن بالإمكان أن يخلقه بدونها من أول الأمر؟!...

٥- وهل إذا كان الله يريد أن لا يكون عبده شريراً يحتاج لأعمال قدرته إلى عمليات جراحية كهذه، على مرأى من الناس ومسمع؟!... وأين تعلم جبرئيل أو غيره من الملائكة علم الطب، حتى انتهى إلى هذه البراعة النادرة؟!...

وألأتعنى هذه الرواية: أنه صلى الله عليه وآله كان مجبراً على عمل الخير، وليس لارادته فيه أي أثر أو فعالية، أو دور؟!، لأن حظ الشيطان قدا بعد عنه بشكل قطعي وقهري، وبعملية جراحية، كان أنس بن مالك يرى اثرا المحيط في صدره الشريف!!...

٦- لماذا اختص نبينا بعملية كهذه ولم تحصل لأي من الانبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام (١) أم يعقل أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، أفضل الانبياء واكملهم، كان فقط بحاجة إلى هذه العملية؟!... الجراحية؟!... وإذن... فكيف يكون أفضل واكمل منهم... أم أنه قد كان فيهم أيضاً للشيطان حظ ونصيب لم يخرج منهم بعملية جراحية؛ لأن الملائكة لم يكونوا قد تعلموا الجراحة بعد؟!...

٧— واخيراً... أفلا ينالنا في ذلك ماورد في الآيات القرآنية، مما يدل على أن الشيطان لا سبيل له على عباد الله المخلصين: «قال: رب بما اغويتني لأزبن لهم في الأرض، ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين (١)».

وقال تعالى: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان (٢)» وقال: «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون (٣)»

ومن الواضح: أن الانبياء هم خير عباد الله المخلصين.. فكيف استمر سلطان الشيطان على الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى حين الاسراء والمعراج؟!...

هذا كله... عداعن تناقض الروايات الشديد... وقد أشار إليه الحسيني باختصار فراجع، (٤) وقارن...

المسيحيون... وحديث شق الصدر:

ويذكر ابورية رحمه الله: أن حديث شق الصدر يأتي مؤيداً للحديث الآخر، الذي ورد في البخاري، ومسلم وفتح الباري وغيرها، وهو— والنص للبخاري—: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن، فطعن في الحجاب (٥)»: وفي رواية: مامن بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد؛ فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها.. ولهذا الحديث الفاظ أخرى لا مجال لذكرها..

وقد استدلل المسيحيون بهذا الحديث على أن البشر كلهم، حتى النبي مجردون عن العصمة، معرضون للخطايا إلا عيسى بن مريم، فانه مصون عن مس

(١) سورة الحجر ٣٩—٤١.

(٢) الأسراء ٦٥. (٣) النحل ٩٩.

(٤) سيرة المصطفى ص ٤٦.

(٥) البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ١٤٣.

الشيطان، مما يؤيد ارتفاع المسيح عن طبقة البشر، وبالتالي يؤكد لاهوته المجد (١)...

واضاف ابورية إلى ذلك قوله:

«ولئن قال المسلمون لآخوانهم المسيحيين؛ ولم لا يغفر الله لآدم خطيئته بغير هذه الوسيلة القاسية، التي أزهدت فيها روح طاهرة بريئة، هي روح عيسى عليه السلام بغير ذنب؟!»

قيل لهم: ولم لم يخلق الله قلب رسوله الذي اصطفاه، كما خلق قلوب آخوانه من الانبياء والمرسلين— والله أعلم حيث يجعل رسالته— نقياً من العلقة السوداء و حظ الشيطان بغيرهذه العملية الجراحية، التي تمزق فيها قلبه وصدره مراراً عديده..!!» (٢)

اصل الرواية جاهلي

والحقيقة هي ان هذه الرواية مأخوذة عن اهل الجاهلية، فقد جاء في الأغاني: اسطورة مفادها: ان أمية ابن ابي الصلت كان نائماً فجاء طائران فوقع احدهما على باب البيت و دخل الآخر فشق عن قلب أمية ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر: أوعى؟ نعم. قال: زكا؟ قال: ابى

وعلى حسب رواية أخرى: أنه دخل على اخته، فنام على سرير في ناحية البيت، قال: فانشق جانب من السقف في البيت واذا بطائرین قد وقع احدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشق الواقع على صدره، فاخرج قلبه فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: اوعى؟ قال: وعى قال: أقبل؟

(١) أضواء على السنة المحمديه ص ١٨٦، عن: المسيحية في الاسلام طبعة ثالثة ص ١٢٧ تأليف ابراهيم لوقا.

(٢) أضواء على السنة المحمديه ١٨٧

قال: ابى. قال فرد قلبه في موضعه الخ.. ثم تذكر الرواية تكرر الشق له أربع مرات (١).

وهكذا يتضح أن هذه الرواية مفتعلة ومختلقة، وأن سراختلاقها ليس إلا تأييد بعض العقائد الفاسدة، والطنن بصدق القرآن، وعصمة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

ولنعد الآن الى متابعة الحديث عن السيرة العطرة؛ فنقول..

كفالة النبي (ص):

لقد شاءت الارادة الالهية: أن يفقد النبي (ص) أباه وهولايزال جنيئاً، أو طفلاً صغيراً وربما يقال ان الاصح هوالأول؛ لأن يتمه هذا كان هوالموجب لتردد حليلة السعدية في قبوله رضيعاً (٢) ولكن قدتقدم بعض المناقشة في ذلك .

ثم فقد امه بعد عودته من بني سعد، وهو في الرابعة من عمره او في السادسة او أكثر حسب الروايات..

وقد روى مسلم في صحيحه، انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «استاذنت ربي في زيارة أمي، فأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت» (٣) ..

(١) راجع: الاغانبي ج ٣ ص ١٨٨/١٨٩/١٩٠

(٢) وبذلك يعلم: أن ماورد في كشف الغمة ج ١ ص ١٦ من أنه عاش (ص) مع أبيه سنتين وأربعة اشهر لايمكن المساعدة عليه.. رغم أن الاربلي رحمه الله قدنص بعد ذلك بصفحات أي في ص ٢٢ على أن اباه قد توفي وأمه حبلى به صلى الله عليه وآله وسلم.. فراجع.. وليراجع تاريخ الخميس ص ٢٥٨ ج ١ وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٣، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٣

(٣) كشف الغمة ج ١ ص ١٦ عن مسلم، وصحيح مسلم ط سنة ١٣٣٤ ج ٣ ص ٦٥، والحديث موجود في مصادر عديده كما يظهر من مراجعة كتاب الجنائز في كتب الحديث..

وهذا الحديث حجة دامغة على من يمنع زيارة القبور، وله مؤيدات كثيرة كزيارة فاطمة لقبر حمزة عليه السلام، وغير ذلك. وقد الف العلامة المتتبع البحاثة الشيخ على الأحمدي كتاباً في التبرك بآثار الانبياء والصالحين، وتعرض فيه الى هذا الموضوع، وبحثه ايضاً العلامة الاميني في الغدير، والسبكي في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الانام وغيرهم كثير..

ولقد عاش صلى الله عليه وآله وسلم في كنف جده عبدالمطلب، الذي كان يرعاه خير رعاية، ولا يأكل طعاماً إلا إذا حضر، وكان عارفاً بنبوته حتى لقد روى انه قال عنه لمن اراد أن ينحيه عنه، وهو طفل يدرج: دع ابني فان الملك قد اتاه (١) والرواية معتبرة على الظاهر..

اضف الى ذلك مارووه من إخبار سيف بن ذي يزن له بذلك، عند مازاره في اليمن، إلى غير ذلك من دلائل وإشارات، رسخت هذا الاعتقاد في نفس عبدالمطلب رحمه الله، وجعلت له (ص) مكانة خاصة عنده..

وفي السنة الثامنة من عمره صلى الله عليه وآله وسلم توفي جده عبدالمطلب، بعد ان اختار له أباطال رحمه الله ليكفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقوم بشؤونه، ويحرص على حياته، رغم ان أباطال لم يكن اكبر ولده سناً، ولا اكثرهم مالاً.. لأن الاسن فيهم هو الحارث، والاكثر مالاً هو العباس ولكن عذر العباس هو انه كان حينئذ صغيراً ايضاً، لأنه كان اسن من النبي (ص) بستين. فقط كما يقولون... (٢) كما أن أباطال قد كان شقيق عبد الله والد النبي (ص) لأبيه وامه فان أمهما هي فاطمة المخزومية، وطبيعي أن يكون - لذلك - اكثر حناناً وعطفاً وحباً له...

(١) اصول الكافي طسنة ١٣٨٨ هـ . ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) وإن كنا نعتقد أنه حتى ولو كان سنه إلى الحد الذي يتمكن فيه من كفالته (ص) فان عبدالمطلب لا يعهد به إليه؛ فانه هو الذي احتفظ بالسقاية، دون الرقادة، بسبب حرصه على المال، وضنه به، وهو الذي كان يحاول أن يحصل على فضلة من المال من عمر بأسلوب عاطفي، وبطريقة لا يتبعها إلا من يهتم بالمال و يجمعه بشكل ظاهر..

وعلى كل حال... فقد عهد عبدالمطلب إلى ابي طالب عليه السلام بمهمة كفالته صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه كان أنبل اخوته، واكرمهم، و اعظمهم مكانة في قريش، وأجلهم قدراً... ولقد قام أبوطالب عليه السلام برعايته صلى الله عليه وآله وسلم خير قيام، ولم يزل يكرمه ويحبه غاية الحب، وينصره بيده ولسانه طول حياته، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى...

الرحلة الأولى إلى الشام و... بجيرا

ويقولون: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد سافر إلى الشام بصحبة عمه أبي طالب، ورآه بجيرا راهب بصرى، وأخبر عمه أنه نبي هذه الأمة، وأصر عليه بأن يرجعه إلى مكة، حتى لا يفتاله اليهود. الذين يرون العلامات التي في كتبهم متحققه فيه. فخرج به عمه أبوطالب حتى اقدمه مكة...

رواية مكذوبة:

ولكن جاء في رواية لأبي موسى الاشعري: أن بجيرا «لم يزل يناشده حتى رده، وبعث معه أبوبكر بلالاً وزوده الراهب من الكعك والزيت (١)».

وفي رواية: ان سبعة كانوا قد عزموا على قتله صلى الله عليه وآله وسلم، فنعمهم بجيرا، وبايعوا الرسول، وأقاموا معه...

ولكن ذلك لا يمكن أن يصح:

أولاً: لأن عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان حينئذ اثنتي

(١) - الثقات لابن حبان ج ١ ص ٤٤، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٥، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٤ ط الاستقامة، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٨، والسيرة الحلبيه ج ١ ص ١٢٠ ومستدرك الحاكم، والبيهقي، وابن عساكر، والترمذي، وقال: حسن غريب. وفي سيرة دحلان ج ١ ص ٤٩ أنه رجع إلى مكة، ومعه أبوبكر وبلال...

عشرة سنة، بل قيل: إن عمره كان حينئذٍ تسع سنين (١)...

وأبو بكر كان اصغر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من سنتين، وبلال كان أصغر من أبي بكر بعدة سنين، تتراوح ما بين خمس إلى عشر (٢)، حسب اختلاف الأقوال...

فهل يمكن لأبي بكر، وهو بهذه السن أن يسافر إلى الشام، ثم يصدر الأوامر والنواهي في مهمات كهذه؟!...

وهل يمكن لبلال الذي كان طفلاً، لا يقدر على المشي، أولم يكن قد ولد بعد: أن يكون مع أبي بكر في ذلك السفر الطويل؟ ثم أن يتحمل مسؤولية إرجاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بصرى إلى مكة؟ مع كون النبي (ص) أكبر منه بسنوات عديدة؟!...

وثانياً: ما هو الربط بين أبي بكر وبلال حتى يامر أبو بكر بهذا الأمر؛ فإن أبا بكر لم يكن يملك بلالاً، وإنما كان يملكه أمية بن خلف. وإنما اشتراه أبو بكر— كما يقولون بعد ثلاثين عاماً من حينئذٍ... (٣)

هذا إن لم نقل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي اشترى بلالاً، واعتقه، ولم يملكه أبو بكر أصلاً، كما سيأتي إن شاء الله سبحانه...

وثالثاً: إن راوي هذه الرواية وهو أبو موسى لم يكن قد ولد أصلاً؛ لأنه إنما ولد قبل البعثة بثمان أو بعشر سنين، على ما يقولون... كما أنه إنما قدم

(١) راجع: الطبري ج ٢ ص ٣٣، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٠، وقال: إن صاحب كتاب الهدى قد رجح هذا القول..

(٢) نعم قد ذكر ابن حبان، والاصابه ج ١ ص ١٦٥ عن ابي نعيم: أن بلالاً كان ترباً لأبي بكر.. لكن الأشهر والاكثر على أن أبا بكر كان يكبره بعدة سنين كما ذكرنا راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٠

(٣) وقد أشار إلى ذلك الحافظ الدمياطي على ما في تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩ عن حياة الحيوان.. وكذا في سيرة مغلطاي ص ١١ وزاد قوله: «بايعوه على أي شئى».

فصل ٢ من الميلاد إلى البعثة...
إلى المدينة في سنة سبع من الهجرة، سنة خير... وهذه القضية قد كانت
قبل البعثة بجوالي ثلاثين عاماً... وبعد كل ماتقدم فقد حكم الذهبي على هذا
الحديث بقوله: «أظنه موضوعاً بعضه باطل (١)»...

ولعل لاجل بعض ماتقدم أو كله حكم الترمذي على هذا الحديث
بالغربة... وشك فيه ابن كثير، والدمياطي ومغلطاي.

سرالوضع والاختلاق:

وأما سر وضع تلك الرواية فهو اثبات: أن إيمان أبي بكر بنبوة النبي
صلى الله عليه وآله قد كان قبل البعثة، ليسبق الناس كلهم، حتى علياً عليه
الصلاة والسلام وخديجة، وحتى النبي (ص) نفسه في ذلك..

قال النووي: «كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً، اسلم وهو ابن
عشرين سنة، وقيل: خمس عشر سنة (٢)».

وقال الصفوري الشافعي: «وكان إسلامه قبل أن يولد علي بن أبي
طالب... (٣)».

وذكر الديار بكري رواية عن ابن عباس، عن قضية بحيراجاء في
آخرها: «... فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق قبل مانبي (ص)
(٤)

ولكن لماذا ماعدوا بحيرا وبلالاً والحارث وغيرهم ممن حضر،
من السابقين إلى الإسلام أيضاً؟! ومن الذي أخبرهم بوقوع الإسلام في قلب
أبي بكر قبل هؤلاء؟!...

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٠.

(٢) الغدير ج ٧ ص ٢٧٢ عنه

(٣) نزاهة المجالس ج ٢ ص ١٤٧.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦١.

إشارات خاطفة في قصة بحيرا

وقد بقي في قصة بحيرا نقاط كثيرة، جديرة بالمناقشة لاجمال لنا للحديث عنها هنا، كما أننا لانرى كبير فائدة في ذلك ...

ومما تقدم يظهر مدى صحة قول بعض الروايات: إن ابابكر، أعمه الحارث قد ذهب إليه فأحتضنه، وجاء به، وأجلسه مع القوم على مائدة طعام بحيرا، ورجح ابن المحدث: أن الذي جاء به هو أبو بكر (١) ...

ولم يدر ابن المحدث أن أبابكر لم يكن في ذلك السفر أصلاً كما صرح به الديمياطي ومغلطاي (٢) ولو كان فانه كان اصغر سناً من النبي (ص) كما قلنا.

بقي أن نشير إلى أن بعض الروايات قد ذكرت أن راوها قد شك في أن يكون سفره صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام كان بصحبة أبي طالب أوجده عبدالمطلب (٣). وبذلك تصبح الرواية الآتفة له مع 'ابي بكر وبلال أكثر اشكالاً وتعقيداً؛ لأن عبدالمطلب قد توفي وعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين كما تقدم ...

هذا... والصحيح هو أن عمه أباطالب هو الذي رجع معه صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة (٤) كما قدمنا وليس أبابكر ولا غيره...

هذا... وللنبي (ص) سفرة أخرى الى الشام للتجارة، ستاتي الإشارة إليها إن شاء الله تعالى...

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٩، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٤٨.

(٢) سيرة مغلطاي ص ١١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩ عن الحافظ الديمياطي

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٠ ط صادر، وج ١ قسم ١ ص ٧٦ ط ليدن والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٦.

(٤) مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٣١٨ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٤.

حضور النبي (ص) حرب الفجار:

و يذكر المؤرخون: أن حرباً قدهاجت بين قيس من جهة، وقر يش وكنانه من جهة أخرى. في الأشهر الحرم - وهى أشهر الحج، ورجب معها - ولذلك سميت حرب الفجار...

و يقال إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد حضر بعض أيامها، وشارك فيها فعلاً، بنحو من المشاركة.

ولكننا بدرنالا نستطيع أن نؤكد صحة ذلك، بل ونشك كثيراً فيه وذلك
لأمر.

١- لقد وقعت حرب الفجار في الأشهر الحرم، في رجب...
ولانرى مبرراً لأن ينتهك أبوطالب ومعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حرمة الأشهر الحرم، كما يظهر لمن راجع سيرتها وحياتها، ومدى تقيدهما بمثل هذه الامور؛ فانه كان على دين الحنيفيه، بل لقد كان أبوطالب مستودعاً للوصايا، كما ورد في بعض الأخبار في الكافي...
إلى غير ذلك مما يدل على عظمته وثبات قدمه في الدين، مما ذكره الغدير، وغيره من الكتب المعدة للحديث عن أبي طالب عليه السلام...

الا أن يوجه ذلك : بأن حرب الفجار قد وقعت في اشهر النسيء،
أوفى شعبان أو شوال، وكان سببها في الأشهر الحرم. (١)

ولكنه توجيه لايعتمد على أي سند تاريخي؛ فلا مجال للتعويل عليه.

٢- قال ابن واضح المعروف باليعقوبي: «... وقدروي أن

(١) راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٨، فانه قد ذكر أن سبب الفجار قد كان في الأشهر الحرم أما نفس الحرب فكانت في شعبان وأقول ولكن مامعنى تسميتها حينئذ بحرب الفجار؟.. هذا بالاضافة إلى تصريح اليعقوبى في تاريخه بأن حرب الفجار كانت في رجب فراجع

اباطالب منع أن يكون فيها (أي في حرب الفجار) أحد من بني هاشم، وقال: وهذا ظلم، وعدوان، وقطيعة رحم، واستحلال للشهر الحرام، ولا أحضره، ولا أحد من أهلي. فأخرج الزبير بن عبدالمطلب مستكرها. وقال عبدالله بن جدعان التيمي، و حرب بن امية: لانحضر أمراً تغيب عنه بنوهاشم... (١)».

٣- اختلاف الروايات حول الدور الذي أداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الحرب؛ فبعضهم يروي: أن عمله صلى الله عليه وآله يقتصر على أنه كان يناول أعمامه النبل، ويرد عليهم نبل عدوهم، ويحفظ متاعهم (٢).

وآخر يروي: أنه قدرمى فيها برميات، ما يجب أنه لم يكن قدرماها. (٣)

وثالث يروي: انه طعن أبابراء ملاعب الاسنة فصرعه (٤) مع أنهم يقولون: إن عمره حينئذ كان أربع عشرة سنة (٥) أو انه كان حينئذ غلاماً (٦) لاندرى إن كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك والحروب، أولاً...

بل نجد البعض يناقض نفسه، فيقول: إن النبي (ص) قد ولد عام الفيل، وأنه حضر الفجار وعمره أربع عشرة سنة... ثم يقول في آخر كلامه: إن حرب الفجار كانت بعد عام الفيل بعشرين سنة (٧).

ونشير الى تناقض آخرهنا، وهو ان الكلام الذي تقدم نقله تحت رقم

(١) تاريخ اليعقوبي ط صادر ج ٢ ص ١٥

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩.

(٣) السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٥١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٧.

(٤) المصدران المتقدمان

(٥) المصادر الاربعة المتقدمة إلا أن صفحة ابن هشام هي ١٩٥.

(٦) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦ ط صادر

(٧) تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٨.

٢ عن يعقوبي ينص على أن حرب بن أمية قد تغيب عن هذه الحرب، بينما نجد الروايات الأخرى تنص على أنه كان قد حضرها، وكان هو قائد قريش وكنانة... إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا...

سر التلاعب في الروايات هنا:

وقد لفت نظرنا التناقض الأخير... إذ لو كان الاختلاف في رجل عادي من سائر أفراد الجيش، هذا يقول: حضر، وذاك يقول: لم يحضر لكان يمكن أن يلتبس بعض المبررات لاختلاف كهذا!!! وأنه ربما يقال لا تعمد في المقام!!!...

ولكن... إذا كان هذا يقول: كان فلان على رأس الجيش، وذاك يقول: لم يحضر أصلاً... فلا يمكن إلا أن يكون ثمة تعمد للكذب في قضية كهذه...

ولعل الهدف هو إبعاد حرب بن أمية عن حرب فيها ظلم، وعدوان، وقطيعة رحم، وفي الأشهر الحرم... ولو بالمخالفة لكل المؤرخين، لأن حرب بن أمية هو من تهتم الدولة برفعة شأنه، وتنزيه مقامه... ولوعن طريق الدجل والتزوير!!!...

أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم... فقد تقدم أن الخطة الملعونة كانت تهدف إلى عكس ذلك... ولذلك يلاحظ هنا: تعمد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يظهر على أنه منسجم مع مشاركته في حرب الفجار في الأشهر الحرم، والتي فيها ظلم وعدوان، وقطيعة رحم، واستحلال للشهر الحرام، حتى ليقول: إنه ورمى فيها برميات، ما يجب أنه لم يكن قد رماها...!

حلف الفضول:

وبعد منصرف قريش من حرب الفجار دعا الزبير بن عبد المطلب

(١) إلى حلف الفضول... وعقد الاجتماع في دار عبدالله بن جدعان، وغمسوا أيديهم في ماء زمزم، وتحالفوا وتعاهدوا على نصرته المظلوم، والتأسي بالمعاش، والنهي عن المنكر... وكان أشرف حلف...

والمتحالفون على ذلك هم: بنوهاشم، وبنوالمطلب، وبنو أسد بن عبدالعزى، وزهرة، وتيم (٢).

وقد حضر هذا الحلف نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأثنى عليه بعد نبوته، وأمضاه، فقد روي أنه قال: ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم، ولودعيت به لأجبت (٣). أو ما هو قريب من هذا...

سبب هذا الحلف:

وسبب هذا الحلف: أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل؛ فحبس عنه حقه. فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف، الذين كانوا يسمون لعقة الدم، لأنهم حين تحالفوا غمّسوا أيديهم بالدم— على خلاف المطيبين المشار إليهم آنفاً— والاحلاف هم: عبدالدار، ومخزوم، وجمح، وسهم، وعدي بن كعب...

فأبى الاحلاف معونة الزبيدي على العاص بن وائل، وانتهروه فلما رأى الزبيدي الشرصعد على أبي قبيس، واستغاث. فقام الزبير بن

(١) هو غير الزبير بن العوام، الذي حارب أمير المؤمنين عليه السلام في وقعه الجمل، وقتل وهو مهزوم.
(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٢٩، ونسب قريش لمصعب ص ٣٨٣ فإنه قد شرح كلا الحلفين: حلف الاحلاف، لعقه الدم، وحلف المطيبين. والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩٣
(٣) اعيان الشيعة ج ٢ ص ١٣، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٢، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩٣ و٢٩١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٣١، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٥٣

فصل ٢ من الميلاد إلى البعثة ٩٩
عبدالمطلب ودعا إلى الحلف المذكور؛ فعدد؛ ثم مشوا إلى العاص وانتزعوا منه
سلعة الزبيدي؛ فدفعوها إليه (١).

بنوامية وحلف الفضول:

و أما ما ذكره أبوهريرة من أن بنو امية قد كانوا في حلف الفضول؛
فهو ما لم يتابعه عليه أحد، وأنكره غير واحد من المؤرخين (٢).

وكذا قول البعض: إن أبا سفيان، والعباس بن عبدالمطلب، هما
اللذان دعيا إلى هذا الحلف (٣)، فانه لا يمكن أن نقبله ايضاً وذلك لأمر:

اولاً: إن هذا الحلف إنما كان ضد الامويين، وكان سببه العاص بن
وائل السهمي حليف الامويين والد عمرو بن العاص... فكيف يشارك
أبوسفيان فيه، فضلا عن يكون هو الداعي له؟!...

ثانياً: ماورد من أن محمد بن جبير بن مطعم، قدم على عبدالملك،
حين قتل ابن الزبير، فقال له عبدالملك: يا أباسعيد، ألم نكن نحن وانتم يعني
عبد شمس بن عبدمناف، وبني نوفل بن عبدمناف— في حلف الفضول؟! .
قال: أنت اعلم. قال: لتخبرني يا أباسعيد بالحق من ذلك . فقال: لا والله،
لقد خرجنا نحن وانتم منه. قال: صدقت وزاد المعتزلي في جواب ابن جبير:
وما كانت يدنا ويدكم إلا جميعاً في الجاهلية والاسلام (٤)...

(١) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩١، ٢٩٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٢، والسيرة النبوية لدحلان
ج ١ ص ٥٣

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩١، والسير الحلبية ج ١ ص ١٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج ١
ص ٥٣، والسنن الكبرى للبيهقي..

(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٥٣، وكان سن العباس حينئذ
يساعد على دعوة كهذه لأن عمره حينئذ كان لايزيد على ثمانية عشر عاماً، كمايفهم من تاريخ
عقد حلف الفضول..

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٢٦ عن الزبير بن بكار

وثالثاً: مجموعة قضايا تدل على أن الامويين ما كانوا في حلف الفضول، وعلى ان الاسلام قد اعترف بهذا الحلف وأمضاه:

الف: انه كان بين الحسين عليه السلام، والوليد بن عتبة الأموي — أمير المدينة من قبل عمه معاوية منازعة في مال، متعلق بالحسين، فكأن الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه، فقال الحسين: أحلف بالله لتتصنفي من حقي، أولاًخذن سيفي، ثم لا قومن في مسجد رسول الله (ص) ثم لأدعون بحلف الفضول...

فاستجاب للحسين جماعة، منهم: عبدالله بن الزبير، وهو من أسد بن عبد العزى، والمسور بن مخزومة الزهري، وعبدالرحمان بن عثمان التيمي... فلما بلغ الوليد ذلك أنصف الحسين من حقه حتى رضي (١)...

باء: وحسب نص أبي هلال العسكري: «كان بين الحسين (ع) وبين معاوية كلام في أرض للحسين. فقال الحسين لابن الزبير: خيره في ثلاثه، والرابعة الصيلم: أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه. أو يقر بحقي، ثم يسألني أن أهبه له. أو يشتريه مني، فان أبي فوالذي نفسي بيده — لاهتفن بحلف الفضول الخ (٢)...

جيم: وعند أبي الفرج رواية جاء في آخرها: حينما أظهر معاوية انزعاجه من عدم زيارة الامام الحسن المحتبي عليه السلام له، وهو في المدينة، فأغراه به ابن الزبير، فلم يستجب له معاوية فقال له ابن الزبير «أما والله اني وإياه ليدعليك بحلف الفضول فقال معاوية: من أنت؟! لا أعرض لك، وحلف الفضول والله إما الله...» (٣)، فهذه النصوص تدل على قبول الأئمة

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٢، والكامل لابن الأثير ط صادر ج ٢ ص ٤٢، والبدية والنهاية ج ٢ ص ٢٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٥٣ عن سيرة الحافظ الدمياطي وأنساب الاشراف ج ٢ ص ١٤٠.
الأوئل ج ١ ص ٧٣/٧٤.
(٣) الأغاني ط ساسي ج ٨ ص ١٠٨.

عليهم السلام بحلف الفضول وامضائهم له... تبعا لرسول الله في امضائه له حسباً تقدم... كما وتدل ولاسيما النص الأخير منها على أن معاوية وقومه ما كانوا في حلف الفضول، الذي يعرض له به ابن الزبير... كما أن مناداة الحسين عليه السلام بهذا الحلف، واستجابة الزبيريين، وغيرهم له ضد الامويين، يشير الى ذلك أيضاً...

وبعد كل ماتقدم... فان ما يريد ابوهريره، ومن هم على شاكلته اثباته، تزلفاً وتقرباً لاسياده من الحكام الظالمين... لما يكذبه كل اقوال المؤرخين، وكل الوقائع التاريخية...

ولكن حرص ابي هريره على ان لاتفوت بني امية فضيلة كهذه، هو الذي دفعه إلى ادخال الأمويين في اشرف حلف في العرب، والذي يوافق مبادئ الاسلام وشرائعه، وينسجم مع الفطرة السليمة والعقل القويم...

ملاحظة: ويلاحظ اخيراً... أننا نجدهم يروون عنه صلى الله عليه وآله ما يدل على لزوم التمسك بالاحلاف الجاهلية (١)... وهي دعوة مغرصة وخبيثة، إلا إذا أريد منها خصوص حلف الفضول، الذي امضاه الاسلام... أو أي حلف آخر تنسجم اهدافه مع الاسلام، كالحلف الذي عقده عبدالمطلب مع جماعة خزاعة، فلما قتلت قريش جماعة من خزاعة، استنصروا النبي (ص) استناداً إلى ذلك الحلف، وكان فتح مكة، لذلك كما سنرى إن شاء الله تعالى...

ملاحظات هامة على حلف الفضول:

١- ان دعوة الحسين عليه السلام بحلف الفضول، انما كانت منه (ع) لأنه كان يعلم من دراسته للاوضاع وللنفسيات أن هذه الدعوة سوف لن

(١) المصنف للعافظ عبدالرزاق ج ١٠ ص ٣٧٠/٣٠٦ وفي هامشه عن مسلم والترمذي ج ٤ ص ١٤٦ ط المكتبة الاسلامية وعن سعيد بن منصور وعن فتح الباري ج ٨ ص ١٧٣ والدارمي

تنتهي إلى حد الخطر الأقصى... وقد كان يهدف منها إلى تعريف الناس على واقع وحقيقة بني امية، وانهم ظالمون عتاة، لا يهمهم إلا الدنيا وحكامها... وأن الهاشميين، واهل البيت هم الذين يهتمون بنصرة المظلوم، والدفاع عن الحق... وقد خاف معاوية من هذا الامر بالذات، فاستسلم للحسين (ع) وارجع الحق إلى اصحابه هكذا ذكر بعض المحققين (١). كما ان هذه الدعوة قد كانت في ظرف حرج، لا يمكن اللجوء فيه إلى اية وسيلة أخرى غيرها... حتى ولا وسيلة الثورة العامة ضد تلك الطغمة الفاسده... إذ أن إعلانة للثورة العامة حينئذ، وفي مناسبة كهذه، لسوف يُفسّر على انه لدوافع شخصية، ولا علاقة له بالدفاع عن الدين والامة لامن قريب ولامن بعيد...

وعليه... فلو استشهد الامام الحسين عليه السلام والحالة هذه— في هذه المناسبة فسوف لا يكون لقتله أية فائدة تعود على الدين والامة... بل ربما يكون ضرره اكثر من نفعه؛ وذلك عند ما يلاحق ذلك معاوية الداهية بجملة دعائية مغرضة، يقضي فيها على الأمل الوحيد للأمة، ويفصل المجتمع المسلم نفسياً وفكرياً عن اهل البيت عليهم السلام بشكل عام، وعن ائمتهم بصورة خاصة...

وذلك لأن الظروف التي أوصلت معاوية إلى الحكم، وإن كانت واضحة لدى كثيرين من أهل العراق والحجاز... إلا أن اهل الشام... الذين لم يعرفوا إلا الاسلام السفيناني، إسلام المصالح والاغراض الاسلام الذي يستحل كل شيء في سبيل الوصول إلى الأهداف الشخصية والذات الفردية— نعم... إن اهل الشام الذين لم يتربوا تربية اسلامية صحيحة، ولا عرفوا علماً واهل البيت على حقيقتهم... ولا عرفوا إسلام علي، ولا مبادئ علي، ولا اهداف علي عليه السلام... بل كان الأمويون يظهر لهم: أنهم هم قرابة النبي (ص) واهل بيته... حتى ليدعي عشرة من أمرائهم وقوادهم: أنهم ما كانوا يعرفون للنبي (ص) أهل بيت غير بني امية... (٢)

(١) هو المحقق البحائة السيد مهدي الروحاني..

(٢) النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٢٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ٧ ص ١٥٩، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٣، وعن دعوامهم بالخلافة بالقرابة من رسول الله (ص) راجع: العقد الفريد ط دارالكتاب العربي ج ٢ ص ١٢٠؛ وحياة الامام الرضا السياسية للمؤلف ص ٥٤/٥٥.

بل إن معاوية ليتجر أو يقول لأهل الشام: إن علياً عليه السلام لا يصلى!! (١)

إن أهل الشام هؤلاء والحالة هذه لا يمكنهم أن يدركوا واقع ما يجري وما يحدث بل إن باستطاعة معاوية أن يموه ويشبه الأمر على غير أهل الشام لمكره وشيطنته فإنه قد تأمر على الشام من قبل عمر بن الخطاب، الذي أحبه العرب، واخلصوا له؛ لأنه أَرْضَى غرورهم، ورفع معنوياتهم، بتفضيلهم على غيرهم، من أهل الأمم الأخرى في العطاء، وفي مختلف الشؤون... فهم الذين كانوا إلى أمس القريب لا قيمة لهم، يتيهون في صحرائهم القاحلة، يأكلون الجشب، ويشربون الكدر، إلى آخر ما تقدم في أوائل الفصل الأول فجاء الإسلام فساواهم بغيرهم، ورفع من شأنهم، وقرّر: إن لأفضل لأحد على أحد إلا بالتقوى... ولكن سياسة عمر بن الخطاب قد اقتضت إعطاء كل الأمتيازات وفي مختلف الشؤون لخصوص العرب، وحرمان غيرهم من كل شيء.. فاحب العرب عمر بن الخطاب أعظم الحب، وقَدَرُوهُ أجل تقدير، وصارت أفعاله واقواله عندهم قانوناً متبعاً، لا يمكن مخالفته، ولا الخروج عليه، ويكفي أن نذكر: أن مجرد توليته لاحدهم قد أوجبت لذلك الرجل عظمة ومنزلة خاصة كما يرويه ابن حبان في الثقات ج ٢ ص ٢٩٥. كما أن علياً عليه السلام— الذي لم يكن يرى لبني اسماعيل فضلاً على بني اسحاق (٢)— لم يستطع أن يعزل شريحاً عن القضاء؛ لأن عمر هو الذي نصبه!! كما أنه لم يستطع. أن يمنع جيشه من صلاة التراويح؛ لأن عمر هو الذي شرعها.. بل لقد نادوا بعلي بن أبي طالب عليه السلام: «اعطنا سنة العمرين (٣)».. ويولى عمر أحدهم فتجعل توليته له ثقة وعظمة عند الناس إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التي تؤيد ذلك. ثم جاءت الدولة الأموية، فاستتت بسنته، وسارت بسيرته، وانتهجت نهجه.. وإذا كان معاوية قد تولّى الشام من

(١) — الفتح لابن اعثم ج ٣ ص ١٩٦ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٥٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٣٦ والكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣١٣، وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٠، والغدير ج ١ ص ١٢٢ عن بعضهم.

(٢) سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٩ والغدير ج ٨ ص ٢٤٠.

(٣) الكامل للمبرد ج ١ ص ١٤٤ ط دار نهضة مصر.

قبل عمر، و اذا كان قد موّه على الناس في قضية قتل عثمان والقي في الناس الشبهات الكثيرة حولها.. حتى استطاع ان يقود جيشاً ليحارب في صفين اعظم رجل بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم..

و اذا كان قد استغل قضية التحكيم، واضفى على خلافته نوعا من الشرعية المزورة، التي يمكن تضليل العوام والسذج بواسطتها.. اذا كان كل ذلك .. فان من الطبيعي ان يستطيع معاوية الذي وصل الى الحكم في مثل تلك الظروف الغامضة، ان يصور الحسين بن علي عليه السلام، بعد قتله على أنه باغ و طاغ و طامع، تحركه المصالح الشخصية، بل و حتى خارج عن الاسلام، والعياذ بالله.. ولسوف يتمكن من استغلال تلك الظروف الخاصة، في الحجاز، والعراق، وفي الشام، عن طريق الاخطبوط الأموي المتغلغل في مختلف البلاد والذي استطاع أن يربك حتى علياً عليه السلام نفسه— أبشع استغلال.. ولا سيما بالنسبة لأهل الشام، الذين ما كان يمكنهم! إدراك واقع ما يجري وما يحدث إلا عن طريق الجهاز الأموي نفسه..

يضاف إلى ذلك كله: أنه كان في عهد الخلفاء قبل علي (ع)— ولأهداف سياسة معينة— ثمة حصار مضروب على كبار الصحابة؛ فلم تتح لهم الفرصة ليتفرقوا في البلاد، وينشروا تعاليم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على حقيقتها. بل حصر و هم في المدينة مدة طويلة. و من استطاع منهم الإفلات منها، و من كان يصر على الجهر بالحقيقة يتعرض لمختلف انواع القهر والاضطهاد، كما كان الحال بالنسبة لابي ذر رحمه الله (١)..

وهكذا.. فان الصحابة لم يتمكنوا من الجهر بما تجيش، او بكل ماتجيش به صدورهم.. حتى أشرف هذا الجيل على الفناء والزوال، مما كان من شأنه أن يفسح المجال أمام الجهاز الحاكم لكل افتراء ضد اهل البيت عليهم السلام، وضد النبي (ص) نفسه.. ثم ضد الاسلام بشكل عام.

و خلاصة الامر إن قتل الحسين (ع) في ز من معاوية ليس فقط لا يجدي ولا ينفع، وإنما يكون فيه قضاء تام على الامل الوحيد للدين، والأمة، وللحق.. وفي هذا خيانة حقيقية ظاهره لكل ذلك، بمقدار ما كان استشهاد

(١) راجع مقالنا عن ابي ذر في الجزء الأول من كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام..

فصل ٢ من الميلاد إلى البعثة ١٠٥
الحسين (ع) بعد ذلك و فاء للدين، وللأمة وللحق، عندما لم يعد انحراف الحكم
ولا دينيته، بل وعداؤه للدين خافياً على أحد.. ولم يمكن بعد للدهاء والمكر،
وللسياسات المنحرفة: أن تستر عليه، ولأن تقلل من وضوحه. واصبح
السكوت عليه في تلك الظروف هو الخيانة للدين، وللأمة، وللحق..

وإلا فان الحسين (ع) قد عاش في حكم معاوية بعد استشهاد اخيه
الحسن عشر سنوات، ولم يقم بالثورة ضده.. مع ان الحسين (ع) الذي سكت
في زمن معاوية هو نفسه الحسين الذي ثار في زمان يزيد.. كما أن الانحراف
والظلم الذي كان في زمان هذا قد كان في زمان ذلك ... وما ذكرناه
هو المبرر لسكوته هناك وثورته هنا...

هذا ما أردنا الإشارة إليه هنا، ولهذا البحث مجال آخر..

٢- ويلاحظ: أنه حين دعاء الحسين عليه السلام بحلف الفضول قد
استجاب له حتى أعداؤه كابن الزبير، الذي لم يكن ليخفي على أحد، كيف
كان موقفه من الهاشميين أيام خلافته حتى لقد كان يريد أن يحرقهم بالنار
في مكة، لولا وصول النجدة لهم من العراق..

كما انه قد قرت عينه - على حد تعبير ابن عباس - حين توجه الحسين
عليه السلام إلى العراق.. كما انه قد قطع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله
وسلم في خطبه، ولما عوتب على ذلك ادعى أن هذا الحي من بني هاشم إذا
سمعوا ذكره اشربت أعناقهم، وأبغض الأشياء إليه ما يسرهم. وفي رواية:
إن له أهيل سوء الخ.. (١)

فهم يستجيبون له حين دعاهم بحلف الفضول.. ولكنهم لا يستجيبون
لداعي الله والرسول الذي يأمرهم بقبول امامة الحسنين عليها السلام قامة
أوقعدا.. ولا يدافعون عن امامهم الذي خرج في طلب الاصلاح في أمة

(١) راجع: العقد الفريد ج ٤ ص ٤١٣ ط دارالكتاب العربي، وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠
ص ١٢٧ وغير ذلك، وأنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٨ وقاموس الرجال ج ٥ ص ٤٥٢، ومقاتل
الطالبيين ص ٤٧٤.

جده.. بل وينصبون العداة له ولاهل بيته عموماً كما أشرنا إليه.. فإهو سراًستجابتهم للنداء بحلف الفضول.. ثم عدم استجابتهم للحسين فلم يخرج منهم أحد إلى كربلاء لمحاربة الظلم والطغيان، والانحراف عن الدين والحق.. مع أن القضية الأولى وإن كانت تمثل مكافحة للظلم والتجبر.. إلا أنها في الحقيقة تنتهي إلى مسألة خاصة، محدودة الزمان والمكان.. والأشخاص، كما سوف تفسرها ابواق الدعاية الأموية المغرضة.. أما في قضية كربلاء، فقد كان واضحاً لدى كل أحد حقيقة أهداف الثورة.. وقد أوضحها الامام الحسين (ع) أكثر من مرة، ولم يبق مجالاً للشك في أنها ذات أهداف اسلامية جامعة، بعيدة كل البعد عن المكاسب الشخصية والنفعيه المحدودة.

فلماذا السكوت.. بل وربما السرور من بعضهم بالمصيرالذي لاقاه الامام الحسين عليه السلام.. وهيون لنصرته، والقيام دونه، أو على الأقل يظهر ان استعدادهم لذلك هناك؟! مع أن الأهداف إن لم تكن في المال واحدة؛ فإنها في قضية كربلاء أهم، ولها مساس بهم وبيدئهم وكرامتهم أكثر.. فهل كانوا يهدفون إلى اضعاف عدوهم الأقوى أولاً؟! أم أنهم آمنوا معاوية، و خافوا يزيد الخمرور؟ ربما يكون ذلك، وربما لأن حلف الفضول كان جاهلياً.. وهم إلى الجاهلية في حقها وفي باطلها أقرب منهم إلى الاسلام، حتى حينما تكون القضية مصيرية.. وحتى ولو كانت مصيرية بالنسبة للأمة بأسرها.. وبالنسبة للدين نفسه..

ولوأنهم التفتوا إلى أن حلف الفضول قد امضاه الاسلام، وصار اسلامياً فلربما يكون لهم حينئذ موقف آخر.. إن ذلك لعجيب حقاً!، وأي عجيب!!..

٣- إن موقف الحسين هذا.. وكذلك إمضاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الحلف في كلامه المتقدم، ليدل على أن الاسلام قد أمضى هذا الحلف؛ لأنه قائم على أساس الحق والعدل والخير.. وهل الاسلام إلا ذلك؟— يعضيه— مع أن الذين قاموا به كانوا وقتها على الشرك والكفر.. ولكنه يهدم مسجد الضرار، مع أن الذين بنوه كانوا يتظاهرون بالاسلام، ويتعاملون

وهذا.. ما يؤكد واقعية الاسلام، وأنه إنما ينظر إلى عمل يدي الصياد لا إلى دموع عينيه.. وأنه لا يغير بالمظاهر، ولا تخدعه الشعارات مهما كانت براقه، إذا كانت تخفي وراءها الوصولية، والخيانة والتآمر.. فالحق حق، ومقبول، ولا بد من الالتزام به، والتعامل على أساسه، ولو صدر من مشرك، والباطل باطل و مرفوض، ولا يجوز الالتزام به، ولا التعامل على أساسه، مهما كانت الشعارات براقه و مغرية..

ولهذا نفسه نجد امير المؤمنين أيضاً يرفض خدعة رفع المصاحف في صفين على الزماح ويحذر منها.. ولقد كان هو المصيب في رفضه.. وغيره.. ممن كان يتظاهر بالتقى والعبادة كان هو المخطئ.

وقفنا الله للسير على هدى أمير المؤمنين علي عليه السلام، وتأثر خطاه، والعمل بمنهاجه، انه ولي قدير..

٤- إن اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة عليهم السلام بحلف الفضول إنما يدل على أن الاسلام ليس منغلقاً على نفسه، وإنما هو يستجيب لكل عمل إيجابي فيه خير الانسان، و يشارك فيه على أعلى المستويات، انطلاقاً من الشعور بالمسئولية، وانسجاماً مع أهدافه العليا، ومع مقتضيات الفطرية، واحكام العقل السليم.

٥- أما استجابة هؤلاء للزبير بن عبدالمطلب حينما دعاه ل عقد هذا الحلف، فلعل لها دوافع مختلفة:

الف: الدافع الفطري الانساني؛ لأن هذا هو ما تحكم به الفطرة، والعقل السليم، ثم هو ينسجم مع الشعور الإنساني والأخلاقي...

باء: الدافع المصلحي، وذلك لأن عدم الأمن في مكة لسوف يقلل من رغبة التجار في الوفود عليها والتعامل مع أهلها

جيم: ثمة دوافع أخر ربما تكون لدى بعضهم، كالحفاظ على قدسية مكة وأهلها في نفوس العرب؛ وغير ذلك .. وقد تقدم في الفصل الأول ما يفيد هنا..

رعيه (ص) الغنم

و يذكر المؤرخون: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد رعى الغنم في بني سعد، وأنه رعاها لأهله، بل ويقولون: لأهل مكة أيضاً، حتى ليزكرونها البخارى منهم في كتاب الاجارة وغيره أنه (ص) قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم. فقال اصحابه: وانت؟. قال: نعم كنت ارعاها على قراريط لأهل مكة» (١) وفسرت القراريط بأنها: أجزاء الدراهم والدنانير يشتري بها الحوائج الحقيرة (٢)

ولكننا نشك كثيراً في أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد رعى لغير أهله بأجر كهذا، تزهد به حتى العجائز.. ولا يصح مقابله بذلك الوقت والجهد الذي يبذله في رعي الغنم.. نشك في ذلك، لأننا نجد:

اولاً: إن اليعقوبي، وهو المؤرخ الثبت قد نص على أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن اجيراً لأحد قط (٣) ..

وثانياً: تناقض الروايات: فبعضها يقول: لأهلي، وبعضها يقول: لأهل مكة، وبعضها: يقول بالقراريط، وأخرى قد ابدلت ذلك بكلمة باجساد.. وإذا كان الراوي واحداً لم يقبل منه مثل هذا الاختلاف.

(١) البخاري هامش فتح الباري ج ٤ ص ٣٦٣، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٥١، والسيرة

الحلبية ج ١ ص ١٢٥

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٥١ لزيني دحلان، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٥ وفتح الباري ج ٤

ص ٣٦٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢١ ط صادر..

نعم.. قد ذكر البعض أن العرب ما كانت تعرف القراريط، وإنما هي اسم لمكان في مكة.. (١) وإذن فلربما يكون هذا الاختلاف بين الرواية التي تقول: باجباد، والتي تقول بالقراريط.. بسبب أن القراريط واجياداً اسم مكان واحد، أولمكانيين متقارين جداً.. ولكن يعكس على هذا: أن رواية البخاري تقول: «على قراريط» فالظاهر من كلمة على هو: الأجر.. ويمكن أن يدفع هذا: بأن من المحتمل أن يكون قراريط اسم جبل في مكة وقد رعى صلى الله عليه وآله الغنم عليه.. و كل ذلك وسواه من الاحتمالات لا شاهد له.. وإنما يلتجأ إليه لو كانت الرواية صحيحة السند عن معصوم، وليست كذلك، بل هي عن أبي هريرة، وغيره ممن لا يمكن الاعتماد عليهم..

ملاحظة:

لقد حاول البعض التفلسف هنا فذكر: أن رعي الغنم صعب؛ لأنها أصعب البهائم وهو يوجب أن يستشعر القلب رافة ولطفاً؛ فإذا انتقل إلى رعاية البشر كان قد هذب أولاً من الحدة الطبيعية، والظلم الغريزي؛ فيكون في اعدل الأحوال.. (٢)

ولكن.. هل يمكن أن يصدق أحد: أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يحتاج إلى التهذيب من الحدة الطبيعية، والظلم الغريزي؟!..

وهل في النبي (ص) ظلم وحدة غريزية يحتاجان إلى التهذيب والحد منها حقاً؟!.. ولو سلم ذلك، ألا يوجد مدرسة أفضل من هذه المدرسة؟!.. ثم أفلا ينافي ذلك قضية شق الصدر - المكذوبة - المقبولة لدى

(١) فتح الباري ج ٤ ص ٣٦٤ عن إبراهيم الحربي، وصوبه ابن الجوزي تبعاً لابن ناصر والسيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٦ ويؤيد ان العرب ما كانت تعرف القراريط، ماجاء في الصحيح؛ يفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط. فتح الباري ج ٤ ص ٣٦٤. وقولهم لا يعرف مكان في مكة بهذا الاسم محل نظر لأن عدم معرفيته الآن لا يستلزم عدم معرفته في ذلك الزمان:

(٢) السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٦، والسيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥١، وليراجع: فتح الباري ج ٤ ص ٣٦٤.

هؤلاء؟! اوليس ذلك الظلم وتلك الحدة هما من حظ الشيطان، الذي استأصله جبرئيل في عملياته الجراحية؟! .. ثم أوليس كان له ملك يسدده، ويرشده منذ صغره، حسبما نطقت به الروايات؟! .. وأيضاً الا يمكن لله تعالى أن يهذب نبيه، ويخفف من حدته بغير هذه الطريقة؟! وهل صحيح: أن رعاية الغنم أصعب من رعاية غيرها، كما يدعي هؤلاء؟! .. وأخيراً.. هل صحيح: ان الظلم غريزة في الانسان؟! وإذا كان غريزة فهل يمكن القضاء عليه بواسطة رعاية الغنم؟! .. وهل كل راعي غنم لا يكون فيه ظلم غريزي، ولا حدة طبيعية.. أم ان ظلمه وحدته، أقل من ظلم غيره وحدته؟! ..

ثم.. الا يمكن أن يكون الرعي عملاً عادياً، كان (ص) يقوم به كغيره من ابناء مجتمعه، الذين كانت الماشية ورعيها عندهم من الوسائل العادية للعيش، وكسب الرزق؟! ..

إلى غير ذلك من الأسئلة التي لن تجدها عند هؤلاء جواباً مقنعاً ومفيداً..

نعم.. يمكن تعليل ذلك كما يقول البعض — بان فيه ابتعاد عن الناس، وانصراف للتفكير السليم، بعيداً عن مشاكل الناس، وهمومهم، ويؤيد ذلك: أنه (ص) كان يذهب إلى غار حراء طلباً للانفراد عن الناس، من أجل التفكير والتأمل في ملكوت الله، والعبادة وتزكية النفس..

وبعض آخر يرى: أن الرعي فيه تحمل مسئولية أحاد متفرقة، وهو يناسب المهمة التي سوف توكل إليه ص، الأمر الذي من شأنه أن يروض النفس، ويزيدها اندفاعاً نحو طلب الخير للآخرين من رعيته لهم، والحرص على ما ينفعهم، وقد كان الله تعالى يهتم في رفع مستوى تحمل وملكات وقدرات نبيه ليواجه المسئولية العظمى، ولكن بالطرق العادية والطبيعية كما هو معلوم من ارساله الرسل، وتزويد هم بالمعجزات وغيرها..

السفر الثاني إلى الشام:

ويقولون: إنه (ص) قد سافر سفره الثاني إلى الشام، وهو في الخامسة والعشرين من عمره (١)

ويقولون: إن سفره هذا كان في تجارة لخديجة... ويقولون أيضاً: إن أباطال هو الذي اقترح عليه ذلك، حينما اشتد الزمان، وألحت عليهم سنون منكرة، فلم يقبل صلى الله عليه وآله وسلم أن يعرض نفسه على خديجة. فبلغ خديجة ماجرى بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين أبي طالب... فبادرت هي، وبذلت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما كانت تبذله لغيره؛ لما تعرفه من صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه...

ويروى بعضهم: إن أباطال نفسه قد كلف خديجة في ذلك، فأظهرت سرورها ورغبتها، وبذلت له ما شاء من الأجر...

فسافر صلى الله عليه وآله إلى الشام، وربح في تجارته أضعاف ما كان يربحه غيره، وظهرت له في سفره بعض الكرامات الباهرة، فلما عادت القافلة إلى مكة أخبرها ميسرة بذلك، فذكرت ذلك بالاضافة إلى ما ظهر لها هي منه صلى الله عليه وآله لورقة بن نوفل، ابن عمها— كما يقولون: وإن كنا نحن نشك في ذلك (٢)— فقال لها: إن كان ذلك حقاً، فهونبي هذه الأمة (٣).

ثم اهتمت خديجة بالعمل على الاقتران به صلى الله عليه وآله وسلم... هكذا يقولون:

ولكننا نشك في بعض ماتقدم... ولا سيما قولهم إن خديجة قد استأجرته

(١) وفي البحار ج ١٦ ص ٩ عن بعضهم: ان سفره كان إلى سوق حباشة بتهامة، وكذافي كشف الغمة ج ٢ ص ١٣٥ عن الجنابذي في معالم العترة..

(٢) سيأتي ان شاء الله بعض الكلام حول بعض ما يقال عن ورقة بن نوفل، ودوره في بدء الوحي..

(٣) راجع: البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٦.

١١٢ الصحيح في سيرة النبي ج ١
في تجارتها... وذلك لاننا نجد المؤرخ الاقدم، الثبت ابن واضح، المعروف
باليقوبي يقول:

«وإنه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشيء، ولا كان أجيراً
لأحقط (١)».

ولعل في عزة نفس النبي صلى الله عليه وآله وابعائه. وأيضاً في
تسديد الله تعالى له... وأيضاً في شرف أبي طالب وسؤده، ما يبعد كثيراً أن
يكون قد صدر شيء مما نسب إلى أبي طالب منه.

وعلى هذا... فقد يكون سفره صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام،
للكونه كان أجيراً لخديجه... وإنما لأنه كان يضارب بأموالها، أو شريكاً
لها...

و يؤيد أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يضارب في أموال خديجة
مارواه المجلسي من أن اباطالب قد ذكره صلى الله عليه وآله اتجار الناس
بأموال خديجة، وحثه على أن يبادر إلى ذلك، ففعل، وسافر إلى الشام (٢)
و يدل على ذلك تصريح رواية الجنابذي بالمضاربة (٣) فراجع...

زواجه (ص) بخديجة:

ولقد كانت خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً،
وأكثرهن مالاً، واحسنهن جمالاً. وكانت تدعى في الجاهلية بـ «الطاهرة»،
ويقال لها «سيدة قريش» وكل قومها كان حريصاً على الاقتران بها...

(١) تاريخ اليقوبي ج ٢ ص ٢١ ونقل عن سفر السعادة: أنه صلى الله عليه وآله بعد البعثة، وقبل
الهجرة كان يشتري أكثر مما يبيع، وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات، أما شراؤه فكثير.. وأما
شراسته مع غيره ففيها كثير من الاضطراب، وليس لنا مجال لتحقيق ذلك..

(٢) البحار ج ١٦ ص ٢٢ عن البكري و ص ٣ عن الخرائج والجرائح ص ١٨٦ و ١٨٧

(٣) البحار ج ١٦ ص ٩، وكشف الغمة ج ٢ ص ١٣٤ عن معالم العترة للجنابذي..

وقد خطبها عطاء قريش، وبذلوا لها الاموال. ومن خطبها. عقبه بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب، وابوجهل، وأبوسفيان (١) فرفضتهم جميعاً، واختارت النبي صلى الله عليه وآله، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة والصفات العالية... ونكاد نقطع - بسبب تضافر النصوص - بأنها هي التي قد أبدت أولاً رغبتها في الاقتران به...

فذهب أبوطالب في أهل بيته، ونفر من قريش إلى وليها، وهو عمها عمرو بن أسد؛ لأن أباهما كان قد قتل قبل ذلك في حرب الفجار أو قبلها (٢) وأما أنه خطبها إلى ورقة بن نوفل، وعمها معاً، أو إلى ورقة وحده (٣) فردود، بأنه:

قد ادعي الاجماع على الأول (٤) وأما ورقة... فلا أدري ما أقول فيه - وفي كل واد أثر من ثعلبة - فهو يحشر في كل كبيرة وصغيرة، فيما يتعلق بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم... وان ذلك ليدعوني إلى الشك في كونه شخصية حقيقية، أو أسطورية.

ويلاحظ: أن نفس الدور الذي يعطى لأبيها تارة، ولعمها أخرى... يعطى لورقة بن نوفل ثالثه حتى الجمل والكلمات، فضلاً عن المواقف والحركات. فلتراجع الروايات، وليقارن بينها...

نعم... لقد ذهب ابوطالب... لخطبة خديجة، وليس حمزة - الذي اقتصر عليه ابن هشام في سيرته (٥) لان ذلك لا ينسجم مع ما كان لأبي طالب

(١) البحار ج ١٦ ص ٢٢

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ١٣٩، والبحار ج ١٦ ص ١٢ عنه و ص ١٩ عن الواقدي، وفي السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٨: إن المحفوظ عن أهل العلم إنه مات قبل الفجار، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) البحار ج ١٦ ص ١٩ عن الواقدي، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٩، والكافي ج ٥ ص ٣٧٥/٣٧٤، وفيه أن ورقة كان عم خديجة وكذا في البحار ج ١٦ ص ١٤ و ٢١ عنه و عن البكري، وهو غير صحيح لأن ورقة هو ابن نوفل بن أسد وخديجة هي بنت خويلد بن أسد..

(٤) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٧.

(٥) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠١، وسيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٨ ونقل أيضاً عن المحب الطبري.

من المكانة والسؤدد في قریش، ولاسيا إذا لاحظنا أن حمزة كان يكبر النبي (ص) بستين أو بأربع كما قيل... هذا بالاضافة الى مخالفة ذلك لما يذكره عامة المؤرخين في المقام.

وقد اعتذر البعض عن ذلك: بأن من الممكن ان يكون حمزة قد حضر مع أبي طالب؛ فنسب ذلك اليه (١). وهو اعتذارواه؛ إذلماذا لم ينسب ذلك الى غير حمزة، ممن حضر مع أبي طالب من بني هاشم وغيرهم من القرشيين...

خطبة ابي بكر:

وعلى كل حال فقد خطبها ابوطالب له (ص) قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله بخمس عشرة سنة، على المشهور، وقال في خطبته— كما يروي المؤرخون—:

«الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع ابراهيم، وذرية اسماعيل، وانزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه...»

ثم إن ابن أخي هذا— يعني رسول الله (ص)— ممن لا يوزن برجل من قریش إلا رجح به، ولا يقاس به رجل الاعظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلداً في المال؛ فان المال رفق جار، وظل زائل، وله في خديجة رغبة. وقد جئناك لنخطبها اليك، برضاها وأمرها، والمهر علي في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله...

وله— ورب هذا البيت— حظ عظيم، ودين شائع، ورأي كامل (٢)».

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٩

(٢) الكافي ج ٥ ص ٣٧٤/٣٧٥، والبحار ج ١٦ ص ١٤٤ عنه و ص ١٦٦ عن لايحضره الفقيه ص ٤١٣، وفي ص ٥٤ عن شرف المصطفى، والكشاف، وربع الاربار والابانة لابن بطة، والسيرة للجويني، عن الحسن والواقدي، وابي صالح والعتبي، والمناقب ج ١ ص ٤٢، والحلبية ج ١ ص ١٣٩، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٠، والأوائل لابي هلال ج ١ ص ١٦٢ وغير ذلك.

ويتساءل بعض المحققين هنا: أنه كيف يمكن الجمع بين قوله: «ودين شائع» وبين قوله تعالى: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان (١)» وقوله: «وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب (٢)»... وجوابه:

أولاً: أن الآيات ربما تكون ناظرة إلى المراحل الأولى من حياة النبي الأعظم (ص) فهولم يكن يعلم، ثم علم، وامامتي علم؛ فالآيات لا تحدد لنا ذلك؛ فلربما يكون قد علم حينما كان في سن العشرين مثلاً، أو قبل، أو بعد...

وثانياً: أن السيد الطباطبائي يقول: إن الآيات ناظرة إلى نفي العلم التفصيلي، أما العلم الإجمالي فقد كان موجوداً؛ لأن عبدالمطلب وأباطال وغيرهم كانوا مؤمنين بالله، وكتبه إجمالاً، والنبي أيضاً كذلك (٣). ولسوف يأتي ذلك إن شاء الله تعالى في فصل بحوث تسبق السيرة.

وثالثاً: إن من معاني الدين: «السيرة، والتدبير، والورع، والعادة والشأن» فلعل القصد في هذه العبارة، كان إلى أحد هذه المعاني...

وعلى كل حال فإن إباطال قد ضمن المهر في ماله، كما هو صريح خطبته، ولكن خديجة رضوان الله تعالى عليها عادت؛ فضمنت المهر في مالها، فقال البعض: يا عجباً! المهر على النساء للرجال؟! فغضب أبوطالب، وقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال باغلي الاثمان، وأعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي...

ولكن يبقى: أن بعض الروايات تفيد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه قد أمهرها عشرين بكرة. وذلك يتنافى أن يكون أبوطالب قد ضمن المهر، أو هي دونه، أو هي لأبي طالب...

إلا أن يكون المراد: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أمهرها بواسطة أبي طالب...

(١) الشورى الآية ٥٢

(٢) القصص الآية ٨٦

(٣) راجع: تفسير الميزان ج ١٨ ص ٧٧

وقيل: إن علياً عليه السلام هو الذي ضمن المهر قالوا: «وهو غلط؛ لأن علياً لم يكن ولد علي جميع الأقوال في مقدار عمره (١)».

ويرد عليه: أن ثمة اقوالاً— وإن كنا لانشك في عدم صحتها— تفيد: أنه عليه السلام قد ولد قبل البعثة بعشرين، أو بثلاث وعشرين سنة... ولذا قال مغلطاي: «وهو غلط، كان علي إذ ذاك صغيراً لم يبلغ سبع سنين (٢)».

ونحن نغلط هذه الاقوال، ونستغريها، إذ أن ذلك معناه أنه عليه السلام قد استشهد وعمره ست وسبعون سنة... وهو ما لم يقل به أحد... فنحن لانقبل قول مغلطاي، ولانقبل قول اولئك الذين يزعمون: أنه قد ضمن المهر، وذلك لما تقدم في تاريخ ميلاده عليه الصلاة والسلام...

ونحن نقول: إن اباهلال العسكري ذكر أنه لما قيل: من يضمن المهر؟ قال علي وهو صغير— «أبي: فلما بلغ الخبر أباطالب جعل يقول: بأبي أنت وأمي (٣)»...

ولربما يمكن تقريب هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يقال من أن علياً عليه السلام قد ولد قبل البعثة بخمسة عشر، أو ستة عشر سنة بل بثلاثة وعشرين سنة، حسب بعض الاقوال النادرة... ثم قارنا بينها وبين الاقوال التي تقرر انه صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج خديجة وهو ابن ثلاثين سنة أي قبل البعثة بعشر سنوات، أو وهو ابن سبع وثلاثين سنة، كما عن ابن جريج (٤) وقيل تزوجها قبل البعثة بخمس سنين (٥)... ولكن كل ذلك محل شك وريب، فإن الصحيح هو أن علياً لم يكن قد ولد حينئذ. ولكننا ذكرنا كل ذلك

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٩ عن الفسوي في كتاب: ماروى أهل الكوفة مخالفاً لأهل المدينة،

وسيرة مغلطاي ص ١٢، والأوائل ج ١ ص ١٦١

(٢) سيرة مغلطاي ص ١٢.

(٣) الأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ١٦١.

(٤) راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤.

(٥) الأوائل ج ١ ص ١٦١.

من أجل اطلاع القارئ على بعض الأقوال في المقام.
وعن مقدار المهر... فقد قيل: إنه عشرون بكرة، وقيل اثنا عشر أوقية
ونش، أي ما يعادل خمسمائة درهم... وقيل غير ذلك...

نظرة في كلمات أبي طالب:

وخطبة أبي طالب المتقدمة تظهر مكانة الرسول الفضلى في قلوب
الناس. وهي صريحة في أن الناس كانوا يجدون في الرسول علامات النبوة
ونورا هداية. ويتوقعون أن يكون هو الذي بشر به عيسى وموسى عليهما السلام،
وأنه كان لا يوزن به أحد إلا رجح به، ولا يقاس به رجل الاعظم عنه...

ثم إن كلمات أبي طالب تدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به
بنوهاشم، من شرف وسؤدد، حتى ليقول: وجعلنا الحكام على الناس...

كما أن حديثه عن فقر النبي صلى الله عليه وآله، واعطاء الضابطة
للتفضيل بين الرجال... يدل على واقعية أبي طالب، وأنه ينظر إلى الانسان
بمنظار سام ونبييل، كما أنه يتعامل مع الواقع بمحنكة ووعي وأناة...

وبعد... فان كلماته تلك تدل على أن قريشا كانت تعتبر انتسابها
إلى ابراهيم واسماعيل، وسدانها للبيت، كل شيئاً بالنسبة لها، وقد أشرنا إلى
هذا الأمر في الفصل الاول.

يتيم قريش... أكذوبة مفضوحة:

وعن ابن اسحاق: أن خديجة قالت له صلى الله عليه وآله وسلم: يا
محمد، ألا تتزوج؟ قال: ومن؟ قالت: أنا قال: ومن لي بك؟ أنت أيم
قريش، وأنا يتيم قريش، قالت: إخطب الخ. (١)... بل يذكر البعض أن
أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وآله: أخاف ألا يفعلوا، أيم قريش، وأنت

يتيم قريش... ثم إن أبا طالب ارسل بدلاً عنه حمزة؛ لأنه خاف إن ذهب نفسه أن يردوه فتكون الفضيحة (١)...

وفي نص آخر: ان خديجة حين طلبت من ابي طالب أن يخطبها لمحمد من عمها، قال أبو طالب لها: «يا خديجة، لا تستهزئي» (٢).

ونحن لانشك في كذب كل ذلك... إذ كيف يمكن أن يصدر ذلك من رجل يزيد عمره على الخمس وعشرين عاماً؛ أن يصف نفسه بأنه: يتيم... هذا مع العلم بأنه قد نشأ وترى في أعرق بيت في العرب... فكيف لم يكن يعرف أن اليتيم لا يطلق في لغة العرب إلا على غير البالغ؟!...

وأيضاً... فإن صدور ذلك من رجل هو في عقل وادراك، وشخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي هو من أعرق عائلة عربية، وأشرفها، والذي كان له من إباهه وسمو نفسه ما يفوق كل وصف، ويتجاوز كل حد— إن صدور ذلك منه— يكاد يلحق بالمستحيلات والممتنعات... ويزيد بعض المحققين هنا سؤالاً؛ وهو: أنه لماذا اتصف محمد (ص) فقط باليتيم مع أن عبدالمطلب قدمات وابناه العباس وحمزة صغيران لم يبلغا الحلم (٣).

وهكذا... يقال تماماً بالنسبة لما ينسب لابي طالب عليه السلام... ولا سيما وأنه هو نفسه يقرض النبي بذلك التقريض العظيم المتقدم... ولعل الاصح هو أن القائل لذلك هو نساء قريش، كما سيأتي حين الحديث على زواجها من رجلين قبله (ص).

وهكذا يقال تماماً بالنسبة لما يقال: من أن عمها كان يأنف من أن يزوجه من محمد، يتيم أبي طالب (٤)، فاحتالت هي عليه حتى سقته الخمر، فزوجها في حال سكره؛ فلما أفاق، ووجد نفسه أمام الامر الواقع لم يجد بداً

(١) الأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ١٦٠/١٦١.

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٨.

(٣) هذا ما ذكره المحقق الباحث السيد مهدي الروحاني حفظه الله..

(٤) المصدر السابق رقم ٢

من القبول... وكذا قولهم: إنه (ص) قد دخل على خديجة قبل التزويج، فأخذت بيده فضمتهما إلى صدرها (١)... إلى غير ذلك من كلام عجيب وغريب، يتناقض تماماً مع كل اخلاق وسجايا النبي (ص) وسيرته... فإن كل ذلك كذب، ليس الهدف منه إلا الحط من كرامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتنقصه من قبل أعداء الاسلام، ومصائد الشيطان، نعوذ بالله من الخذلان...

هل تزوج (ص) خديجة طمعاً في مالها؟!

هذا... وقد جاء في كلمات بعض المستشرقين، المهتمين على الاسلام اتهام باطل تكذبه كل الشواهد التاريخية، وهو أنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما تزوج خديجة طمعاً في مالها...

ولسنا نريد الاسهاب في الاجابة على هذا الهذيان... فإن حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بدايتها إلى نهايتها خير شاهد على أنه صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يقيم للمال وزناً...

وقد انفقت خديجة سلام الله عليها كل أموالها طائفة رابعة، ليس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وملذاته وإنما على الدعوة إلى الاسلام وفي سبيل هذا الدين. وأيضاً فإن خديجة هي التي عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ولم يتقدم هو صلى الله عليه وآله بطلب يدها، ليقال: إنه إنما فعل ذلك طمعاً في مالها...

ويرى الشيخ محمد حسن آل ياسين ان حبه (ص) وتقديره لها في ايام حياتها بل وبعد مماتها حتى لقد كان ذلك منه يثير بعض زوجاته اللواتي مارأيتها ولاعشن مع خديجة... دليل واضح على بطلان هذا الزعم (٢).

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٠

(٢) كتاب النبوة ص ٦٣.

خديجة... مثل اعلى:

وبالنسبة لعرض خديجه نفسها عليه صلى الله عليه وآله نقول:

وهكذا... تفعل الحرة العاقله اللببية، فلاتغرها زبارج الدنيا وبها رجها، ولا تبحث عن اللذة لأجل اللذة، ولا عن المال والشهرة، وإنما تبحث عما يخدم هدفها الاسمى في الحياة، فتفعل - كما فعلت خديجة - ترد زعماء قريش، اصحاب المال والجاه، والقدرة، والسلطان، وتبحث عن رجل فقير لامال له، وهي التي تبادر لعرض نفسها عليه؛ لأن نظرها ليس إلى كل ذلك - لأنه كله ربما يكون سبباً في تدمير الحياة والانسان، وحتى الانسانية جمعاء... وإنما نظرها فقط إلى الاخلاق الفاضلة، والسجايا الكريمة، والواقعية في التعامل، والسمو في الهدف...

لأن كل ذلك هو الذي يسخر المال والجاه والقوة وكل شئ لخدمة الانسان والانسانية، وتكاملها في الدرجات العلى،

خديجة... بين نساء قريش:

وتجدر الاشارة هنا إلى أن عامة المؤرخين - على اختلاف أذواقهم، ومشاربهم، ونحلهم، يقولون: إن خديجة كانت أجمل نساء قريش كما أنه لا ريب في انها أفضل نساءه صلوات الله وسلامه عليها.

ولعل ذلك يفسر لنا غيرة بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها، حتى بعد وفاتها؛ بحيث كن يحاولن تنقصها، والازراء عليها باستمرار، مع أنهن لم يدركنها، في بيت الزوجية اصلاً... هذا... ولعل أم سلمة تأتي في المرتبة الثانية بين ازواجه صلى الله عليه وآله وسلم بعدها، فضلاً واخلصاً، وولاء وحتى جمالاً، كما يظهر من كلام للامام الباقر عليه السلام، وعلى كل حال: فقد كان ذوات الجمال والاخلاص من ازواجه (ص) يواجهن الغيرة القاتلة والتآمر المستمر من قبل البعض الآخر من نساءه (ص)، ممن لم يكن لهن نصيب من جمال..، ولامن التزام تام بالأدب النبوي الكريم... بل كن

يؤذينه (ص) بمواقفهن وتصرفاتهن، ولسوف يأتي لذلك مزيد توضيح إن شاء الله تعالى.

هل تزوجت خديجة بأحد قبل النبي (ص)؟!

ثم إنه قد قيل: انه صلى الله عليه وآله لم يتزوج بكرةً غير عائشة، وأما خديجة، فيقولون: إنها قد تزوجت قبله صلى الله عليه وآله برجلين، ولها منها بعض الأولاد. وهما عتيق بن عابد المخزومي وأبو هالة التيمي.

أما نحن فنقول اننا نشك في دعواهم تلك، ونحتمل جداً أن يكون كثير مما يقال في هذا الموضوع قد صنعتها يد السياسة وإننا لانريد أن نذهب في الكلام عن إختلاف فهم من أسم أبي هالة هل هو النباش بن زرارة أو عكسه، أو هند أو مالك وهل هو صحابي أولاً.

ولافي كون هند الذي ولدته خديجة هو ابن هذا الزوج أو ذاك فان كان ابن عتيق فهو انثى وإلا فهو ذكر... وأنه هل قتل مع علي في حرب الجمل، أو مات بالطاعون بالبصرة (١)... ولانريد أن نطيل بذلك وإنما نكتفي بتسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: قال ابن شهر آشوب: «... وروى احمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي صلى الله عليه وآله تزوج بها، وكانت عذراء.

يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الانوار والبدع: ان رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة (٢)...»

(١) للاطلاع على هذه الاختلافات وغيرها راجع المصادر التالية، وقارن بينها: الاصابة ج ٣ ص ٦١١/٦١٢، ونسب قریش لمصعب الزبيرى ص ٢٢، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٠، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣١، ونقل عن البلاذري وأسد الغابة ج ٥ ص ١٣/١٢، و٧١، وغير ذلك..

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٩، والبحار، ورجال المامقاني، وقاموس الرجال كلهم عن المناقب..

وثانياً: قال ابوالقاسم الكوفي: «ان الاجماع من الخاص والعام، من اهل الانال (الآثار) ونقلة الأخبار، على أنه لم يبق من أشرف قریش، ومن ساداتهم، وذوي النجدة منهم، الا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك؛ فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضب عليها نساء قریش وهجرنها، وقلن لها: خطبك أشرف قریش، وأمراؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً، لا مال له؟! فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها اعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قریش، وأشرفها على ما وصفناه؟! الا يعلم ذووا التمييز والنظر أنه من أبين المحال، وافظع المقال؟!... (١).

واستبعاد ما ذكر على اعتبار أن لا يمكن أن تبقى امرأة شريفة وجميلة هذه المدة الطويلة بلازواج لايدفع كلام صاحب الاستغاثة... فان ذلك لايرر رفضها لعطاء قریش وقبولها باعرابي من بني تميم وأما كيف يتركها أبوها أو وليها فقد قلنا ان أبها قد قتل في حرب الفجار، وأما وليها، فلم يكن له سلطة الأب ليحبرها على الزواج من أراد... وبقاء المرأة الشريفة والجميلة مدة بلازواج ليس بعزيز... اذا كانت تصبر إلى ان تجد الرجال الفاضل الكامل، الذي كان يعز وجوده في تلك الفتره.

وثالثاً: لا بد وأن نشير إلى بعض الكلام حول مناسب لخديجة من أولاد، من غير النبي، فنشير إلى:

ألف: ذكروا ان أول شهيد استشهد في الاسلام هو ابن لخديجة، اسمه الحارث بن أبي هالة، حينما جهر رسول الله صلى الله عليه وآله بالدعوة (٢).

ولكن كيف يصنعون في ماجاء بسند صحيح، عن قتاده: أن أول شهيد في الاسلام هو سمية والدة عمار؟ (٣)، وكذا روي عن مجاهد (٤)..

(١) الاستغاثة ج ١ ص ٧٠.

(٢) الاوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ٣١١-٣١٢ والأصابة ج ١ ص ٢٩٣ عنه وعن ابن

الكلبي وابن حزم

(٣) الاصابة ج ٤ ص ٣٣٥ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٩٣ ط ليدن.

(٤) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٣٣١

باء: لقدروي أنه كانت لخديجة أخت اسمها هالة (١) تزوجها رجل مخزومي، فولدت له بنتا اسمها هالة، ثم خلف عليها رجل تميمي يقال له أبو هند فأولدها ولدا اسمه هند... وكان لهذا التميمي امرأة أخرى قدولدت له زينب ورقيه، فأتت ومات التميمي فلحق ولده هند بقومه وبقيت هالة أخت خديجة والطفلتان اللتان من التميمي وزوجته الأخرى؛ فضمتهن خديجة إليها وبعد أن تزوجت بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ماتت هالة فبقيت الطفلتان في حجر خديجة والرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

وكان العرب يزعمون أن الربيبة بنت، ونسبتا إليه (ص)، مع أنها ابنتا أبي هند زوج اختها وكذلك كان الحال بالنسبة لهند نفسه (٢).

ولربما يمكن أن تايدهذه الروايات بماورد من الاختلاف في اسم والدهند فلتراجع المصادر التي ذكرناهاثمة.

زوجتا عثمان، هل هما بنات النبي (ص)؟!؟

واننا بالاضافة إلى ماقدمناه آنفاً عن الاستغاثة نذكر:
ان ممايدل على عدم كون زوجتي عثمان من بناته صلى الله عليه وآله— عداعن كون بعض الاقوال تنافي ذلك — ماذكره المقدسي، عن سعيدبن ابي عروة، عن قتادة، قال: ولدت خديجة لرسول الله (ص):
عبدمناف في الجاهلية، وولدت له في الاسلام غلامين، واربع بنات:

(١) لما ذكر في كتب الأثساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش لمصعب الزبيرى ص١٥٧/١٥٨

(٢)— راجع: الاستغاثة ج ١ ص ٦٨-٦٩، ورسالة مطبوعة طبعة حجرية في آخر مكارم الأخلاق ص ٦.

القاسم، وبه كان يكنى: أبا القاسم؛ فعاش حتى مشى، ثم مات، وعبدالله، مات صغيراً. وام كلثوم. وزينب. ورقية. وفاطمة (١)...

وقال القسطلاني بعد كلام له: «وقيل: ولد له ولد قبل المبعث يقال له: عبدمناف، فيكونون على هذا اثني عشر، وكلهم سوى هذا ولد في الاسلام بعد المبعث (٢)».

كما أن بعضهم ينص على أنه قد صح عنده: أن رقية كانت أصغر من الكل حتى من فاطمة عليها السلام (٣).

وبعد هذا... فكيف نصدق قول من يقول: انها تزوجت في الجاهلية من ابني ابي لهب، ثم جاء الاسلام ففارقاها.

يقول المقدسي: «فزوج رسول الله رقية عثمان بن عفان، وهاجرت معه في الهجرتين إلى الحبشة، وأسقطت في الهجرة الأولى علقه في السفينة (٤)».

نعم... كيف نصدق هذا، ونحن نعلم: أن الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت بعد البعثة بخمس سنين، فكيف تكون رقية قد تزوجت قبل البعثة بآبني أبي لهب، ثم فارقها ليتزوجها عثمان، وتحمل منه قبل الهجرة إلى الحبشة، وهي انما ولدت بعد البعثة؟! إن ذلك لعجيب!! وعجيب حقاً!!...

و إن ذلك يؤكد ويؤيد: أن رقية التي تزوجها عثمان هي غير رقية التي يدعى أنها بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والتي يقال: انها ولدت بعد البعثة، وأن التي تزوجها عثمان هي ربيبة النبي صلى الله عليه،

(١) — البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٦ و ج ٤ ص ١٣٩.

(٢) — المواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦.

(٣) — راجع: الأصابة ج ٤ ص ٣٠٤ عن الجرجاني، والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٢٩٩، ونسب قریش ص ٢١.

(٤) — البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٧.

وآله. لا إبنته... وقد كانت العرب تطلق على ربيبة الرجل أنها ابنته وكذلك يقال بالنسبة لأم كلثوم، لان الفرض أنها قد ولدت بعد البعثة...

هل زينب ابنة الرسول (ص) أم ربييته:

وأما عن زينب فلانستطيع أن نطمئن إلى أنها كانت بنت رسول الله (ص)؛ لاننا نجد.

١— قول مغلطاي عن خديجة: «... ثم خلف عليها أبوهاالة النباش بن زرارة فولدت له هنداً، والحريث، وزينب، وكانت تكنى أم هند، وتدعى الطاهرة» (١).

٢— وعن عمرو بن دينار: أن حسن بن محمد بن علي أخبره: أن أبا العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان زوجاً لبنت خديجة فجيى به للنبي (ص) في قَدِّ، فحلتها زينب بنت النبي (ص) الخ... (٢)

فالتعبير أولاً ببنت خديجة يشير أنها لم تكن ابنته، وإن كان عاد فذكر أنها بنت النبي؛ فانه لا يبعد أنه يريد بنوتها له بالتربية، والا فلما ذا خصها أولاً بأنها خصوص بنت خديجة.

٣— ويذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين عن زينب أن: بعض المصادر تقول: إنها ولدت وعمره (ص) ثلاثين سنة (٣)، وتزوجها أبو العاص بن الربيع قبل البعثة، وولدت له علياً— مات صغيراً، وامامة اسلمت حين اسلمت امها أول البعثة النبوية (٤) وذلك غير معقول، فانه لا

(١)— سيرة مغلطاي ص ١٢.

(٢)— المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٢٢٤.

(٣)— اسد الغابة ج ٥ ص ٤٦٧، ونهاية الأرب ج ١٨ ص ٢١١، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٣١١.

(٤)— راجع: كتاب النبوة هامش ص ٦٥.

يمكن لبنت في العاشرة ان تتزوج، ويولدها بنت، وتكبر تلك البنت حتى تسلم مع أمها في أول البعثة.. هذا... وحيث لا تزال أمها في العاشرة من عمرها (١).

وبعد كل ماتقدم. فاننا نستطيع ان نقول: اننا لا يمكن أن نطمئن بشكل نهائي إلى ما يقال: من أن عثمان قد تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وآله للاحتمال القوي بأن تكونا ربيتيه. وكذا بالنسبة لزینب زوجة أبي العاص...

منافسون لعلي:

ولعل اصرار الآخرين على بنوتهن له صلى الله عليه وآله، وارسالهم له إرسال المسلمات، يهدف إلى إيجاد منافسين لعلي في فضائله الخارجية، ولذلك أطلقوا على عثمان لقب «ذی النورین»!!... هذا... مع العلم بأن سيرته لم تكن معها على مايرام، كما سوف نشير إليه حين الحديث عن وفاتها إن شاء الله تعالى...

ويلاحظ أيضاً روايتهم الموضوعه حول زواج علي ببنت أبي جهل، والتي مدح فيها رسول الله (ص) صهر أبي العاص لرسول الله... تعريضاً بعلي (ع) الذي كان في مقام تحذيره، والازراء عليه... وسيأتي أيضاً الكلام عن هذا الحديث الموضوع ان شاء الله تعالى...

عمر خديجة حين زواجه (ص) بها:

يلاحظ: مدى الاختلاف في عمر خديجة حين اقترانها بالرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فبعضهم يقول: كان عمرها ٢٥ سنة، وآخر يقول ٢٨ وثالث ٣٠، ورابع ٣٥ وخامس ٤٠ وسادس ٤٥... (٢) ورجح

(١) - راجع هامش كتاب النبوة للشيخ محمد حسن آل ياسين ص ٦٥.

(٢) - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٠، وسيرة مغطاي ص

١٢، والبحار ج ١٦ ص ١٢ و ١٩، والبدایة والنهاية ج ٢ ص ٢٩٥.

البعض القول الأول (١) والمشهور هو القول الخامس...

تاريخ ولادة أمير المؤمنين (ع):

وان في تاريخ ولادة أمير المؤمنين عليه السلام اثني عشر قولاً على وجه التقريب، تبدأ من سبع حتى ست عشرة سنة قبل البعثة، وقال آخرون بعشرين، وغيرهم بثلاث، وعشرين سنة قبلها (٢) ويمكن أن تقل الأقوال عن ذلك، إذ قلنا: إنه لا منافاة بين القول: بأنه ولد قبل البعثة باثنتي عشرة، والقول بأنه ولد قبلها بخمس عشرة سنة، إذا كان القائل بالثاني لا يحسب السنوات الثلاث الأولى، لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يجهر فيها بالدعوة، ولعل اختلافهم في مدة نبوته صلى الله عليه وآله في مكة على قولين: عشر سنوات، وثلاث عشرة سنة سببه ذلك أيضاً... بل نجد البعض يقول إن سرية الدعوة قد استمرت خمس سنوات، فيمكن بملاحظة هذا وماتقدم في سائر الأقوال: أن تقل الأقوال عن ذلك كثيراً... ولكنه على أي حال يبقى مجرد احتمال.

وعلى كل حال... فإن القول بالاثني عشر، وإن كان مروياً عن أهل البيت، إلا أن القول الآخر، وهو ان، ولادته كانت قبل البعثة بعشر سنوات مروياً أيضاً، وهو المشهور عند علمائنا، وعند غيرهم أيضاً، كما يظهر من ملاحظة المصادر المتقدمة...

(١) - هوجلان مظهر في كتابه: محمد رسول الله، سيرته، وأثره في الحضارة ص ٤٥. ولكنه لم يذكر لنا وجه ترجيحه لهذا القول.

(٢) راجع الأقوال المذكورة كلاً أو بعضاً في الكتب التالية:

المصنف لعبدالرزاق ج ٥ والعقد الفريد ج ٤ ص ٣١١، وانساب الاشراف، ومقاتل الطالبين ص ٢٦، والانس الجليل ج ١ ص ١٧٨، والتهذيب ج ٧ ص ٣٣٦، والاوائل، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٩ عن شواهد النبوة، وطبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ١٣، والمعارف لابن قتيبة ص ٥١، وحياة الحيوان ج ١ ص ٥٤، والبحار، ونبأ المودة، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٤، وذخائر العقبى ص ٥٨، والاستيعاب، وسنن البيهقي ج ٦ ص ٢٠٦، ونزهة

ولذا... فنحن نقول: إن هذا القول المعتضد بالشهرة هو الأولى بالاعتماد والاعتبار. لاسيما وأنه مروى عن أهل البيت الذين هم أدري من كل أحد بما فيه...

واما محاولات البعض الاستفادة من ذلك ، واستنتاج نتيجة معينة بالتأكيد فكرة معينة، من قبيل ادعاء أن علياً هو أول من اسلم من الصبيان؛ ليكون أبوبكر أول من اسلم من الرجال... فسيأتي عند الحديث عن اسلام أمير المؤمنين عليه السلام: أنه لا يمكن أن يصح بأي وجه...

اول هاشمي ولد من هاشميين:

لقد ولد امير المؤمنين عليه السلام - الشخصية الاولى بعد الرسول، و الذي ترى في حجر الوحي، وارتضع لبان النبوة - من أبوين قرشيين هاشميين، هما: أبوطالب، شيخ الأبطح... وفاطمة بنت أسد، بن هاشم بن عبدمناف...

→ المجالس، ومناقب الخوارزمي، و اسد الغابة ج ٤ ص ١٦-١٨، والبداية والنهاية، وجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢، وفتح الباري ج ٧ ص ٥٧، واحقاق الحق ج ٧ ص ٥٣٨-٥٥٤.

والقول بالعرش موجود في: الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٢ والاستيعاب ج ٣ ص ٣٠ ط صادر، وطبقات ابن سعد ط مصر ج ٣ ص ٢١، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٢، والكافي ج ١ ص ٣٧٦، وارشاد المفيد ص ٩، واعلام الوري ص ١٥٣، ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٦، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١١، وتلخيصه بهامشه للذهبي، ومناقب الخوارزمي ص ١٧، وتاريخ الخلفاء ص ١٦٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦، وذخائر العقبى، و انساب الاشراف، وملحقات احقاق الحق ج ٧ ص عن بعض من تقدم...

وللقول بالأثني عشر راجع: البحار ج ٣٥ ص ٧ واحقاق الحق ج ٧ ص ٥٤٩، عن نهاية الارب ج ٨ ص ١٨١ والاستيعاب ج ٣ ص ٣٠.

ونقل كثير من الاقوال عن المصادر التالية: اكمال الرجال ص ٦٨٧ والروضة الندية ص ١٣، واحكام الاحكام ج ١ ص ١٩٠، وانباء الرواة في انباء النحاة ج ١ ص ١١، ونهاية الارب ج ٨ ص ١٨١، والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١١٥، ونظم در السمطين ص ٨١ و ٨٢، والرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٦ والغرة المنيفة ص ١٧٦ وشرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٤٢، والطبقات المالكية ج ٢ ص ٧١، والمصباح الكبير ص ٥٦٠.

وقال الكليني وغيره: «وهو أول هاشمي ولدهاشم مرتين» وقريب منه غيره (١).

وعلق المجلسي: بأن إخوته طالباً، وعقيلاً، وجعفرأ قد ولدوا قبله من هذين الهاشميين، وقول التهذيب وغيره: «في الاسلام» لا يصحح ذلك؛ إذ لو كان مرادهم أنه ولد بعد البعثة فهو لا يصح، للاتفاق على أنه قد ولد قبلها... ولو كان المراد: أنه الوحيد الذي ولد بعد ولادة الرسول، فهو كذلك لا يصح، لأن أكثر إخوته قد ولدوا بعد ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع أن هذا اصطلاح غريب غير معهود (٢).

والصحيح: أن يقال— كما قال المعتزلي والشهيد وغيرهما: «وأمه أول هاشمية ولدت هاشمي» (٣).

ولادة اميرالمؤمنين (ع) في الكعبة:

لقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قد ولد في جوف الكعبة أعزها الله، وأن هذه فضيلة اختصه الله بها، لم تكن لأحد قبله، ولا بعده، وقد صرح بذلك عدد كبير من العلماء، ورواة الأثر، ونظمها الشعراء والادباء... وهو مستفيض عند شيعة أهل البيت عليهم السلام، كما أنه كذلك في كتب غيرهم، حتى لقد قال الحاكم وغيره:

(١) — الكافي ج ١ ص ٣٧٦، ونسب قريش لمصعب الزبيرى ص ١٧، والتهذيب للشيخ ج ٦ ص ١٩ والبحار ج ٣٥ ص ٥ عنه وعن الكافي، وأسدالغابه ج ٤ ص ١٦ وج ٥ ص ٥١٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٣.

(٢) — راجع: البحار ج ٣٥ ص ٦.

(٣) — البحار ج ٣٥ ص ٦ عن الدروس للشهيد، وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٣ وج ١٥ ص ٢٧٨ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٧١، ونسب قريش لمصعب ص ٤٠، ونزهة المجالس ج ٢ ص ١٦٥، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم مخطوط في مكتبة طوب قيسراى رقم ٤٩٧/١ A. الورقة ١٩ وذخائر العقبى ص ٥٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٨٨.

«تواترت الأخبار: أن فاطمة بنت أسد، ولدت أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة...».

وصرح بأنه لم يولد فيها أحد سواه عدد من العلماء والمؤرخين... (١)

ويقول السيد الحميري، المتوفي في سنة ١٧٣ هـ :
ولدته في حرم الاله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد

ويقول عبد الباقي العمري:

أنت العلي الذي فوق العلي رفعا ببطن مكة وسط البيت اذ وضعنا.

ولكن نفوس شائني علي عليه السلام، قد نَفَسَتْ عليه هذه الفضيلة
التي اختصه الله بها فحاولت تجاهل كل اقوال العلماء والمؤرخين، ورواية
الحديث والأثر، والضرب بها عرض الجدار.. حيث نجدهم— وبكل جرأة
ولا مبالاة— يثبتون ذلك لرجل آخر غير علي عليه السلام، بل ويحاولون

(١) — راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣، وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة،
ونور الابصار ص ٧٦، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٢، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي
ص ٤٠٧. ومناقب الامام أمير المؤمنين لابن المغازلي ص ٧ وذكر ولادته فيها أيضاً: أسد الغابة ج ٤
ص ٣١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٩ ونزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٤. وتذكرة الخواص ص ١٠
ونقله صاحب الغدير ج ٦ ص ٢٢—٣٨ عن عشرات المصادر مثل: ازالة الخفاء للدهلوي،
والالوسي في شرح الخريدة الغيبية، ص ١٥ ومروج الذهب ج ٢ ص ٢ وشرح الشفاج ١ ص
١٥١، المناقب لمحمد صالح الترمذي، وأئينه تصوف ص ١٣١١ وروائع المصطفى ص ١٠ و
كتاب الحسين للسيد علي جلال الدين ج ١ ص ١٦، ونقله أيضاً عن عشرات المؤلفات للامامية
فليراجع...

وليراجع احقاق الحق بتعليقات السيد النجفي ج ٧ ص ٤٨٦—٤٩٠ عن ارجح المطالب
ص ٣٨٨، ومحاضرة الأوائل ص ٧٩، والبلخي في كتابه على ما في تلخيصه ص ١١ طبع بمبئي،
وعن مطالب السؤل لابن طلحة ص ١١، وفضائل امير المؤمنين للفقال الشافعي، مخطوط، ومفتاح
النجا ص ٢٠ مخطوط واعلام الوري ص ٩٣، ونقل أيضاً عن... الاستيعاب وشواهد النبوة
وكنوز الحقايق...

واستقصاء مصادر هذه القضية متعذر في— هذه العجالة... وما ذكرناه كاف لمن التى
السمع وهو شهيد...

التشكيك في مائتة لعلي ايضاً، حتى لقد قال في كتاب النور: «حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة، ولا يعرف ذلك لغيره. وأما ماروي من أن علياً وولدها فضعيف عند العلماء.. (١)».

ثم حاول الحلبي والديار بكري الجمع والصلح بين الفريقين باحتمال ولادة كليهما فيها. (٢)

ولكن.. لا يا حلبي ولا يا ديار بكري!! إذ كيف يصح هذا الجمع، ونحن نجد عدداً من قدمنا اسماء هم و غيرهم ممن ذكرهم الغدير وغيره يصرون على أنه لم يولد في جوف الكعبة سوى علي، لاقبله ولابعده؟! وأن تلك كانت فضيلة اختصه الله بهادون غيره من العالمين?!..

و كيف يقبل ذلك الجمع، ونحن نجد الحاكم يصرح بتواتر الأخبار في ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة!؟

لماذا.. حكيم بن حزام!؟

وإنما اثبتت هذه الفضيلة لحكيم بن حزام؛ لأنه كان للزبيرين فيه هوى؛ فانه ابن عم الزبير، وابن عم اولاده؛ فهو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، والزبير يون ينتهون أيضاً إلى اسد بن عبد العزى.. ولم يسلم الإعام الفتح، و هو من المؤلفة قلوبهم (٣) وكان يحتكر الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٤)... وكان عثمانياً متصلياً، تلكأ عن علي على حدّ تعبير الطبري— ولم يشهد شيئاً من حروبه (٥)...

(١) — راجع: السيرة الحلبيّة ج ١ ص ١٣٩، وذكر ولادتها فيها في أسد الغابة ج ٢ ص ٤٠

والاصابة ج ١ ص ٣٤٩ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٣٢٠.

(٢) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٩، والسيرة الحلبيّة ج ١ ص ١٢٩.

(٣) — الاصابة ج ١ ص ٣٤٩، والاستيعاب ج ١ ص ٣٢٠ هامش الاصابة.

(٤) — وسائل الشيعة كتاب التجارة ص ٣١٦.

(٥) — قاموس الرجال ج ٣ ص ٣٨٧.

وإذن!! فلما ذالا يروي الزبير بن بكار، و مصعب بن عبدالله، (١) وهما لاشك في كونها زبير يي الهوى: أنه لم يولد في جوف الكعبة سواه... على خلاف جميع الأخبار المتواترة، ومخالفة لكل من نص على أنه لم يولد فيها سوى أمير المؤمنين لاقبله ولا بعده؟!...

بناء الكعبة أعزها الله تعالى:

ويقولون: إن الكعبة قد جاءها سيل جارف تجاوز الردم، الذي كان قد وضع ليمنع من مثل ذلك؛ فدخلها، وصدع جدرانها... ويقال أيضاً: إنها كانت قد احترقت حينما أرادت إحدى النساء تبخيرها فطارت شرارة إلى ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها (٢) ثم جاء السيل بعد ذلك فزاد في تصدعها حتى خاف الناس عليها...

ويرى البعض أن هذا الحريق كان في زمان ابن الزبير... ورفع الحلبي التنافي باحتمال حصول الحريق مرتين (٣).

ونحن نقول: إن دعوى احتراقها على هذا النحو الاتفاقية... إنما صيغت للتخفيف من الامتعاض الناشئ من جرأة الامويين على بيت الله الحرام... حيث إنها قد تصدعت حينما ضربت بالمنجنيق. وبالنار من قبلهم، وتركها ابن الزبير ليراها الناس محترقة، يحرضهم على أهل الشام (٤).

ومهما يكن من أمر. فقد اتفقت قریش قبل بعثة النبي (ص) على هدمها، وإعادة بنائها، وأن يرفع بابها، حتى لا يدخلها إلا من شأوا، وأعدوا لذلك

(١) - راجع: الاصابة ج ١ ص ٣٤٩، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣.

(٢) - مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٣١٩، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠٠ كلاهما عن الزهري.

(٣) - السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤١.

(٤) - صحيح مسلم هامش القسطلاني ج ٦ ص ١٨، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٢٤ ط صادر وذكر في الكامل عن البخاري قولاً آخر، وهو أنها احترقت في زمن ابن الزبير، بسب نار أوقدها أصحابه حولها. وأقول الظاهر أن الأمويين أراد وارد التهمة في جنائهم على ابن الزبير واصحابه...

فصل ٢ من الميلاد إلى البعثة ١٣٣
نفقة طيبة، ليس فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة مما اخذوه غضباً،
أو قطعوا فيه رحماً، أو انتهكوا فيه حرمة أوزمة (١).

وبدأت كل قبيلة تجمع الحجارة على حدة، ويقولون: إنه صلى الله
عليه وآله قد شارك في جمع الحجارة... وكان أول من جرأهم على هدمها
هو الوليد بن المغيرة...

وتجزأت قريش الهدم والبناء، لكل قبيلة شق، وجهة معينة.
وقد اختلف المؤرخون في اختصاصات هذه القبائل بتلك الجهات والأجزاء
(٢) ولا مجال لتأكيد أونفي أي من القولين في ذلك، ولا سيما في موارد كهذه،
يجهد كل فريق أن ينيل من يميل إليهم بعض الشرف، ومواقف الكرامة...

وأما عن تاريخ بناء البيت فقد اختلفت كلمات المؤرخين فيه، فهذا
يقول: إن بناءه كان حين بلوغه صلى الله عليه وآله وسلم الحلم، أي بعد الفيل
بـ ١٥ سنة (٣). وآخر يقول: إنه بنى بعد الفيل بخمس وعشرين سنة
(٤)... وثالث يقول: إنه كان بعد الفيل بخمس وثلاثين سنة، أي قبل البعثة
بخمس سنين (٥)...

وضع الحجر الأسود:

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا: كل قبيلة تريد هي أن
تنال شرف رفعه إلى موضعه. وكاد أن يؤدي الأمرهم إلى السيف، حتى جاء

(١) - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٦ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠١، والسيرة الحلبية ج ١ ص
١٤١.

(٢) - راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٧، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠٢، والسيرة الحلبية ج
١ ص ١٤٤.

(٣) - مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٣١٨، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠٠ عن الزهري

(٤) - البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠٠ عن موسى بن عقبة، عن مجاهد، وعروة ومحمد بن جبير بن
مطعم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٩ عن تاريخ يعقوب.

(٥) - السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٠٤، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠٠.

بنو عبدالدار، وبنوعدي باناء فيه دم؛ فوضعوا أيديهم فيه، ومعهم بنوسهم، وبنوخزوم (١)، وتحالفوا على الموت، فسموا: «لعقة الدم» (٢). حتى أشار أبو أمية بن المغيرة— والدأم سلمة، أم المؤمنين، وأحد أجواد قريش ويقول البلاذري ابومهشم بن المغيرة— بأن يحكموا أول داخل عليهم من باب السلام، وهو باب بني شيبه، أو من باب الصفا— على الاختلاف.

فكان الرسول صلى الله عليه وآله أول داخل. فلما رأوه قالوا:
هذا الامين، رضينا، هذا محمد...

ويقول البعض: إنهم كانوا يتحاكمون الى النبي صلى الله عليه وآله في الجاهلية؛ لأنه كان لا يداري، ولا يماري (٣).

فلما أخبروه بالأمر طلب ثوبا، أو بسط إزاره— على الاختلاف، ثم أخذ الحجر؛ فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً. ففعلوا، فلما حاذوا موضعه أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله بيده الشريفة، فوضعه مكانه...

ملاحظات هامة:

أ— إن بني عبدالدار، ومعهم بنوسهم، ومخزوم وعدي قد جاؤا بالدم، فوضعوا أيديهم فيه، وتحالفوا على الموت... ولكننا نجد في مقابل ذلك: أن بني عبد مناف قد جاؤا بالغالية— وهي نوع من الطيب— فوضعوا أيديهم فيها، حينما تحالفوا— زمن قصبي في مقابل بني عبدالدار؛ فسموا حلف المطيبين... ولبنو عبدمناف حلف آخر هو اكرم وأشرف حلف سمع به في العرب، (٤) وهو حلف الفضول الذي أمضاه الاسلام، حسبما تقدم... وكان في مقابلهم حلف الاحلاف من قبل بني عبدالدار وسهم، وجمح، ومخزوم، وعدي،

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٢٩.

(٢)— السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٠٩، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠٣.

(٣)— السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٥.

(٤)— البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩١.

ولا يقصد في حلفهم إلا الشرف الدنيوي، ولو أريقت الدماء وازهقت النفوس...

ولعل هذا يعكس بوضوح الفرق بين الاتجاهين، ونوعية التفكير، والمستوى والوعي، والنظرة للحياة لدى كل من الفريقين...

ولانبالغ إذا قلنا: إن من الممكن أن نفهم من مراجعة كتب التاريخ والانساب: أن بني عبدمناف، ولا سيما آل أبي طالب كانوا هم رجالات الإسلام، والهداة إلى الحق، والمجاهدين في سبيل الدين...

بينما نجد بني عبدالدار، المتحالفين معهم أقل تحمساً للدين، وتضحية في سبيله، بل ويكثر فيهم المناوؤن له، والحاقدون عليه...

٢— وإن اشتراط قریش: أن تكون نفقة الكعبة طيبة، لاربا فيها، ولا مظلمة لاحد الخ... إن دل على شيء— فانما يدل ولا شك على شعور حقيقى بقبح هذه الامور، وعدم رضا الله والوجدان بها...

وقد يفسر ذلك أيضاً باقتضاء الفطرة لذلك، وحكم العقل بقبحه...

ونحن... و إن كنا نعترف بأن ذلك كذلك... بل إن كل احكام الدين موافقة للفطرة، ولأحكام العقل... إلا أننا لا بدو أن نضيف هنا: أنه يدل أيضاً على بقاء شيء من تعاليم الحنيفية فيهم، خصوصاً عند قریش، وبني عبدمناف... ولذلك يلاحظ كثرة الاشارات إلى دين ابراهيم، وما يدل على ايمانهم بالله في كلمات عبدالمطلب وأبي طالب عليها السلام... وما الخطبة التي القاها أبوطالب حينما طلب يد خديجة للنبي صلى الله عليه وآله عنا ببعيدة...

٣— إن ماتقدم يدل على أن أهل مكة كانوا يتعاملون بالمنطق القبلي حتى في تعاونهم على بناء البيت، وحمل الحجارة له، وهو أقدس مقدساتهم، ورمز عزهم ومجدهم وكرامتهم... بل وعليه تقوم حياتهم... وإن تحالف لعنة الدم حين الاختصام فيمن يرفع الحجر إلى موضعه ليعتبر الذروة في هذا الأمر،

الذي يمجّه الذوق، وتنبوعنه الفطرة، ويرفضه العقل السليم...

٤— وبعد هذا... فان مايلفت نظرنا: هوفرّح قريش حينمارأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول داخل عليهم، ثم وصفهم له بأنه «الأمين»، ممايعني أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحتل مكانة خاصة في نفوس الناس في مكة، حيث تسكن قريش سيدة القبائل العربية كلها... حتى إنهم كانوا يحكمونه في كثير مما كان يشجر بينهم، ويضعون كل ثقتهم فيه، حتى لقبوه بـ «الأمين». بل اننا نجد:

في كلمات أبي طالب المتقدمة... خيرشاهد على مكانته صلى الله عليه وآله وسلم، وعلو منزلته، وشرفه، وسؤدده...

وثمة نصوص أكثر شناعة وقباحة، نجل مقام النبي صلى الله عليه وآله عن ذكرها.

خرافة انحلال الازار:

هذا... وبعد كل ماتقدم... فاننا نواجه هنا اكذوبة مفضوحة، ليس الهدف منها إلا الحط من كرامة النبي صلى الله عليه وآله، والاساءة لمقامه الاقدس، من أولئك الذين لما يدخل الايمان في قلوبهم، ولم يسلموا وانما استسلموا، وأقسموا على العمل على دفن ذكر محمد، وطمس اسمه ودينه... ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون.

وتلك الاكذوبة التي هي واحدة من مئات امثالها، مما تقشعر له الابدان، ويشتد له غضب الرحمان هي:

روى الشيخان، وغيرهما من المؤلفين في التاريخ والحديث، ممن تجمعهم معها رابطة الدين والسياسة والصنعة— والنص للبخاري—: «ان رسول الله (ص) كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يابن أخي لو حللت إزارك فجعلت على منكبيك دون الحجارة؟»

قال: فحلّه، فجعله على منكبيه؛ فسقط مغشياً عليه. فما رؤي بعد ذلك عريانا... (١)».

وفي رواية أخرى للبخاري في كتاب الحج: «فخر إلى الارض، فطمحت عيناه، فقال: أرنى ازاري، فشهده عليه».

ونحن لانشك في أن ذلك مختلق ومفتعل، ونكتفي بالاشارة هنا الى:

١- ان ثمة تناقض ظاهر بين هذه الروايات، الامر الذي يذكرنا بالمثل المشهور: «لحافظة لكذوب»... وكمثال على ذلك نذكر:

أن رواية تقول: إن تعريه كان وهو صغير حينما كان يلعب مع الصغار، وكلهم قد تعرى، وهم ايضاً ينقلون الحجارة للعب، فلكنه لاكم لايراه، وقال: شد عليك إزارك. (٢)

وفي أخرى: ان ذلك كان حينما كان عمه أبوطالب يصلح زمزم، فأمر بالستر، من قبل متكلم لايراه... (٣) وثالثه تذكر إن ذلك كان حين بناء البيت، وهي المتقدمة. ومعنى ذلك أن عمره كان ٣٥ سنة.

ونوع آخر من الاختلاف: إن النمرة قد ضاقت عليه، فذهب يضعها

على عاتقه، فبدت عورته، لصغر النمرة؛ فنودي: يا محمد، خمر عورتك . فلم يرعرياناً بعد ذلك (٤) .

(١)- البخاري، باب كراهية التعري في الصلاة ط سنة ١٣٠٩ ج ١ ص ٥٠ و ج ١ ص ١٨١ و ج ٢ ص ٢٠٣، وصحيح مسلم ط سنة ١٣٣٤ هـ ج ١ ص ١٨٤، ومسنند أحمد ج ٣ ص ٢٩٥ و ٣١٠ و ٣٣٣، و ج ٥ ص ٤٥٤ و ٤٥٥، والمصنف ج ٥ ص ١٠٣ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٧ عن الصحيحين وعن البيهقي.

(٢)- السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٢ وفتح الباري ج ٧ ص ١١١ عن ابن اسحاق وسيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٤ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٧.

(٣)- السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٢ و ١٢٢.

(٤)- مسند احمد ج ٥ ص ٤٥٥، ومصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ١٠٣.

وأخرى تقول: إن العباس طلب منه أن يضع إزاره عن عاتقه... (١)
ورواية تقول: صرع. وأخرى: لكم، وثالثة: اغمي عليه... إلى آخر
ما هنالك من وجوه الاختلاف...

طريق جمع فاشل: وأخيراً... فقد حاول العسقلاني والحلبي الجمع.

فقال العسقلاني: إن النهي السابق لم يكن يفهم منه الشمول لصورة
الاضطرار العادي. وحين بناء البيت اضطر إلى ذلك، فرأى أنه لا مانع
من التعري حينئذ... (٢).

كل ذلك من أجل اثبات هذا الأمر الشنيع على الرسول
الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لأن ذلك قد ورد في صحيح البخاري،
وهو الكتاب المقدس، الذي هو أصح شئ بعد القرآن... بل إن القرآن فيه
تحريف ونسخ عندهم. أما البخاري فيجل عن ذلك !!

مع أنه قد فات العسقلاني هنا: أنه قد جاء في رواية أبي الطفيل: «فما
رؤيت له عورة قبل ولا بعد» (٣) هذا كله عدا عن أنه هون نفسه يذكر: أنه
صلى الله عليه وآله كان مصوناً عما يستقبح قبل البعثة وبعدها... (٤).

ثم جاء الحلبي، وقال: إن من الممكن أن تكون عورته (ص)
قد انكشفت، لكن لم يرها أحد حتى العباس... (٥) ولكن ما يصنع الحلبي

بعبارة البخاري، وغيره، والتي تنص على أنه: مارؤي بعد ذلك عريانياً.
وعبارة أبي الطفيل مارئيت له عورة قبل ولا بعد...

٢- ومما يكذب ذلك: ماورد عنه (ص) - وكأنه تنبأ عما سوف يقال

(١) - ربما يجاب عن ذلك بأن العباس حين رأى ضيق الفرة طلب منه ذلك فأجاب، فنودي.

(٢) - فتح الباري ج ١ ص ٤٠١.

(٣) - فتح الباري ج ٧ ص ١١١.

(٤) - فتح الباري ج ١ ص ٤٠١.

(٥) - السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٢.

زوراً، وبهتاناً عنه: من كرامتي على ربي: أن أحداً لم ير عورتى... أو ما هو قريب من هذا (١).

٣— لقد قال عنه أبوطالب عليه السلام: قبل بناء البيت بعشر سنوات: انه (ص) لا يوزن برجل إلا رجح به، ولا يقاس به أحد الا عظم عنه الخ... فكيف إذن... يقدم هذا الرجل العظيم على التعري أمام الناس، حين حملة الحجارة للكعبة!؟...

٤— إن ثمة روايات تفيد: أنه (ص) كان مصوناً من رؤية عورته حتى بالنسبة لزوجاه؛ فعن عائشة: ما رأيت عورة رسول الله (ص) قط، أو نحو ذلك (٢).... وإن كانت قد عادت فذكرت: أن زيد بن حارثة قرع الباب فقام إليه رسول الله يجرثوبه عرياناً قالت: «والله ما رأيتته عرياناً قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبله (٣)»...

٥— في حديث الغار: ان رجلاً كشف عن فرجه، وجلس يبول، فقال أبو بكر: قدرآنا يا رسول الله، قال: لورآنا لم يكشف عن فرجه (٤).... وهذا يدل على أن المشركين كانوا يستقبحون أمراً كهذا، ولا يقدمون عليه؛ فكيف فعله الرسول الأعظم (ص)؟!؟

٦— عن ابن عباس: كان رسول الله (ص) يغتسل وراء الحجرات،

(١) — السيرة الحلبية ج ١ ص ٥٣ و ٥٤ و ١٤٢.

(٢) — الشفاء لعياض ج ١ ص ٩٥ و شرحه للقاري عن ابن ماجه، والترمذي في شمائله و حياة الصحابة ج ٢ ص ٦١١ عن الترمذي في الشمائل ص ٢٦، ولسان الميزان ج ٢ ص ٩ و السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٢.

(٣) — حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٤٤/٥٤٥ عن الترمذي ج ٢ ص ٩٧ وقال: حسن غريب.

(٤) — فتح الباري ج ٧ ص ١٠، و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧، والبحار ج ١٩ ص ٧٨ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١١١.

وما رأى أحد عورته قط (١)...

٧— وقد عد من خصائصه (ص): أنه لم ترعورته قط، ولورآها أحد لطمست عيناه (٢).

فلماذا لم تطمس عين العباس، الذي كان حاضراً وناظراً، وشد عليه إزاره، وكذا أعين سائر من رآه حين بناء البيت، وكذلك لماذا لم تطمس أعين رفقائه الصغار، الذين رأوا من ذلك وهم يلعبون... فإن كانوا قد رأوا، فاللازم هو طمس أعينهم، وإن لم يكونوا قد رأوا، فلماذا هذا الكذب والافتراء، وسوء الأدب، والجرأة على مقام النبي الاقدس صلى الله عليه وآله وسلم... والتفوه بما يتنافى مع شرفه، وعلو منزلته وكرامته، وسؤدده، وتسديد الله له... نعوذ بالله من الخذلان، ومن وساوس الشيطان...

ثوبي حجر!!

وبالمناسبة... فإن أمثال هذه الافتراءات قد تعدت نبينا الاكرم إلى نبي الله موسى ولكن بنحو أكثر بشاعة، وأشد قباحة... فلقد روى البخاري وغيره: أن بني اسرائيل اتهموا موسى بأنه آدر (أي مصاب بانتفاخ في خصيته بسبب الفتق) ففرغ ثوبه، ووضع على حجر واغتسل، فلما أراد أن يأخذ ثوبه عدا الحجر بثوبه؛ فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر... حتى نظرت بنو اسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، فطقق بالحجر ضرباً. قال أبوهريره: فوالله، إن بالحجر لندباً: ثلاثاً، أو اربعاً، أو خمساً، فذلك قوله تعالى: لا تكونوا كالذين آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً... (٣).

(١) — الغدير ج ٩ ص ٢٨٨ عن شرح المواهب للزرقاني ج ٤ ص ٢٨٤، وعن فتح الباري ج ٦ ص ٤٥٠.

(٢) — الشفاء للقاضي عياض ج ١ ص ٩٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢١٤.

(٣) — البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ١ ص ٤٠ وج ٢ ص ١٥٨، ومسنند احمد ج ٢ ص ٣١٥ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٢٣ عنه وعن عبدالرزاق، واحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن

ولاندري... كيف لم يلتفت موسى إلى نفسه... حتى بلغ مجالس بني اسرائيل؟!، وما هو الذي أفقده صوابه حتى خرج عن حياته وسجيته، التي ذكرتها الرواية: أنه كان حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيئاً استحياءً منه؟!.

ولاندري... ماهي حقيقة هذا الحجر العبقري... الذي يهرب من موسى، ويتركه يعدو خلفه؟!... ولاندري كذلك كيف التفت موسى إلى عصاه قبل أن يلحق بالحجر، وما الذي خطر في باله آنئذ؟!...
وإذا لم يكن الحجر مأموراً... فما الذي جعله يقوم بهذه العملية، و يخرج عن وضعه الطبيعي؟!، وإذا كان مأموراً... فلماذا لم يدرك موسى ذلك من مجرد تحرك الحجر بثوبه الذي هو أمر خارق للعادة؟!... هذا مع كونه يناديه ويخاطبه حتى كأنه عاقل مدرك لما يقول!!

وأخيراً... فأنني لا أدري ماهو ذنب هذا الحجر، حتى استحق هذا الضرب الوجيع الذي أثر فيه وجعل فيه ندباً؟!... ولماذا لم يعين لنا عدد تلك الندب، فذكرت على نحو الترديد: ثلاثاً أو أربعاً، أو خمساً؟!... وفي بعض الروايات: ستاً، سبعاً؟!.

وإذا كان ابو هريرة قد بلغ به النسيان هذا الحد فكيف استطاع أن يحفظ تلك التفاصيل الدقيقة للقصة نفسها?!.

ثم... كيف استطاع أن يحفظ هذه الآلاف المؤلفه من الاحاديث عن رسول الله (ص)؟!، نعم... لا يرد كثير مما ذكرنا على رواية القمي التي لم تذكر عصاه ومناداته وضربه للحجر ولعلها أقرب إلى الاعتبار من تلك الرواية البخارية.

وقد جاء أن آية ايداء موسى... قد نزلت في طعن بني اسرائيل على

المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وابن الانباري في المصاحف، والبزار، والحاكم وصححه، وابن أبي شيبة، وابن عن أبي هريرة، وأنس، وابن عباس، وتفسير الميزان ج ١٦ ص ٣٥٣، وتفسير القمي ج ٢ ص ١٩ بسند حسن ولكن نسبة التفسير إلى القمي مشكوك فيها ومشكل الآثار ج ١ ص ١١ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٠٩ وتفسير البرهان ج ٣ ص ٣٣٩.

موسى بسبب هارون: لأنه توجه معه إلى زيارة فمات هارون؛ فدفنه موسى؛ فاتهمه بعض بني اسرائيل بقتله، فبرأه الله تعالى بأن أخبرهم جسد هارون بأنه مات ولم يقتل (١).

حياة عثمان:

هذا... ولا بأس بالمقارنة بين ما يذكرهنا عن نبينا الاعظم (ص) وبين ما يذكر عن حياة عثمان... حتى إن أبابكر، وعمر ليدخلان على النبي (ص)، وفخذه مكشوفة، فلا يسترها... حتى إذا دخل عليه عثمان جلس، وستر فخذه، وسوى عليه ثيابه؛ فتسأله عائشة؛ فيجيبها بأنه: الأيستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟ أو ما هو قريب من هذا (٢).

هذا... مع أن هذا النبي صلى الله عليه وآله نفسه يأمر ويؤكد باستمرار بالحياء، ويحث عليه، فيقول: إذالم تستح، فاصنع ماشئت، ويقول: الحياء من الايمان، والايامن في الجنة... إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم ولا مجال لتتبعها.

كما أن أبا سعيد الخدري قد وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه: أشد حياء من العذراء في خدرها (٣).

(١) - فتح الباري ج ٦ ص ٣١٣ عن ابن مردويه والطحاوي، وابن منيع بسند حسن، والدر المنثور ج ٥ ص ٢٢٣ عن هؤلاء وعن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه عن ابن عباس، ومشكل الآثار ج ١ ص ١٢.

(٢) - مجمع الزوائد ج ٩ ص ٨٢، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٢ عن الطبراني في الكبير، والالوسط، ومسند أحمد، وأبي يعلى، وتاريخ جرجان ص ٤١٦، والمصنف ج ١١ ص ٢٣٢/٢٣٣ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦١١ و ٦١٢ عن الاولين ومشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٣/٢٨٤، ومسند احمد ج ١ ص ٧١ و ج ٦ ص ٦٢ و ١٥٥ و ١٦٧ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٧٧/١١٦، والغدير ج ٩ ص ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٨٧ عن الاخيرين وعن: مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٧٣، والرياض النضرة ج ٢ ص ٨٨ وغير ذلك.

(٣) - البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٦، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧، عن الطبراني باسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح، وصحيح مسلم ج ٧ ص ٨٧، والغدير ج ١٩ ص ٢٨١ عن البخاري باب صفة النبي (ص) وعن مسلم، وحياة الصحابة عن بعض من تقدم وعن الترمذي ص ٢٦.

وأيضاً... فانهم ينقلون عنه صلى الله عليه وآله وسلم: انه أمر رجلاً
بستر فخذة؛ فانها من العورة (١).

وأما ما يدل على أن ما بين السرة والركبة عورة فكثير أيضاً... وقد
ذكر في الغدير بعض كلمات العلماء حول ذلك فراجع: ج ٩ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ و
٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٦١٢/٦١٣.

وعن حياء أبي موسى و ابي بكر وغيرهما يوجد الكثير من النصوص
التي لا مجال لايرادها فعلاً...

وقد قال العلامة الاميني: «... هب أن النهي عن كشف الأفخاذ
تنزيهي، إلا أنه لاشك في أن سترها أدب من آداب الشريعة، ومن لوازم الوقار،
ومقارنات الأبهة، ورسول الله (ص) أولى برعاية هذا الأدب، الذي صدع به هو
الخ» (٢) ..

اهل الكتاب... وتعري الانبياء:

ولابد أن نشير أخيراً... إلى أننا نجد لهذا الأمر أصلاً عند اهل
الكتاب، ففعل الخطة الأموية الملعونة قد استفادت أصل هذا الموضوع من اهل
الكتاب!!!...

فقد جاء في أخريات العشرين من اشعيا أن الله أمر نبيه اشعيا: أن
يمشي عر ياناً وحافياً بين الناس ثلاث سنين، ليبلغ الناس، و يقول لهم: هكذا

(١) - مسند احمد ج ٥ ص ٢٩٠ و ج ١ ص ٢٧٥، وصحيح البخارى ج ١ ص ٥١ و سنن البيهقي
ج ٢ ص ٢٢٨، والاصابة ج ٣ ص ٤٤٨، وفتح البارى ج ١ ص ٤٠٣، ونبيل الاوطار ج ٢ ص
٥٠، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ١٨٠/١٨١، وجمع الزوائد ج ٢ ص ٥٢ عن أحمد والطبراني في
الكبير والغدير ج ٩ ص ٢٨٢ فابعدها عن من تقدم وعن ارشاد الساري، وابن حبان في صحيحه،
وليبراجع: موطأ مالك، والترمذي، وأبوداود، ومشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ وحتى
ص ٢٩٣.

(٢) - الغدير ج ٩ ص ٢٨٥.

يسوق ملك آشور سبي مصر، وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراةً وحفاةً،
ومكشوفي الاستاه خز بالمصر.

وجاء في تاسع التكوين (٢١): وشرب نوح من الخمر فسكر، وتعرى
داخل جنانه...

وفي صموئيل الأولى الاصحاح التاسع عشر الفقرة ٢٣/٢٤: «فكان
يذهب ويتنبأ، حتى جاء نايوت في الرامة، فخلع هو ايضاً ثيابه، وتنبأ هو
ايضاً امام صموئيل، وانطرح عرياناً ذلك النهار كله، وكل الليل، لذلك
يقولون: أشاول ايضاً بين الأنبياء».

ولادة فاطمة بنت الرسول (ص):

يذكر البعض: أن فاطمة الزهراء عليها السلام، بنت الرسول الاكرم
صلى الله عليه وآله وسلم، قد ولدت قبل البعثة، ثم يختلفون— أولئك البعض—
فيما بينهم في تحديد سنة ولادتها...، فبعضهم يقول: إنها ولدت سنة بناء
الكعبة، أي قبل البعثة بخمس سنين (١)...

وبعضهم يقول: انها ولدت قبل البعثة بسبع سنين (٢) وقيل باثنتي
عشرة سنة (٤).

والقائلون بأنها ولدت بعد البعثة إختلفوا ايضاً، بين قائل: إنها ولدت
سنة البعثة (٥)، وبعضهم في الثانية (٦).

(١)— راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٧، وذخائر العقبى ص ٥٢ ومقاتل الطالبين ص ٤٨،
وسيرة مغلطاي ص ١٧ عن ابن الجوزي...

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٨، وذخائر العقبى ص ٥٢.

(٣)— المصدران السابقان.

(٤)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٧، وذخائر العقبى ص ٥٢، والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٨
والاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٣٧٤، واختاره الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٦١،
وسكت عند الذهبي، وذكر ص ١٦٣ أنها ماتت وعمرها (٢١) سنة وولدت على رأس (٤١) من
مولده (ص). وسيرة مغلطاي ١٧، والبحار ج ٤٣ ص ٨، وملحقات احقاق الحق للمرعشي ج ١٠

القول الحق:

والقول الحق هو ما عليه شيعة أهل البيت تبعاً لأئمتهم، وأهل البيت أدري بما فيه، وتابعهم عليه جماعة من غيرهم... وهو أنها قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة، وتوفيت وعمرها ثمانية عشر عاماً (١).

ويدل على ذلك، أو يؤيده:

١- ماتقدم في البحث عن أولاد خديجة عن البعض من أنهم كلهم قد ولدوا بعد الاسلام باستثناء عبد مناف (٢)... مع العلم بأن فاطمة (ع) كانت أصغر أولاده صلى الله عليه وآله وسلم.

ويدل على ذلك: أنه قد ذكر في الاستيعاب في ترجمة خديجة: ان الطيب قد ولد بعد النبوة، وولدت بعده أم كلثوم ثم فاطمة...

٢- ويدل على انها قد ولدت بعد البعثة... روايات كثيرة أوردها جماعة من العلماء على اختلاف نحلهم و مشارهم تدل على أن نطقها قد انعقدت من ثمر جاء به جبرئيل إلى النبي (ص) من الجنة، وذلك مروى عن عدد من الصحابة، نذكر منهم: عائشة، وعمر بن الخطاب، وسعد بن مالك، وابن عباس، وغيرهم (٣)... وإذا أمكنت المناقشة في بعضها؛ فان البعض الآخر لا مجال للنقاش فيه...

ص ١١ عن الثغور الباسمة للسيوطي.

(٥)- البحار ج ٤٣ ص ٨ عن اقبال الاعمال، عن حدائق الرياض، للشيخ المفيد رحمه الله تعالى.

(١)- ذخائر العقبى ص ٥٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٨ نقلاً عن الامام أبي بكر أحمد بن نصر بن عبدالله الدراع في كتاب تاريخ مواليد أهل البيت، والبحار ج ٤٣ ص ١-١٠ عن الكافي بسند صحيح، والمصباح الكبير، ودلائل الامامة، ومصباح الكفعمي، والروضة، ومناقب ابن شهر آشوب، وفي الأخيرين: أنها ولدت بعد البعثة بخمس السنين، وبعداً بأسرء بثلاث سنين، وكذا في كشف الغمة، واثبات الوصية للمسعودي، وغير ذلك.

(٢)- راجع: البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٦، والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٦، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٢.

(٣)- تجد بعض هذه الروايات في كتب الشيعة، مثل: البحار ج ٤٣ ص ٤ و ٥ و ٦ عن أمالي

و يؤيد ذلك أيضاً: أن النسائي قد روى: أنه لما خطب أبو بكر وعمر فاطمة رذهما (ص)، وقال لهما: انها صغيرة...

بقي أن نشير الى أن استبعاد حمل خديجة بفاطمة في السنة الخامسة من البعثة، لأن سن خديجة كان حينئذٍ عالياً— هذا الاستبعاد— في غير محله... لما تقدم، من أن سن خديجة حينئذٍ كان ما بين ٤٥ حتى ٥٠ سنة بناء على عدد من الأقوال في مقدار عمرها، ولعل من بينها ما هو الأقوى، وان كان المشهور خلافه... وحتى على هذا المشهور؛ فان عمر خديجة حينئذٍ كان لا يأبى عن الحمل فإن القرشية يستمر حيضها الى الستين كما هو مقرر في الفقه.. وهذا يعني أن قابلية الحمل موجودة أيضاً، كما هو ظاهر...

وماذكرناه، ومن قول المصباح: «والعامّة تروي: أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين» (١)، نعرف: أن المسعودي قد اشتبه في نسبة القول بالتسع والعشرين إلى أكثر أهل البيت وشيعتهم (٢). ولعله سهو من قلمه، أو عمد: أوسهو من النساخ، بحيث كان في الاصل تسع عشرة، فبدل إلى تسع وعشرين...

وبعد كل ماتقدم؛ فانه إذا كانت فاطمة قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة... فانها تكون قد توفيت وعمرها ثمانية عشر عاماً فقط، كما هو ظاهر...

الصدوق، وعيون أخبار الرضا، ومعاني الأخبار، وعلل الشرايع، وتفسير القمي، والاحتجاج وغير ذلك... وفي كتب غيرهم مثل: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٧، وذخائر العقبى ص ٣٦ ولسان الميزان ج ١ ص ١٣٤ واللاكي المصنوعة ج ١ ص ٣٩٢-٣٩٤، ونقل النجفي في ملحقات احقاق الحق ج ١٠ ص ١-١٠ عن بعض من تقدم وعن ميزان الاعتدال والروض الفائق، ونزهة المجالس، وجمع الزوائد، وكنز العمال، ومنتخبه، ومحاضره الأوائل. ومقتل الحسين للخوارزمي، وتاريخ بغداد، ومفتاح النجاة، والمناقب لعبدالله الشافعي، ومستدرك الحاكم، وتلخيصه للذهبي، واعراب ثلاثين سورة وأخبار الدول والمناقب لابن المغازلي...

(١) — البحار ج ٤٣ ص ٤١٠ وراجع من ص ١ حتى ص ١٠

(٢) — التنبيه والاشراف ص ٢٥٠.

الفصل الثالث

بحوث تسبق السيرة

البحث الأول:

إيمان آباء النبي (ص) إلى آدم (ع):

قالوا: إن كلمة الامامية قد اتفقت على أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من آدم إلى عبد الله كلهم مؤمنون موحدون (١) بل ويضيف المجلسي: «...بل كانوا من الصديقين، إما انبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر الاسلام، لتقية، أو لمصلحة دينية (٢)».

ويضيف الصدوق هنا: أن أم النبي (ص) آمنة بنت وهب كانت مسلمة أيضاً (٣).

أما غير الامامية، فذهب اكثرهم إلى كفر والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذهب بعضهم إلى ايمانهم. و ممن صرح بايمان

(١) - راجع: أوائل المقالات ص ١٢، وتصحيح الاعتقاد ص ٦٧، وتفسير الرازي ج ٢٤ ص ١٧٣ ط دارالكتب العلمية بطهران وفي طبعة أخرى ج ٤ ص ١٠٣، والبحار ج ١٥ ص ١١٧، ومجمع البيان ج ٤ ص ٣٢٢، وليراجع البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨١.

(٢) - البحار ج ١٥ ص ١١٧.

(٣) - نفس المصدر...

عبدالمطلب، وغيره من آبائه صلى الله عليه وآله وسلم، المسعودي، واليعقوبي، وهو ظاهر كلام الماوردي، والرازي في كتابه اسرار التنزيل، والسنوسي، والتلمساني محشي الشفاء، والسيوطي، وقد ألف هذا الاخير عدة رسائل لاثبات ذلك ... مثل:

- ١- مسالك الحنفا. ٢- الدرج الحنيفة في الآباء الشريفة. ٣-
- المقامة السندسية في النسبة المصطفوية. ٤- التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله (ص) في الجنة. ٥- السبل الجليلة في الآباء العلية. ٦-
- نشرالعلمين المنيفين. في اثبات عدم وضع حديث احياء ابويه (ص) واسلامها على يديه (ص)...

وفي المقابل قدالف بعضهم رسائل لاثبات كفرهم، مثل ابراهيم الحلبي، وعلى القاري الذي فصل ذلك في شرح الفقه الاكبر، واتهموا السيوطي بأنه متساهل لاعبرة بكلامه مالم يوافقه كلام الائمة النقاد.

بعض الأدلة على ذلك:

وقد قال الامامية: إن ثمة روايات كثيرة تدل على ايمان آباءه صلى الله عليه وآله بالاضافة إلى اجماع الطائفة المحقة، وإن كان هذا الاجماع معلوم المستند، فلا بد من النظر إلى مستنده نفسه و مستند ذلك هو الاخبار... والاحاطة... بجميعها متعسر، إن لم يكن متعذراً، وقد ذكر طائفة منها العلامة المجلسي في البحارج ١٥، والسيوطي في رسائله المشار اليها...

وقد استدلو على ذلك ايضاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات، حتى اخرجني في عالمكم، ولم يدنسي بدنس الجاهلية. (١)».

(١) - مجمع البيان ج ٤ ص ٣٢٢، والبحارج ١٥ ص ١١٧ و ١١٨ وتفسير الرازي ج ٢٤ ص ١٧٤ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠، والدر المنثور ج ٥ ص ٩٨، وسيرة دحلان ج ١ ص ١٨ وتصحيح الاعتقاد ص ٦٧.

ولو كان في آباءه صلى الله عليه وآله وسلم كافر، لم يصفهم كلهم بالطهارة، مع قوله تعالى: «إنما المشركون نجس» (١)...
واستدلوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى: «الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين» (٢). لما روي عن ابن عباس، وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: انه (ص) لم يزل ينقل من صلب نبي إلى نبي

ويمكن المناقشة في ذلك بأن الآية تقول: إنه يراه حال عبادته و سجوده، لأنه يراه وهو يتقلب في أصلاب الانبياء... ولو ثبتت الرواية، فيمكن القول بانها لا تدل على استغراق ذلك لجميع آباءه؛ فلعله يرى قلبه في أصلاب الانبياء من آباءه، كما يرى قلبه في أصلاب غير الانبياء... هذا...
عدا عن أن من الصعب جداً اثبات نبوة جميع آباءه صلى الله عليه وآله إلى آدم.

وأما أدلة غير الامامية فقد استقصاها السيوطي في رسائله المشار إليها، واستعراضها والاستقصاء فيها نقضاً وابطراًماً يحتاج إلى وقت طويل، و تأليف مستقل...

ويمكن أن يستدل على ايمان آباءه (ص) إلى إبراهيم بقوله تعالى: «وجعلها كلمة باقية في عقبه (٣)» أي في عقب ابراهيم، فيدل على أنه لا بد وأن تبقى كلمة الله في ذرية ابراهيم، ولا يزال ناس منهم على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة... ولعل ذلك استجابة منه تعالى لدعاء ابراهيم: «واجنبنني وبني أن نعبد الاصنام (٤)» وقوله: «رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي (٥)». و واضح أنه؛ لأنه تعالى قد استجاب لابراهيم في جميع ذريته لما كان ابوطب من أعظم المشركين، واشدهم على رسول الله (ص) وهذا ما يفسر الاتيان بمن التبعية في قوله: «ومن ذريتي»...

(١) - راجع: المصادر المتقدمة (٢) - الشعراء ٢١٨/٢١٩.

(٣) - الزخرف ٢٨. (٤) - ابراهيم ٣٥.

(٥) - ابراهيم ٤-٤.

استغفار ابراهيم (ع) لآبيه:

وقد اعترض على القائلين بايمان جميع آبائه صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم، بأن القرآن الكريم ينص على كفر آزر أبي ابراهيم، قال تعالى: «وما كان استغفار ابراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، إن ابراهيم لأواه حلیم» (١)

وأجابوا: أولاً: إن ابن حجر يدعي: اجماع المؤرخين على أن آزر لم يكن أباً لابراهيم، وإنما كان عمه، وأوجهه لأمه، على اختلاف النقل (٢) وإنما اطلق عليه لفظ الاب توسعاً، وتجوزاً... وهذا كقوله تعالى: «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت؛ إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك (٣)». ثم عدفهم اسماعيل وليس من آبائه؛ ولكنه عمه.

وثانياً: إن استغفار ابراهيم لآبيه قد كان في اول عهده وفي شبابه مع أننا نجد أن إبراهيم حين شيخوخته، وبعد أن رزق أولاداً، وبلغ من الكبر عتياً يستغفر لوالديه، قال تعالى: «...ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين، يوم يقوم الحساب» (٤) قال هذا بعد أن وهب الله له على الكبر اسماعيل واسحاق حسب نص الآيات الشريفة. (٥)

وثالثاً: إنه يمكن أن يكون ذلك الذي استغفره، وتبرأ منه، قد عاد إلى الايمان، فعاد هو إلى الاستغفار له...

و يرى العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني: أن اجماع المؤرخين على أن ابا ابراهيم ليس آزر منشؤه التوراة التي تذكر أن اسم أبي ابراهيم هو:

(١) - التوبة ١١٤.

(٢) - راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٣٧.

(٣) - البقرة ١٣٣.

(٤) - ابراهيم ٤١.

(٥) - راجع: تفسير الميزان ج ١٢ ص ٧٨/٧٩.

«تاريخ»... ثم ذكر ما استظهرناه نحن أيضاً من أن من الممكن أن يكون نفس والد إبراهيم قد كان مشركاً يجادله في الايمان بالله فوعده بالاستغفار له، ووفى بوعده، ثم عاد فأمن بعد ذلك فكان يدعو له بعد ذلك أيضاً حتى في أواخر حياته هو كما سلفنا... وهذا احتمال وارد جداً، ولا ملزم لحمل الاب في القرآن، والوالد على المجاز..

إن أبي وأباك في النار:

روى مسلم وغيره: أن رجلاً سأل النبي (ص): أين أبي؟ فقال: في النار. فلما قفا دعاه، وقال له: إن أبي وأباك في النار(١)... وهذا لا يصح.

أولاً: لما تقدم. مما يدل على إيمان جميع آبائه...

وثانياً: لقد روى هذه الرواية حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس... مع أننا نجد: أن معمرأ قدرى نفس هذا الحديث عن ثابت عن أنس، ولكن بنحو آخر لا يدل على كفر أبيه صلى الله عليه وآله، فقد قال له (ص): «حيثما— أو إذا— مررت بقبر كافر فبشره بالنار(٢)»

وقد نص علماء الجرح والتعديل— من اصحاب هؤلاء الرواة— على أن معمرأ أثبت من حماد. وأن الناس قد تكلموا في حفظ حماد، ووقع في احاديثه مناكير دستهاربيعة في كتبه، وكان حماد لا يحفظ، فحدث بها فوهم فيها (٣)...

(١) راجع بالاضافة إلى صحيح مسلم: صفة الصفوة ج ١ ص ١٧٢ عن مسلم والاصابة ج ١ ص ٣٣٧ عن ابن خزيمة، وسنن ابي داود المطبوع مع عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٤، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٠ عن مسلم ومسالك الحنفا ص ٥٤ عن مسلم.

(٢)— السيرة الحلبية ج ١ ص ٥١/٥٠، مسالك الحنفا ص ٥٤/٥٥.

(٣)— السيرة الحلبية ج ١ ص ٥١، ومقدمة فتح الباري ص ٣٩٧، وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٢-١٥. ومسالك الحنفا ص ٥٥.

وثالثاً: لقد رويت هذه الرواية بسند صحيح على شرط الشيخين عن سعد بن ابي وقاص، وجاء فيها: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار (١).

وكذا أيضاً روى عن الزهري، بسند صحيح أيضاً (٢)

ملاحظة: ويلاحظ هنا أن في عبارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم المتقدمة في حديث: «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار» تورية لطيفة؛ حيث إن عبارته هذه قد خفت من تأثر السائل. وهي في نفس الوقت صادقة المضمون، ولا تدل على كفر أبيه صلى الله عليه وآله وسلم... إذ أن من الطبيعي أن الكافر مبشر بالنار... وأما أن أباه (ص) كافر أولاً؛ فذلك مسكوت عنه...

والغريب هنا: أنه قد روي ما هو قريب من هذا وأنه (ص) قاله عن أمه، فقال لرجلين: أمي وأمكافي النار.

ونحن لانزيد على ما ذكره الذهبي هنا؛ فإنه قد حلف على عدم صحة هذا الحديث، يعني حديث كون أمه وأمهمافي النار (٣)

ورابعاً: كيف يكون أبواه صلى الله عليه وآله، وأبوطالب وعبدالمطلب وغيرهم في النار حسب اصرار هؤلاء... ثم يكون ورقة بن نوفل، الذي أدرك البعثة، ولم يسلم في الجنة عليه ثياب السندس (٤)... وكذلك فإن زيد بن عمرو بن نفيل - ابن عم عمر بن الخطاب في الجنة يسحب ذيولاً... (٥) كما أن أمية بن أبي الصلت كاد يسلم في شعره وهكذا؟!... (٦).

(١) - السيرة الحلبية ج ١ ص ٥١ عن البزار، والطبراني، والبيهقي، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٠. عن البيهقي، ومسالك الحنفا ص ٥٥ عنهم و ص ٥٦ عن ابن ماجة...

(٢) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١٠ ص ٤٥٤.

(٣) - السيرة الحلبية ج ١ ص ١٠٦ ومسالك الحنفا ص ٥٢.

(٤) - سيأتي بعض الحديث عن ورقة حين الكلام على روايات بدء الوحي فانتظر...

(٥) - السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٣٩ و ١٦٨ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٤١.

(٦) - الاغانبي ط ساسي ج ٣ ص ١٩٠.

وكيف تطرح كل تلك الاحاديث والتواريخ المتضاربة، المتواترة الدالة على ايمان أولئك، و يتشبهت لايمان هؤلاء بيت شعر، أو بكلمة عابرة... لم يتبعها إلا التصميم على الخط الأول؟!...

نعم... وكيف لا يكون لهؤلاء نجاة و يكونون في النار... (١) ثم يدخل المشركون الذين عاشوا في زمن الفترة الجنة؟!... فقد ذكر الحلبي: أن أهل الفترة لا عذاب عليهم إلا على قول ضعيف، مبني على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل، والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة: أنه لا يجب ذلك إلا بارسال الرسل...

و طبق الأشاعرة في الاصول، والشافعية في الفقه على أن من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجياً، ويدخل الجنة؛ فعليه أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم، وإن غيروا، أو بدلوا، أو عبدوا الأصنام، والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر مؤولة... (٢).

وهذا وبالاحاديث المتواترة يرد مازعموه من أنه قد مُنع من الاستغفار لآمه رضوان الله تعالى عليها.. وإن كنا نحن نعتقد أن أهل الفترة يعذبون إذا قامت عليهم الحجة العقلية أو النقلية إلا القاصرين منهم... فان التوحيد يثبت بالعقل لا بارسال الرسل... وإلا... لم يمكن اثبات شئ على الاطلاق لا التوحيد ولا النبوة ولا الدين من الأساس...

غريبة:

و من غريب الأمر هنا: أن نجد البعض يوجه رواية: إن أبي وأباك في النار، بأن المقصود هو عمه أبوطالب لان العرب تسمي العم أباً، و قد كان (ص) ينسب بالنبوة إلى ابي طالب (٣)

(١) عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٤، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨١ عن دلائل النبوة للبيهقي.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٣٢/٣٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٠٦/١٠٧، وهذا هو رأى ابن حجر الهيتمي، والمناوي، والسيوطي..

(٣) عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٤/٤٩٥ عن السندي، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٥١، ومسالك الحنفا

ولاندرى لماذا ترك عمه أباهب لعنه الله تعالى. فان كفره مسلم و مقطوع به، وتمسك بالمدافع عنه، والمناصح له، والباذل مهجته في سبيل نبيه و دينه... ولسوف يأتي إن شاء الله أن ايمان أبي طالب هو المسلم والمقطوع به...

بل و يكفي أن نذكرهنا: أن العظيم آبادي قد قال هنا: وهذا أيضاً كلام ضعيف باطل (١)...

البحث الثاني

بماذا كان يدين النبي (ص) قبل البعثة:

إن ايمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم و توحيده قبل بعثته يعتبر من المسلمات، ولكن يبقى: أنهم قد اختلفوا في أنه (ص) هل كان متعبداً بشرع أحد من الانبياء قبله اولاً... فهل هو متعبد بشرع نوح، أو ابراهيم، أو عيسى، أو بما ثبت أنه شرع، أو لم يكن متعبداً بشرع أحد؟... ذهب إلى كل فريق.

وتوقف عبد الجبار، والغزالي، والسيد المرتضى....

وذهب المجلسي إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان قبل البعثة، مذاكمل الله عقله في بدو سنه نبياً، مؤيداً بروح القدس، يكلمه الملك، و يسمع الصوت، و يرى في المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولاً، وكلمه الملك معانيته، ونزل عليه القرآن، وأمر بالتبليغ.. وقال المجلسي: إن ذلك ظهر له من الآثار المعبرة، والاخبار المستفيضة (٢)...

(١) - عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٥.

(٢) - البحار ج ١٨ ص ٢٧٧.

وقد استدلووا على نبوته منذ صغره بأن الله تعالى قد قال حكاية عن عيسى: «إني عبد الله أتاني الكتاب، وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً» (١)

ويقول عن يحيى: «وآتيناه الحكم صبياً» (٢) فإذا أضفنا إلى ذلك: أنه قد ورد في أخبار كثيرة بعضها صحيح كما في رواية يزيد الكناسي في الكافي إن الله لم يعط نبياً فضيلة، ولا كرامة، ولا معجزة، إلا أعطاه نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فان النتيجة تكون: هي أن الله تعالى قد أعطى نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الحكم والنبوة منذ صغره (٣)... ثم أرسله للناس كافة، حينما بلغ الأربعين من عمره... وقد أيد المجلسي هذا الدليل بوجوه كثير في كتابه القيم: البحار ج ١٨ ص ٢٧٧-٢٨١.

وإن كان يمكن المناقشة في ذلك الوجه... بأن إعطائه فضائل الانبياء ومعجزاتهم الواردة في الرواية لا يستلزم ما يراد اثباته هنا؛ فان بعض معجزاتهم لم يكن ثمة حاجة إليها في زمانه (ص)... نعم هي تحت اختياره صلى الله عليه وآله، ولو احتاجها لاستفاد منها جميعاً... وأما الفضائل فقد كان (ص) هو الجامع لها على النحو الأكمل والاشمل في جميعها... حتى إنه إذا كان أيوب قد امتاز على غيره من الانبياء بالصبر، فان صبر نبينا (ص) كان أكمل من صبر أيوب، وهكذا بالنسبة لسائر الانبياء، وامتيازاتهم في الفضائل، و مكارم الاخلاق...

وأما الكرامات... فان الظاهر أن المقصود بها هو نفس المعجزات، فان الله تعالى قد اكرمه بها...

ومع الغرض عن كل ذلك... فانه لا بد من ثبوت تلك الأخبار؛ ليتمكن الحكم بمضمونها، بعد تسليم دلالتها بشكل قطعي ونهائي...

(١) - مريم ٣٠ (٢) - مريم ١٢.

(٣) - راجع: البحار ج ١٨ ص ٢٧٩/٢٧٨.

نعم... إن ثمة روايات كثيرة تلمح و تصرح بنبوته قبل بعثته، أشار إليها المجلسي كما قلنا، وأشار الغدير ج ٩ ص ٢٨٧ أيضاً إلى حديث: إنه (ص) كان نبياً وأدم بين الروح والجسد عن العديد من المصادر من غير الشيعة..

ولكن لا يمكن الحكم... إلا بعد التأكد من اسانيدها و دلالتها، وثبوت ذلك بشكل قطعي...

و بعد كل ما تقدم... فان ما نستطيع نحن الجزم به، هو انه صلى الله عليه وآله وسلم كان مؤمناً موحداً، يعبد الله، و يلتزم بما ثبت له أنه شرع الله تعالى... و بما يؤدي إليه عقله الفطري السليم. و أنه كان مؤيداً و مسدداً، و أنه كان أفضل الخلق و اكملهم خلقاً و خلقاً، و عقلاً... .

كما أننا نجدهم ينقلون عنه (ص): انه كان يلتزم بأمر لا تعرف إلا من قبل الشرع و كان لا يأكل الميتة، و يلتزم بالتسمية و التحميد، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته صلوات الله عليه وآله...

من الأساطير:

و بعد كل ما تقدم نعلم: أن ما يذكر عنه (ص) من أمور تتنافى مع التسديد، و مع شرع الله تعالى... كله لأساس له من الصحة... و نذكر هنا على سبيل المثال:

مارواه البخاري و غيره، من أنه قد قدم لزيد بن عمرو و بن نفيل سفرة فيها شاة ذبحت لغير الله تعالى... (و عند البخاري إنها قدمت للنبي صلى الله عليه وآله)... فأبى زيد أن يأكل منها، و قال: أنالا آكل مما تذبحون على أنصابكم، و لا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، و في رواية أحمد: إن زيدا مرّ على النبي (ص) و هو يأكل مع سفيان بن الحرث من سفرة لهما، فدعاه إلى الطعام فرفض، و قال الخ...

قال: فما رؤي النبي (ص) من يومه ذاك يا كل مما ذبح على النصب حتى بعث..

و يذكرون أيضاً: ان زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قریش
ذبايحهم و يقول الخ ماتقدم (١)

وعليه... فزيد بن عمرو بن نفيل كان أعقل من النبي صلى الله عليه
وآله و اعرف منه - والعياذ بالله - لأنه أدرك و عرف قبح اكل ما ذبح
على النصب و لم يذكر اسم الله عليه أو بلغه ذلك، ولكن النبي (ص) لم يستطع
أن يدرك ذلك، فكان يأكل ذلك... مع أنه أعقل الكل و فوق الكل، ومع أنه
قد ترقى في حجر عبد المطلب، الذي ترك الاصنام، وابتعد عنها حسباً تقدم ثم في
حجر عمه أبي طالب. و بيتهم كان أرفع بيت في العرب. و هم أعرف الناس
بتعاليم الحنيفية... نعم... لقد أدرك زيد ذلك برايه، حسباً يرجحه
العسقلاني (٢)، و لم يستطع النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن
يدركه... لقد كانت النبوة اجدر بزيد منها بمحمد، نعوذ بالله من الزلل في
القول والعمل...

وا احتمال: أن يكون زيد قد أخذ ذلك عن بعض النصارى أو اليهود،
كما احتمله البعض، يحتاج إلى اثبات: أن النصارى كانوا يجرمون اكل ما ذبح
على النصب، أو ما لم يذكر اسم الله عليه... و اليهود ما كانوا يقبلون أحداً من
غيرهم في دينهم... و اذا كان ذلك شائعاً عنهم؛ فلماذا لم يعرف به غير زيد.

ومهما يكن من أمر، فقد قال السهيلي: « كيف وفق الله زيدا الى
ترك ما ذبح على النصب، و ما لم يذكر اسم الله عليه، و رسوله (ص) كان أولى
بهذه الفضيلة في الجاهلية؛ لما ثبت من عصمة الله تعالى له ».

ثم أجاب عن ذلك : بأنه ليس في الرواية: أنه (ص) قد اكل
من السفرة، و بأن شرع ابراهيم إنما جاء بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذبح لغير الله

(١) - راجع: صحيح البخاري ط مشكول المصرية ج ٥ ص ٥٠ و ج ٧ ص ١١٨ باب ما ذبح
على النصب، والاصنام، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٣، و مسند أحمد ج ١ ص ١٨٩ و راجع فتح
الباري ج ٧ ص ١٠٨ و ١٠٩ و الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٦.

(٢) - فتح الباري ج ٧ ص ١٠٩.

تعالى. فزيد امتنع عن اكل ما ذبح لغير الله برأي رآه لا بشرع متقدم (١)...

ولكنه جواب بارد حقاً:

فان إدراك زيد لهذا الأمر الذي وافق فيه نظر الشرع، وعدم إدراكه هو (ص) له مما لا يمكن قبوله، أو الالتزام به...

هذا... ولماذا يسدده الله تعالى حينما كشف عن عورته حين بناء البيت، ويمنعه من ذلك، ثم تبغض إليه الاصنام، والشعر،... ولا يسدده الله، ويحفظه من اكل ما ذبح لغير الله تعالى. الذي يدرك بعض الناس أنه ليس محبوباً لله تعالى

استلام الاصنام:

و من اساطيرهم أيضاً: ما ذكروه من أنه (ص) كان يستلم الاصنام... مع أنهم يذكرون: ان زيدا المتقدم وعمر بن الحويرث، واباقيس بن هرمة، وقس بن ساعدة، وأسعد بن كريب، وعبيد الله بن جحش، ورباب بن البراء وغيرهم... لم يسجدوا لصنم قط، وحرّموا عبادة الاوثان... فلماذا أدركوا هم ذلك دونه؟!...

وايضاً فقد سئل (ص): هل عبدت وثناقط؟ قال: لا...

وقال: ابن حجر: إن الناس قد انكروا احديث استلامه الاصنام. و قال أحمد بن حنبل - على ما في الشفاء - : إنه حديث موضوع (٢)...

وعلى كل حال... فان هناك تفاهات كثيرة، وأكاذيب عديدة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، سواء بالنسبة إلى الفترة التي سبقت البعثة، أو التي تلتها... وسيأتي بعض من ذلك، ولكن لا بد من الاعتراف: بأن استقصاءها متعسر بل متعذر؛ ولذا فلا بد من الاقتصار على ما يسهل المجال، ثم الانصراف إلى ما هو أهم، وأجدر، وأولى...

(١) - الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٦، وراجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٣ عنه، وفتح الباري

ج ٧ ص ١٠٩.

(٢) - راجع السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٥١/٥٠ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٥ و ٢٧٠.

البحث الثالث:

شروط النهضة:

هناك عدة أمور تعتبر ضرورية وحتمية في بناء الحضارة، وحصول النهضة لأي شعب كان، وأية أمة كانت. ونود أن نشير إلى بعض مقومات و عناصر ذلك عموماً. ثم.. وبمقارنة بسيطة و موجزة، نستطيع أن نتعرف على جانب من عظمة الاسلام وسموه، وأصالته...

ومن اجل تسهيل تصور ما نريد عرضه على القارئ، نقوم بمقارنة محدودة بين واقع و ظروف عرب شمال الجزيرة العربية وهم اهل الحجاز و بين واقع و ظروف عرب جنوبها، وهم أهل اليمن.. فنقول:

ألف: لقد عاش اليمنيون في منطقة غنية و ثرية، وتستطيع، اذا ما اشتغل أهلها بزراعتها: أن توفر لهم لقمة العيش. وهي بالاضافة إلى ذلك أرض جبلية، صعبة المسالك، فهي إذن تستطيع في كثير من الأحيان أن توفر لهم حماية طبيعية، وقدرة على مقاومة الأعداء...

وإذا كان اليمنيون يشتغلون بزراعة أرضهم، ويستفيدون منها، ويعتبرونها المصدر الأول والاساس لحياتهم، واستمرار وجودهم؛ فمن الطبيعي أن يتولد فيهم لذلك شعور مبهم بحبة هذه الارض، والتمسك بها، والحنين إليها.

وهذا بالطبع، هو المهم عادة في حب الناس لوطانهم، وحنينهم إليها، حتى إنهم قد يذبلون كل غال و نفيس حتى دماءهم في سبيل الدفاع عنها، بل وحتى عن شبر واحد منها فحبة الوطن تنشأ غالباً من محبة الارض، ومحبة الارض تنشأ (عموماً) من الشعور بأنها تعطيه كل مقومات الحياة، وبأنها تحفظ له استمرار بقائه ووجوده، بالشكل المرضي له، والمقبول عنده...

باء:

وكان في اليمن أيضاً حكومة مركزية مهيمنة تفرض النظام والقانون، و تهتم باشاعة الطمأنينة، والامن والسلام.

وإذا كان الانسان يشعر بالامن، ويعيش في ظل القانون... ولايتخوف من أي عدو يتربص به الغوائل، فانه يجد الفرصة للتفكير في تغيير الوضع الحياتي الذي يعيشه، إلى وضع أفضل واكمل.

جيم: ثم تتاح الفرصة لآمال وتطلعات هذا الانسان للتعبير عن نفسها، وفرض وجودها... فتدفعه إلى بذل المحاولة. و التصرف فيما تناله قدراته في توجيهه في هذا السبيل...

دال: ثم يأتي دور الاهم والاقوى تأثيراً في النهضة... ألا وهو النظام الاكمل والاشمل والأصلح، الذي يستطيع أن يبين الانسان من الداخل، ويحافظ عليه من الخارج، ويزيل من طريقه كل العقبات، التي يمكن أن تعترض سبيل تقدمه... ولتنمو، وتتكامل في ظل ذلك النظام— من ثم— ملكات هذا الانسان، وخصائصه، ولتجد طاقاته وامكانياته الفرصة للتأثير في عملية التغيير للحاضر الذي يعيشه، والتخطيط الصحيح و السليم للمستقبل الذي يقدم عليه...

فاذا توفرت كل تلك العناصر لاية أمة، فانها ولاشك سوف تكون قادرة على أن تبني حضارة، وتصنع لنفسها مستقبلاً مغرباً وزاهراً ومجيداً...

وقد كانت كل تلك العناصر متوفرة في منطقة اليمن، باستثناء العنصر الأخير منها وكان فقدانها له بالذات هو السبب في أنها لم تستطع أن تفيد شيئاً من تلك القدرات والامكانيات التي توفرت لها... ولا يحدثنا التاريخ عن شئ ذي بال، تميزت به اليمن في تاريخها القديم، سواء على الصعيد الفكري، أو الحضاري، أو غير ذلك... ولا كان فيها ما يعبر عن نظرة واعية، أو عقلية متطورة تتلائم مع حجم امكانياتها تلك...

كما أن الديانة اليهودية المحرفة، التي سيطرت عليها حقبة من الزمن،

لم تستطع أن تقدم لها شيئاً يذكر في مجال النهوض باهلها، والخروج بهم من ظلمات جهلهم، والتخفيف من شقائهم وآلامهم... تماماً كما لم تستطع المسيحية المحرفة في الرومان، والزرادشتية في الفرس: أن تؤثر تأثيراً يذكر في ذلك...

أما في الحجاز... فقد كانت كل تلك العناصر مفقودة؛ ولكن عند ما وجد العنصر الاخير منها— فقط— استطاعت هذه الامة— وذلك هو الاعجاز حقاً— أن تنتقل من أمة متوحشة بدائية، تتصف بكل صفات الذل والمهانة، إلى أمة لا تدانها، ولن تدانها أية أمة أخرى على الاطلاق...

فعرّب الحجاز لم يكونوا في الاكثر أهل زراعة، لان أرضهم لم تكن صالحة لذلك؛ بسبب قلة المياه فيها، حيث لم يكن فيها حتى نهرواحد، كما أن الامطار تقل فيها بشكل ملحوظ... وكل ما كان هناك هو بعض الينابيع، التي كانت تظهر في الشتاء، وتجف في الصيف، فيرحلون عنها بحثاً عن غيرها... هذا عدا عن أن الارض نفسها كان فيها القليل مما يصلح للزراعة...

إذن... فلاشئ يشد العربي إلى هذه الارض، أو يربطه بها، ويجعله يحبها، ويتفانى في سبيلها... بل كان مصدر حياتهم ورزقهم هو: السيف، والماشية، والابل بصورة عامة... ولهذا نرى أن اكثر ما يعز عليهم، وله مكانة في نفوسهم هو هذه الأمور؛ فنرى الشاعر العربي يتغنى بالجمال والسيف، والفرس، ويتغزل بالرياح الطيبة، التي تخفف عنه بعض ما يعاناه من آلام؛ نتيجة حرم منطقتة، ثم هو يناجي القمر والنجوم كثيراً أيضاً...

و إذا ما رأيناه يبكي— أحياناً— الديار والاطلال... فليس ذلك إلا لأنها كانت في وقت ما مصدر أنس له، أو لأنه هونفسه كان حزيناً...

ولأن العربي هذا قد اتخذ الغزو والسلب وسيلة من وسائل العيش؛ فاننا نراه يهتم بالتغني بمواقفه هذه، ويفتخر باستمرار بشنه الغارات فرساناً وركباناً...

ومن الجهة الاخرى... فانه دائماً يتوقع أن يغزى، وأن تشن عليه الغارات؛ ولا يشعر بوجود سلطة تستطيع أن تحميه، فهو في خوف دائم، ورعب مستمر...

وإذا كان الامن غير متوفر له، فكيف يمكن أن تتوفر له الفرصة للتفكير في حياته، ومحاولة الخروج من واقعه، وتحسين ظروف عيشه... ثم التخطيط للمستقبل بواقعية، وأناة... ثم العمل بهدوء واطمينان على تنفيذ خطته، وتحقيق آماله.

ومن الجهة الثالثة، فكيف وأنى يمكن لآماله أن تنمو، ولطموحاته أن تتجسد... وهو في كل يوم يفقد أملاً، ويتحمل المألم...

وخلاصة الامر: إنه لاسلطة مركزية تستطيع أن تفرض هيبتها وهيمنتها بيسر وفعالية... بل إن ذلك قد يتعذر بالنسبة إلى أمة تعيش حياة التنقل والغارة، وتتحول باستمرار من مكان إلى مكان...

وقد قرأنا في كتب التاريخ: أن الفرس قد حاولوا مواجهة العرب بالحرب، وبعد معركة قوية وضارية أوى الفريقان ليلاً للاستراحة... فلما كان اليوم التالي، نظر الفرس إلى جهة عدوهم، فما وجدوا منهم داعياً ولا مجيباً... فتي؟ وكيف؟ وإلى أين توجهوا؟ لا يعرفون، ولو أنهم عرفوا فانهم من معرفتهم هذه لا يستفيدون... فهذه كانت طبيعة العرب، وهذه كانت حياتهم...

وإذن... فهم كانوا يفقدون كل اسباب النهضة والتقدم، ولا يمكنون منها حتى الامل بالتغيير، فضلاً عن ارادته، والعمل من أجله... هذا فضلاً عن أن الصفات الذميمة، والعادات السيئة، التي كانت تهيمن عليهم جماعات وأفراداً لم تكن تسمح لهم بأية نهضة، أو أي تقدم نحو الافضل، إن لم تكن تزيد من بلائهم وشقائهم، وتدفعهم خطوة بل خطوات إلى الوراء...

ولكنهم مع ذلك كله... عندما وجدوا الرسالة السماوية الحققة... استطاعت تلك الرسالة، وذلك الرسول— وفي فترة وجيزة جداً— ان تنقل هذه

الامة من حضيض الذل والمهانة إلى أوج العظمة، والعزة والكرامة... وأن تغير فيها كل عاداتها ومفاهيمها، وتخفف، بل وتقضي على كل أسباب شقائها، وآلامها... وذلك هو الاعجاز حقاً.

نعم لقد استطاع الاسلام في فترة لا تتجاوز سنواتها عدد أصابع اليدين أن يحدث انقلاباً حقيقياً وجذرياً في عقلية ومواقف وسلوك تلك الامة، وفي مفاهيمها وان ينقلها من العدم إلى الوجود، ومن الموت إلى الحياة...

ولو أن المسيحية واليهودية وغيرها من الأديان والمذاهب كان فيها أدنى صلاح، ومع توفر كل الظروف الملائمة لنجاحها في تغيير الاوضاع السيئة آنذاك - لعبت عن نفسها، ولا تثبت وجودها... مع أن المسيحية قد كانت في العرب أيضاً قبل الاسلام، وكذلك اليهودية، ولكنها لم تستطع أن تغير من عقلية العربي، وسلوكه، ومفاهيمه عن الحياة والمستقبل شيئاً، بل بقي يثد البنات، ويشن الغارات، إلى غير ذلك من أفعال وصفات... بل إنهم ليذكرون أن القبيلة العربية الفلانية التي كانت تدين بالمسيحية، ما كانت تعرف من المسيحية غير شرب الخمر، كما أن اليهود قد عاشوا بينهم، وكان العرب يحترمونهم جداً، ويعتبرونهم مصدراً للمعرفة والعلم - كما رمانشير إليه... ولكنهم لم يكن لهم في سلوكهم، وعقليتهم، أثر يذكر.

البحث الرابع:

العوامل المساعدة على انتصار الاسلام وانتشاره:

وبعد ذلك الموجز الذي قدمناه لابد وأن نشير إلى بعض العوامل والظروف التي ساعدت على انتصار الاسلام و انتشاره، في منطقة لهاتلك الصفات والمميزات المشار إليها في البحث السابق...

وبعض تلك العوامل يرجع إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبعضها يرجع إلى الرسالة نفسها، وبعضها يعود إلى أمور أخرى، خارجة عن هذا وذاك. ويمكن أن نلخص ما نريد الإشارة إليه في الأمور التالية:

أ- منطلق الدعوة: مكة:

ألف: إنه يلاحظ أن الاسلام قد انطلق من أقدس بلد لدى الانسان العربي، بل ولدى غيره أيضاً... وهو المكان الذي تهوى إليه ثمار الافئدة من كل مكان... وهو ملتقى لكل العواطف، ومحل آمال الناس، وغاية رجائهم...

باء: يقول البوطي: «... البقعة الجغرافية للجزيرة العربية ترشحها للقيام بعبء مثل هذه الدعوة؛ بسبب أنها تقع - كما قلنا - في نقطة الوسط بين الأمم المختلفة التي من حولها. وهذا مما يجعل اشعاعات الدعوة الاسلامية تنتشر بين جميع الشعوب والدول المحيطة بها في سهولة ويسر (١)».

وطبيعي: أن هذا الدين لو كان ظهر في بلاد كسرى؛ فان اتباع قيصر لا يتبعونه، وكذلك العكس؛ وذلك بسبب المنافسة القائمة بين الامبراطوريتين، والحواجز النفسية الحاكمة والمهيمنة على الأمتين...

جيم: لقد بدأ صلى الله عليه وآله وسلم دعوته في مكان بعيد عن نفوذ الدولتين العظميين: الرومان، والفرس، وغيرها من الدول ذات القوة...

وإذن... فلا قوة قاهرة تستطيع أن تضرب الضربة الحاسمة، وتقضي على دعوته في مهدها... وذلك لأن المحيط الذي بدأ فيه دعوته، والحجاز عموماً، كانت تسيطر عليه الروح القبليّة، ويطغى عليه التعصب القبلي... والقوى فيه متكافئة: تقريباً، وكانت القبائل المتعددة كثيرة، - فبطون قريش وحدها كانت عشرة أوتريد - يرقب بعضها بعضاً، ويخشى بعضها بأس بعض...

هذا كله... عدا عن أنها كانت تعرف: أنها إذا أرادت أن تنتهك حرمة الحرم، ومحارب بعضها بعضاً؛ فإن مكانتها واحترامها— وبالتالي مصالحها الحيوية، سوف تتعرض لدى سائر العرب لنكسة قاسية، إن لم تكن قاضية...

٢— خصائص شخصية الرسول (ص):

الف: لقد كان صاحب هذه الدعوة: محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قریش، أعظم قبائل العرب خطراً، وقوة، ونفوذاً... والتي كان ينظر إليها من كل أحد بعين الاجلال والاكبار... وبالأخص هو من البيت الهاشمي منها، الذي كان يمتاز بالنزاهة والطهر، وله السيادة والزعامة، والسؤدد في مكة، وله الشرف الرفيع الذي لا يدانيه ولا ينازعه فيه أحد...

فمحمد (ص) إذن... ليس بحاجة إلى الشرف والزعامة؛ ليجعل من ادعاء النبوة وسيلة للوصول إليها، والحصول عليها... كما أن كل أحد يكون على استعداد لقبول الدعوة من بني اسماعيل، الذين هم مهبط الوحي، ومعدن الطهر... وسيأتي إن شاء الله تعالى في مباحث عرض الرسول (ص) نفسه على القبائل... أنه لما عرض دعوته على بني عامر بن صعصعة، ورفضوا إلا أن يجعل الامر فيهم بعده، ورفض هو، وعادوا إلى بلادهم، وتحدثوا بما كان لشيخ لهم، وصع ذلك الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذنا بها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده، ماتقوها إسماعيلي قط، وإنما لحق؛ فأين رأيكم كان عنكم (١).

باء: تلك الخصائص والمميزات في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، والتي اشار إليها جعفر بن أبي طالب بقوله: «بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته وعفافه...» فانه قد كان لذلك أثر كبير في ظهور دعوته، وانتصار رسالته... وقد تمدحه الله تعالى على خلقه العظيم ذاك

(١)— سيأتي ذلك مع مصادره في موقعه إن شاء الله تعالى...

، فقال: «وانك لعلى خلق عظيم» (١).

ومع ذلك فاننا نود أن نخص بالذكر هنا ما يلي:

١- اننا نجد البعض يسلم استناداً إلى شهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، فقد ورد أن رجلاً دخل على جل؛ فأناخه في المسجد؛ وعقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي (ص) متكئ بين ظهر انيهم. فقلنا: هذا الرجل الابيض المتكفي، فقال له الرجل: ابن عبدالمطلب؟ فقال له (ص): قد أجبته. فقال الرجل: إني سائلك فشد دعليك في المسألة؛ فلا تجد علي في نفسك فقال: سل عما بدالك فقال: أسألك بربك ورب من قبلك آالله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. فقال: أنشدك بالله، آالله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: اللهم نعم. قال: انشدك الله... إلى أن قال: فقال الرجل: آمنت بما جئت به، و أنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمَام بن ثعلبة الخ... (٢)

فان عدم قدرة ضمَام على تمييزه صلى الله عليه وآله وسلم عن أصحابه، خير دليل على خلق النبي العظيم... وعلى أن الاسلام لايعترف بتلك الفوارق المصطنعة بين الحاكم ورعيته... ولايعتبر أن الحكم يعطي للحاكم امتيازاً، وإنما هو مسؤولية...

كما أن اسلام ضمَام استناداً إلى شهادة النبي (ص) نفسه ليعتبر الذروة في الثقة به (ص)، وتأثير هذه الثقة في قبول دعوته، وانتشار رسالته...

هذا... مع ما كانت تعرفه قريش فيه، من وفور العقل، وحسن التدبير، وأصالة الرأي— وقد تقدمت قضية رفع الحجر الاسود إلى موضعه عند بناء البيت، وحلّه (ص) المشكله التي كانت تواجههم— كل ذلك مع ما اشتهر عنه (ص) من الصدق، والامانة، حتى لقب بـ «الصادق الأمين»...

(١) سورة القلم ٤. وقد تقدم احتمال آخرفي الآية الشريفة، ولكنه خلاف المتبادر منها حسبما

قدمنا

(٢) البخاري هامش فتح الباري ج ١ ص ١٣٩-١٤١، وليراجع فتح الباري نفسه أيضاً...

للاطلاع على العديد من المصادر، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٠ عن ابن اسحاق و تاريخ الطبري

ثم ما ظهر له من الآيات والبراهين، حين ولادته، وبعدها، وكونه ابن الذبيحين، الأمر الذي جعل له قدسية خاصة في نفوس الناس...
 نعم... إن كل ذلك... قد وضع قریشاً، وسائر الناس أمام الأمر الواقع... فكان كل من يحاول تكذيبه (ص) يجد نفسه أمام صراع داخلي، ووجداني؛ لأن وجدانه وضميره كان يقول له: انت الكاذب الحقيقي، وهو الصادق الأمين... وهو محل الثقة المطلقة، وانت مظنة الخيانة... وهو صاحب الرأي والتدبير، والعقل الكبير... وأنت القاصر المقصر في ذلك... وهكذا الحال في سائر صفاته الغر، وأخلاقه الفضلى...

٢- وقد عزز ذلك وقواه: أن كل أحد كان يعرف أميته صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لم يتلق العلم والمعرفة من أحد... وهاهو يأتي بمالا يستطيع أحد على وجه الارض أن يدعي المعرفة بجزء مما جاء به، فضلاً عن بيئته المتناهية في الجهل والضياع... فلم يكن ثمة مجال للارتياح في صدقه، و صحة دعوته، إلا من مكابر، لا يرى إلا نفسه، ولا يفكر الا فيها...

٣- ثم هولم يسجد لصنم قط؛ فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه، بأنك أنت كنت بالامس تسجد للاصنام، وتعبد الاوثان؛ فلماذا تكفر بها اليوم؟! . فان كانت عبادتها تخالف العقل والفطرة، فأين كان عنك عقلك ، ولماذا شذت بك فطرتك؟! .

٤- ثم يأتي بعد ذلك اسلوب دعوته المتطور، على وفق الحكمة، وعلى حسب مقتضيات الأحوال، وفي حدود الاهداف الرسالية، التي لا بد من التقيد بها، وفي حدودها...

٥- ثم هناك اصراره، و صبره، و تحمله لكل المشاق والآلام، و رفضه لكل المساومات، حتى إنهم لو وضعوا الشمس في يمينه، والقمر في شماله على أن يترك هذا الأمر، ما تركه... بل هو لا يقبل منهم أن يسلموا شرط أن يعطيهم فرصة زمنية للتزود من عبادة أوثانهم... مما أوضح لهم: أن المسألة تتجاوز حدود اختياره، وأن رب السماء هو الذي يرعى هذا الامر، ويريد

٣- الحالة الاجتماعية:

ويأتي بعد ذلك كله... دور الحالة الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك ، حيث كان الناس يعيشون حياة الشقاء والبلاء بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، كما دلت عليه كلمات الامام أميرالمؤمنين عليه السلام، في أوائل هذا الكتاب عن الحالة الاجتماعية عندالعرب- وهي لا تختلف كثيراً عما عندغيرهم- ونضيف إلى ذلك هنا ما قاله جعفر لملك الحبشة، حينما ذهب عمرو بن العاص ليخدعه عنهم: «كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الاصنام، و نأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام، ونسيئ الجوار، و يأكل القوي منا الضعيف»...

فهذه الحالة الاجتماعية القاسية التي كانت تهيمن على الأمة وذلك الضياع الذي يسيطر عليها قد هيا الانسان الجاهلي نفسياً، لقبول الحق، والتفاعل معه و جعله يتطلع للدعوة التي يجديها الحق والخير، ويعرف: أنهاستطيع أن تخفف من شقائه وآلامه، وتنقذه من واقعه المزري والمهين، ذاك و قد عبر جعفر بن أبي طالب (ع) عن ذلك ، لملك الحبشة، بعد عبارته المتقدمة، فقال:

«فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه فدعانا إلى الله؛ لنوحده و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آبائنا من دونه، من الحجارة والاوثنان. وأمرنا بصدق الحديث، و أداء الامانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش، و قول الزور، و اكل مال اليتيم، و قذف المحصنة إلخ...»

وقد عبر أهل المدينة على لسان أسعد بن زرارة عن أملمهم في أن يحل صلى الله عليه وآله بدعوته تلك مشاكلهم المستعصية حيث يذكر المؤرخون: أن الأوس والخزرج ما كانوا يضعون السلاح في ليل ولا نهار، فن الطبيعي أن يشاقوا إلى الخروج من وضع كهذا: نعمتان مجهولتان: الصحة والامان...

وسياتي الحديث عن ذلك حين الكلام على دخول الاسلام إلى المدينة هذا.. ولا بدمن الاشارة هنا إلى أن الاندفاع نحو الا سلام... إنما كان ظاهراً وقوياً في جملة الضعفاء والعبيد، والفقراء... أما اولئك المستغلون والمستكبرون وأصحاب الاموال، و الاطماع، من أمثال: أبي جهل، وأبي سفيان... فقد كانوا هم الذين يهتمون بالقضاء على الدعوة، و منعها من الانتشار. وإن المطالع لتاريخ الاسلام في مكة ليجد الكثير الكثير من الشواهد، التي تؤيد ما ذكرناه هنا...

٤- نوع معجزته (ص):

وما ساعد على انتشار الاسلام وانتصاره نوع المعجزة التي جاء بها... فان هذا القرآن قد حير العرب، ليس فقط بما يتضمنه من قوانين عامة و شاملة، و من معان و اخبارات غيبية، و من قصص فيها العبر و العظات، رأى فيها غير المسلمين تصحيحاً دقيقاً لما جاء منها في كتبهم... و غير ذلك من علوم و معارف... و إنما قهرهم و بهرهم فيما كانوا يعتبرون أنفسهم، و يعتبرهم العالم بأسره قة فيه، اكمالاً للحجة، و حتى لا يبقى مجال لأي خيار؛ لأن خروجه (ص) في بيئة كهذه، بحجة كهذه، لا بد وأن يجعلهم يدعون و ينقادون للحق، و الا فلاسوف يراهم كل أحد، و يرون أنفسهم أيضاً معاندين للحق، مناصرين للباطل...

نعم... لقد بهرهم هذا القرآن و حيرهم، و لم يترك لهم مجالاً للخيار، فإما الجحود على علم، «و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم»، و اما الايمان و التسليم...

وإذا كنا نعلم: أن من مميزات العربي، و يحكم حياته و طبيعته: أنه كان يعيش حياة الحرية بكل، ما هذه الكلمة من معنى، و لم تلوث فكره و عقله الافكار و الآراء المصطنعة— كما كان الحال بالنسبة لسائر الأمم، كالرومان و الفرس و غيرها، و الذين كانوا يحاولون فلسفة أديانهم البعيدة، عن الفطرة، و المنافرة لها، و يحاولون إظهارها بمظاهر معقولة و مقبولة— إذا كنا نعلم

ونرى ذلك— فان هذا القرآن قد جاء منسجماً مع فطرة العربي، ومتلائماً مع طبعه وسجيته، ومع صفاء نفسه وقريحته، تماماً كما أن الدعوة نفسها كانت تنسجم مع فطرته وروحه، ويستجيب لها عقله، وضميره وجدانه، لأنه كان يعيش على الفطرة، والاسلام دين الفطرة: «فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم» (١).

ولذلك نراه سرعان ما صار يبذل ما له، وولده، ودمه في سبيل هذه الدعوة، ويقتل حتى أباه، وأخاه من أجلها... ولسوف نرى إن شاء الله تعالى سراعجاز القرآن فيما يأتي من فصول...

٥— بشارت اليهود والنصارى به (ص):

وأيضاً... فان بشارت أهل الكتاب بقرب ظهور نبي في المنطقة العربية، قد سهل قبول دعوته، وانتشار رسالته...
فقد جاء في التوراة: «وهذه هي البركة، التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلاً من جبل فاران» (٢) فالجبي من سيناء كناية عن تكليم الله لموسى عليه السلام في سيناء، وساعير هي جبال فلسطين، وهو إشارة لعيسى عليه السلام. و فاران اسم قديم لارض مكة (٣)، التي لم يظهر فيها الانبياء الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي انزل عليه القرآن...

والنبي محمد (ص) هو من نسل ابراهيم عليه السلام، الذي جعلها ارض غربته، تقول التوراة: «... وأعطى لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل ارض كنعان ملكاً ابدياً» (٤). فالمقصود بأرض غربته ابراهيم خصوص مكة، لأنها هي التي اسكن أهلها فيها. وأرض كنعان وإن كانت هي بلاد

(١) الروم ٣٠ (٢) سفرالتثنية، الاصحاح ٣٣ الفقرة ١

(٣) معجم البلدان للحموى ج ٤ ص ٢٢٥.

(٤) سفرالتكوين الاصحاح ١٧، الفقرة ٨

الشام ولكن المقصود فيها هنا عموم بلاد العرب، بضرب من التجوز، لأن ابراهيم لم يهاجر إلى الشام، ولا أسكن اهله فيها...

وجاء في الانجيل قوله: «وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين؛ ليسألوه: من أنت؟ فاعترف، ولم ينكر، وأقر: أنني لست أنا المسيح. فسألوه: إذن ماذا؟ إيليا؟. فقال: لست أنا. النبي أنت؟ فأجاب: لا(١)»

فلما راد بايليا ليس الياساً— كما ربما يدعى— وذلك لأنه قد كان قبل عيسى بقرون... فلا بدو أن يكون المقصود به رجلاً يأتي بعد عيسى... وكذلك الحال بالنسبة إلى النبي الذي سالوه عنه، ولم يأت بعد عيسى غير نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واوصيائه، فلعل المقصود بالنبي هو محمد(ص) وبايليا وصيه عليه السلام...

هذا... وبشارات العهدين به صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة جداً، فمن أرادها فليراجع الكتب المعدة لذلك (٢) مع الأخذ بعين الاعتبار: أن التوراة والانجيل الموجودين فعلاً قد نالتها يد التحريف والتزوير، كما يظهر لمن راجع كتاب: الهدى إلى دين المصطفى، والرحلة المدرسية، للمرحوم البلاغي. و اظهر الحق لرحمة الله الهندي، وغير ذلك..

و يكفي أن نذكر هنا: أن القرآن قد قرر: أن أهل الكتاب «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق، وهم يعلمون(٣)». وقال تعالى: «الذين يتبعون النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، و يحل لهم الطيبات....(٤)».

(١) انجيل يوحنا الاصحاح الأول، الفقرة ١٩-٢١

(٢) راجع كتاب: انيس الاعلام (فارسي)، والرحلة المدرسية والهدى إلى دين المصطفى، و

رسول الاسلام في الكتب السماوية، وغير ذلك ...

(٣) البقرة ١٤٧. (٤) الاعراف ١٥٧.

ولو أن أهل الكتاب كان يمكنهم إثبات خلاف هذا النص القرآني، لبادروا إليه، ولما عرضوا أنفسهم للحروب والبلايا، في سعيهم الدائب لاطفاء نور الله... هم ومشركو أمكة، الذين كانوا يتعاونون معهم تعاوناً وثيقاً...

بل إنهم كانوا يتوعدون العرب، ويقولون لهم: «ليخرجن نبي، فيكسرن أصنامكم، فلما خرج رسول الله كفروا به» (١).

ويقول مغلطاي: إنه لما شاع قبل ولادته: أن نبياً اسمه محمد، هذا إبان ظهوره، سمى جماعة أبناءهم محمداً، رجاء أن يكون هو، منهم: محمد بن سفيان بن مجاشع الخ... ثم عد جماعة من المسمين بهذا الاسم (٢)...

ولما دعا رسول الإسلام بعض المدنيين— قبل الهجرة— إلى الإسلام، قال بعضهم لبعض: يا قوم، إن هذا الذي كانت اليهود يدعوننا به أن يخرج في آخر الزمان، وكانت اليهود إذا كان بينهم شيء، قالوا: «إننا ننتظر نبياً يبعث الآن يقتلكم قتل عاد و ثمود، فتبعه، ونظهر عليكم معه الخ (٣)»...

مناطق سكنى أهل الكتاب:

ولم يتوغل النصارى في قلب الجزيرة العربية، بل كانوا يسكنون على أطرافها: الحيرة، وبلاد الشام، وكانت بعض القبائل العربية تدين بالنصرانية، إلا أنهم ما كانوا يعرفون منها غير شرب الخمر، على حد تعبيرهم...

أما اليهود... فقد كانوا أولاً هم حكام يثرب، بعد أن قدموها من بلاد فلسطين، فراراً من الاضطهاد الذي حاق بهم، ثم قدمها الأوس والخزرج القحطانيون من اليمن، وتغلبوا عليها، وحصروا اليهود— وهم ثلاث قبائل:

(١) البحار ج ١٥ ص ٢٣١.

(٢) راجع: سيرة مغلطاي ص ٧.

(٣) الثقات، لابن حبان ج ١ ص ٩٠.

فصل ٣ بحوث تسبق السيرة ١٧٥
بنوالنضير، وقينقاع، وقریظة— في مناطق معينة في المدينة و اطرافها،
وكانوا يسكنون فدكا وتيأ أيضاً...

و يذكر هيكل: أنه كان يحظر على اليهود و النصارى سكنى مكة، إلا
أن يكون أجيراً لا يتحدث بشيء من امر دينه و من أمر كتابه. ثم يستثنى في
موضع آخر: العبيد منهم (١)... ولكننا نجد: أنه كان يسكنها المنتصرة
من العرب كورقة بن نوفل و اضرابه، و على كل حال... فان هذا الامر
لا يهمننا تحقيقه كثيراً...

اهل الكتاب و هيمنتهم العلمية على العرب:

وما يهمننا هنا: هو الاشارة إلى أن العرب كانوا ينظرون إلى أهل
الكتاب نظر التلميذ إلى معلمه، و يعتبرونهم مصدر الثقافة و المعرفة لهم...
حتى إننا لنجد في التاريخ: أن العربي كان إذا أراد الاسلام يستشير حبراً،
أوراهبياً في ذلك... بل نجد قبيلة بكاملها تذهب إلى يهود فدك و تسألهم عن
رسول الله، بعد أن عرض دعوته عليهم (٢)

و يعرض الاسلام على كندة؛ فيأبونه؛ فيستدل بعضهم على صدقه
بأن اليهود قد قالوا: إنه سوف يظهر نبي من الحرم قد أظل زمانه (٣).

واسلام أهل المدينة كان في مبدئه مستنداً إلى نظير هذه الحجة،
كما أشرنا، و سنشير إليه ان شاء الله تعالى...

وقد اسلم و فد أهل الخيرة، و كعب بن عدي... فلما توفي صلى الله
عليه وآله وسلم ارتابوا؛ فثبت كعب على الاسلام، قال: ثم خرجت
أريد المدينة، فررت براهب كنا لانقطع أمراً دونه (٤)... إلى آخر كلامه،

(١) راجع: حياة محمد، لمحمد حسين هيكل ص ٦٥ و ٦٦

(٢) راجع: البداية و النهاية ج ٣ ص ١٤٥، و دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٠٢.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٠٣.

(٤) الاصابة ج ٣ ص ٢٩٨ عن البغوي، وابن شاهين، وابن السكن، وابن يونس في تاريخ مصر،
و أبي نعيم.

الذي ذكر فيه حصول اليقين له، بسبب كلام الراهب...

وليلاحظ بدقة قوله: «كنا لا نقطع أمراً دونه»!

وأيضاً... فقد تقدم و سياتي: أن أبا سفيان قد سأل كعب بن الاشرف عن: أي الدينين أرضى الله تعالى، دينه أم دين محمد...

وقالت قریش لبعض يهود بنى النضير، وهم: سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، حين ذهبوا إلى مكة ليحرضوا الاحزاب على حرب المسلمين، قالت لهم قریش: «يامعشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد؛ أفد ينناخير أم دينه، قالوا: بل دينكم خير من دينه، وانتم أولى بالحق منه. فلما قالوا ذلك لقریش سرهم، ونشطوا لادعوتهم إليه الخ...» (١)

ونحن... وإن كنا نعلم أن زعماء قریش كانوا يعلمون الحق، ولكنهم يكتُمونه عناداً واستكباراً لقوله تعالى: وجحدوا بها واستيقنوا أنفسهم. ولكن الذي يلفت نظرنا هو هذا الاستغلال لنفوذ اليهود، وهيمنتهم العلمية، واعتبارهم مصدراً للمعارف الدينية... وبالمناسبة فإن التاريخ يعيد نفسه، فإن نظرة المسلمين إلى الاوروبيين الآن تشبه تماماً، ما كانت عليه في الجاهلية

وأخيراً... فقد قال الحلبي وابن هشام: «لا يخفى: أن كفار قریش بعثوا النضر بن الحرث، وعقبة بن أبي معيط، إلى احبار يهود بالمدينة. و قالوا لهما: اسألاه عن محمد، و صفاهم صفته، وأخبراهم بقوله؛ فانهم أهل الكتاب الأول» (٢) ثم ذكر ماجرى بينهم و بين اليهود، ثم ماجرى لهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة...

والخلاصة: أن اخبارات أهل الكتاب تلك قد غرست في ذهن العربي: أن نبياً سوف يخرج من منطقته، مما سهل عليه قبول دعوته صلى الله

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٥/٢٢٦.

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣١٠، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢١.

عليه وآله وسلم، والاذعان للحق الذي جاء به؛ لأن العرب - باستثناء الطواغيت منهم - لصفاء وسلامة طباعهم، وبراءة نفوسهم، كانوا يتقبلون الحق، ويدعون له. وقبليتهم وعاداتهم إنما كانت تمنع فقط من انقياد بعضهم لبعض، بسبب غلظتهم، وانفتهم، وبعد همهم. ولكنه لم يكن يمنعهم من قبول الحق، والاذعان لارادة السماء (١).

٦- الفراغ العقائدي والسياسي:

ألف: الفراغ العقائدي

لقد كان العرب يعانون من فراغ عقائدي هائل، عبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله المتقدم: «بعثه والناس ضلال في حيرة، وحاطبون في فتنة، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل»

ويكفي أن نذكر: انهم حتى عبادتهم للاصنام كانت ملوثة باللون القبلي، فلكل قبيلة بل لكل بيت وثن، وطريقة... وكثيراً ما كانت دوافعهم إلى عبادة تلك الاصنام عاطفية، بعيدة عن اساليب التبرير العقلي، والمنطقي، فالارتباط بهذا الصنم إنما هو لأن هذا الصنم مرتبط بتاريخ أبيه أو جدّه... فالعربي يعتز بنسبه بحسب طبعه، وبما يتنسب إليه، قال تعالى حكاية لذلك عنهم: «بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وانا على آثارهم مهتدون (٢)».

ومما يدل على أن عبادتهم للاصنام لم تكن عن تعقل وقناعة... هو أن الذين كانوا يرجعون إلى فطرتهم، وإلى عقولهم سرعان ما يدركون منافرتها للفترة ولأحكام العقل السليم، ويرغبون بالخروج من هذا الجو، ولذلك نجد المؤرخين يذكرون أن عبدالمطلب قد رفض عبادة الاوثان، كما ويذكرون أن ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبيدالله

بن جحش قد تبرموا من عبادة الاوثان، و عبروا عن ضعف ثقتهم فيها، فاجتمعوا وتشاوروا وافتنصر الاولان، وبقي الآخرون في حيرتهم وشكهم (١)

باء: الفراغ السياسي: فإن أرض العربي القاحلة، والجو الحار الذي تتميز به، وحياتهم المتنقلة من مكان إلى مكان، وقدرتهم على تحمل المشاق. قد جعل السيطرة عليهم شبه مستحيلة حسبنا قدمنا... بل جعلهم بحسب طبيعة ظروفهم الحياتية قادرين على توجيه الضربات القاصمة لكل دخيل، وجعله في رعب دائم، وخوف مستمر... الأمر، الذي اسهم بشكل فعال في ابعاد أطماع المستعمرين عن منطقتهم، مع قناعة المستعمر بأنه سوف لا يجني الكثير من النفع، في مقابل الكثير من الضرر الذي سوف يتعرض له... ولا سيما مع علمه بأن حب الحرية والاستقلال مغروس في دم العربي، وفي روحه، و في اعماق أعماقه، ولا يتنازل عن ذلك بأي ثمن كان.

فكل ذلك قد جعل المنطقة في فراغ سياسي محسوس، بل إن شمالي الجزيرة العربية لم يتعرض لأي حكم أجنبي أصلاً نعم قد تعرض جنوبها و هوالين لسلطة الاحباش لفترة قصيرة (٢)

وهذا الفراغ السياسي قد جعلها بعيدة عن نفوذ الأديان الكبرى بشكل فعال، ولو بفرض من السلطة الحاكمة، كالنصرانية والزرادشتية و حتى عن التاثر باليهودية التي كانت تعيش بينهم و معهم... و بعيدة عن الشبهات و الافكار الاستعمارية الغربية والدخيلة بأي نحو... وإن كان قد تسرب إليها بعض اليهود فراراً من الرومان، ولكن لم يكن لهم أي نشاط ديني، أو لعله كان، ولكنه لم يثمر، إذ لم يكن ثمة سلطة تدعمه سياسياً و اعلامياً، ولذلك فقد قدمنا: أنهم يذكرون أن نصارى بعض القبائل ما كانوا يعرفون من النصرانية سوى شرب الخمر... و ما ذلك إلا لأن النصرانية بعيدة عن عقل و فطرة الانسان، ولا تستطيع أن تتصل بروحه، و وجدانه لتفرض هيمنتها على أفعاله، وسلوكه... أما الاسلام، دين الفطرة، الذي استطاع

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٣٧-٢٣٨ و حياة محمد لهيكل ص ٨٩، وغير ذلك...

(٢) راجع: مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير علي ص ٨.

بفترة وجيزة أن يصنع أمثال أبي ذر وعمار وسلمان... فانه يتصل أولاً بعقل الانسان، ثم بروحه وجدانه، حتى يحوله إلى انسان إلهي... وقد استطاع أن يجعل من هؤلاء المتوحشين إلى الامس القريب، والذين لا يلتزمون بنظام، لا يحكمهم قانون... اكثر الامم اتباعاً للنظم، واشدها إيماناً و اخلاصاً للقانون الالهي... كما ويلاحظ أن من رباهم النبي والائمة في فترات وجيزة جداً، مع محدودية إمكاناتهم لم تستطع الحكومات الاخرى، حتى التي تنسب نفسها إلى الاسلام أن تأتي بأمثالهم، رغم توفر كل الامكانيات لها... الأمر الذي يشير بوضوح إلى الدور الكبير الذي يضطلع به القائد والحاكم الحق في تربية المجتمع، وفي تزكيته...

وخلاصة الأمر: إن صفاء نفوس العرب، وعدم تلوثها بالافكار، والانحرافات والشبهات الغريبة عن الفطرة... بالاضافة إلى الفراغ العقائدي، وعدم معقولية شركهم، وعبادتهم للاوثنان... واستعداد العربي إذا اتضح له الحق لأن يقبل ويؤمن به— وأيضاً الحالة الاجتماعية السيئة التي كانوا يعانون منها— كل ذلك قد اسهم اسهاماً كبيراً في نشر الدعوة الاسلامية، و قبولها؛ ولذلك ترى أن كثيراً منهم كانوا يسلمون بمجرد سماعهم كلامه صلى الله عليه وآله وسلم، و يطلعوا على اصول دعوته واهدافها، أو بمجرد ان يتلو عليهم القرآن، و إذا مارأينا ساداتهم و كبراءهم —عموماً— كانوا يجحدون بها، فليس ذلك لأنهم لم يجدوا فيها ما يقنعهم، بل لأنهم وجدوها تضر بمصالحهم الدنيوية، و تصدهم عن مطامعهم اللانسانية؛ فهم مصداق لقوله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم».

ولذلك... نلاحظ: أن الناس ما كانوا يتطلبون الاستدلال على التعاليم والافكار الدينية كثيراً، في أول الأمر؛ لأن صفاء نفوسهم، و سلامة فطرتهم، و عدم ارباكها وارهاقها بالافكار، والفلسفات، والشبهات كان كافياً لادراك حقاينة الدعوة، وسلامة افكارها... و كانت الآيات انما تحاول إرجاعهم إلى الفطرة و دعوتهم إلى التفكير، و التعقل... ولكن... بعد أن دخلت الفلسفات و الافكار الغريبة، والشبهات المغرضة، إلى فكر و عقل هذا الانسان، و حجبت فطرته، و أربكت تفكيره و أرهقت عقله، صار الناس

يحتاجون اكثر فأكثر إلى الادلة، و يتطلبونها من الائمة، بحسب نسبة تلوث فطرتهم بالشبهات والافكار الغريبة...

٧- الحياة الصعبة... والتضحية بالنفس:

لقد كانت بدائية العرب، و حياتهم الصعبة، التي يعانون منها، قد جعلتهم اكثر اقداماً على التضحية في سبيل الدعوة التي يؤمنون بها عن قناعة وجدانية راسخة، و يتفاعلون معها تفاعلاً روحياً خالصاً...

وذلك لأنهم لم ينعموا بحياة النعيم والرفاهية، التي لاتعب فيها ولانصب، ولاآلام؛ ليصبح لهم تعلق شديد بالحياة وحب، بل وعشق لها... فان من الملاحظ: أنه كلما كانت الحياة رحية ناعمة مرفهة، ازداد تعلق الانسان بها، و حبه لها. و كلما كان العكس، سهل عليه تركها، والتخلي عنها...

كما أن الدعوة التي سوف يتعرض أفرادها لمختلف أنواع الضغوط النفسية، والاقتصادية، والاجتماعية واقساها... لبجاجة ماسة إلى جماعة قادرين على مواجهة تلك الضغوط، و تحمل تلك الآلام، والصبر على التعذيب، والجوع والاضطهاد، بمختلف انواعه...

وقد كان العرب- عموماً- كذلك؛ لأنهم قد عانوا من مشاق الحياة والطبيعة ما عانوا. وأصبحت الآلام والمتاعب والمصاعب هي الصفة المميزة لحياتهم بل هي خبزهم اليومي وغير ذلك هو الاستثناء. فهم أقدر على تحمل ما ينتظر أتباع هذه الدعوة من غيرهم، لأن المنعمين لا يستطيعون عادة تحمل المشاق، ومواجهة الصعوبات فان الشجرة البرية اصلب عوداً وأبطأ خموداً؛ ولذلك نجد: أن بعض المسلمين كانوا يودون لو يجعلون امتيازاً لأحدهم، وهو ابن عمير- لأنه كان منعماً قبل أن يسلم، وحينما أسلم تعرض للمشاق والآلام... فذلك جعلهم يشعرون بأنه قد تحمل من المصاعب والآلام ما يوجب الرثاء والرحمة له... وما ذلك إلا إنطلاقاً من الناحية التي اشرنا إليها آنفاً...

٨- بقايا الحنيفية في العرب:

و بعد... فان مما ساعد على ذلك ... وجود بقايا الحنيفية - دين ابراهيم كالحج و آدابه - في الجزيرة العربية، و في مكة بالذات؛ لأن العرب، و هم أولاد اسماعيل، قد توارثوا عنه الدين الحق... و لكنهم على مرالسنين بدؤوا يخلطون هذا الحق بكثير من الباطل، شأن سائر الأمم، عندما يغشاها الجهل، و تستبدبها الاهواء، و الانحرافات...

ثم تسرب إليهم الشرك، و عبادة الاوثان، حسباً قدمنا... ثم الكثير من الامور الباطلة، و الاخلاق الذميمة، و الفواحش، حتى اصبحوا في الجاهلية العمياء، و حتى أدى بهم الامر الى الحالة التي وصفها لنا أمير المؤمنين عليه السلام فيما تقدم... غير أن بقية منهم - و ان كانت قليلة جداً - قد بقيت متمسكة بعقيدة التوحيد، و ترفض عبادة الاوثان. و تعبد الله على حسب ما تراه مناسباً، و قريباً إلى تعاليم دين ابراهيم، و من هؤلاء عبد المطلب، و أضرابه، من رجالات بني هاشم الأبرار...

و كان من بقايا الحنيفية تعظيم البيت، و الطواف به، و الوقوف بعرفة، و التلبية (١) و هدي البدن، و ان كانوا يطبقون ذلك مشوهاً و ممسوخاً، و يقحمون فيه ما ليس منه... و كانت هذه المعالم تضعف رويداً رويداً، مع الزمن، حتى لم يبق منها إلا الاسماء، و الرسوم الشوهاء.

و اذن... فقد كان ثمة ذكريات بعيدة في ضمير و وجدان الانسان العربي، تربطه بالحنيفية السهلة السمحاء، دين آبائه و أجداده - وهو الذي يعتز بالانساب و صفاتها، بحكم ما يتعرض له من الغزو و السبي - و اذا كان النبي صلى الله عليه و آله قد بعث ليتمها... فمن الطبيعي أن يكون لهذه الذكريات أثر في نظرة كثير من الناس إليه، و الى ما جاء به بإيجابية و واقعية...

(١) ذكر اليعقوبي في تاريخه ج ١ ص ٢٥٤-٢٥٧ ط صادر تلبيات كل قبيلة، و أعطى نبذة عن شعائرهم في مكة، فن اراد فليراجع...

٩- الخصائص و العادات العربية:

ولقد كان لبعض الخصائص، والاخلاق، والعادات العربية، اثر كبير في نشر دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، التي هي دعوة الحق والخير و شموها... و إن كان الاسلام الذي استفاد من تلك الخصائص والعادات والأخلاق... قد حاول إلى جانب ذلك تركيزها من حيث المنطلقات والأهداف على أسس صحيحة ومقبولة... وأما إن كانت مرفوضة إسلامياً، فانه— و إن كانت قد أفادته تلقائياً، و من دون أن يتطلب هو ذلك— كان يحاول القضاء عليها، واستئصالها، بالحكمة والموعظة الحسنة، كلما سنحت له الفرصة، و واتاه الظرف...

فمثلاً: لقد استفاد الاسلام كثيراً من شجاعة العربي، واستهانته بالصعاب، في الدفاع عن الاسلام.

وأيضاً... فقد كان للتعصب القبلي بعض الفوائد الهامة،... أما بعد الهجرة الى المدينة؛ فقد كان الأوس والخزرج: «يتصاولان مع رسول الله (ص) تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله (ص) غناء الإقالت الخزرج: والله، لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله (ص) في الاسلام؛ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. قال: و إذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك (١)».

و أما قبل الهجرة في مكة، فقد كان للقبلية اثر كبير في منع قريش وغيرها مدة طويلة من المضايقات للكثير من اعتنقوا الاسلام... ثم من محاولة الاعتداء على حياته (ص)، أو على حياة اكثر المسلمين آنذاك... و إن كانت تواجههم بالمضايقات أحياناً، و أحياناً بالتعذيب القاسي، إن لم يكن لهم عشيرة يهرب جانبها، حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة...

(١) تاريخ الطبري ط الاستقامة ج ٢ ص ١٨٤، وراجع الكامل لابن الاثير ط صادر ج ٢

ولذلك نلاحظ: أن أباطالب قد استفاد كثيراً من العامل القبلي، حتى إن بني هاشم مسلمهم وكافرهم قد قبلوا بمحاصرة قریش لهم في شعب أبي طالب.. وتجذب في شعر أبي طالب الكثير من التأكيد على عامل القرابة بين بني هاشم وطوائف من قریش... الأمر الذي كان له أثر كبير في حفظ حياته (ص) من كيد أعدائه كما قلنا...

بل إننا نجد المشركين حتى في عدائهم له (ص)، وحتى حينما تأمروا عليه ليقتلوه— وكان ذلك هو سبب هجرته صلى الله عليه وآله وسلم— قد أخذوا بعين الاعتبار العلاقات القبلية، وردّات الفعل التي سوف تنجم عنها كما سنرى إن شاء الله تعالى...

وفي المدينة ايضاً... قد كان ثمة أثر كبير لكرم ضيافة العربي، ولوفائه بالعهد والذمار، ولحسن الجوار، ولحريته، وحميته، وانفته وعزته، واعتداده بنفسه وقوة إرادته، وللشجاعة، والاقدام، وحتى لصفات القوة والغلظة، التي ولدتها فيهم حياة الغزو والحرب، وجعلتهم قادرين على التخلي عن العواطف في سبيل دينهم وعقيدتهم، حتى لقد كانوا يقتلون أبناءهم، وآباءهم، و اخوانهم...

١٠- دورابي طالب و علي (ع) و اموال خديجة (ع):

ثم إننا لا يجب أن ننسى الدور الذي اضطلع به الرجل العظيم، أبوطالب شيخ الابطح عليه السلام، الذي وفر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حمايته المطلقة من كل أعدائه ومناوئيه...

ثم هنالك العامل الاقتصادي الذي وفرته له زوجته أم المؤمنين خديجة صلوات الله و سلامه عليها، و التي كانت تمتلك — حسبما يرى البعض— عصب الاقتصاد في الجزيرة العربية كلها...

وقد أنفق صلى الله عليه وآله وسلم كل تلك الأموال على المسلمين، في الظروف الحرجة التي واجهوها، إبان اضطرهاد قریش وحصارها الاقتصادي لهم...

ومما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتولى الانفاق على المسلمين، قول أسماء بنت عميس لعمر، حين عيرها بأنه سبقها بالهجرة، وانها حبشية حجرية— على ما نقل عن صحيح مسلم وغيره— قالت له—:

«كنتم مع النبي (ص) يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم (١)».

وأخيراً... فلا يجب أن ننسى دور وصي وأخي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أمير المؤمنين عليه السلام، حسبما سيظهر ان شاء الله— ولو بنحو محدود— في مطاوي هذه السيرة العطرة...

نعم... لقد كان لكل ذلك دورهام في حفظ الدعوة، وانتصارها، وانتشارها... كما لا يخفى على الناقد البصير، والمتتبع الخبير...

وثمة أسباب أخرى قد ساعدت على ظهور الاسلام، وانتشاره، وانتصاره، يمكن استجلاء بعضها من مطاوي التاريخ الاسلامي.

ونحن نكتفي هنا بهذا القدر؛ لنوفر الفرصة لعرض حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة، بشكل موجز وواضح قدر الامكان...

تنبه هام وضروري

إن كل ما ذكرناه آنفاً لا يعني: أن ظهور الاسلام، وانتشاره في الجزيرة العربية كان أمراً طبيعياً... بحيث إنه لوتوفرت هذه العوامل لأي دعوة أخرى، فانها تستطيع أن تحقق نفس النتائج التي حققها الاسلام...

بل الامر على العكس من ذلك تماماً، فان ظهور الاسلام، وانتصاره في هذه المنطقة هو بذاته معجزة له، ودليل على حقانية الاسلام؛ وذلك لأن اليهودية قد كانت موجودة، وكانت هذه الظروف أيضاً موجودة، ولكنها لم تستطع أن تؤثر أثراً يذكر في عقلية العربي، ولا في سلوكه، وتصرفاته (٢)...

(١)— قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٨٠، وستأتي بعض المصادر لذلك إن شاء الله تعالى.

(٢)— وإن كان دين اليهود مقصوراً، ولا يتعداهم إلى غيرهم من الأممين.

وكذلك الحال بالنسبة للنصرانية، التي كانت تهتم في تنصير كل من تقدر على تنصيره... ثم هناك الزرادشتية وغيرها من الأديان.

وهذا معناه: أن لنفس المبدأ، والرسالة، والقائد دور هام جداً، بل والدور الأول والاساس في عملية التغيير وفي النجاح وفي استمراره... وبدون ذلك... فإن كل نجاح— لو كان— لسوف يكون محدوداً جداً، ولظروف معينة، ولسوف ينتهي بمجرد انتهاء تلك الظروف...

وقد رأينا الاسلام يزداد قوة وفعالية على مر الزمن، وفي مختلف الظروف والأحوال، ولم يؤثر فقدان تلك الظروف والعوامل، ولا تحولها وتقلبها في الاسلام، ولا في فعاليته، إن لم نقل: إنه قد زاد في ذلك بشكل ظاهر...

والذي يفسر لنا هذه الظاهرة، هو ما ذكرناه آنفاً من أن الاسلام يستطيع أن يستوعب طاقات الانسان، ويحوّلها ويطورها في مصلحة الرسالة والحق... كما أنه يستطيع أن يتلائم مع الظروف المختلفة، فهو يملك لكل داء دواء، ولكل مشكلة حلاً، ولكل ظرف ما يناسبه، على عكس غيره من الدعوات الجامدة، والمحدودة...

ولذلك... فإن الاسلام عند ما نجح في الجزيرة العربية، وإن كان قد استفاد من بعض الظروف، وحول وطور الأوضاع السائدة في صالحه... إلا أنه كان في نفس الوقت لا يجد في المنطقة التي ظهر فيها الكثير من المميزات الهامة التي من شأنها أن تساعد في مهمته. ولولاها فإن أي دعوة أخرى لا تستطيع أن تنجح... ولكن فقدتها لم يؤثر على الاسلام، كما أن امتلاك أعدائه لها لم يؤثر عليه أيضاً...

وهذا أحد أسرار عظمة الاسلام وسموه... وفقنا الله للعجل في سبيله، والاهتداء بهديه، إنه ولي قدير...

الباب الثاني

من البعثة إلى الاعلان بالدعوة

وفيه فصول:

الفصل الأول: البعثة...

الفصل الثاني: الدعوة في دور الخفاء...

الفصل الثالث: الاسراء والمعراج...

الفصل الأول

البعثة

عمر النبي صلى الله عليه وآله حين البعثة:

لقد بعث صلى الله عليه وآله وسلم بعد عام الفيل باربعين عاماً، أي حينما بلغ الاربعين من عمره الشريف، على قول أكثر أهل السير، والعلم بالأثر...

وقيل: بل كان عمره صلى الله عليه وآله اثنين، وقيل: ثلاثاً. وقيل خمساً واربعين سنة (١)...

وربما لا يكون بين هذه الأقوال منافاة إذا كان القائلون بها يأخذ بعضهم، وبعضهم الآخر لا يأخذ المرحلة السرية بنظر الاعتبار... والتي قد اختلف في مقدارها من ثلاث إلى خمس سنوات (٢) وغير ذلك من وجوه الاختلاف. أو لعل بعضهم لم يكن يرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسل في تلك الفترة إلى الناس كافة، أو كان مكلفاً بدعوة الاقربين فقط...

(١) - راجع: سيرة مغلطاي ص ١٤، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٢٤، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٢ و ٤٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤، وفي الطبري ج ٢ ص ٤٢ رواية تفيد: إن عمره (ص) كان حينئذ عشرين سنة، وهي رواية لا يرتاب أحد في بطلانها...

(٢) - البحار ج ١٨ ص ١٧٧ و ١٩٤ عن اكمال الدين ص ١٩٧ والتمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٨٢/٨١ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٠، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٣.

كما أن ذلك لعله هو سبب الاختلاف الظاهري في مدة بقاء النبي صلى الله عليه وآله في مكة داعياً إلى الله فيها قبل الهجرة، حيث قال بعضهم انه: (ص) بقى عشر سنين... وقال آخرون: ثلاثة عشر سنة...

البعثة في رجب أو في شهر رمضان، وكيفية نزول القرآن:

والمروي عن أهل البيت عليهم السلام— وأهل البيت أدري بما فيه وأقرب الى معرفة شؤون النبي (ص) الخاصة—: أن بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت في السابع والعشرين من شهر رجب... وهذا هو المشهور بل ادعى المجلسي الاجماع عليه عند الشيعة، وروي عن غيرهم أيضاً. (١) وقيل: انه (ص) بعث في شهر رمضان المبارك، واختلفوا في أي يوم منه (٢). وقيل بعث في شهر ربيع الاول، واختلف أيضاً في أي يوم منه (٣).

واستدل القائلون بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث في شهر رمضان المبارك، وليس في رجب بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما بعث بالقرآن، والقرآن قد أنزل في شهر رمضان، قال تعالى: إنا أنزلناه في ليلة القدر (٤)، وقال: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٥)...

ثم إن هنا اشكال لا بد من الإشارة اليه... وحاصله: أن الآيتين المتقدمتين، وإن كانتا تدلان على نزول القرآن دفعة واحدة على أحد الاحتمالين في معنى الآيتين، إلا أن قوله تعالى: «وقرآنًا فرقناه، لتقرأه

(١)— راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣٨ عن ابي هريرة، وسيرة مغلطي ص ١٤ عن كتاب العتقي عن الحسين، ومنتهى كنز العمال هامش مسند احمد ج ٣ ص ٣٦٢، ومناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٣ والبحارج ١٨ ص ٢٠٤ و ١٩٠.

(٢)— راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٦، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٣/٢٢ ط صادر البداية والنهاية ج ٣ ص ٦.

(٣)— المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٩، وسيرة مغلطي ص ١٤، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٢ والتبيين والاشراف ص ١٩٨، ومروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣٨.

(٤)— سورة القدر ١ (٥) — سورة البقرة ١٨٥.

على الناس على مكث، ونزلناه تنزيلاً (١)» يدل على نزول القرآن متفرقاً؛ لأنه عبر فيها بـ «نزل»، الدال على النزول التدريجي، وفيما تقدم عبر بأنزل، الدال على النزول الدفعي بالإضافة إلى أنه يقول فيها: «فرقناه لتقرأه على الناس على مكث». وبالإضافة إلى قوله تعالى: «وقال الذين كفروا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (٢)»...

وأيضاً... يجب أن لا ننسى هنا: أن بعض الآيات مرتبط بموادث آنية، مقيدة بالزمان، كقوله تعالى: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها (٣)» وكاعتراض الكفار الآنف وغير ذلك... هذا كله عدا عن أن التاريخ المتواتر يشهد بأن نزول القرآن كان تدريجياً، في مدة ثلاث وعشرين سنة، هي مدة الدعوة...

وقد اجيب عن اشكال التنافي بين ما دل على النزول الدفعي، والنزول التدريجي؛ بأن النزول الدفعي كان إلى البيت المعمور؛ حسبما نطق به الروايات الكثيرة، ثم صار ينزل تدريجياً على الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله (٤).

و إذن... فليكن نزوله التدريجي قد بدأ في السابع والعشرين من رجب، ولا يبقى ثمة منافاة.

وجواب آخر، يعتمد على القول بأن القرآن قد نزل أولاً دفعة واحدة على قلب النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه لم يؤمر بتبليغه، ثم صار ينزل تدريجياً بحسب المناسبات. وربما يستأنس لهذا الرأي ببعض الشواهد التي لاجمال لها (٥).

(١) - الاسراء ١٠٦ (٢) - الفرقان ٣٢.

(٣) - المجادلة ١.

(٤) - راجع: تفسير الميزان ج ٢ ص ١٥.

(٥) - راجع: تفسير الميزان ج ٢ ص ١٨ و تفسير الصافي ج ١ المقدمة التاسعة، وتاريخ القرآن

للزنجاني ص ١٠.

ورأي ثالث يقول: إن بدء نزول القرآن كان بعد البعثة بثلاث سنوات، أي بعد انتهاء الفترة السرية للدعوة، كما ورد في عدد من الروايات، ونص عليه بعضهم (١) وعلى هذا فلا يبقى تناف بين بعثته صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رجب، وبين نزول القرآن في شهر رمضان المبارك (٢).

أما نحن، فنقول:

أولاً: إن تتبع الآيات القرآنية يعطي عدم ثبوت الفرق المذكورين: «الانزال» و«التنزيل» فثلاً قد ورد في القرآن قوله تعالى: «ولن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه (٣)».

كما ويلاحظ: أنه يستعمل كلمة «نزل» تارة، وكلمة «انزل» «من السماء ماء طهوراً»...

ومثل ذلك كثير، لا مجال لنا لتتبعه فعلاً... وكل ذلك يدل على عدم صحة هذا الفرق بين هاتين الصيغتين وقد اشار الى هذا الجواب بعض المحققين وقال: ولو صح هذا الفرق بين الانزال والتنزيل لكان قوله تعالى: وقالوا لولانزل عليه القرآن جملة واحدة غلطاً، إذ لا يمكن الجمع بين التنزيل التدريجي وبين جملة واحدة...

وثانياً: قولهم: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث بالقرآن، غير مسلم... ولتكن الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، والقائلة بأنه صلى الله عليه وآله قد بعث في شهر رجب موجبة لو هن قولهم هذا.

وثالثاً: روايات نزول القرآن إلى البيت المعمور لا مجال لاثباتها من طرق أهل البيت عليهم السلام. ولا إلى الاطمينان إلى صحتها، كما ذكره

(١) - راجع: التمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٨٢/٨٣ عن الكافي ج ٢ ص ٤٦٠، وتفسير العياشي ج ١ ص ٨٠ والاعتقادات للصدوق ص ١٠١، والبحار ج ١٨ ص ٢٥٣، ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦١٠ والاتقان ج ١ ص ٣٩ وتفسير شبر ص ٣٥٠، والبداهة والنهاية ج ٣ ص ٤، واليعقوبي ج ٢ ص ٣٤.

(٢) - التمهيد ج ١ ص ٨١ و٨٣.

(٣) - الاسراء ٩٣

وأما نزول القرآن أولاً دفعة واحدة على قلبه صلى الله عليه وآله... فإن اثباته مشكل، ولا يمكن المصير إليه الا بجملة...

رابعاً: حديث نزول القرآن بعد البعثة بثلاث سنوات، استناداً إلى ماورد من أن القرآن قد نزل خلال عشرين سنة، لا يمكن الاطمينان إليه، إذ يمكن أن يكون ذلك قد جاء على نحو التقريب والتسامح، ولم يرد في مقام التحديد الدقيق... ومن عادة الناس: أن يلقوا الزائد القليل، أو أن يضيفوه في إخباراتهم، وليس في ذلك اخبار بخلاف الواقع؛ لأن المقصود هو الاخبار بما هو قريب من الحد، لا بالحد نفسه، مع إدراك السامع لذلك، والتفاتة إليه...

والنتيجة هي: أنه لا مانع من أن يكون قد بعث صلى الله عليه وآله وسلم، وصار نبياً في شهر رجب، كما أخبر به أهل البيت عليهم السلام. وهى ليتلقى الوحي القرآني... «إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» (٢). ثم بدأ نزول القرآن عليه تدريجاً في شهر رمضان المبارك...

ولربما يؤيد ذلك ماورد: من أن الملك كان يترائى له صلى الله عليه وآله وسلم، قبل أن ينزل عليه القرآن (٣)...

ويرى المحقق البهائي، السيد مهدي الروحاني حفظه الله: أنه يمكن الجمع بين الآيات، بأن يقال:

إن شروع نزول القرآن كان في ليلة مباركة، هي ليلة القدر، من شهر رمضان، «إنا أنزلناه في ليلة القدر» «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن». وكان أول ما نزل حسب روايات أهل البيت

(١) - تصحيح الاعتقاد ص ٥٨.

(٢) - المزمل ٥

(٣) - التمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٨٣ ويحتمل أيضاً: أن يكون القرآن قد نزل في شهر رمضان في ليلة القدر دفعة، لكنه لم يؤمر بتبليغه، ثم صار ينزل عليه تدريجاً لأجل التبليغ في المناسبات المقتضية لذلك...

عليهم السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم: اقرأ بسم ربك الذي خلق»...

والاستدلال بهذه الآيات: على أن القرآن نزل أولاً دفعة إلى البيت المعمور وأعلى قلب النبي، ثم صار ينزل تدريجاً في مدة عشرين، أو ثلاث وعشرين سنة وذلك اعتماداً على قرينة الحال، حيث إن المسلمين يرون نزوله تدريجاً...

غير صحيح، لأن من الممكن أن يكون المراد بالانزال والتنزيل واحداً وهو بدء النزول، فانه إذا شرع نزول المطرف في اليوم الفلاني، واستمر لعدة أيام، فيصح أن يقال مثلاً: سافرت يوم أمطرت السماء، أي في اليوم الأول من بدء نزوله... وكذلك الحال بالنسبة للقرآن؛ فانه إذا بدأ نزوله في شهر رمضان، في ليلة القدر، فيصح أن يقال: نزل القرآن في شهر رمضان، ويكون المرادانه قد بدأ نزوله التدريجي، وقوله تعالى: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن محتف بقرينة حالية يعلمها كل أحد، وهو نزول خصوص أول سورة «اقرأ» واستمر ينزل تدريجاً بعد ذلك... وهذا كما صح أن يقال: «كما أنزلناه من السماء»، مع أن المطر ينزل تدريجاً... وما ذلك إلا لأهمية ذلك اليوم وخطره، وكل حادث خطير له امتداد زمني، إنما يسجل يوم شروعه، فإذا قيل مثلاً: متى كانت دولة العباسيين، فسيكون الجواب بذكر سنة التأسيس...

وأما حديث البخاري في بدء الوحي والదال على اقتران نزول القرآن بالنبوة فسياتي أنه باطل لا يصح

ونزيد نحن: أنه قديمكن تقريب ذلك : بأن قوله تعالى: «انزل فيه القرآن» إنما هو حكاية عن امر سابق، ولا يشمل هذا الكلام الحاكي له الا بضرب من العناية والتجوز، ولا الذي يأتي بعده، و إلا لجاء التعبير بصيغة المضارع، أو الوصف فانه يكون حينئذ هو الاوفق(١).

ولعل ابن شهر اشوب كان ينظر الى هذا حين قال في متشابهات القرآن: «والصحيح: أن القرآن في هذا الوضع لا يفيد العموم، وإنما يفيد

الجنس، فأى شئ نزل فيه؛ فقد طابق الظاهر» (١).

بدء الوحي وأول ما أنزل عليه (ص):

لقد كان بدء الوحي في غار حراء، وه جبل على ثلاثة أميال من مكة، ويقال: هو جبل فاران، الذي ورد ذكره في التوراة إلا ان الظاهر هو أن فاران اسم لجبال مكة، كما صرح به ياقوت الحموي، حسبما تقدم، لا لخصوص حراء.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتعبد في حراء هذا، على النحو الذي ثبتت له مشروعيته، وكان قبل ذلك يتعبد فيه عبدالمطلب...

وأول ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم هو قوله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ بسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق إله (٢)». وهذا هو المروي عن أهل البيت عليهم السلام. وروي أيضاً عن غيرهم بكثرة. ويدل عليه أيضاً سياق الآيات المذكورة...

وربما يقال: إن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم هو فاتحة الكتاب، ولا سيما بملاحظة: أنه (ص) قد صلى في اليوم الثاني، هو (ص)، وعلى عليه السلام، وخديجة (ع)، حسبما ورد في الروايات.

ولكن من الواضح: أن ذلك لا يثبت شيئاً؛ اذ يمكن أن تنزل بعد سورة إقرأ، بلا فصل، ثم يصلي ويقرأها في صلاته كما أن من الممكن أن تكون صلاتهم آنئذٍ غير مشتملة على فاتحة الكتاب، ثم وجبت بعد ذلك وان كان لم يذكر أحد ذلك... هذا كله عدا عن أنهم يروون أن سورة الفاتحة قد نزلت بعد المدثر...

هذا... وثمة قول آخر... وهو أن أول ما نزل، هو سورة المدثر (٣)... وسيأتي الإشارة إلى أنها قد نزلت بعد المرحلة السرية كما أنهم يروون روايات

(١) - التمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٨٥.

(٢) - سورة العلق ١ - ٢ وراجع تفسير البرهان.

(٣) - الاتقان ج ١ ص ٢٣، والبخاري، وغيره وستأتي الرواية...

عديدة تنافي قوهم هذا وليراجع الميزان ج ٢ ص ٢٢. وعلى كل حال... فان تحقيق هذا الأمر لا يهمننا كثيراً... فلا بد من توفير الفرصة للحديث عن الأهم فالأهم...

ولا بأس بأن نعطف الكلام هنا إلى الحديث عن معجزته، وهي القرآن، وسر إعجازه، فان ذلك ربما تكون له أهميته البالغة، لمن يريد أن يقرأ سيرة النبي (ص)، ويستفيد منها: عقيدة، وشرعية، وادبا، وسلوكاً... فنقول.

اعجاز القرآن:

لقد تحدى الله أعداء الاسلام بأن يأتيوا بمثل القرآن، فلما عجزوا تحداهم بأن يأتيوا بعشر سورٍ من مثل القرآن، فعجزوا عن ذلك أيضاً، ثم صعد تحديه لهم، وطلب منهم أن يأتيوا بسورة واحدة من مثله، فلو أنهم استطاعوا أن يأتيوا ولو بقدر سورة الكوثر، التي هي سطر واحد، لثبت بطلان هذا الدين الجديد من أساسه، مادام هو قد قبل بهذا التحدي مسبقاً، ولكانوا قد وفروا على أنفسهم الكثير من الويلات، التي أقدموا عليها باعلانهم الحرب على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والتي أدت إلى ازهاق النفوس الكثيرة، وهدر الطاقات العظيمة، وغير ذلك من مصائب وكوارث، انتهت بهزيمتهم، وانتصار الاسلام وقائده الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

فما هي تلك الخصيصة التي في القرآن، والتي جعلتهم يعجزون عن مجاراته، وحتى عن أن يأتيوا بسورة من مثله؟!!

بل ماهي تلك الخصيصة التي سوغت التحدي بالقرآن للإنس والجن معاً، من دون اختصاص بزمان دون زمان، قال تعالى: قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً(١).

ربما يقال: إنها اخباراته الغيبية الصادقة، سواء بالنسبة إلى الماضين

كقوله تعالى: «تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا (١)»... أو بالنسبة لتنبؤاته المستقبلية، كقوله تعالى: «ألم غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين (٢)»... وكاخباره بنتائج حرب بدر العظمى، وغير ذلك (٣).

وربما يقال: إنه لتضمن القرآن للمعارف العلمية، التي تنسجم مع العقل والبرهان. واخباراته عن سنن الكون، واسرار الخليقة، وأحوال النظام الكوني، وغير ذلك من أمور لا يمكن الوصول إليها إلا بالعلم والمعرفة الشاملة والواسعة... الأمر الذي لم يكن متوفراً في البيئة التي عاش فيها النبي (ص)، كقوله تعالى: وارسلنا الرياح لواقح، وغير ذلك من الآيات، التي تشير إلى دقائق وحقائق علمية، في مختلف العلوم والفنون.

وربما يقال: إنه معجز في نظامه التشريعي الذي جاء به... والذي لا يمكن لرجل عاش في بيئة كالبيئة التي عاش فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعانى من الظروف والاحوال الاجتماعية، ومستوى الثقافة في ذلك العصر... أن يأتي بمثل ذلك مهما كان عظيماً في فكره، وذكائه، وسعة أفقه...

ولربما نجد الإشارة إلى هذين الرايين في قوله تعالى: «قل لو شاء الله مآلوته عليكم، والا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله، أفلا تعقلون (٤)».

وأخيراً... فلربما يقال: إن اعجاز القرآن هوفي عدم وجود الاختلاف فيه، ولذلك ترى أنه قد تحداهم بذلك فقال: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (٥)»...

وثمة اشارات أخرى لجزئيات ربما يدخل أكثرها فيما قدمناه... ولعل فيما ذكرناه كفاية...

(١) — هود ٤٩ وليراجع أيضاً سورة يوسف ١٠٢ وسورة آل عمران ٤٤ وغير ذلك...

(٢) — اول سورة الروم...

(٣) — راجع: البيان للخوئي ص ٨١—٨٤.

(٤) — يونس ١٦. (٥) — النساء ٨١.

وثمة قول آخر... أكثر شيوعاً ومعروفية ولاسيا بين القدماء... وهو اعجاز القرآن في الفصاحة والبلاغة... وقد كتبوا في هذا الموضوع الشيء الكثير قديماً وحديثاً...

أما نحن فنقول: إن هذا الأخير هو السر الأعظم في اعجاز القرآن حقاً... وإن كان لغير ذلك من الجوانب نصيب وافر في هذا الاعجاز (١).
لما ذا الأخير فقط:

وأما لماذا... هذا الأخير فقط، دون سواه... فإن ذلك واضح؛ وباختصار نقول:

إنه إذا كان الرسول (ص) قد أرسل للناس كافة فلا بد وأن تكون معجزته بحيث يستطيع كل من واجهها: أن يدرك اعجازها، وأنها أمر خارق للعادة وأنها صادرة عن قدرة عليا، وقوة قاهرة، تهيمن على النواميس الطبيعية، وتقهرها... وإلا... فانه إذا جاء شخص مثلاً إلى بلد، وادعى أنه يعرف اللغة الفلانية، ولم يكن أحد في البلد يعرف شيئاً من تلك اللغة، ولا سمع بها، فانهم لا يستطيعون أن يحكموا بصدقه ولا بكذبه، إذ ليس لهم طريق لا ثبات هذا الصدق أو الكذب...

وأما إذا ادعى امرأ لهم خبرة فيه، واستطاعوا أن يتلمسوا فيه مواقع تجاوزه وخرقه للنواميس الطبيعية... فلا بد لهم من التسليم له والقبول بدعوته، لأن ذلك يكون قاطعاً لعذرهم، وموجباً لخضوع عقولهم لما يأتي به...

وبكلمة... لا بد وأن تكون معجزة النبي في كل عصر متناسبة مع خبرات ذلك العصر، ولكل من أرسل إليهم؛ ليتمكن إثبات إعجازها لهم، وإقامة الحجة عليهم...

(١) — حيث يجد كل فريق في هذا القرآن ما يناب فكره وعقليته و يراه معجزاً حقاً فالأخبارات الغيبية والنظام الكامل الذي اتى به وغير ذلك من أمور لا تحقق... والتي يمكن لاهل كل لغة أن يدركوها هي من البلاغة لهم... وحتى الفصاحة والبلاغة فإن بالامكان لغير العربي ان يدركها أيضاً بتعلم اللغة العربية ومعرفة سرالقرآن أو الاعتماد على النقل القطعي ممن قد اطلع على بعض جوانب اعجازالقرآن...

و إذا نظرنا إلى ما ذكره آنفاً... فإننا نجد أن بعض السور لا تشتمل على شئ مما ذكره مع ان التحدي بها وارد، كما أن الاخبار بالغيب مثلاً لا يمكن أن يكون قاطعاً لعذر من ألقى إليهم إلا بعد تحقق الخبر عنه... وقد يطول ذلك إلى سنوات. عديدة... أما من يأتون بعد ذلك فلربما يصعب عليهم الجزم بتحقيق ما أخبر به...

وأما القضايا العلمية... فلربما لا يكون من بينهم من له الخبرات اللازمة في تلك العلوم؛ ليتمكن إدراك الإعجاز فيها؛ فإن ذلك رهن بتقدم العلم، وتمكن العلماء من استجلاء تلك الحقائق من القرآن... وحتى لو أدرك ذلك بعضهم، فلربما يحمله اللجاج، أو غير ذلك من مصاحله الشخصية (بنظره) على إنكار ذلك واخفائه— كما كان الحال بالنسبة الى أهل الكتاب، الذين كانوا يعرفون النبي (ص) كما يعرفون أبناءهم، ويجدونهُ مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل... ولكن الاخبار والرهبان أخفوا ذلك، وانكروه، لمصالح شخصية، أو لغير ذلك، مما وجدوا فيه مبرراً للاقدام على خداع انفسهم، وخداع غيرهم.

وهكذا يقال بالنسبة للاعجاز التشريعي، وغير ذلك من أمور...

بلاغة القرآن

ولكن ذلك لا يعني ان الاخبار بالغيب، وغير ذلك مما ذكرناه، ومالم نذكره... غير موجود في القرآن... بل هو موجود فيه في أجلى مظاهره... واعظمتها... وهي معجزات أيضاً لكل أحد... ولكننا نقول: إن ذلك ليس هو الملاك الأول والأخير لإعجاز القرآن... وإنما ملاك الإعجاز فيه هو أمر يستطيع كل أحد أن يدركه، وان يفهمه... وهو أمر تشتمل عليه حتى السورة التي لا تزيد على السطر الواحد، كسورة الكوثر مثلاً... وهو أمر يجده كل أحد، مهما كان تخصصه، ومهما كان مستواه الفكري، و أياً كان نوع ثقافته... وفي أي عصر، وفي أي ظرف... وهو أمر يشمل كل ماتقدم، وسواء مالم نذكره، ويضمه تحت جناحه... وذلك الأمر هو:

«البلاغة»...

وأما أن ماتقدم يرجع: إلى البلاغة؛ فلأن حقيقة البلاغة— كما عرفوها— هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو للاعتبار المناسب... والقرآن مطابق لمقتضى الحال دائماً وفي كل عصر، وكل زمان، وإلى الابد ومع كل شخص؛ لانه خطاب لهم جميعاً ومعجز لهم جميعاً... فحين يخبر عن الغيب، فانما اقتضى الحال ذلك... وكذلك حين يكشف عن اسرار الكون، وخفايا الطبيعة، ويشير الى بعض الحقائق العلمية، وكذلك أيضاً حين يضع أعظم تشريع، وأروع نظام عرفته الانسانية، إلى غير ذلك مما تقدم ذكره، ومما لم نذكره... بل أن تكون ظروف نشأة الرسول الاعظم هي تلك، فان ذلك له أهمية كبرى في قبول الدعوة، والاذعان لها... وكذلك فان الكلام الذي يختلف صدره وذيله، أو يختلف من وقت لآخر... مع كون الهدف واحداً، والمخاطب والمتكلم واحداً. فانه لا يمكن أن يكون بليغاً، ولا مطابقاً لمقتضى الحال، كما يقولون...

الاعجاز بالبلاغة... كيف؟ ولماذا؟!

وأما كيف عجزت الانس والجن، عن مجازاة هذا القرآن... وكيف أمكن اعتبار البلاغة القرآنية هي سرالاعجاز فيه... فان ذلك يحتاج إلى توسع في القول، وبسط في البيان... فنقول:

إن لدلالة الكلام على المعنى في مقام التفهم والتفهم شروطاً:

منها: أن يكون اللفظ الذي يلقيه المتكلم قادراً على تحمل المعنى المطلوب، بأي نحو من أنحاء التحمل، سواء من حيث مفردات الجملة، أو من حيث نوعية تركيبها، أو من جهة المقايسة بينها وبين غيرها،

ومنها: أن يكون المستوى الفكري والثقافي للمتكلم بحيث يستطيع أن يقصد تلك المعاني التي يقدر اللفظ على تحملها...

ومنها: أن يكون ذلك المعنى منسجماً أيضاً مع نوعية اختصاص ذلك المتكلم، ومع مراميه وأهدافه...

وهذه هي الشروط العامة، التي لا بد وأن تتوفر في عملية التفهم والتفهم بين كل متكلم ومخاطب... ولكن ذلك يحتاج إلى توضيح وتطبيق بالنسبة لما نحن بصدده، فنقول:

التوضيح والتطبيق:

إننا نجد أن اللغة العربية بما لها من خصائص ومميزات هي أقدر اللغات اطلاقاً على تحمل المعاني، فنجد أنهم يذكرون للجملة المؤلفة من كلمتين فقط عشرات الخصائص والمميزات التي تشير كل منها إلى العديد من الآثار المحتملة، التي يمكن للفظ أن يتحملها بالنسبة للمعنى المدلول... فالمسند إليه مثلاً تارة يكون اسماً جامداً، وأخرى مشتقاً. وتارة يكون ظاهراً، وأخرى مضمراً، مقدماً أو مؤخراً، محذوفاً أو مذكوراً، منكرأ أو معرفاً، والتعريف له انحاء، لكل منها آثار عديدة محتملة الى غير ذلك مما يذكره المتخصصون... وكذا الحال في جانب المسند، الذي تارة يكون فعلاً— بأقسامه الثلاثة—، وأخرى اسماً، جامداً، أو مشتقاً، معرفاً أو منكرأ، مقدماً أو مؤخراً، مذكوراً أو محذوفاً، إلى آخر ما هنالك.

فثلاً قديكون ذكره للتحقير، أو عكسه أوللتبرك به أو ايهام استلذاذه، أو للتنبيه على غباوة اسامع، أو للتقرير، أو للايضاح إلى غير ذلك. وقد يحذف للتعظيم، أو للتحقير، أو للاستغناء عنه أو لايقاع السامع في حيرة أو... إلى غير ذلك مما لا مجال لاستقصائه...

وكذا سائر الخصوصيات التي ذكرناها، وما لم نذكره أكثر بكثير هذا... بالاضافة الى الاستعارات، والكنايات، والتعريضات، والاشارات، وغير ذلك مما تكفل لبيانه علم المعاني والبيان والبديع.

حتى إنهم ليذكرون العديد من الامتيازات لقوله تعالى: «في القصاص حياة» على ما كان أبلغ كلام عند العرب: «القتل انفي للقتل».

ويكفي أن نشير إلى أن جملة زيد قائم، إذ لوحظ المسند إليه فيها فانه ظاهر، ومقدم، ومعرف بالعلمية. وكل منها يقع على حالات كثيرة. وكذا الحال بالنسبة للمسند وهو كلمة - قائم... ثم لا بد من ملاحظة الهيئة التركيبية، وموقعها من غيرها، ومع ما لها من متعلقات...

وهكذا يتضح أن الجملة الواحدة ربما تفيد معنى له العديد من الخصوصيات الهامة... فكيف اذا لوحظت تلك الجملة مع غيرها من الهيئات التركيبية الأخرى، ثم أريد استخلاص المعاني من المجموع.

هذا... ولقدرة اللغة العربية على تحمل المعاني الدقيقة والعميقة، نجد أن الله تعالى قد اختارها لتكون لغة القرآن، وقد نوّه بذلك، ووجه إليه الانظار والافكار، ودعى الى استخلاص المعاني الدقيقة من كتابه الكريم فقال: «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (١) وقال: «كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون» (٢) وقال: «نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين» (٣) إلى غير ذلك من الآيات... فلننظر بدقة إلى قوله: «لعلكم تعقلون» و إلى قوله: «لقوم يعلمون» و إلى قوله: «مبين» فإنه كله يشير الى ما ذكرنا...

وبالنسبة للمستوى الفكري نقول: لوقال شخص عادي لا اطلاع له على شيء من العلوم: «كل شيء يحتاج إلى علة». فاننا لانفكر في مقصوده كثيراً، بل ينتقل ذهننا مباشرة إلى أن مراده هو المؤثر الظاهري في وجود شيء... فاذا أراد شخص أن يقول: لعله أراد العلة الغائية أو المادية، أو الصورية، أو قصد بالعلة السبب، أو العلة التامة ونحو ذلك. فاننا نقول له فوراً: لا، إن كلامه لا يدل على ذلك ولا ينظر إليه...

ولكن... لوقال نفس هذه الكلمة ابن سينا مثلاً... فاننا لا بد وأن نفكر لنعرف: هل أراد بالعلة واحداً مما تقدم أم لا؟... وهل أراد بالشيء البسيط أم المركب؟! وهل؟ وهل؟، الى آخر ما هنالك من احتمالات، يمكن لابن سينا أن يقصدها من كلمة كهذه.

وإذا كان القائل طبيياً مثلاً فاننا لا بد وأن نفتش عن معان تتناسب مع اختصاصه ونوع ثقافته... وحتى أهدافه، فان كل ذلك يؤثر تأثيراً كبيراً في تفهيم المعنى، ومعرفة نوعه ومستواه، حيث لا بد وأن ينسجم مع تلك الاهداف، ويتلاءم مع المستوى الثقافي والفكري للمتكلم.

وأما إذا كان القائل يمتاز بسعة الافق والشمولية، كأmir المؤمنين عليه السلام؛ فاننا لا بد وأن نعد أنفسنا لطرح أي احتمال، يتناسب مع شخصية وأهداف أمير المؤمنين عليه السلام. ولا بد وأن نبحت الايام والسنين؛ لنتمكن من التقرب— ولو بشكل محدود— إلى مراميه وأهدافه؛ لأن فهم جميع الخصوصيات التي يرمي إليها المتكلم لا يمكن إلا من قِبَل من يداني ذلك المتكلم في سعة الافق، والشمولية، وعمق الفكر، والغوص في لجج الحقائق... واين يمكن أن يوجد من يداني عالياً في مستواه العلمي الشامخ، سوى معلمه واستاذه، النبي الاعظم (ص) ثم الائمة من ولده؟ ولعل إلى هذا يشير (ص)، حيث قال مامعناه: يا علي، ما عرفك إلا الله وأنا، وما عرفني إلا الله وانت، وما عرف الله إلا أنا وانت...

وبعد هذا فقد أصبح من الواضح: أن الله سبحانه وتعالى، وهو محيط بالكائنات، ومهيمن على كل الموجودات. وليس لعلمه حد محدود، ولا لصفته نعت موجود... إذا اختار اللغة العربية ليحملها بعض مراميه وأهدافه— وهي اللغة القادرة على التحمل بشكل مذهل وهائل، ولا تضارعها في ذلك أية لغة أخرى— فان هذا الانسان المحدود في ملكاته، وقدراته، وطاقاته النفسية، والفكرية، وغيرها... لا يمكنه حتى ولو بقي أبداً الدهر، وحتى لو استعان بكل مخلوق وموجود، وسخر كل مالمديه من طاقات وامكانيات— لا يمكنه— أن يكتشف إلا القليل القليل من المعارف القرآنية، ولن يكون بإمكانه أن يأتي هو وكل من معه بمثل هذا القرآن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً...

وإذن... فلا بد وأن نبقى ننتظر— باستمرار— أن يكتشف الانسان كل جديد في هذا القرآن، تبعاً لتقدم معارفه، ونمو قدراته الفكرية والثقافية...

وهذا تاريخ القرآن عبر القرون والاجيال، خير شاهد ودليل على ما نقول... حيث إننا نلاحظ: أن كل عصر يمتاز بتقدم علم أو علوم، ويتألق فيه نجمها، ويقوى سلطانها، ثم تعود تدريجاً لتراجع أمام زحف علم أو علوم أخرى لتحتل هي بدورها أيضاً مكان الصدارة في البحث والعمق والتحقيق وهكذا... ولكن هذا القرآن العظيم يبقى هو المهيمن في العصور كلها، على العلوم والعلماء جميعاً... ويدرك الكل أنه فوق مستواهم، ولا تبلغه عقولهم، ولا تناله قدراتهم، ويجدون فيه ما يوجب خضوعهم لعظمته ويدركون أنه لا يزال فيه ما يعجزون عن إدراكه، والاحاطة به، فضلاً عن مجاراته...

كما أنه... مع اختلاف الثقافات، والاتجاهات، والمستويات على مرّ العصور... فإن الكل يجدون هذا القرآن مطابقاً لمقتضى الحال دائماً ومنسجماً معه وهذا هو الاعجاز حقاً!!!...

وخلاصة الامر: المئات من السنين تمر والاجيال تأتي وتذهب، والانسان لا يزال يكتشف المزيد من معارف القرآن، واسراره، ومراميه... وكلما توصل إلى شيء، فانه يجد أن هذا القرآن— ليس فقط قد جاء بمعارف ومرام لا تتناسب مع عقلية وثقافة عصر نزوله، الأمر الذي يؤكد على أنه من عند الله تعالى— وإنما يتجاوز ذلك كله، ليثبت لكل أحد: أن أغواره لا تزال تحتضن المزيد من المعاني والاسرار، التي يرى نفسه عاجزاً عن الوصول إليها، والحصول عليها...

وأكثر من ذلك... فلقد أصبح معروفاً: أن الانسان كلما أعاد قراءة هذا القرآن؛ فانه يجده جديداً عليه في معانيه ومراميه، وذلك بسبب اختلاف حالات وتوجهات الانسان، ونوعية الصور الحاضرة آنياً لديه، والاجواء المهيمنة عليه... وهذه خصوصية ثابتة في القرآن لا تتغير ولا تتبدل على مرالدهور والعصور، ولعل الى هذا يشير القول المعروف: «لا تفسروا القرآن؛ فان الزمن يفسره» على اعتبار أنه كلما ترققت البشرية في مداركها ومعارفها... كلما كانت أقدر على اكتشاف معارف القرآن، واستكناه اسراره... وعن أمير المؤمنين عليه السلام حول القرآن: «فيه علم ماضى،

وعلم ما يأتي الى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون» (١).

وعنه عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب» (٢). وعنهم عليهم السلام: «ظاهرة أنيق، وباطنه عميق» وعنهم (٤): «ظاهرة حكم، وباطنه علم» (٣) وما يشير الى هذا المعنى كثير جداً لاجمال لاستقصائه.

ترجمة القرآن... وتفسيره:

ومما تقدم نعرف: أن ترجمة القرآن وتفسيره غير ممكنين لهذا الانسان المحدود بمحدود الزمان والمكان، وغير المحيط بكل العلاقات الكونية، ولا المطلع على النواميس الطبيعية، في مختلف المجالات...

نعم... يمكن أن يقول من يتصدى لترجمة القرآن أو لتفسيره: هذا مافهمته من القرآن، بحسب ما توفر لدي من أدوات تساعد على اكتشاف المعاني، من المفردات والهياكل التركيبية، وبحسب مستوى ثقافتني، ومعارفي وقدراتني المحدودة بالنسبة الى الله الذي ليس لعلمه حد.

للقرآن ظهر وبطن:

ويمكن بعد هذا: أن نفهم معنى قولهم عليهم السلام: إن للقرآن ظهراً وبطناً، أو أكثر، وقد روي هذا المعنى من طرق غير الشيعة أيضاً... وفسر بما يشير الى ما ذكرناه.

ففي خطبة منسوبة له صلى الله عليه وآله وسلم: «له ظهر وبطن،

(١) - البحار ج ٩٢ ص ٨٢ عن تفسير القمي ج ١ ص ٤.

(٢) - البحار ج ٩٢ ص ١٠٣ عن اسرار الصلاة و ص ١٠٤ عن الغزالي: أنه (٤) لو أذن الله ورسوله لشرح معاني الف الف فاتحة حتى يبلغ أربعين قرأً أو جلاً.

(٣) - اصول الكافي ج ٢ ص ٤٣٨.

فظهره حكم، وباطنه علم، لا تحصى عجائبه، ولا يشع منه علماؤه» (١).
وعنه (ص): «ما في كتاب الله آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع» (٢).

قال ابن المبارك: «سمعت غير واحد في هذا الحديث: ما في كتاب الله آية إلا ولها ظهر وبطن، يقول: لها تفسير ظاهر، وتفسير خفي، ولكل حد مطلع، يقول: يطالع عليه قوم فيستعملونه على تلك المعاني، ثم يذهب ذلك القرن، فيجئ قرن آخر، فيطلعون منها على معنى آخر، فيذهب عليه ما كان عليه من كان قبلهم؛ فلا يزال الناس على ذلك إلى يوم القيامة» (٣).

وعن ابن عباس قال: «إن القرآن ذوشجون وفنون وبطون... ومحكم، ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل» (٤).

وعن ابن مسعود: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف، مامننا حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه المظاهر والباطن» (٥).

وأوضح من ذلك في الدلالة على ما ذكرناه ما نقل عن أبي الدرداء: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة» (٦). وقال علي عليه السلام لابن عباس، حينما أرسله لحجاج الخوارج: «القرآن حمال

(١) - كنز العمال ج ٢ ص ١٨٦، وليراجع ج ١ ص ٣٣٧، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٤٥٦ عنه وعن العسكري، وراجع: نورالقبس ص ٢٦٨/٢٦٩.

(٢) - الزهد والرقائق، قسم مارواه نعيم بن حماد ص ٢٣ وفي الهامش عن المشكاة ص ٢٧، وراجع: الاتقان ج ٢ ص ١٨٤، والمواقفات للشاطبي ج ٣ ص ٣٨٢ وفي الهامش عن روح المعاني وعن المصابيح.

(٣) - الزهد والرقائق، قسم مارواه نعيم بن حماد ص ٢٣.

(٤) - الاتقان ج ٢ ص ١٨٥ عن ابن أبي حاتم.

(٥) - حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ والاتقان ج ٢ ص ١٨٧، وهامش المواقفات ج ٣ ص ٣٨٢ عن كتاب المصابيح ومشكل الآثار ج ٤ ص ١٧٢ و ١٨٢، وترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٢٥ وفي الهامش عن الحلية وفرائد السمطين، والغدير ج ٧ ص ١٠٧/١٠٨ وج ٢ ص ٤٥ عن الحلية وج ٣ ص ٩٩ عن مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠.

(٦) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١١ ص ٢٥٥، والاتقان ج ٢ ص ١٨٥ عن ابن سبيع في شفاء الصدور، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢١١.

ذو وجوه» (١).

بل قال بعضهم: ان الاخبار تدل على أن «القرآن بطونا سبعة
أوسبعين» (٢)...

و إذن... فلما ذا ينسب القول بأن للقرآن بطناً وظهراً إلى الشيعة
فقط؟!!

ولماذا أيضاً يشنعون على الشيعة إذا تفوهوا بهذا الأمر، أو كتبوه، إذا
كانت الروايات الدالة عليه موجودة عند غيرهم، كما هي موجودة عندهم؟!.

و إذا كان معنى الظهر والبطن: هو أن يكون ذلك المعنى الذي يزاح
عنه الستار مما يمكن للفظ أن يتحمله، وللمتكلم أن يقصده ليكون بمنزلة البطن
لهذا المعنى المكشوف؛ فأى محذور عقلي أو شرعي يحصل من الالتزام بهذا؟!
وليكن للقرآن بطون سبعة أوسبعون، أو أكثر، يكشفها هذا الانسان كلما ترقى
في مدارج المعرفة، أو يكشفها له الأئمة الراسخون في العلم، الذين أشار إليهم
القرآن الكريم...

المحكم والمتشابه:

لقد أشير الى وجود المحكم والمتشابه في القرآن في قوله تعالى: «منه
آيات محكمات، هن أم الكتاب، وأخر متشابهات؛ فاما الذين في قلوبهم زيغ؛
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله...» (٣) هذا... مع العلم
بأن الله تعالى لا يريد أن ينزل لعباده كتاباً فيه الالغاز والاحاجي، بل هو كما
قال تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته، وليتذكر أولوا
الالباب». (٤) وقال: «أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون».

(١) - نهج البلاغة ج ٢ ص ١٥٠، من الكتب والوصايا رقم ٧٧ مع تعليقة محمد عبده.

(٢) - كفاية الاصول آخر مبحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى.

(٣) - آل عمران ٧.

(٤) - سورة ص ٢٩.

و إذن... فلا بد وأن يراد بالمتشابه معنى ينسجم مع واقع القرآن وأهدافه، ولعل التأمل فيما قدمناه يسهل علينا فهم المراد منه؛ ولأجل إيضاح ذلك نقول: إن:

المتشابه هو: الكلام الذي لا ينبئ ظاهره عن المراد، بل يحتمل من لم يكن راسخاً في العلم فيه وجوهاً من المعاني، التي لا يكون بعضها منسجماً مع أهداف ومبادئ المتكلم، وحتى إن اللفظ لودقق في وجوهه، وخصوصياته، وجمع بين بعضها البعض لا يمكن إدراك عدم امكان تحملها لذلك المعنى الفاسد.

ولأجل ذلك نجد الذين في قلوبهم زيغ يحاولون انتهاز الفرصة للتشبيث بهذا النوع من الآيات ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وعطف اتجاهه؛ ليلام أهواءهم، ومن أجل الطعن في القرآن والاسلام... ولوردوه إلى الرسول، وإلى أولى الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم(١)؛ لأنهم يردون المتشابه إلى المحكم الذي يبين أهداف ومرامي الله تعالى، ويوجه التعبير في التشابهات ليفيد المعنى المقصود، ويبين بعض ماخفي من وجوهه وخصوصياته...

وينقل الرازي: أن من الملاحظة من طعن في القرآن لاشتماله على المتشابه، إذ كيف يكون مرجعاً للناس في كل عصر، مع وفرة دواعي الاختلاف فيه؛ حيث يجد كل صاحب مذهب فيه مأربه؛ فان هذا لا يصدر عن الحكيم(٢).

ولعل ما ذكرناه فيما تقدم يكفي في الاجابة عن هذه الترهات... ونز يدهنا ما ذكره العلامة الطباطبائي، والشيخ محمد هادي معرفة حفظها الله تعالى؛ فانها قالا ما حاصله:

إنه كان لا محيص عن وقوع التشابه في القرآن، فانه كان يجري في تعابيره الرقيقة مع اساليب القوم، مع سمو معناه، وعمق مغزاه، في مقابل انحطاطهم في المستوى الفكري والثقافي.

وقد جاء القرآن بمفاهيم جديدة، كانت غريبة عن نوعية افكار ومفاهيم المجتمع البشري آنذاك ، ولاسيا في جزيرة العرب، البعيدة عن الثقافة والمعرفة... في حين التزامه في التعبيرات عن تلك المقاصد العالية بنفس الاساليب التي كانت معروفة في ذلك العهد، الأمر الذي ضاق بتلك الالفاظ التي كانت موضوعة للتعبير عن معان محسوسة، أو قريبة من الحس، ومحدودة في نطاق ضيق، تتناسب مع ذهنية العرنى وثقافته او للتعبير عن معان مبتذلة - ضاق الامر بتلك الالفاظ- عن أن تحيط بتلك المفاهيم الرحبة الآفاق، البعيدة الاغوار، وجاء استعمال تلك الالفاظ للتعبير عن هذه المقاصد العالية غريباً عن المؤلف العام، وعن ذهنية الانسان العادي.

ومن ثم... فقد قصرت أفهام مهم عن إدراك حقائقها ودقائقها، ولاسيا حين رأوا: أن القرآن يستعمل في التعبير عن مقاصده صنوف المجاز، والاستعارات، والتشبيهات، والكنيات، ودقائق الاشارات، واستعمل مختلف خصائص اللغة العربية، سواء منها مايتعلق بالمفردات، أو بالهيايات التركيبية؛ يمكن اخضاع تلك المعاني السامية للقوالب اللفظية المحدودة والمألوفة.

وكان ذلك سبباً في تقريب تلك المعاني الى أفهام العامة، من حيث انه اخضعها للقوالب اللفظية، المألوفة لديهم، وسبباً في بعدها، من حيث عدم قدرة تلك القوالب اللفظية على استيعاب معان لم تكن هي مستعدة للتعبير عن مثلها(١)... فكان لا بد من التوسل بلطائف الاشارات والكنيات، ودقائق الخصائص اللفظية للتعبير عنها، حسبما أشرنا إليه من قبل... فصعب على الانسان العادي إدراك تلك المقاصد العالية، واشتبه عليه الأمر، فكان لا بد له من الاستعانة بالراسخين في العلم، الذين اختصهم الله بفضله وكرمه لايضاح مقاصده العالية وأهدافه ومراميه، ممن كانوا على

(١) - راجع: التمهيد في علوم القرآن ج ٣ ص ١٩-٢٢ والميزان للعلامة الطباطبائي ج ٣ ص ٥٨-٦٢ وعن تفسير المنارج ع ١٧٠. ولكننا قد تصرفنا في كلامهم بعض الشيء فيلاحظ ذلك.

مستوى رفيع من عمق الفهم، وسلامة التفكير، ونفذت بصيرتهم الى الحقائق الراهنة، فناوها، وهم أئمة أهل البيت الاطهار عليه السلام...

التأويل:

لقد أشير إلى التأويل في القرآن الكريم، وأن ثمة من يعرف هذا التأويل، وهم الراسخون في العلم، وان كانوا يعترفون بعجزهم عن إدراك كل الملابسات التي يمكن ان تكتنف هذا المعنى المقصود... قال تعالى: «وما يعلم تاويله إلا الله والراسخون في العلم، يقولون: آمانه، كل من عند ربنا» (١).

وقد رأينا: أن بعض الفئات الضالة تحاول الاستفادة من هذا الأمر، بما يخدم أهدافها الهدامة، ومذاهبها الضالة... فجاؤا بالتأويلات التي تضحك الشكلى، حتى إنك لتجد بعض الاحزاب المنحرفة، الذين يعتقدون الماركسية، ويتظاهرون بالاسلام، يحاولون تفسير الاسلام والقرآن بحيث ينسجم مع الماركسية التي تناقضه أساساً، فيقولون— مثلاً— في قوله تعالى: «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة، وينفقوا مما رزقناهم، سراً وعلانية، من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه، ولا خلال...» (٢)— يقولون—: إن المراد بهذا اليوم ليس هو يوم القيامة، وإنما المراد به اليوم الذي تتحقق فيه الاشتراكية، ويزول النظام الطبقي، وتنتفي فيه الملكية الشخصية (٣).

بل قالوا: إن المقصود بالمعاد في الاسلام والقرآن، هو القضاء على النظام الطبقي في المجتمع ليس إلا...

الى غير ذلك من ترهات بعيدة عن روح الاسلام والقرآن، جاء بها هؤلاء وغيرهم من الفئات والفرق الضالة...

وهذا ليس هو التأويل الذي أشار إليه القرآن، وإنما هو التفسير بالرأي

(١)— آل عمران ٧. (٢)— ابراهيم ٣١.

(٣)— راجع كتاب: توحيد عاشوري (فارسي).

الذي ورد النبي عنه بشدة من قبل المعصومين عليهم السلام. وهذا بعينه هو اتباع ماتشابه من القرآن، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله...

أما التأويل الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، الذين هم أهل البيت عليهم السلام، حسب نص الروايات...

فهو ليس إلا الكشف عن المرامي والمعاني التي يشير إليها اللفظ، بماله من خصوصيات، في مفرداته، وهيئاته التركيبية، وبعد مقايسته بغيره، وملاحظة مدى انسجام ذلك المعنى مع مبادئ وأهداف المتكلم نفسه، وإذا ما أريد الوصول إلى واقع المعنى، من الآيات القرآنية بماله من خصوصيات وأحوال؛ فلا بد من الرجوع إلى من يتمكن بما أوتي من معارف وعلوم، حتى أصبح من الراسخين في العلم، للكشف عن المعاني القرآنية الدقيقة، التي يخفى على غيرهم كيفية تحمل اللفظ لها... وإن كان بالنسبة إليهم ربما يكون من البديهيات. فيرجعون ذلك المتشابه إلى ذلك المحكم، ومن هنا تبرز الحاجة المستمرة التي هؤلاء الراسخين في العلم، الذين ورد في الروايات أنهم— بالذات— أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الحروف المقطعة:

ومما تقدم نعرف: أن الحروف المقطعة التي وردت في القرآن الكريم في أوائل عدد من السور القرآنية مثل: «ألم، وكهيعص، وحم، ون، وص» وغيرها، يمكن أن يكون بعض ما ترمي إليه هو الإشارة إلى التحدي بهذا القرآن، فهو يقول لهم: إن هذا القرآن الذي يتألف من هذه الحروف التي تعرفون، وتألّفون، معجزلكم، ولا يمكنكم الاتيان بمثله، رغم أن أدوات تركيبه بين أيديكم، وتحت اختياركم...

ولعل فهم الصحابة لهذا هو السر في أننا لانجد— إلا ما شد— استفهاماً ولا سؤالاً منهم عن هذه الحروف، وعمّا ترمي إليه، الأمر الذي يؤكد: أنهم قد فهموا منها معنى قريباً إلى أذهانهم، وأن ذلك المعنى كان بمثابة الجواب عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات...

و يؤيد أن هذا هو بعض ما تشير اليه هذه الحروف: أننا نجد: أن السور التي وردت فيها هذه الحروف هي تسعة وعشرون سورة، ثلاث منها مدنية، وستة وعشرون منها مكية، وحتى هذه السور التي نزلت في المدينة نلاحظ: أن اثنتين منها، وهما: «البقرة، وآل عمران» قد نزلتا في أوائل الهجرة، حيث كان الوضع الديني في المدينة لا يفترق كثيراً عن وضع مكة، ولاسيا مع وجود اليهود وشبهاتهم ومؤامراتهم، إلى جانب المشركين فيها...

وأما سورة الرعد، فهي وإن تأخر نزولها، إلا أن الظرف الذي نزلت فيه كان يتطلب التذكير بهذا التحدي؛ وذلك لأن المسلمين، وإن كانوا حينئذ قد كثروا إلا أن مستواهم الايماني العام كان قد تدنى بشكل ملحوظ— كما ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله حين الكلام على غزوة بدر الكبرى... كما أن المنافقين قد زاد عددهم، بعد أن أصبح الاسلام ذاقوة ومنعة وكثر الداخلون فيه رغباً أو رهبا... ولربما يؤثر هؤلاء في زعزعة إيمان غيرهم.

كما أن اليهود وغيرهم من المتورين على يد الاسلام قد أصبحوا يهتمون في الكيد للاسلام من داخله، بعد أن عجزوا عن مقاومته بشكل علني وسافر، سواء في ساحات القتال والنضال، أو في مجال العمل الفكري، والعقائدي.

نعم... فكان لا بد من التذكير بهذا التحدي، وهذه المعجزة— القرآن— التي سوف تبقى أبد الدهر في مستوى الاعجاز لكل بني الانسان... كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدي جديد في المسلمين... ومواجهة غيرهم بالواقع الذي لا يجدون لمواجهة سبيلاً إلا بالتسليم والخوع والانقياد، وال... فان عليهم أن يجدوا أنفسهم في صراع مرير مع وجدانهم، ومع ماتحكم به عقولهم وفطرتهم.

ومما يؤكد صحة ماقلناه: أننا نجد أجواء واسلوب سورة الرعد لا يختلف كثيراً عنه في السور المكية، وأن هناك توافق تام بينها في إدانة وضرب كل أساليب التزوير، والتضليل، والصدود عن سبيل الحق والخير والفلاح، في آياته الظاهرة، وفي براهينه الباهرة والقاهرة.

كما أننا إذا راجعنا الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف؛ فإننا نجد معظمها— في المكِّي من السور والمدني على السواء— يذكر الكتاب وآياته أو القلم، أو القرآن أو نحو ذلك...

فلاحظ على سبيل المثال مايلي:

الم. تلك آيات الكتاب الحكيم.

الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه.

الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق.

الم. تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين.

المص. كتاب أنزل إليك.

الر. كتاب انزل إليك.

الر. تلك آيات الكتاب.

وأوضح من ذلك قوله تعالى.

حم. إنا جعلناه قرآناً عربياً.

حم. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة...

بل إننا نجد في آية أخرى التصريح بأن الله يوحى إلى الرسول كلاماً هو من جنس هذه الاحرف؛ فيقول في سورة الشورى: «حم عسق. كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم...»

فقوله تعالى: «كذلك»، أي كتلك الحروف التي سلفت. وهكذا أيضاً يقال في قوله تعالى: الم. ذلك الكتاب. أو: تنزيل الكتاب. أو: كتاب... فإن هذه الآيات كلها ظاهرة في الإشارة إلى ما ذكرناه.

نعم... إن بعض السور، وهي اثنتان أو ثلاث فقط ليس فيها

ما ذكرناه... كسورة الروم التي أولها: ألم. غلبت الروم الخ...

ويمكن أن تكون القصة التي تذكر بعد هذه الحروف المقطعة، أو الحكم، أو التنبؤات... فيها من الإعجاز ما يكفي لأن يجعل تركيبها من الحروف المذكورة في بداية السورة، وعجز الغير عن الاتيان بمثلها كافياً في ذلك

...

ومع كل ما قدمناه... فاننا نعود ونؤكد على أن ما ذكرناه ليس هو كل المراد من هذه الحروف، فقد يكون لها إشارات ومرامي أخرى تضاف إلى ما ذكرناه، ولأمانع مع صحة كثير من الاحتمالات التي ذكرت في معانيها، ولربما يكون لاختلاف الازمنة تأثير في فهم هذه المعاني، كما اشرنا إليه حين الكلام على أن للقرآن ظهراً وبطناً...

ماروي في بدء الوحي:

روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة في بدء الوحي، ما ملخصه: أن الملك جاء للنبي، وهو صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء، فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ: فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني؛ فقال: اقرأ بسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم...

فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فؤاده؛ فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني، زملوني، حتى ذهب عنه الروع؛ فقال لخديجة— وقد أخبرها الخبر—: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل، بن أسد، بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية

ما شاء الله أن يكتب، كان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله (ص) خبر مارأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعاً، ليتني اكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله (ص)... أوخرجني هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وقر الوحي (١).

وثمة روايات كثيرة أخرى متناقضة ومتعارضة، ونذكر على سبيل

المثال:

١— أن رواية تقول: إن خديجة أرسلته مع أبي بكر إلى ورقة بن نوفل، فأخبره (ص) أنه يسمع نداء خلفه: يا محمد، يا محمد، فينطلق هارباً في الأرض، فأمره ورقة أن يثبت؛ ليسمع مايقول ثم يخبره، ففعل، فناده: يا محمد، قل: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين... حتى بلغ ولا الضالين. قل: لا إله إلا الله. فأخبر ورقة؛ فبشره بأنه هو الذي بشره ابن مريم... فلما توفي ورقة قال (ص): لقد رأيت القس في الجنة، عليه ثياب الحرير؛ لأنه آمن بي وصدقني (٢).

٢— ورواية أخرى تقول: بعد أن ذكرت: أن خديجة أخبرت ورقة بالأمر، فأخبرها أنه نبي هذه الأمة— إنه بعد مدة التقى بالنبي (ص) وهما يطوفان، فسأله ورقة عما رأى وسمع؛ فأخبره، فأخبره ورقة أنه نبي هذه الأمة (٣).

(١) — صحيح البخاري ط مشكول ج ١ ص ٥٦—٦ و ج ٩ ص ٣٨، وصحيح مسلم ج ١ ص ٩٧، وليراجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٧، والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٢/٣٢٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٢، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٢/٢٤٣.

(٢) — البداية والنهاية ج ٣ ص ١٠/٩ والروض الأنف ج ١ ص ٢٧٤/٢٧٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٤/٨٣ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٠، وسيرة مغلطاي ص ١٥.

(٣) — البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣/١٢ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٤، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٣٩/٢٤٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٢/٨١.

٣— إن خديجة لما أخبرها بما رأى، بشرته بأنه نبي هذه الأمة، وأن الذي أخبرها بذلك هو غلامها ناصح، وبحيرا الراهب. وأمرها أن تتزوجه منذ أكثر من عشرين سنة... ولم تزل برسول الله حتى طعم، وشرب، وضحك، ثم خرجت إلى الراهب، وكان قريباً من مكة فأخبرته فأخبرها: أن جبرئيل هو أمين الله، ورسوله إلى انبيائه. ثم أتت عداساً، فسألته، فأخبرها بمثل ذلك. ثم أتت ورقة، فأخبرها بمثل ذلك... ولكنها حلفت أن يكتم الأمر، فطلب منها أن ترسل ابن عبد الله إليه؛ ليسأله، ويسمع منه؛ مخافة أن يكون الذي جاءه هو غير جبرئيل، فان بعض الشياطين يتشبه ليضل ويفسد، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلهاً مجنوناً... فرجعت إلى النبي (ص)، وأخبرته بمقالة ورقة، فنزل قوله تعالى: (ن). والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون). ولكنها أصرت عليه أن يذهب إلى ورقة، ففعل، وصدقه ورقة، فذاع قول ورقة، وتصديقه لرسول الله (ص)، فشق ذلك على الملأ من قومه (١)...

٤— إن خديجة طلبت منه أن يخبرها حين يأتيه الملك ففعل، فأمرته أن يجلس إلى شقها الايمن؛ ففعل، فلم يذهب الملك. فأجلسته في حجرها، فلم يذهب. فتحسرت فشالت خمارها، ورسول الله (ص) في حجرها، فذهب الملك. فقالت: ما هذا بشيطان، إن هذا الملك يابن عم، فاثبت وابشر...

وفي رواية: أنها أدخلت رسول الله بين جلدها ودرعها، وأخرجت رأسه من جيبها؛ فذهب جبرئيل (ع) عند ذلك (٢). وفي رواية: أن ذلك كان بإشارة ورقة (٣).

٥— وفي رواية: إن ورقة قال لخديجة: أسأليه من هذا الذي يأتيه، فان كان ميكائيل، فقد اتاه بالخفض والدعة واللين، وإن كان جبرئيل،

(١) — البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥/١٤ وراجع: الاوائل لابني هلال العسكري ج ١ ص ١٤٦.
 (٢) — البداية والنهاية ج ٣ ص ١٦/١٥، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٥، والطبري ج ٢ ص ٥٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥١، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٤.
 (٣) — السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٢.

فقداته بالقتل والسبي؛ فسألته، فقال: جبريل. فضربت خديجة جهتها (١).

٦— وفي رواية: أنه لما أتاه الوحي قال: (... إن الأبعد—يعني نفسه— لشاعر أوجنون، لاتحدث بها قر يش عني أبداً، لأعمدن الي حالق من الجبل؛ فلا طرحن نفسي منه، فلاقتلنها، ولأستريحن. قال: فخرجت أريد ذلك حتى إذا كان في وسط الجبل سمع صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله... ثم تستمر الرواية حتى تذكر: أنه ذكر لخديجة: أن الأبعد لشاعر أو مجنون. فقالت: أعيدك بالله من ذلك، ثم التقت بورقة فأرسل إليه بالثبات ثم التقى به في الطواف، فجرى له معه ماجرى (٢).

وعند السهيلي وغيره: أن خديجة سألت ورقة، وعداساً، ونسطوراً، عن أمر رسول الله (ص) (٣).

٧— وفي رواية: أن عداساً اعطاها كتاباً لتضعه على النبي (ص)؛ فان كان مجنوناً شفي، وإلا لم يضره شيئاً، فلما عادت إليه بالكتاب وجدت معه جبريل يقرئه الآيات من سورة القلم، وفرحت، وأخذته إلى عداس، فكشف عداس عن ظهره؛ فوجد خاتم النبوة بين كتفيه إلخ (٤)...

ويروى البعض: أنه لما أخبرها بجبرئيل كتبت إلى بحيرا الراهب، وقيل سافرت بنفسها إليه لتسأله عن الأمر (٥).

٨— وفي رواية: إنه حين ذهب ليرتدى من شواهد الجبال، كان إذا ارتقى بذورة جبل تبدى له جبرئيل، ويخاطبه بالرسالة، فيسكن جأشه، وتطمئن نفسه (٦).

(١) — تاريخ اليعقوبي ط صادر ج ٢ ص ٢٣.

(٢) — تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٠/٤٩.

(٣) — الروض الانف ج ١ ص ٢٧٣، والأوائل لابي هلال العسكري ج ١ ص ١٤٦.

(٤) — تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٤، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٤/٢٤٣.

(٥) — السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٣ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) — المصنف ج ٥ ص ٣٢٣.

٩- ويروون أيضاً: أنه كان قبل النبوة يتعرض، للردة، وتغميض العينين، وتردد الوجه، ولما يشبه الاغماء، ويغظ كغظيط البكر (١).

١٠- وفي رواية: إنه صلى الله عليه وآله وسلم عاد إلى أهله مسروراً موقناً: أنه قد رأى أمراً عظيماً، فلما دخل على خديجة قال: أريتك الذي كنت حدثتك: أنبي رأيت في المنام، فان جبرئيل استعلن إلي، أرسله إلي ربي عزوجل، وأخبرها بالذي جاءه من الله، وما يسمع منه، فقالت له: أبشر، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، واقبل الذي جاءك من أمر الله، فإنه حق، وابشر؛ فانك رسول الله حقاً...

ثم انطلقت إلى عداس النصراني، غلام عتبة بن ربيعة، من أهل نينوى، فسألته عن جبرئيل؛ فتعجب من ذكر جبرئيل بتلك الارض، ثم أخبرها بأنه أمين الله بينه وبين الانبياء، ثم جاءت الى ورقة الخ (٢).

هذا غيظ من فيض، مما قيل ويقال حول ماجرى حين بدء الوحي، وكيفيته وملابساته، من روايات، وأقوال متضاربة ومتناقضة...

ولنتقل الآن إلى الإشارة إلى بعض مالنا من مناقشات في تلك الارجيف المتقدمة، متوخين الايجاز والاختصار مهما أمكن... فنقول:

مناقشة روايات بدء الوحي:

إننا في مجال بيان مافي تلك الروايات من خلل وخطل، لانستطيع أن نستوعب كل مافيها من نقاط ضعف في هذه العجالة؛ لأن استيعاب ذلك — كما يبدو— يحتاج إلى وقت طويل، بل إلى مؤلف مستقل... ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله، لأننا نريد أن نسهم بدورنا في الذب عن مقام النبوة الأقدس، ولو بشكل محدود ومقتضب، وما نريد أن نشير إليه هنا هو:

أولاً: من حيث السند. وحيث إن العمدة في ذلك هو ماورد في

(١) — السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٤، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) — البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣.

الصحيحين وغيرهما، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، فنحن نكتفي بالإشارة الإجمالية إلى حال هؤلاء، فنقول:

١- الزهري: كان من اعوان الظالمين، ومن الذين يركنون لهم، وكان كاتباً لهشام بن عبد الملك ومعلماً لأولاده...

وعده الثقفي من فقهاء الكوفة الذين خرجوا عن طاعة علي عليه السلام، وكانوا اهل عداوة له وبغض، وخذلوا عنه (١)، وجلس هو وعروة في مسجد المدينة فنا لامن علي (ع)، فبلغ ذلك السجاد عليه السلام، فجاء حتى وقف عليهما؛ فقال: أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك، فحكم لأبي علي أبيك وأما أنت يا زهري؛ فلو كنت أنا وانت بمكة لأريتك كنّ (٢) أبيلك (٣)... ونحن لانستطيع أن نثق باعوان الظلمة، وبمبغضي علي عليه السلام، كيف وقد قال (ص): «من سب علياً فقد سبني (٤)»؟

٢- عروة بن الزبير. عن عروة قال: اتيت عبدالله بن عمر بن الخطاب (رض)؛ فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء، فيتكلمون بالكلام، نعلم أن الحق غيره؛ فنصدقهم، ويقضون بالجور، فقوهم، ونحسنه لهم؛ فكيف ترى في ذلك؟ فقال: يا ابن أخي، كنا مع رسول الله

(ص) نعد هذا النفاق؛ فلا أدري كيف هو عندكم (٥).

فعروة يعتبر أئمة الجور أئمته، وابن عمر يحكم عليه بالنفاق.

وعده الاسكافي من التابعين، الذين

(١) - الغارات للثقفي ج ٢ ص ٥٥٨-٥٦٠.

(٢) - الكن: البيت.

(٣) - شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٢، والغارات للثقفي ج ٢ ص ٥٧٨، والبحارج ٤٦ ص ١٤٣.

(٤) - مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢١ وصححه الذهبي في تلخيص المستدرك هامش نفس الصفحة...

(٥) - سنن البيهقي ج ٨ ص ١٦٥، وقريب منه ما في ص ١٦٤ من دون ذكر اسم «عروة» ومثله الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٨٢ عن البخاري واحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٥٩ وفي هامشه عن الطبراني.

كانوا يضعون أخباراً قبيحة في علي عليه السلام (١). وكان يتألف الناس على روايته (٢)، وروى عبدالرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة، عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنها يوماً، فقال: ماتصنع بها ومحدثهما؟ إني لأتهمها في بني هاشم (٣)... وكان إذا ذكر علياً نال منه (٤)، ويصيبه الزمع؛ فيسبه، ويضرب إحدى يديه على الأخرى إلخ (٥).

وبعد ذلك كله؛ فانه لم يثبت سماع الزهري عنه. ولكن أهل الحديث اتفقوا على ذلك (٦)...

٣- أماعائشة: التي حاربت علياً وعادته، والتي يتهمها الزهري بأنها لا تؤمن في بني هاشم... فقد أرسلت هذه الرواية، ولم تبين لنا عن روتها، فانهم يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثة، وإن كنا نحن نناقش في ذلك، كما ربما نشير إليه فيما يأتي...

وأخيراً... فان لنا كلاماً طويلاً في بقية رجال الاسانيد في الصحاح وغيرها لاجمال له هنا. ونكتفي بهذا القدر، لنشير إلى بقية ما في الرواية من مواضع للنظر؛ فنقول:

وثانياً: تناقض الروايات الظاهر لدى كل أحد، ويظهر ذلك بالملاحظة والمقارنة، ونكل ذلك الى القارئ نفسه... ولو أن الاختلاف كان بالزيادة والنقيصة لامكن قبوله؛ على اعتبار أن أحدهما حفظ دون الآخر، أو تعلق غرضه بهذا النحو من النقل، وذلك بنحو آخر... وكذا لو كان التناقض في مورد واحد مثلاً، فلربما يمكن الاعتذار عن ذلك بأن من الممكن وقوع الاشتباه غير العمدى من أحد النقلة...

(١)- شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٣.

(٢)- صفة الصفوة ج ٢ ص ٨٥، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٢.

(٣)- شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٤، وقاموس الرجال ج ٦ ص ٢٩٩.

(٤)- الفارات ج ٢ ص ٥٧٦، وشرح النهج ج ٤ ص ١٠٢.

(٥)- قاموس الرجال ج ٦ ص ٣٠٠.

(٦)- تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٥٠.

ولكن الأمر هنا أبعد من ذلك ... فان التناقض والاختلاف إن لم يكن في كل ماتضمنته تلك الروايات من نقاط، ففي جلّها مما يعني أن ثمة تعمداً للوضع والجعل... وقديماً قيل: «لحافضة لكذب».

هذا كله مع غض النظر عن المناقضة بين هذه الروايات وبين الرواية التي يذكرها البخاري نفسه في أول كتابه بعد هذه الرواية مباشرة من أن أول منازل عليه (ص) هو سورة المدثر، وليس في تلك الرواية ذكر لأي شيء من تلك الأمور الغريبة والعجيبه التي تضمنتها رواية عائشة السابقة عليها...

وثالثاً: إن رواية الصحاح، بل وسائر الروايات تذكر: أن جبرئيل قد اخذ النبي (ص) فغطه أي عصره وحبس نفسه أو خنقه— حتى بلغ منه الجهد،— أوحى ظن أنه الموت—، ثم أرسله، وأمره بالقراءة؛ فأخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه لا يعرفها، فلم يقنع منه، بل عاد فغطه، ثم أرسله، وهكذا ثلاث مرات...

ولنا على هذا الكلام العديد من الأسئلة.

فإننا لانعرف ما هو المبرر لذلك كله؟ وكيف جاز لجبرئيل أن يروع النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يؤذيه بالعصر والخنق، إلى حد أنه (ص) يظن أنه الموت؟، يفعل به ذلك، وهو يراه عاجزاً عن القيام بما يأمره به، ولا يرحمه، ولا يلين معه!!.

ولماذا يفعل به ذلك ثلاث مرات، لا أكثر ولا أقل،؟!...

ولماذا صدقه في الثالثة، ولا يصدقه في المرة الأولى؟ أو الثانية؟! وإذا كان النبي (ص) قد كذب عليه أولاً، فكيف بقي أهلاً للنبوة؟! وإذا كان قد صدقه فلما ذالم يقتنع جبرئيل بكلامه، وعاد فخنقه حتى ليظن أنه الموت؟!.

وأيضاً... هل جاء جبرئيل اليه بكتاب ليقرأه؛ إذ أن قوله (ص): «ما أنا بقارئ» إنما يصح لو كان (ص) قد فهم أن جبرئيل يأمره بالقراءة

نفسها— لابتعلم القراءة— كما ذكره السندي(١)...

وإذا كان المراد: القراءة بمعنى التلاوة؛ فلماذا يطلب منه جبرئيل ذلك ، قبل أن يتلو عليه شيئاً؟. ثم لماذا يعاند هو ويرفض ذلك؟!...

وبعد هذا كله... لماذا يستسلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل ليعذبه على هذا النحو الذي لا مبرر له؟.

ثم لماذا يرجع مرعوباً خائفاً؟! ألم يكن باستطاعته أن يلطمه لطمه يقلع بها عينه؟ كما فعل موسى بملك الموت من قبل؟! حيث إنه لما جاء ليقبض روحه، لطمه على عينه فقلعها، كما نص عليه البخاري، وكثير من المصادر الأخرى(٢)!!.

أم يعقل: أنه كان— والعياذ بالله— جباناً إلى هذا الحد؟! وكانت الشجاعة من مختصات نبي الله موسى وحده؟!...

إشارة:

هذا... ومن المضحك المبكي هنا: أن نجد البعض يحاول أن يستدل بهذه الرواية على رأي يكذبه العقل والنقل، وبالذات يكذبه نص القرآن الكريم؛ فنراه يجعل ذلك دليلاً على جواز التكليف بما لا يطاق(٣)— كما هو مذهبهم— الأمر الذي يصادم العقل والفطرة، ويخالف القرآن، كما في قوله تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»(٤)، وقوله: «ما جعل الله عليكم في الدين من حرج»(٥)، وقوله: «يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر»(٦)، وغير ذلك كثير...

(١)— حاشية السندي على البخاري بهامشه ج ١ ص ٣ ط سنة ١٣٠٩.

(٢)— البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ١ ص ١٥٢، أبواب الجنائز، وج ٢ ص ١٥٩ باب وفاة موسى عليه السلام، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٠٠ باب فضائل موسى، ومسنند أحمد ج ٢ ص ٣١٥، ومصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١١ ص ٢٧٤، وسنن النسائي ج ٤ ص ١١٨، وتاريخ الطبري ج ١ ص ٣٠٥، والبداية والنهاية ج ١ ص ٣١٧، والغدير ج ١١ ص ١٤٠ و ١٤١ عن بعض من تقدم، وعن: مختصر تذكرة القرطبي للشعراني ص ٢٩، والعرائس للثعلبي ص ١٣٩.

(٣)— فتح الباري ج ٨ ص ٥٥١، وارشاد الساري ج ١ ص ٦٣.

(٤)— البقرة ٢٨٦. (٥)— الحج ٧٨. (٦)— البقرة ١٨٥.

رابعاً: حول ما يذكر من خوفه (ص)، ودور زوجته وورقة وغيرها
في بعث الطمأنينة في نفسه نذكر:

ألف: كيف يجوز إرسال نبي يجهل نبوة نفسه، ويحتاج في تحقيقها
إلى الاستعانة بامرأة، أونصراني؟! ألم تكن هي، فضلاً عن ذلك النصراني،
اجدر بمقام النبوة من ذلك الخائف المرعوب الشاك...؟

ولماذا لم يستطع هو أن يدرك ما أدركته تلك المرأة، وذلك
النصراني؟! أم يعقل أن يكون كلاهما اكبر عقلاً واكثر معرفة بالله وتفضلاته
منه؟! — نعوذ بالله من الزلل في القول والعمل...

وإذا جاز أن يرتاب هو مع معاينته لما يأتيه من ربه، فكيف ينكر على
من ارتاب من سائر الناس، مع عدم معاينتهم لشيء من ذلك. قال السندي:
«مقتضى جواب خديجة، والذهاب إلى ورقة: أن هذا كان منه على وجه الشك
. وهو مشكل بأنه لما تم الوحي صار نبياً، فلا يمكن أن يكون شاكاً بعد في
نبوته، وفي كون الجائي عنده ملكاً من الله، وكون المنزل عليه كلام رب
العالمين».

ثم حاول السندي توجيه ذلك بأنه (ص) أراد اختبار خديجة، وأن
يمهد لاعلامها بالأمر(١).

وهو توجيه عجيب، فاننا لم نعهد منه (ص) اتباع مثل هذه الاساليب
الملتوية في الوصول الى مقاصده، ونحن نجده (ص) عن نسبة الكذب إليه على
خديجة — معاذ الله، ثم معاذ الله!!... ثم.. كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد
أن يلقي نفسه من شواهد الجبال، وغير ذلك مما تقدم مما ذكرته روايات
الوحي؟!.

وأيضاً... كيف يبعث الله رجلاً، قبل أن يريه تربية صالحة،
ويعده إعداداً تاماً، بحيث يستطيع أن يكون في مستوى الحدث العظيم الذي

ينتظره؟! نعم... كيف أهمله هكذا... حتى إنه حين بعثته ليبدو مذعوراً خائفاً، ظاناً بنفسه الجنون، يريد أن يلقي بنفسه من شواهد الجبال، حتى كأنه طفل تائه، يملأ قلبه الهم، يحتاج إلى من يطمئنه، ويهديه، ويأخذ بيده، ولوامرأة أو أي إنسان عادي آخر؟! هذا كله عن أن ذلك يدل على ضعف إرادته، وضآلة شخصيته...

وأين ذهبت عن ذاكرته تلك الكرامات التي يواجهها، دون كل أحد، كتسليم الشجر والحجارة عليه (١). والرؤيا الصادقة، وغير ذلك مما ذكره المؤلفون والمؤرخون؟!.

باء: قال تعالى: «وقال الذين كفروا: لو أنزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك» (٢).

وقال تعالى: «قل: نزله روح القدس من ربك بالحق؛ ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمسلمين» (٣).

وقال: «إني على بينة من ربي» (٤) وقال تعالى: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» (٥).

وإذن... فالنبوة وتنزيل القرآن ليس إلا لتثبيت المؤمنين، ولتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يتنافى مع قولهم: إن نفسه الشريفة قد سكنت اعتماداً على قول نصراني، أو امرأة... كما أن من الواضح: أنه لاحجة بينة في قول ورقة، أو خديجة، فكيف صح أن يقول: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني...

وخامساً: لا بد من الإشارة إلى بعض الكلام حول ورقة، ونسطور، وعداس، وبحيرا وغيرهم، ممن ذكرت اسمائهم فيما تقدم، وعمدة الروايات تتجه نحو ورقة، وتركز عليه. ولاسيما وأنه هو الذي نص عليه البخاري، وغيره من المصادر الموثوقة لدى غير الشيعة.

(١) - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٤/٢٣٥. (٢) - الفرقان ٣٢.

(٣) - النحل ١٠٢. (٤) - الانعام ٥٧. (٥) - يوسف ١٠٨.

١- أما نسطور، وبحيرا... فهما الراهبان اللذان تنسب اليهما القضية التي جرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في صغره، حينما سافر مع أبي طالب إلى الشام، وبصرى حيث بشر نسطور أو بحيرا بنبوة النبي (ص)، وأمر بإعادته (ص) إلى مكة، كما تقدم...

وإذا كان بحيرا أونسطور في بصرى - وهي قصبه كورة حوران في الشام من اعمال دمشق - فيرد السؤال: كيف سافرت خديجة من مكة إلى الشام هذه السفرة الطويلة؟، أو متى كتبت إليه مع أنهم يقولون: إنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث في أول يوم، فأسلم علي وخديجة عليها السلام في اليوم الثاني، وصليا معه مسلمين مؤمنين بنبوته... وهل كان في ذلك الزمان طائرات؟، أو أنها سافرت على بساط الريح، أو طويت لها الأرض؟! ولا ندري... فلعلهم قد انتقلوا ليسكنوا قرب مكة، لتتمكن خديجة من استشارتهم في الوقت المناسب... ثم لا يعود يسمع لها ذكر أصلاً، لأن مهمتها قد انتهت (!!!).

٢- وعداس... اليس هو الذي اسلم على يد النبي صلى الله عليه وآله في الطائف بعد عشرين من البعثة أي بعد وفاة أبي طالب عليه السلام... وتروى القصة بنحو يدل أن عداساً لم يكن يعرف النبي (ص) قبل ذلك، وستأتي القصة... كما أن الروايات تنص على أن جوابه هو نفس جواب ورقة، وعلى أنه كان - كورقة - راهباً، كبير السن، قد وقع حاجباه على عينيه، وقد ثقل سمعه إلخ... وهذه الأوصاف يشاركه فيها غيره ممن سألهم خديجة ما عدا ثقل السمع، الذي عوض عنه ورقة المسكين بالعمى...

ويبقى هنا سؤال أخير، وهو: إنه كيف لم يسمع باسلام هؤلاء: بحيرا، وعداس، ونسطور، من حين بعثته صلى الله عليه وآله، مع معرفتهم بان النبي (ص) قد بعث، ومع أن سند نبوته قد تلقاه (ص) منهم، حسب نص الروايات المتقدمة؟...

كما أن رواية عداس تقول: إنه لما عادت خديجة من عند عداس، إذا

بجبرئيل يقرئ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة القلم... وهذا مخالف لما يذكره المفسرون: من أن هذه السورة إنما نزلت حينما وصف المشركون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مجنون(١)، وواضح: أن هذا لم يحصل إلا بعد انتهاء فترة الدعوة السرية، وحينما صدع بما يؤمر به، كما هو معلوم...

٣- وورقة: فانهم بالاضافة إلى ما ينسبونه له من دورهام في تثبيت نبوة نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، نجدهم يذكرون: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قال عن ورقة كلاما يدل على أنه في الجنة، ولكنهم اختلفوا في نص ذلك الكلام...

ففي رواية: «لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنه، أوجنتين...» أو «رأيت في ثياب بيض» وفي أخرى: «لقد رأيت القس - يعني ورقة - في الجنة عليه ثياب الحرير.» وفي ثالثة: «أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس». وفي رابعة: «قد رأيت فرأيت عليه ثياباً بيضاً، وأحسبه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض»(٣).

وعده ابن مندة في الصحابة، وعده الزين العراقي على: أنه أول من أسلم، ومال إليه البلقيني(٣)...

وتقدم في الروايات حول بدء الوحي، التي هي موضع المناقشة: أنه صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعرفه أنه نبي، ووعده النصر، ثم لم ينشب أن توفي...

هذا ما قيل عنه... ولكننا نجد في مقابل ذلك:

- (١)- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٤.
 (٢)- راجع في تلکم النصوص: مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦٠٩ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وصحاحه على شرط الشيخين، وسيرة مغلطاي ص ١٥ عن الحاكم، والمصنف ج ٥ ص ٣٢٤، ونسب قریش لمصعب الزبيری ص ٢٠٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٩، والروض الأنف ج ١ ص ٢٧٥، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٠، واسد الغابة ج ٥ ص ٨٩، والاصابة ج ٣ ص ٦٣٥، وغير ذلك...
 (٣)- شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٧٤، وارشاد الساري ج ١ ص ٦٧.

- ١- ان ابن عساكر يقول: «لا أعرف أحداً قال: إنه اسلم» (١).
- ٢- وابن الجوزي يقول انه: «آخر من مات في الفترة، ودفن في الحجون، فلم يكن مسلماً.» وكذا قال غيره (٢).
- ٣- وابن عباس يقول: «مات على نصرانيته» (٣).
- ٤- لقد مات على نصرانيته، مع أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، فكيف يدخل الجنة إذن... ويدل على أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، مارواه غير واحد، من أنه كان يمر ببلال وهو يعذب، ونهاهم عنه فلم ينتهوا؛ فقال: والله، لئن قتلتموه لأتخذن قبره حناناً (٤) وتعذيب بلال إنما كان بعد الاعلان بالدعوة كما هو معروف...

وكيف يصح قول البعض: إنه مات بعد النبوة وقبل الرسالة (٥)؟!.

وقد اسلم علي وخديجة، وصلياً ثاني يوم البعثة، بدعوة منه صلى الله عليه وآله وسلم... فلماذا بقي ورقة على نصرانيته هذه السنين المتعددة.

هذا... عدا عن أن البعض قد استنتج ممارواه البخاري وغيره، من أن سورة المدثر كانت أول ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وبالذات من قوله: «قم فأندر»- استنتج-: أن البعثة كانت مقترنة بالنبوة (٦)...

٥- قال في الامتاع وغيره: إن ورقة قد توفي في السنة الرابعة

(١)- الاصابة ج ٣ ص ٦٣٣.

(٢)- الاصابة ج ٣ ص ٦٣٤، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٤/٨٣ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٠.

(٣)- السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٠، والاصابة ج ٣ ص ٦٣٤.

(٤)- حلية الاولياء ج ١ ص ١٤٨، ونسب قريش لمصعب ص ٢٠٨، وارشاد الساري ج ١ ص ٦٧، وفتح الباري ج ١ ص ٢٦، عن ابن اسحاق، وج ٨ ص ٥٥٤، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٤ و ١٢٥، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٢، والاصابة ج ٣ ص ٦٣٤، وليراجع نهاية ابن الاثير ج ١ ص ٢٦٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٩٢.

(٥)- السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٤ وغيره...

(٦)- السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥١.

للمبعث أو بعد تتابع الوحي (١).

٦- بل نقل عن الواقدي: أنه توفي بعد الأمر بالقتال (٢) - وكان ذلك بعد الهجرة...

وعليه فكيف يكون ورقة في الجنة عليه ثياب السندس وألحرير؟! - وكيف يكون هو في الجنة، وأبوطالب حامي الاسلام والدين في ضحضاح من نار؟! ...

وبعد ذلك كله... فاننا لم نفهم سبب تردد النبي (ص) في أن يكون له جنة اوجنتان، ولانفهم أيضاً، لماذا قال: وأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض... أم لعله نسي أنه قد قال: إنه رآه في الجنة عليه ثياب السندس وألحرير؟!... أو أن النبي نفسه صلى الله عليه وآله وسلم قد ترقى وتدرج في التعرف على مالورقة من مقام؟!... أم أن ورقة نفسه قد ترقى في مدارج القرب والزلفى؟!...

وأخيراً... فاننا لاندرى بعد ورود تلك الأقوال فيه لماذا لم يحكم المسلمون جميعاً بأنه أول من أسلم، لاعلي ولاخديجة، ولاغيرها؟! ولماذا لايعدون من جملة الصحابة؟!...

وكيف يقولون: إنه توفي وهو على نصرانيته، ثم كيف يدخل هذا النصراني الجنة؟!.

كانت تلك بعض الاسئلة التي تحتاج إلى جواب... وأنى...

وثمة اسئلة أخرى:

هذا غيض من فيض مما يرد على تلك الروايات... وبقي فيها الكثير من الاسئلة، التي تحتاج إلى جواب:

(١) - السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٠ و ٢٥٢ عن كتاب الخميس عن الصحيحين، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٤.

(٢) - ارشاد الساري ج ١ ص ٦٧.

فمثلاً: حول ذهاب الملك حينما كشفت خديجة قناعها، وأدخلته (ص) بين درعها وجلدها.

يستدعي سؤال: إنه هل كان الحجاب في ذلك الوقت مفروضاً تلتزم به النساء؟، وكيف؟ وهم يقولون: إن الحجاب قد فرض في المدينة بعد الهجرة؟ وبعد وفاة خديجة عليها السلام؟!... فكيف إذن أدركت خديجة أن الملك يذهب إذا كانت بلاقناع؟!.

وأيضاً هل الملك ملكف بعدم النظر إلى نساء البشر؟! وهل للملك شهوة كشهوة الانسان لا بد من الاحتراس منها؟ ومن أين عرفت خديجة كل ذلك...

وسؤال آخر... إن بعض الروايات تقول: إن الملك قد أخبره أنه رسول الله، وليس ما يراه من قبيل الشعر أو الجنون... فلماذا بقي شاكاً، واحتاج تثبيت خديجة وورقة أو غيرها له؟!... إلى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة التي لن تجدها عند هؤلاء الجواب المقنع والمفيد...

ومن الطعن في النبوة أيضاً:

وبالمناسبة... فإن كل ماتقدم لم يكفهم، بل زادوا عليه: أنه كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عدو من شياطين الجن يسمى الابيض، كان يأتيه في صورة جبرئيل، ولعله هو الشيطان الذي أعانه الله عليه فاسلم - كما يقولون (١)... وشيطانه هذا الذي اسلم كان يجرى منه مجرى الدم (٢)... وكان يدعو الله بأن يخسأ شيطانه؛ فلما اسلم ذلك الشيطان ترك ذلك (٣).

ويروون أيضاً: أنه (ص) قد صلى بهم الفجر، فجعل يهوي بيديه قدماه، وهو في الصلاة؛ وذلك لأن الشيطان كان يلقي عليه النار؛ ليفتنه عن

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٣، وراجع: احياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧١ وفي هامشه عن مسلم، والغدير ج ١١ ص ٩١ عنه، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٢، ومشكل الآثار ج ١ ص ٣٠، وراجع حياة الصحابة ج ٢ ص ٧١٢ عن مسلم وعن المشكاة ص ٢٨٠.

(٢) - مشكل الآثار ج ١ ص ٣٠. (٣) - المصدر السابق.

ونحن لانشك في أن هذا كله من وضع أعداء الدين؛ بهدف فسح المجال أمام التشكيك في النبوة، وفي الدين الحق... وقد أخذ بعض المسلمين - لربما - بسلامة نية، وحسن طوية، وبلا تدبر أو تأمل، ساعهم الله، وعفاهم...

والغريب في الأمر: اننا نجدهم في مقابل ذلك يروون عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله لعمر: «والذي نفسي بيد مالك الشيطان قط سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غير فجك (٢)»، وقوله له: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر (٦)» وقوله: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم إلاخر لوجهه (٤)» وعن مجاهد: كنا نتحدث، أو نحدث: ان الشياطين كانت مصفدة في اماره عمر، فلما أصيب بثت (٥)...

وصارع عمر الشيطان مرات، وفي كل مرة يصصره عمر (٦).

هذا عمر! وهذه حالة الشيطان معه! و ذلك هو نبي الاسلام الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك هي حالته مع الشيطان، عند هؤلاء، الذين تروق لهم مثل هذه الترهات، و يتقبلونها من اعداء الاسلام، والمتاجرين به بسذاجة هي إلى الغباء أقرب. ولربما يكون الدافع لدى بعضهم أن يجد لابي

(١) - المصنف ج ٢ ص ٢٤، وراجع: البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ ج ١ ص ١٣٧، وج ٢ ص ١٤٣.

(٢) - صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٥، والبخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ١٤٤ و ١٨٨، ومسند أحمد ج ١ ص ١٧١ و ١٨٢ و ١٨٧.

(٣) - صحيح الترمذي كتاب ٤٦ باب ١٧ وفيض القدير عنه وعن احمد وابن حبان.

(٤) - عن: فيض القدير ج ٢ ص ٣٥٢ عن الطبراني وابن مندة، وابي نعيم، والاصابة ج ٤ ص ٣٢٦ عنهم.

(٥) - منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٦/٣٨٥، عن ابن عساكر وحياة الصحابة ج ٣ ص ٦٤٧ عن المنتخب.

(٦) - حياة الصحابة ج ٣ ص ٦٤٦ عن مجمع الزوائد ج ٧ ص ٧١ عن الطبراني وصح بعض بعض طرقه، وعن أبي نعيم في الدلائل ص ١٣١.

بكر الذي قال حين أصبح خليفة: إن له شيطاناً يعتريه أن يجده نظيراً، ولكن من مستوى لا يداني ولا يجارى... فوقع اختياره على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ليكون هو ذلك النظير... فانال الله وأنا إليه راجعون...

ما هو الصحيح في قضية بدء الوحي:

والذي نطمئن إليه هو أنه قد أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في غار حراء فرجع إلى أهله مستبشراً مسروراً بما اكرمه الله به، مطمئناً إلى المهمة التي أوكلت إليه— كما يرويه ابن اسحاق، وأشارت إليه الرواية الأخيرة التي تقدمت عند ذكر نصوص الروايات— وان كان قد زيد فيها ما لا يصح—، فشاركه أهله في السرور، واسلموا وقد روي هذا المعنى عن أهل البيت عليهم السلام...

فمن زارة أنه سال الامام الصادق عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله (ص) فيما يأتيه من قبل الله: أن يكون مما ينزع به الشيطان؟. فقال: إن الله اتخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله، مثل الذي يراه بعينه(١)...

وسئل عليه السلام: كيف علمت الرسل انها رسل؟ قال: كشف عنهم الغطاء(٢).

وقال الطبرسي: «إن الله لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة، والآيات البينة، الدالة على ان ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفزع ولا يفزع، ولا يفرق(٣)»...

وقال عياض: «لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك، و يلبس عليه الامر، لافي أول الرسالة ولا بعدها. والاعتماد في ذلك على

(١) — التمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٤٩ عن العياشي ج ٢ ص ٢٠١، والبحار ج ١٨ ص ٢٦٢.

(٢) — التمهيد ج ١ ص ٥٠، والبحار ج ١١ ص ٥٦.

(٣) — مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٤، والتمهيد ج ١ ص ٥٠ عنه.

دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ماياته من الله هو الملك، ورسوله الحقيقي، إما بعلم ضروري يخلقه الله له، أو ببرهان جلي يظهره الله لديه؛ لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلمات الله (١)».

لماذا الكذب والافتعال إذن؟! ...

وبعد كل ماتقدم؛ فإننا نرى أن افتعال تلك الاكاذيب يعود لاسباب، أهمها:

١- إن حديث الوحي هو من أهم الأمور التي يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين وتعاليمه. وله أهمية قصوى في اقناع الانسان بضرورة الاعتماد في التشريع، والسلوك، والاعتقاد، والابخارات الغيبية، وكل المعارف والمفاهيم عن الكون، وعن الحياة، على الرسل والانبياء، والأئمة والاصياء. وله أهمية كبرى في اقتناعه بعصمة ذلك الرسول، وصحة كل مواقفه وسلوكه، واقواله وافعاله.

فاذا أمكن أن يتطرق الشك في نفسه الى الوحي، على اعتبار أنه إذالم يستطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه أن يفرق بين الملاك والشيطان، والوسوسة، والحقيقة، وهو يعاين ويشاهد؛ فان غيره وهو لا يتيسر له الاطلاع الحسي على شيء من ذلك يكون أولى بالشك، وعدم الاعتماد...

وقد نقل الحجة البلاغي ان بعض أهل الكتاب قد نقض على المسلمين بذلك فقال: «الشيطان قرين محمد، وتشبث بنقله عن بعض المفسرين قولهم: إنه كان لرسول الله عدو من شياطين الجن، كان يأتيه بصورة جبرئيل. وانه يسمى الابيض (٢)»... وبعد هذا... فاننا نستطيع أن نعرف سر محاولات أعداء الاسلام الدائبة للتشكيك في اتصال نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالله تعالى، فافتعلوا الكثير مما رأوه مناسباً لذلك، من الوقائع

(١) - التمهيد ج ١ ص ٥٠ عن رسالة الشفاء ص ١١٢.

(٢) - الهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ١٦٩ عن كتاب الهداية في الرد على اظهار الحق، والسيف الحميدي ج ٣ ص ٥.

والأحداث التي رافقت الوحي في مراحلہ الأولى، وأحرفوه وحوروه حسب أهوائهم، وخططهم، ومذاهبهم، على اعتبار أنها فترة بعيدة نسبياً عن متناول الأيدي عادة... فلما فشلوا في ذلك حاولوا ادعاء أن ماجاء به نبينا (ص) كان نتيجة عبقريته ونبوغه، وعمق تفكيره، ومعرفته بطرق استغلال الظروف، وانتهاء الفرص. وليس لأجل اتصاله بالمبدأ الاعلى تبارك وتعالى...

وهكذا... فاننا نستطيع أن نتهم يد أهل الكتاب في موضوع الاحداث غير المعقولة، التي تنسب زوراً وهتافاً الى مقام نبينا الاعظم (ص) حين بعثته، ولا أقل من تشجيعهم لمثل هذه الترهات...

٢- كما أنه لا بد وأن يحتاج نبينا (ص) إليهم لامضاء صك نبوته، وتصديق وحيه، ويكون مديناً لهم، وعلى كل مسلم أن يعترف بفضلهم، وبعمق وسعة اطلاعهم، ومعرفة أمور لا يمكن أن تعرف إلا من قبلهم؛ فكان اختراع هذا الدور لورقة، وعداس، وبحيرا، وناصح، ونسطور، وكلهم أهل الكتاب!!

٣- إننا لاندرى: لماذا اختص نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بكل تلك المصاعب والأهوال، وهذه المعاملة السيئة من جبرائيل، حتى لقد صرح البعض: أنه لم ينقل عن أي من الانبياء السابقين: أنه تعرض لمثل ذلك عند ابتداء الوحي، حتى عد ذلك من خصائص نبينا صلى الله عليه وآله وسلم (١)...

ولكن... هذا الاشكال ينحل إذا لاحظنا: أن بعض الامور والأحوال غير المعقولة، قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، حتى أصبحت جزءاً من التاريخ، والفقہ، والعقائد والنخ...

و إذن... فليس غريباً أن نجد ملامح هذه القصة موجودة في العهدين، فقد جاء في الكتابين الذين يطلق عليهما اسما التوراة والانجيل: أن

(١) - بهجة المحافل ج ١ ص ٦٢، وفتح الباري ج ٨ ص ٥٥٢، وارشاد الساري ج ١ ص ٦٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٢.

دانيال خاف وخر على وجهه، وزكريا اضطرب، ووقع عليه الخوف، ويوحنا سقط في رؤياه كميت، وعيسى تغيرت هيئة وجهه، وبطرس حصلت له غيبوبة واغماء، وهكذا الحال بالنسبة ليعقوب وابراهيم وغيرهم (١).

ولكن ذلك لا يعني: أننا ننكر ثقل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم: فان ذلك بحث آخر (٢)... ولكننا ننكر اضطرابه وخوفه صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أراد أن يتردى من شواهد الجبال، وخاف على نفسه الجنون. وننكر مافعله به جبرئيل، حسب ما ذكرته الروايات المتقدمة، فان الظاهران ذلك قد تسرب من قبل أهل الكتاب إلى المحدثين الاتقياء. أوفقل: الاغبياء! كما هو الحال في كثير من نظائر المقام، حسبما يظهر للناقد البصير، والمتتبع الخبير.

٤— انك تجد في العهدين أن الشيطان يتصرف بالانبياء وغيرهم حتى بابن الا له بزعمهم فيقولون: إن الروح أصدع المسيح إلى البرية أربعين يوماً ليجرب من قبل ابليس، فأصدعه الشيطان الى جبل عال، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان، وقال له: أعطيك هذا السلطان كله واسجد لي إلخ (٣)...

وقال في موضع آخر: ولما اكمل ابليس كل تجربة (أي مع المسيح) فارقه إلى حين (٤).

ويقول بولس الرسول: ولئلا أرتفع بفراط الاعلانات اعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني؛ لألا أرتفع؛ من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني (٥).

(١) — راجع في ذلك كله: الهدى الى دين المصطفى، للحجة البلاغي ج ١ ص ١٤.
(٢) — وقوله تعالى: «إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» يرى المحقق السيد مهدي الروحاني: أن معناه: أن مهمة دعوة الناس إلى الحق، وترك عاداتهم وماهم عليه حتى يزكيهم... من أثقل الأمور واصعبها.

(٣) — انجيل متى الاصحاح ٤ الفقرة ٣-١٣ والهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ١٧٠ عنه.

(٤) — الهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ١٧١ عن انجيل لوقا ١٣.

(٥) — كورنثوس الثانيه الاصحاح ١٢ فقره ٧-٩.

ويقولون في موضع آخر: لذلك أردنا أن نأتي أنا وبولس مرة ومرتين، وإنما عاقنا الشيطان (١).

كما أن الانجيل يذكر: أن المسيح قد عبر عن بطرس بأنه شيطان (٢) إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه... ولا بأس بمراجعة كتاب: الهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ١٦٩-١٧٣ في ذلك...

٥- وعدا عن ذلك كله... فاننا لانستبعد: أن يكون الهدف من جعل تلك الترهات، هو الحط من كرامة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والطعن في قدسيته ومقامه في نفوس الناس... وتصويره لهم على أنه رجل عادي مبتذل، ولا أدل على ذلك من إحتياجه الى أبسط الناس حتى النساء ليرشده إلى طريق الهدى، ويدله على الحق؛ مما يدل على أنه قاصر محتاج باستمرار الى مساعدة الآخرين؛ الذين هم أحسن تصرفاً وأكثر تعقلانته... وقد أشرنا في تمهيد الكتاب إلى بعض ما يمكن أن يقال في ذلك... وأن الظاهر هو أن تلك خطة السياسيين، الذين يريدون أن يرغموا أنوف بني هاشم، وبيزونه سياسياً، من أمثال: معاوية الذي أقسم على أن يدفن ذكر النبي صلى الله عليه وآله، ومع معاوية سائر الامويين واعوانهم...

ومن أمثال عبدالله بن الزبير، الذي قطع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله مدة طويلة؛ لأن له أهيل سوء إذا ذكر شمخت آنا فهم (٣)...

٦- لقد كان الزبير يواجهون وينافسون الامويين، ويعادون الهاشميين، ويحسدونهم على ما لهم من شرف وسؤود.

وإذا لاحظنا: أن عمدة رواة قضية ورقة هم من الزبيريين وحزبهم، كعروة بن الزبير، الذي اصطنعه معاوية ليضع أخباراً قبيحة في علي،

(١)- تسالونيكي الاولى الاصحاح الثاني فقرة ١٨. والهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ١٧٢ عنه.

(٢)- انجيل متى الاصحاح ١٦ فقرة ٢٣، والهدى الى دين المصطفى ج ١ ص ١٧١.

(٣)- تقدم مصادر ذلك حين الكلام على حلف الفضول فراجع...

وكإسماعيل بن حكيم - مولى آل الزبير، وكذلك وهب بن كيسان... ثم أم المؤمنين عائشة خالة عبدالله بن الزبير... ثم لاحظنا في المقابل: أن خديجة هي بنت خويلد بن أسد، وورقة هو بن نوفل بن أسد، والزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد. فتكون النسبة بين الجميع واضحة المعالم - إذا لاحظنا ذلك كله - فاننا نستطيع أن نعرف: أنه كان لا بد وأن يكون لأقارب عبدالله بن الزبير، بن العوام، بن خويلد، بن أسد، ومن ثم للزبيريين بشكل عام، دور حاسم في انبعاث الاسلام، إذ لولاهم لقتل النبي (ص) نفسه، أو على الأقل لم يستطع أن يكتشف نبوة نفسه...

و إذا كان للزبيريين هذا التاريخ المجيد، فليس للأمويين أن يفخروا عليهم بخلافة عثمان، وليس للهاشميين أن يفخروا بمواقف أبي طالب، وولده علي أمير المؤمنين عليها السلام...

و إذن... فلا بد من دعوى: أن ورقة قد تنصر، وأنه كان يكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء... إلى آخر ما قيل ويقال في ذلك...

النتيجة:

وهكذا... فان النتيجة تكون هي: أن الأمويين يستفيدون من افتعال القصة على هذا النحو، ويحققون أعز أهدافهم واغلاها، كما أن الزبيريين أيضاً يستفيدون منها أما أهل الكتاب فيكون لهم منها حصة الاسد... وهكذا... فقد التقت المصالح والأهواء، واجتمعت على هذا الأمر، فلماذا لا يدلي كل بدلو، ويشجع أمثال هذه الترهات والباطيل...

عصمنا الله من الزلل، في القول والعمل...

الفصل الثاني:

الدعوة في دور الخفاء

أول من أسلم:

وإن أول من أسلم، واتبع وصدق، وآزر وناصر، هو أمير المؤمنين، وإمام المتقين، علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعلى ابنائه الأئمة الطاهرين...

وقد أورد العلامة الأميني في كتابه القيم: «الغدِير» ج ٣ من ص ٢٢٤ حتى ص ٢٣٦، أقوالاً عن العشرات من كبار الصحابة، والتابعين، وغيرهم من الاعلام، وعن العشرات من المصادر غير الشيعية، تؤيد وتؤكد على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أول الأمة اسلاماً...

ونذكر منهم:- ١- علي عليه السلام نفسه - ٢- الامام الحسن عليه السلام - ٣- الامام الباقر عليه السلام - ٤- عمر بن الخطاب - ٥- سلمان الفارسي - ٦- أنس بن مالك - ٧- ابن عباس - ٨- أبوذر - ٩- المقداد بن عمرو - ١٠- خباب بن الارت - ١١- جابر بن عبد الله الانصاري - ١٢- أبوسعيد الخدري - ١٣- حذيفة بن اليمان - ١٤- عبد الله بن مسعود - ١٥- أبو أيوب الانصاري - ١٦- خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين - ١٧- عمرو بن العاص - ١٨- سعد بن أبي وقاص - ١٩- زيد بن أرقم - ٢٠- محمد بن أبي بكر - ٢١- جرير بن عبد الله البجلي - ٢٢- بريدة الاسلمي - ٢٣- عفيف الكندي - ٢٤- أبو رافع - ٢٥- أبو مرام - ٢٦- هاشم المرقال - ٢٧- عبد الله بن حجل - ٢٨- أبو عمرة،

- بشير بن محسن - ٢٩ - عبدالله بن خباب بن الارت - ٣٠ - عبدالله بن بريدة - ٣١ - مالك الاشر - ٣٢ - عدي بن حاتم - ٣٣ - محمد بن الحنفية - ٣٤ - طارق بن شهاب الأحمسى - ٣٥ - عبدالله بن هاشم المرقال - ٣٦ - عمرو بن الحمق - ٣٧ - سعيد بن قيس الهمداني - ٣٨ - عبدالله بن أبي سفيان - ٣٩ - كعب بن زهير - ٤٠ - ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب - ٤١ - الفضل بن أبي هب - ٤٢ - أبو الاسود الدؤلي - ٤٣ - جندب بن زهير - ٤٤ - مالك بن عبادة - ٤٥ - زفر بن يزيد بن حذيفة الاسدي - ٤٦ - النجاشي بن الحارث بن كعب - ٤٧ - عبدالله بن حكيم - ٤٨ - عبدالرحمان بن حنبل - ٤٩ - عامر الشعبي - ٥٠ - الحسن البصري - ٥١ - قتامة - ٥٢ - ابن شهاب الزهري - ٥٣ - محمد بن المكندر - ٥٤ - أبو حازم، سلمة بن دينار - ٥٥ - ربيعة بن عبدالرحمان - ٥٦ - محمد بن السائب الكلبي - ٥٧ - جنيد بن عبدالرحمان - ٥٨ - محمد بن اسحاق - ٥٩ - الوليد بن جابر - ...

بعض ماجاء في سبق على الى الاسلام:

هذا كله... عداعن الكثير من الروايات الواردة عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكلمات أمير المؤمنين نفسه، وعداعن كلمات الصحابة والتابعين واشعارهم، بل لقد ادعى البعض الاجماع عليه (١).

ولعل حصر ذلك متعذر على أي باحث ومتتبع، ولذا فلا محيص لنا عن الاكتفاء بأمثلة قصيرة؛ لتكون عنواناً وإشارة لغيرها من الكثير الطيب الذي لم نذكره. ونحيل القارئ الى ما كتبه العلامة الاميني في الغدير ج ٣ ص ٢٢٠-٢٤٣ و ج ١٠ ص ١٥٨-١٦٢.

ومماورد عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بسند صحيح

(١)- راجع: الصواعق المحرقة الفصل الأول، الباب التاسع، وكتاب: المعرفة للحاكم ص ٢٢.

قوله: أولكم وروداً علي الحوض، أولكم اسلاماً علي بن أبي طالب (١) ...

وعنه (ص): إنه لأول أصحابي اسلاماً، أو أقدم أمتي سلماً (٢).

وعنه انه أخذ بيد علي عليه السلام، فقال: هذا أول من آمن بي وهذا أول من يضافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الاكبر (٣).

وعنه (ص): هذا أول من آمن بي، وصدقني، وصلى معي (٤) ...

وعنه (ص): إن أول من صلى معي علي (٥).

تصریحات امیر المؤمنین في ذلك:

وعلي نفسه يصرح في كثير من المناسبات بذلك؛ فيقول عن نفسه: إنه لم يسبقه أحد في الصلاة مع رسول الله، وأنه أول من اسلم مع رسول الله (ص)، وأنه لا يعرف أحداً في هذه الأمة عبد الله قبله غير النبي (ص) ... وأنه صلى قبل أن يصلى الناس سبع سنين.

(لعل المراد التعبد مع النبي (ص) قبل البعثة بثلاث سنين، حيث

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٦ وصححه، وتاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ٨١، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص ٢٨ وشرح النهج للمعتزلي والسيرة الحلبية، والسيرة النبوية لدحلان، ومناقب الخوارزمي، والغدير ج ٣ ص ٢٢٠ عنهم فراجعهم، والآحاد والمثاني، مخطوط في مكتبة كوپرلي رقم ٢٣٥.

(٢) - الغدير ج ٣ ص ٩٦/٩٥ عن: مسند أحمد ج ٥/٢٦ والاستيعاب ج ٣ ص ٣٦، والرياض النضرة، ومجمع الزوائد، والمرقاة، وكنز العمال، والسيرة النبوية لدحلان، والسيرة الحلبية، وليراجع: مستدرك الحاكم ج ٣، والمنمق، وجمع الجوامع ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ عن الطبراني عن ابن اسحاق، وقال: هو مرسل صحيح: الاسناد، واخرجه الطبراني واحداً قال الهيثمي ج ٩ ص ١٠١ وفيه خالد بن طهمان وثقه أبو حاتم وبقية رجاله ثقات.

(٣) - الغدير ج ٢ ص ٣١٣ عن الطبراني والبيهقي، والعدني، ومجمع الزوائد وكفاية الطالب واكمال كز العمال وسوف يأتي في حديث الغارحين الكلام على تلقيب أبي بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٩.

(٤) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٥.

(٥) - الغدير ج ٣ ص ٢٢٠ عن فرائد السمطين باب ٤٧ بأربعة طرق.

بدأت أرهاصات النبوة، ثم يضم إليه ثلاث أو خمس سنين فترة الدعوة السرية بعد البعثة— أو لعله عبده حقاً مع رسول الله قبل البعثة سبع سنين إلا أن يكون الصحيح في الرواية هو ما ذكره ابن بطريق: صلت الملائكة علي وعلي علي سبع سنين (١)

كما أنه، (ع) قد كتب هو نفسه بهذا الأمر الي معاوية، وردده في كلماته الكثيرة المتصافرة (٢).

دليل آخر:

و إن احتججه عليه السلام، واحتجاج اصحابه من الصحابة والتابعين بهذه الكثرة العجيبة على خصومهم، في صفين وغيرها واهتمامهم الواضح بهذا الأمر ليدل على ذلك دلالة واضحة... ولم نجد أحداً من أعدائه عليه السلام حاول انكار ذلك، أو التشكيك فيه، أو طرح اسم آخر على أنه هو صاحب هذه الفضيلة دونه، رغم توفر الدواعي لذلك، ورغم أن الطرف المقابل لا يتورع حتى عن الاختلاق والكذب على الرسول الاعظم (ص)، بل على الله سبحانه وتعالى... فلو أنهم عرفوا: أن كذبتهم تجوز على أحد لكانوا لها من المبادرين... ولكن التسالم على هذا الأمر كان بحيث لا يمكنهم معه التوسل بأية حيلة... إن كل ذلك يدل على أن ذلك كان أمراً مسلماً ومجمعاً عليه، ولا يمكن انكاره لأحد...

(١) - كشف الغمة للاربل ج ١ ص ٣٣٤.

(٢) - راجع هذه النصوص كلها عن اميرالمؤمنين في الفديرج ٣ ص ٢١٣ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ج ١٠ ص ١٥٨-١٦٤ و ج ٢ ص ٢٥-٣٠ و ٣١٤ عن: شرح النهج ج ١ ص ٥٠٣ و ٤٠٤ و ٢٨٣ و ج ٢ ص ١٠٢ وأبي داود باسناد صحيح، وتاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ٢٢٤، ويجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ عن أبي يعلي، وأحمد، والبخاري والطبراني في الاوسط، وفرادئ السمطين باب ٤٨، ووقعة صفين لنصرين مزاحم ص ٣٥٥ و ٣٦٠ و ١٣٢ و ١٠٠ و ١٦٨ وجمهرة الخطب ج ١ ص ١٧٨ و ٥٤٢، و ٤٢٨ وجمهرة الرسائل ج ١ ص ٥٤٢، ومروج الذهب ج ٢ ص ٥٩، وتذكرة سبط ابن الجوزي ص ١١٥، ومطالب السؤل ص ١١، والمحاسن والمساوي ج ١ ص ٣٦ وتاريخ القرمانني هامش الكامل ج ١ ص ٢١٨. وثمة مصادر أخرى في الفديرج ١٠ ص ٣٢٢ فراجع.

وكشاهد على هذا التسالم نذكر هنا حادثة واحدة فقط، ونترك
 ماسواها— وهو كثير جداً— جرت لسعد بن أبي وقاص— الذي كان منحرفاً
 عن علي عليه السلام— كما سنشير إليه في معركة أحد ان شاء الله تعالى—
 حيث سمع رجلاً يشتم علياً، فوقف عليه وقرره بقوله: يا هذا، علاماتشم علي
 بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من اسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله
 (ص)؟ ألم يكن أعلم الناس؟ إلخ (١) كما أن المقداد كان يتعجب من
 قریش لدفعها هذا الأمر عن أول المؤمنين اسلاماً يعني علياً—(٢).

خاتمة المطاف:

واظن أن ما ذكرناه كاف وواف في هذا المجال، ومن أراد المزيد
 فعليه بالمراجعة إلى الكتب المعدة لذلك ... وبعد هذا... فلا يصغى لقول
 النواصب والحاقدین، الذين يهتمون في طمس فضائله عليه السلام بكل
 وسيلة، ولو عن طريق الدجل والتزوير، حتى ان ابن كثير ليقول: «وقد ورد
 في أنه أول من اسلم أحاديث كثيرة، لا يصح منها شيء (٣)»...

لا يا ابن كثير: لقد تجنيت على الحقيقة وعلى التاريخ كل التجني،
 ولم تستطع أن تكتم ما يعتلج في صدرك من إحن— فجرك ذلك إلى المكابرة،
 وإلى إنكار ما يكاد يلحق بالضروريات...

القول بأن خديجة أول من اسلم:

ونجد في مقابل ذلك قولاً آخر مفاده: أن خديجة كانت هي السبابة
 إلى الاسلام وانها أول مخلوق آمن به. بل لقد ادعى البعض الاجماع على هذا

(١)— مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٠٠، وصححه هو والذهبي في تلخيصه هامش نفس الصفحة،
 وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥١٤/٥١٥.

(٢)— الغدير ج ٩ ص ١١٥ عن يعقوب ج ٢ ص ١٤٠.

(٣)— البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٥.

ولكنه قول مردود، لأن العديد من الروايات عن النبي (ص)، وعن علي (ع)، وعن الصحابة والتابعين تعبر بأن علياً أول من آمن، أو أول الأمة، أو: أول الناس اسلاماً (٢)، ولا يمكن أن يكون المقصود بالأمة أو الناس خصوص الرجال بناء على هذا القول، ولا خصوص الصبيان، بناء على قول آخر يأتي...

أبو بكر... وسبقه إلى الاسلام:

وبعد كل ماتقدم نعرف: أن ادعاء سبق غير أمير المؤمنين عليه السلام إلى الاسلام قد جاء متأخراً عن عهد الخلفاء الأربعة، ووضع بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، ولربما يكون قد حصل ذلك حينما كتب معاوية إلى الاقطار يأمرهم أن لا يدعوا فضيلة لعلي إلا ويأتوه بمثلها لغيره من الصحابة (٣).

ومن هنا... فاننا نعتقد: بأن القول بأولية اسلام أبي بكر، والمروي عن: ١- ابن عباس - ٢- الشعبي - ٣- أبي ذر - ٤- عمرو بن عبسة - ٥- ابراهيم النخعي - ٦- حسان بن ثابت، الذي يروى عنه قوله:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية اتقأها وأعد لها إلا النبي واوفأها بما حصل
والثاني الصادق المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسل
عاش حميداً، لامر الله متبعاً بهدي صاحبه الماضي وما انتقلا (٤)

(١)- راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٧، وفي تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ١٨٢ نقل عن الثعلبي الاتفاق عليه. وقال ابن الأثير: إنها أول خلق الله اسلاماً باجماع المسلمين. والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩٠. واسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص ١٤٨.

(٢)- راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٨ ومناقب المغازلي، ومناقب الخوارزمي، ص ١٨-٢٠ والغدير ج ٣ ص ٢٢٠-٢٣٦ تجد الكثير من التصريحات بذلك. وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٣٣.

(٣)- راجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص ٧٢ حتى ص ٧٤.

(٤)- ديوان حسان ص ٢٩ ط أوربا.

نعم... إننا نعتقد: أن ذلك كله. موضوع في وقت متأخر، ترفلاً للأموين، وشعر حسان لا يبعد أن يكون منحولاً... إذ لا يمكن أن يبادر إلى مخالفة ما كان متسالماً عليه بين الأمة، ولا سيما الصحابة منهم... كما أننا نلاحظ: أن البيتين الأخيرين، فيها حشو ظاهر، وليس لها صياغة منسجمة (١)... ولربما يقال: إنها بعيدان عن نفس حسان، وعن شاعريته وسبكه، وطريقته.

ونزيد على ذلك، مما يدل على عدم صحة ذلك :

أولاً: إنه قد تقدم: أن ابن عباس، والشعبي، وأبازر يقولون: إن أمير المؤمنين عليه السلام هو أول من أسلم. ويقول الاسكافي (٢): إن حديثهم في علي أقوى سنداً، وأشهر من الحديث الآخر المنسوب إليهم في أبي بكر...

وأما رواية أبي ذر، وعمر بن عبسة؛ فهي مضطربة، لأنها تذكر: أن أبازر، وعمر بن عبسة كلاهما ربع الاسلام، وان بلالاً أسلم قبل أبي بكر، ولا تذكر علياً عليه السلام، ولا خديجة... وهذا يعني: أن بلالاً قد أسلم قبل خديجة وعلي؛ مع أن العكس هو الصحيح... فاذا كانت خديجة (رض)، وعلي (ص)، وبلال، وعمر بن عبسة قد أسلموا أولاً؛ فأين يكون اسلام ابي بكر بعد هذا؟!...

وثانياً: قد تقدم: أننا لم نجد أحداً يعترض على الصحابة، ولا على التابعين، ولا على أمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجاتهم المتعددة على معاوية بأن علياً هو أول الأمة اسلاماً— لم نجد أحداً يعترض، ويقول: بل أبو بكر هو الاول...

(١) - فليلاحظ مثلاً: كلمة منهم في البيت الثالث...

وقوله في الرابع: (متبعاً بهدي) وقوله: وما انتقلا الى غير ذلك من وجوه الضعف في السبك والصياغة.

(٢) - راجع، الغدير، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣، وآخر كتاب العثمانية.

فإلى متى يدخرون هذه الحجة؟! ولماذا يدخرونها؟!

بل إننا لم نجد أبابكر، ولا أحداً من أنصاره ومجبيه يحتج له بأنه أول (ص) أسلم، رغم احتياجهم الشديد إلى ذلك، ولا سيما في السقيفة؛ حيث لم يجدوا ما يحتجون به من فضائله إلا كونه كبير السن، وصاحب رسول الله (ص) في الغار— كما احتج به صاحبه عمر، وغيره ثمة (١)— وستأتي الإشارة إلى احتجاجاتهم تلك حين الحديث على قضية الغار إن شاء الله تعالى...

وثالثاً: لقد تأخر اسلام أبي بكر عن البعثة عدة سنوات، ويدل على ذلك — ونحن نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم—:

١— ما قالوه من أنه لما أسلم سماه النبي (ص) صديقاً (٢) مع أن تسميته هذه إنما كانت بعد الاسراء حين صدقه أبو بكر وكذبه قریش (٣) ... أوحين الهجرة في الغار (وكلاهما لا يصح أيضاً كما سيأتي في حديث الغار إن شاء الله تعالى). وهم يدعون: أن الاسراء كان بعد البعثة باثنتي عشرة سنة و إن كنا نحن نعتقد بخلاف ذلك كما سيأتي.

٢— بل يروي البعض: أنه أسلم وآمن بعد الاسراء والمعراج، فسمي يومئذ بـ «الصديق» (٤)، مع قولهم: إن الاسراء والمعراج كان قبل الهجرة بقليل— كما سئرى.

٣— لقد روى الطبري— بسند صحيح كما يقول الاميني— عن محمد بن سعيد، قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم اسلاماً؟ فقال: لا ولقد اسلم قبله أكثر من خمسين (٥) ... وهذا يعني: أنه قد اسلم بعد انتهاء الفترة (١)— مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٦٦، وسنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٣ والفدير ج ٥ ص ٣٦٩ وج ٧ ص ٩٢ وج ١٠ ص ٧ و ١٣ عن عدد كبير من المصادر، وكذا العمال ج ٨ ص ١٣٩ عن ابن أبي شيبه، وعن الكز أيضاً ج ٣ ص ١٤٠. وسوف نذكر طائفة من المصادر حين الكلام على قضية الغار.

(٢)— السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٣، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨.

(٣)— السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٣.

(٤)— مجمع الزوائد ج ١ ص ٧٦ عن الطبراني في الكبير.

(٥)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٠.

السرية، وبعد خروجه (ص) من دار الأرقم، لأنهم قد خرجوا بعد أن تكاملوا أربعين رجلاً، كما يقولون. وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى...

٤- — ولسوف نذكر ان شاء الله في أواخر حديث الغار: أن أبا قحافة يذكر: أن ابن مسعود قد أسلم هو وجماعة قبل إسلام أبي بكر، وابن مسعود قد أسلم قبل إسلام عمر كما ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات.

٥- — لقد ورد: أنه (ص) قد بعث وأبو بكر غائب في اليمن، قال أبو بكر، فقدمت مكة، وقد بعث النبي (ص) فجاءني صناديد قریش... إلى أن قال: «فقالوا: يا أبا بكر، اعظم الخطب، وأجل النوائب، يتم أبي طالب يزعم أنه نبي. ولولا أنت— أو: ولولا انتظارك— ما انتظرنا به؛ فاذ قد جئت فانت الغاية والكفاية (١)».

وعند أبي هلال عن الشعبي، عن أشياخه، منهم جرير، في خبر طويل: «قال أبو بكر: فلما قدمت مكة استبشروا ووطنوا: أنه فتح عليهم بقدمي فتح، واجتمعوا إلي، وشكوا أبا طالب، وقالوا: لولا تعرضه دونه لما انتظرنا به. قلت: ومن تبعه على مخالفة دينكم؟ قالوا: بني أبي طالب (٢)».

وعن ابن اسحاق، قال: إن أبا بكر لقي رسول الله (ص)، فقال: أحق ماتقول قریش يا محمد، من تركك آهتنا، وتسفیهك عقولنا، وتكفیرك آباءنا إلخ... ثم ذكر إسلام أبي بكر (٣).

ويؤيد ذلك ما رواه المقدسی، حيث قال: «إسلام أبي بكر— زعم بعض الرواة: أنه كان في تجارة له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبي (ص) من مكة، وأمره باتباعه، فلما رجع سمع رسول الله يدعو إلى الله، فجاء

(١) — الصواعق المحرقة ص ١٤٨ ط سنة ١٣٢٤ هـ. والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٥، والسيرة

النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) — الاوائل للمسکري ج ١ ص ١٩٤.

(٣) — دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤١٦/٤١٧. والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص

ويؤيد ذلك أيضاً قولهم: إن أبا بكر قال للنبي (ص): فقدت من مجالس قومك، واتهموك بالغيب لآبائها وأمهاها. فدعاه (ص) إلى الاسلام فأسلم (٢).

فكل ذلك الذي ذكرناه يدل على أن اسلام أبي بكر كان بعد الفترة السرية التي استمرت ثلاث أو خمس سنوات، وبعد أن أُنذر عشيرته الأقربين وبعد أن أمر بالصدع بالأمر، ودعوة الناس عامة. وبعد تكفيره لآبائها وأمهاها... وبعد عرض قريش على أبي طالب أن يقنع ولده بالعدول عن هذا الأمر، وبعد عرضهم عليه ولداً آخر، ويخلي بينه وبينهم، وبعد وقوع المواجهة بين قريش وبينه، ثم قيام أبي طالب دونه، ولو لا انتظارهم لأبي بكر ما انتظروا به... وهذا يدل على أن اسلامه قد تأخر إلى السنة الرابعة أو الخامسة إن لم يكن بعد ذلك أيضاً... فقد قال أبو القاسم الكوفي: إن أبا بكر قد اسلم بعد سبع سنين من البعثة (٣).

ولربما يكون ذلك صحيحاً أوقرباً من الصحيح إذا أخذنا بالروايات المتقدمة الدالة على أنه قد اسلم بعد اشتداد المواجهة بين الرسول وبين المشركين وقيام أبي طالب دونه، وبعد أكثر من خمسين رجلاً، فلربما يكون المراد بالخمسين هو خصوص من اسلم بعد الاعلان بالدعوة. وهكذا يتضح أن القول بأن أبا بكر هو أول من اسلم لا يمكن إلا أن يكون من القول الجزاف، والدعوى الفارغة، ومن المختلقات التي افتعلت في وقت متأخر...

طريق جمع فاشل:

وقال البعض: الاورع أن يقال: أول من اسلم من الرجال الاحرار

(١) - البدء والتاريخ ج ٥ ص ٧٧.

(٢) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠/٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٩.

(٣) - الاستغاثة ج ٢ ص ٣١.

أبوبكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال (١).

وهو كلام فارغ، بعد أن ثبتت أولية علي عليه السلام... وقولهم: إنه أول من اسلم من الصبيان عجيب، وذلك لما يلي:

١- إنه قد جاء عنه عليه السلام، وعن غيره القول: بأنه أول رجل اسلم، مما يعني أنه كان حينئذ رجلاً وبالغاً... ولا ينحصر البلوغ بالسن؛ فان عمرو بن العاص - كما يقولون - كان يكبر ولده عبدالله باثني عشر سنة فقط (٢) والراشد بالله وطئ جارية، وهو ابن تسع سنين فحملت منه (٣)...

كما أن ثمة أقوالاً كثيرة في سن علي (ع)، وقد رأينا الحافظ عبدالرزاق، وابن أبي شيبة، والكليني، والحسن البصري، والاسكافي وغيرهم كثير يذكرون في سن علي رقماً يتراوح ما بين ١٢ سنة إلى ١٦ سنة، وبعضهم يتجاوز ذلك أيضاً، كما تقدم بيانه في مبحث ولادته عليه السلام...

٢- قد ذكر غير واحد ان البلوغ قد حدد بعد الهجرة، أي في غزوة الخندق، في قضية رد ابن عمر وقبوله في الغزو... أما قبل ذلك فقد كان المعتمد هو التمييز والادراك (٤)، وعليه يدور مدار التكليف، والدعوة إلى الاسلام والايان وعدمه...

ولولا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان في مستوى الاسلام والايان، لم يقدم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على دعوته إلى الاسلام، ثم قبوله منه...

(١) - السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٥، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩٠ ونزهة المجالس ج ٢

ص ١٤٧ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٧ و ٢٦ و ٢٩.

(٢) - المعارف لابن قتيبة ص ١٢٥ ط دار احياء التراث العربي سنة ١٣٩٠ هـ.

(٣) - السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٩.

(٤) - اسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص ٤٩ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٩.

٣- بل إننا نستطيع أن نستفيد من دعوته إلى الاسلام وهو صبي امتيازاً له خاصاً، وكونه هو الوصي له، أوليس قد تكلم عيسى وهو في المهد صبياً. ويحيى أيضاً قد اوتي الحكم صبياً كما نص عليه القرآن؟

٤- وأيضاً... لو كان الأمر كما ذكره؛ فلا يبقى معنى لقول النبي صلى الله عليه وآله عنه: إنه أول من اسلم أو: اولكم اسلاماً... فان معنى ذلك هو أن أوليته بالنسبة إلى النساء والرجال والعبيد والأحرار على حد سواء...

٥- وأخيراً... فان هذا الورع المصطنع لم يوجد إلا عند هؤلاء المتأخرين، ولم نجد أحداً واجه احتجاج امير المؤمنين والصحابة والتابعين بحجة من هذا القبيل، ولم يكن لديهم ورع يبلغ ورع هؤلاء الغيارى على أبي بكر وعلى فضائله!!...

هدف الورعين من الجمع بين الروايات.

ولعلنا نستطيع أن نرجح: أن هدف أولئك الورعين من هذا الجمع بين الروايات هو اظهار: أن اسلام غيره أفضل من اسلامه، لأن اسلام ذلك الغير كان عن تدبر وتعقل، ونظر وتبصر... أما أمير المؤمنين... فقد كان اسلامه عن طيش وتقليد، كما هو شأن الصبيان...

تنبيه: وبالمناسبة فان من الملاحظ: أن عمر بن الخطاب كان يعتبر البلوغ بالشبر؛ فن بلغ ستة اشبار أجرى عليه الاحكام، ومن نقص عنها ولو أتملة تركه. وكذلك كان رأي ابن الزبير أيضاً (١).

وعلى ذلك جرى العباسيون من بعد، فقد أمر ابراهيم الامام العباسي أبا مسلم الخراساني: أن يقتل في خراسان كل يتهمه، إذا كان بلغ خمسة

(١) - المصنف ج ١٠ ص ١٧٨ وعن خصوص عمر راجع: الغدير ج ٦ ص ١٧١ عن كنز العمال ج ٣ ص ١١٦ عن ابن أبي شيبة وعبدالرزاق، ومسدد، وابن المنذر في الاوسط.

ونحن لانريد التعليق على هذا، ونكل ذلك إلى القارئ نفسه ليحكم حسبما يقتضيه ضميره ووجدانه...

مقارنة... وهدف:

وجدير بالملاحظة هنا: أن البعض يذكر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: «أدعوك إلى ترك (أو الكفر ب) باللات والعزى (٢)».

ونحن نجزم بعدم صحة هذا القول عنه (ص)؛ إذ لم يسبق لعلي عليه السلام إيمان بها، ليدعوه صلى الله عليه وآله وسلم إلى تركها (٣)... كيف وقد ترى في حجر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وتلقى التوحيد، وكل المكارم والفضائل عنه صلى الله عليه وآله...

ولنقارن بين هذا وبين ما يذكره البعض عن أبي بكر من أنه لم يسجد لصنم قط، رغم أنه كان حين أسلم قد بلغ عمره الأربعين أو تجاوزها؟!... فأبو بكر إذن قد ضارح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدم السجود للاصنام... ولكننا لاندرى لماذا ترك دين قومه؟، وكيف لم يشتهر هذا الأمر عنه، في زمن الصحابة والتابعين؟ وبقي هكذا مخفياً إلى زمان متأخر جداً، حتى اكتشفه هؤلاء؟ وكيف غفل عنه الصحابة ومنا فسوه منهم، وغفل عنه هو نفسه وأنصاره يوم السقيفة، فلم يحتج ولا احتجوا به على استحقاقه للخلافة، رغم أنهم احتجوا بكبر سنه، وما شاكل ذلك، مما لا يجدي ولا يسمن ولا يغني من جوع؟!...

(١) - راجع حياة الامام الرضا للمؤلف ص ١٢٢ عن: الطبري ط ليدن ج ٩ ص ١٩٧٤ و ج ١٠ ص ٢٥، والكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٩٥، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٨ و ٦٤ والامامة والسياسة ج ٢ ص ١١٤، والنزاع والتخاصم للمقرزي ص ٤٥، والعقد الفريد ط دارالكتاب ج ٤ ص ٤٧٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٢٦٧ وضحى الاسلام ج ١ ص ٣٢.

(٢) - السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٨، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩١.

(٣) - عن: الامتاع للمقرزي ص ١٦.

من أسلم بدعاية أبي بكر:

ويذكرون أن عدداً من كبار الصحابة قد أسلموا على يد أبي بكر، واستجابة لدعوته... مثل: «طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمان بن عوف، وأبو عبيدة الجراح، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبوذر، وعثمان بن عفان، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والارقم بن أبي الارقم (١)».

قال الجاحظ: «وقالت أسماء بنت أبي بكر: ما عرفت أبي إلا وهو يدين بالدين. ولقد رجع إلينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام، فما دمنا حتى أسلمنا، وأسلم أكثر جلسائه (٢)».

ولكن ذلك كله محل شك وريب وذلك للأمور التالية:

١- قد تقدم ما يدل على أن إسلام أبي بكر كان بعد الخروج من دار الارقم، وبعد اشتداد الأمرين للنبي (ص) وقريش، وقيام أبي طالب دونه ينافح عنه ويكافح... وهؤلاء قد أسلم أكثرهم أثناء المرحلة السرية، كزيد بن حارثة الذي أسلم ثانياً، وفي نفس الوقت أسلم خالد بن سعيد بن العاص، وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن عبسة، وعتبة بن غزوان، ومصعب بن عمير (٣)... أما الارقم بن أبي الارقم فكان سابعاً (٤)، وقصة إسلام أبي ذر معروفة، وكان إسلامه على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، وعلي هو الواسطة وستأتي... ومن الأولين أيضاً: جعفر بن أبي طالب، وبلال، وخباب بن الارت، والزبير بن العوام، وكل هؤلاء أسلم قبل أبي بكر - على

(١) - راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩٤ - والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٦ وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ١٨٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٧٨.

(٢) - شرح النهج للمعتز ج ١٣ ص ٢٧٠ وعثمانية الجاحظ ص ٣١.

(٣) - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٢ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٤ وغير ذلك.

(٤) - الاصابة، ترجمة الارقم ج ١ ص ٢٨.

حد تعبير الاسكافي في نقض العثمانية (١)، ويرى المقدسي: أن الزبير أسلم رابعاً، أو خامساً.

٢- وعداعما تقدم، فإن ابا اليقظان خالد بن سعيد بن العاص، كان هو نفسه يزعم: أنه أسلم قبل أبي بكر (٢) وعليه فلا يصغى لما حكاه البيهقي من أنه رأى في منامه النار، ثم لقي أبا بكر فأخذه الى النبي (ص)، فأسلم (٣) فإن أبا اليقضان نفسه يكذب ذلك وينكره. وهو أعرف بنفسه من كل أحد...

وأما عثمان فقد اشترط لاسلامه أن يزوجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رقية، ففعل، فأسلم (٤).

ويروي المدائني عن عمر بن عثمان: أن عثمان قال: إنه دخل على خالته أروى بنت عبدالمطلب يعودها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل ينظر إليه، وقد ظهر من شأنه يومئذ شيء... فجرى له معه صلى الله عليه وآله وسلم حديث... وقرأ عليه (ص) بعض الآيات، ثم قام صلى الله عليه وآله فخرج. قال عثمان: فخرجت خلفه فأدركته، وأسلمت (٥)...

وأما سعد بن أبي وقاص ف «كان سبب اسلامه: أنه رأى في المنام قال: كأنني في ظلام، فأضاء قمر، فاتبعته، فإذا أنا بزید وعلي قد سبقاني إليه، وروي: فإذا أنا بزید وأبي بكر، قال: ثم بلغني: أن رسول الله يدعو الى الاسلام مستخفياً، فلقيته بأبياد، فأسلمت، ورجعت الى أمي الخ (٦)».

(١) - شرح النهج ج ١٣ ص ٢٢٤، والعثمانية في أواخرها حيث ينقل كلام الاسكافي ص ٢٨٦ والغدير ج ٣ ص ٢٤١.

(٢) - البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٦.

(٣) - مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٤٨، والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٣٢ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٦٧/٦٨ والاستيعاب ج ١ ص ٤٤٢/٤٠١ والاصابة ج ١ ص ٤٠٦ ومع ذلك فإن الرواية لا تدل على أنه اسلم بدعوة أبي بكر بل هي في ضد ذلك أظهر...

(٤) - مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٢.

(٥) - الاستيعاب ج ٤ ص ٢٢٥.

(٦) - البدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٤/٨٥.

وعن اسلام طلحة يقولون: انه كان في بصرى، فسمع خبر خروج نبي اسمه أحمد في ذلك الشهر من راهب، فلما قدم مكة سمع الناس يقولون: تنبى محمد بن عبدالله، فأتى إلى أبي بكر، فسأله فأخبره، ثم أدخله على رسول الله فأسلم... فأخذهما نوفل بن خويلد وقرنها بجبل، فسميا القرينين (١)...

ولكن هذه الرواية كما ترى، لا تدل على أنه اسلم بدعوة ابي بكر إياه، بل هي في خلاف ذلك أظهر كما هو واضح، كما أنهم يذكرون رواية أخرى مفادها: أن طلحة ذهب بنفسه إلى رسول الله فأسلم (٢). وأما أن أبابكر وطلحة قد سميا القرينين فسيأتي أنه لا يصح أيضاً، وذلك ضعف آخر في هذه الرواية...

٣— يقول الاسكافي هنا ما ملخصه: إن أبابكر قد عجز عن إدخال أبيه، مع أنه معه في بيت واحد، وابنه الوحيد عبدالرحمان في الاسلام، وبقيا على شركهما إلى عام الفتح، وكذا الحال في أخته أم فروة، وزوجته نملة— أوقتيلة— بنت عبدالعزى، التي فارقتها حين نزل قوله تعالى: ولا تمسكوا بعصم الكوافر، بعد الهجرة بعدة سنين...

ويمضي الاسكافي هنا فيقول: كيف استطاع أبو بكر أن يهيمن على سعد، والزبير، وطلحة، وعبدالرحمان وغيرهم— وهم ليسوا من أتباعه، ولا من جلسائه، ولا كان له معهم صداقة أو مودة، ولم يستطع أن يقنع عتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما من جلسائه، بل واكبر منه سناً، ويأنسان إلى حديثه وطرائفه— كما يزعم أنصاره—؟! وماله لم يدخل جبير بن مطعم في الاسلام، وهو الذي أدبه وعلمه، وعرفه أنساب العرب، وقريش وطرائفها وأخبارها— كما يدعون؟!...

وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب الدخول في الاسلام في تلك الفترة، وكان صديقه وأقرب الناس شهابه، ومحالاته. ولئن رجعت إلى

(١)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٦٩، والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٢ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤١٩.

(٢)— البدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٢.

الانصاف لتعلمن بأن اسلام هؤلاء لم يكن إلا بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وعلى يديه (١).

٤— وأما ماتقدم نقله عن اسماء، فهو يقتضى أن تكون اسماء وأهل بيت أبي بكر أسبق الناس إلى الاسلام، وقد عد ابن هشام ممن اسلم في الفترة الأولى من الدعوة بحيث يعد من السابقين الأول اسماء وعائشة ابنتي أبي بكر (٢)، وعند النووي وغيره: أن عائشة قد اسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً وأختها اسماء بعد سبعة عشر (٣).

ولكن قدفات هؤلاء: أن كل ماتقدم يكذب هذا الذي ذكروه هنا... أضف الى ذلك: أن عمر اسماء كان حين البعثة أربع سنين على أبعد التقادير... أما عمر عائشة فنحن نقول: إنها أيضاً كان عمرها قريباً من هذا (٤)... ولكن نفس اولئك يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثة بخمس سنين— ولسوف يأتي بعض الكلام في ذلك انشاء الله (ص)؛ فكيف تكونان قد اسلمتا بعد ثمانية عشر إنساناً؟ مع ان الفترة السرية قد انتهت باسلام اربعين؟! وأما جلساؤه وأهل بيته فقد تكلمنا عنهم، ولم يبق الا ولده محمد، وهو إنما ولد بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث وعشرين سنة، أي قبل وفاته (ص) بقليل.

سر التأكيد على دور أبي بكر:

وأما سر التأكيد على دور أبي بكر فقد أوضحه لنا الجاحظ، حين

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧١ عن الاسكافي... ولا يرد على الاسكافي بأمرأة نوح وولده؛ حيث لم يكونا مؤمنين... فان الاسكافي يريد أن يقول: إن الاستفادة من القرائن العامة هو أن ابابكر لم يكن يملك المؤهلات والكفاءات التي تعطيه القدرة على أن يقنع أحداً بالدخول في الاسلام.

(٢)— سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧١.

(٣)— تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٢٩ و ٣٥١ عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن اسحاق، والاصابة ج ٤ ص ٢٢٩ بالنسبة لاسماء فقط.

(٤)— وعد المقدسي عائشة مع الذين اسلموا في السنوات الأولى من البعثة في الفترة السرية قبل أن يدخل (ص) دارالارقم وقال: انها كانت صغيرة فراجع البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٦.

قال: «...ولذلك قالوا: إن من اسلم بدعاء أبي بكر أكثر ممن اسلموا بالسيف. ولم يذهبوا في ذلك إلى العدد، بل عنوا الكثرة في القدر، لأنه اسلم على يديه خمسة من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافة، وهم اكفاء علي عليه السلام، ومنازعه في الرياسة والامامة، فهؤلاء أكثر من جميع الناس(١)»...

نعم يا جاحظ: لقد تجاوز أبو بكر كل التوقعات، حتى لقد بذر النبي نفسه، ولم يستطع وهو الرسول الاعظم أن يجاريه في تلك الفضائل المجعولة— كما قدمنا— ولا ندري لماذا غلط جبرئيل ونزل عليه دونه!.

وحسبنا هنا ما ذكرناه حول هذا الموضوع؛ فان استقصاء الكلام فيه يحتاج إلى جهد مضمّن ووقت طويل...

هل عمير بن أبي وقاص من السابقين؟!

ويذكر ابن هشام هنا: أن عمير بن أبي وقاص كان من جملة السابقين إلى الاسلام(٢).

ولكن ذلك لا يصح؛ لأنهم يقولون: إن عميراً قد قتل في بدر، وله ستة عشر عاماً. فيكون عمره حين البعثة سنة واحدة(٣)؛ فكيف يكون من السابقين إذن؟!...

اسلام أبي قحافة:

وفي رواية: أنه لما نبي رسول الله (ص)، وهو ابن أربعين سنة، صدقه أبو بكر رسول الله (ص)، وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين

(١) — العثمانية للجاحظ ص ٣٢/٣١ وشرح النهج ج ١٣ ص ٢٧١/٢٧٠.

(٢) — سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٢.

(٣) — تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٩ والاصابة ج ٣ ص ٣٦.

سنة، قال: «رب أو زعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي (١)».

واستجاب الله له فاسلم والداه وأولاده كلهم...

ولكن هذه الرواية لا تصح، وذلك ...

أولاً: لما تقدم من أن أبابكر إنما اسلم بعد عدة سنوات من البعثة. وكان عمره حينئذٍ حوالي خمس وأربعين سنة...

وثانياً: إن أبا قحافة إنما اسلم سنة ثمان عام الفتح... وانه أسلمت— كما قالوا— سنة ست من البعثة، وأولاد أبي بكر حالهم معلوم... حتى إن احدهم طلب مبارزة أبيه— أبي بكر— يوم أحد أو بدر... فكيف يقول: انه قد أنعم الله عليه والديه بعد النبوة بستين، ويطلب من الله أن يوفقه لشكر هذه النعمة؟!...

الدعوة في مراحلها، التي اجتازتها:

ويرى البعض: أن الدعوة قد مرت بمراحل أربع:

الأولى: المرحلة السرية، واستمرت ثلاث أو خمس سنوات.

الثانية: الاعلان بالدعوة إلى الله بالقول فقط، دون اللجوء إلى العنف، واستمرت حتى الهجرة...

الثالثة: مرحلة الدفاع عن الدعوة بالسيف... واستمرت إلى صلح الحديبية.

الرابعة: قتال كل من وقف في سبيل الاسلام، من الوثنيين

(١) — فتح القدير ج ٥ ص ١١٨ والغدير ج ٧ ص ٣٢٧ عنه وعن الكشاف ج ٣ ص ٩٩، وتفسير القرطبي ج ٢ ص ١٩٤/١٩٣ والرياض النضرة ج ١ ص ٤٧، ومراقبة الاصول ص ١٢١، وتفسير الخازن ج ٤ ص ١٣٢، وتفسير النسفي بهامشه ج ٤ ص ١٣٢.

والمشركين، وغيرهم، وهو ما استقر عليه أمر الدعوة وحكم الجهاد (١).

المرحلة السرية:

ومن حين بعثته صلى الله عليه وآله وسلم بد أيدعو الافراد، سراً إلى الاسلام، وكان من يسلم منهم يكتم اسلامه، ولا يعلن بشعائره.

وتكتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنوات الثلاث الأولى لم يكن سببه الخوف على نفسه، بل إنما أراد الحفاظ على مستقبل الدعوة، حتى لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها، حيث لا بد من ايجاد ثلة من المؤمنين، ومن مختلف القبائل، يحملون هذه العقيدة، ويدافعون عنها، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعة والحاسمة من قبل اعدائهم الاشرار...

كما انه صلى الله عليه وآله... اراد أن لا تهدر الطاقات، وتذهب الجهود سدى، وينتهي الامر الى تمزق وتوزع في الثلة المؤمنة، ثم الى ضياع مدمر... وايضاً... فقد كانت هذه الفترة السرية بمثابة اعداد نفسي، وتربية عقيدية وروحية لتلك الصفوة المؤمنة برها، و برسالة نبيه الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، تمكنهم من الصمود في وجه التحديات التي تنتظرهم...

وإذا كان يريد: ان يقود عملية تغيير شاملة، فلا بد له من إتاحة الفرصة لتجميع القوى، التي تستطيع ان تحقق هدفاً كبيراً كهذا، وتتمكن من الحفاظ والاحتفاظ بالوجود الفعال والمؤثر في بقاء ذلك الهدف.

دخول النبي (ص) دار الأرقم:

ولما صار عدد المسلمين ثلاثين رجلاً— كما قيل— واصبح الاحتفاظ بعنصر السرية فيهم اكثر صعوبة، وصار بعض المسلمين يخرجون الى الشعاب والجبال خارج مكة لأداء الفرائض، وإقامه الشعائر... وصار بعض المشركين يترصد ونهم، ويتعمدون ايداءهم، وحصلت صدامات فردية لهم معهم، و يذكر هنا: انهم يقولون: انه خرج جماعة من المسلمين الى شعاب مكة

للصلاة، فظهر عليهم نفر من قریش كانوا يرصدونهم، ويتبعون آثارهم، وهم يصلون؛ فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوه، فضرب سعد ابن ابي وقاص - والعهد على الراوي - يومئذ رجلاً من المشركين بلحى بعير، فشجبه، فكان اول دم اهریق في الاسلام (١).

ولكن قد قال الزبير (اي ابن بكار): وطليب اول من دمی مشركاً في الاسلام؛ بسبب النبي (ص) فانه سمع عوف بن صبرة السهمي يشتم النبي (ص)، فأخذ له لحي جمل، فضربه فشجبه الخ (٢)...، ومرة اخرى تعقب مشركان مسلمين، خرجا للصلاة في احد الشعاب، فباطشاهما (٣)...

فهذه الحوادث الجزئية - على ما يظهر - قد دفعت بالنبي (ص) الى اختيار دار الارقم (٤)، الواقعة على الصفا ليجعلها مركزاً لدعوته، ومحلاً لاجتماع اصحابه به سرأ، ثم الابتعاد عن انظار المشركين في عبادتهم وشعائرهم، بدلاً من الخروج الى الشعاب من اجل الصلاة...

فكانت هذه الدار هي مركز حركته ونشاطاته وبقي فيها شهراً (٥)، ولم يخرج منها حتى تكامل المسلمون اربعين رجلاً كما قيل (٦)... وقيل أكثر، وقيل أقل... وحينئذ خرج (ص) ليعلن دعوته، وليبدأ مرحلة جديدة هي اصعب مرحلة، واطورها، واكثر عنفاً، واشد بلاءً. هذا... ولكن بعض المحققين، يحمّل ان يكون (ص) قد دخل دار الارقم مرة او مرات، ولكن يد السياسة قد طوّرت هذا الأمر؛ لتكون دار الأرقم في مقابل شعب ابي طالب،

(١) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٢ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢، والبدية والنهاية ج ٣ ص ٣٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٣، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩٩.

(٢) - الاصابة ج ٢ ص ٢٣٣.

(٣) - عن البلاذري ج ١ ص ١١٧.

(٤) - اسلم سابع سبعة، اوبعد عشرة كما في الاصابة ج ١ ص ٢٨ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ١٠٧.

(٥) - وقيل: اربع سنين. راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩٩.

(٦) - الاصابة ج ١ ص ٢٨ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٩٩ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ١٠٨.

وذلك عن منطق السياسة الذي عرفناه وألفناه غير بعيد.

قريش والنبي (ص) في المرحلة السرية:

لقد كان المشركون قد عرفوا بتنبوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أول الأمر، ولكنهم لم يهتموا كثيراً بالامر— بادئ ذي بدء— ربما لأنهم اعتبروا ان القضية ليست بذات اهمية كبيرة؛ إلا من وجهة قبلية بالدرجة الاولى، ولكنهم ظلوا يتنسمون الاخبار، ويستطلعونها وكانوا يقولون: ان فتى عبدالمطلب ليكلم من السماء.

اسلام ابي ذر رحمه الله:

وفي هذه الفترة كان اسلام ابي ذرره الذي كان رابع، او خامس من اسلم (١)، حيث انه سمع بمبعث النبي (ص) فارسل اخاه ليستقصي له الخبر، فرجع اليه، ولم يشف له غليلاً...

فذهب هو بنفسه الى مكة؛ فكره ان يسأل عن النبي (ص) علانية. ورآه علي (ع) مضطجاً في ناحية المسجد؛ فعرف انه غريب، فاستضافه ثلاثة ايام لايسأله عن شيء، ثم سأله ابوذرعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاخذه اليه بصورة سرية؛ حيث امره ان يتبعه، فان رأى ما يخاف منه عطف كانه يريد ان يقضي حاجة، او يصلح نعله.

وبعد ان أسلم أبوذرع خرج الى المسجد الحرام؛ فنادى باعلى صوته: أشهد ان لا إلا الله، وان محمداً رسول الله، فقام اليه المشركون فضربوه حتى اضجعوه، فأتى العباس؛ فاكتب عليه، وقال: وبحكم، الستم تعلمون: أنه من غفار، وان طريق تجارتكم الى الشام... فتركوه، ولكنه عاد في اليوم الثاني

(١) — دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤٥٨، طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٤، وحلية الاولياء ج ١ ص ١٥٧. ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٤٢، والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٣١٣، والاصابة ج ٤ ص ٦٣، واسدالغابة ج ٥ ص ١٨٦، والغدير ج ٨ ص ٣٠٨—٣٠٩ عن بعض من تقدم وعن شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٥ ص ٤٢٣.

الى مثل ذلك ، فخلصه العباس (١)... وشمه نصوص اخرى لاجمال لذكرها هنا...

ولما ضرب جاء الى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، اما قریش فلا ادعهم حتى أثار منهم، ضربوني؛ فخرج حتى اقام بعسفان، وكلما اقبلت غير لقریش، يحملون الطعام، ينقرهم على ثنية غزال؛ فتلقني احوالها؛ فجمعوا الخنط، ويقول ابوذر لقومه: لايمس احد حبة حتى تقولوا: لا إلا إلا الله... فيقولون: لا إله إلا الله، ويأخذون الغرائر (٢)... وحسب نص آخر: كان ابوذر رجلاً شجاعاً يتفرد وحده بقطع الطريق، ويغير على الصرم في عماية الصبح على ظهر فرسه، أو على قدميه كانه السبع... إلى أن قال: «فكان يعترض لعيرات قریش، فيقتطعها، فيقول: لا أرد اليكم منها شيئاً، حتى تشهدوا: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله: فكان على ذلك حتى هاجر رسول الله، ومضى بدر، وأحد، ثم قدم فأقام بالمدينة (٣)».

واسلم على يده نصف قبيلته غفار، ووعد الباقون بأن يسلموا إذا قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة (٤). وكان أبوذر يتأله في الجاهلية، ويقول: لا إله إلا الله، ولا يعبد الاصنام، ويقال: إنه صلى قبل مبعث النبي (ص) عدة سنوات (٥).

(١) - هذا ملخص ما في البخاري ج ٢ ص ٢٠٦-٢٠٧ ط سنة ١٣٠٩. والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤، وحلية الاولياء ج ١ ص ١٥٩، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣٩، والغدير ج ٨ ص ٣٠٩-٣١٠ عن بعض من تقدم وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٦ والاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٦٣ دلالات النبوة لابي نعيم ج ٢ ص ٨٦، وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦١-١٦٢ و ١٦٤-١٦٥ والاصابة ج ٤ ص ٦٣.

(٢) - طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٤.

(٣) و (٤) - طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٣، وراجع تاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٠.

(٥) - نفس المصدر ص ١٦٣. ولابأس بمراجعة ما كتبناه حول أبي ذر في مقال لنا في كتاب: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام. وحلية الاولياء ج ١ ص ١٥٧.

ما استفاد من حديث اسلام أبي ذر:

أولاً: إن عدم عبادة أبي ذر للاصنام، ليس إلا من أجل منافرتها لحكم العقل، وللفطرة السليمة... حين لا تطغى على الانسان أي من العوامل الخارجية التي تجعل على قلبه وبصره غشاوة...

ويلاحظ: أن القرآن مازاد في مقاومته لعبادة الاصنام، والتوجيه إلى الله تعالى على أن نبه العقل، وأثاره، وارشد إلى ماتقتضيه الفطرة السليمة في هذا المجال. وكل من يستعرض الآيات القرآنية يرى كيف أن القرآن يهتم في الارجاع إلى الفطرة، وحكم العقل، ويعتبر أن الحق لها وحدهما في الحكم في هذا المجال...

ثانياً: إن اسلوب علي عليه السلام في المحافظة على عنصر السرية، حتى لا يلتفت المشركون إلى طبيعة تحركاته وأهدافه، واسلوبه في ايصاله أباذر إلى الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله— وهو لم يبلغ الحلم بعد— إن دل على شيء؛ فانما يدل على دراية وروية، وتبصر وتدبر بالأمور، مما يؤكد امتيازه عليه السلام على غيره، ممن عاش ومارس الامور... كما أن اتكال ابي ذر رجل الحكمة والتبصر على دعوة علي عليه السلام له، واستجابته لدعوته ونزوله ضيفاً عليه، يدل على أنه كان يرى في علي من الحكمة والروية ما لا يراه في غيره. مهما كان فارق السن بينه وبين ذلك الغير كبيراً.

ولقد كان عليه السلام يهدف إلى الحفاظ على أبي ذر من جهة، وعلى سرية الدعوة من جهة أخرى... وهذا الثاني هو الالهم بالنسبة إليه، فانه لا يمكن أن يتخلى عن الدعوة في سبيل الشخص، ولكن الشخص هو الذي يضحى بنفسه وبكل ماله في سبيل الحفاظ على الدعوة وبقائها... ولكن هذه التضحية لا بد وأن تكون في وقت الحاجة إليها، وحين يكون لا بد منها ولاغنى عنها... والإ... فلربما يكون ضررها أكثر من نفعها... أو على الأقل يكون هدراً لطاقات واتلافاً لقدرات ربما تكون الدعوة في يوم ما بامس الحاجة إليها...

ثالثاً: إن ما فعلته قریش بأبي ذر لم يكن بسبب أن المواجهة كانت قد وقعت بينها وبين النبي (ص)؛ فإن هذه المواجهة لم تكن حصلت حينئذٍ، وإنما رأت في تصرف أبي ذر هذا تحدياً لها، واعتداء على شرفها، وكبر يائها، ولا يقصد منه إلا تحقيرها وإذلالها، من دون مبرر ظاهر تراه وتتعلقه لتصرف كهذا إلا ذلك.

رابعاً: إن انتقام أبي ذر من قریش على ذلك النحو قد أثر فيها نفسياً، وروحياً إلى حد بعيد، وعرفها: أنها لا يمكن أن تتعامل مع الآخرين، كما يحلوها، وعلى حسب ماتشتي، لأن الآخرين يملكون من الوسائل الفعالة للضغط عليها مالا تجد معه حيلة، ولا تستطيع سبيلاً...

خامساً: إن نجاح أبي ذر في دعوته قومه من غفار وأسلم، حتى إنه يستغل تشوقهم للحصول على غنائم الخنطة لطرح الخيار النهائي عليهم— إن نجاحه في دعوته لهم— ليدل على أنه كان بعيد المهمة والنظر عاقلاً لبيباً أريبا، يدرك أهداف الرسالة السماوية الحقة التي اعتنقها خير إدراك، ويدرك واجباته تجاهها، ثم هو ينفذ مهمته، ويقوم بواجباته على النحو الاكمل والامثل...

سادساً: إن محاولات أبي ذر الجادة للتعرف على صدق النبي (ص) في دعواه، وارساله أخاه أولاً، ثم ذهابه هو بنفسه، وبقاؤه ثلاثة أيام يبحث عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إنما كان بدافع ذاتي ينبع من داخله، يدفعه إلى البحث عن الحق، والعمل من أجله، وفي سبيله، وهذا يؤيد ما يقوله علماءنا الابراز: من أن العقل هو الذي يحكم ويدفع إلى تعلم ما ينفع، وما يضر، للالتزام بذلك، والابتعاد عن هذا... بل هو امر فطري مغروس في فطرة الانسان وطبيعته وسجيته، حتى انك تجد الطفل الذي يحس بألم النار ليس فقط لا يحاول بعد ذلك الاقتراب منها، وإنما هو يجهد بكل ما أوتي من قوة وحول في الابتعاد عنها...

سابعاً: وان موقف علي عليه السلام من أبي ذر ليعكس لنا: أن هذا

الشاب الذي ربما لم يكن قد بلغ الحلم آنذاك ؛ لأنه إنما أسلم وعمره عشر أو اثنا عشر سنة— إن هذا الشاب— الناشئ كان يعتز بنفسه و يثق بها فيدعو أباذر ليكون ضيفه ثلاثة أيام، ثم هو يساعده على الوصول إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشكل ذكي وحذر... ثم هو يتركه ثلاثة أيام لا يسأله عن أمره حتى لا يشعر هذا الضيف بأن مضيفه ربما يكون قد ضاق به ذرعاً، أو ممل وجوده... وليكون قد أتاح له الفرصة ليستأنس في هذا البلد الذي يراه غريباً عليه، ويألفه، ويرتاح إليه نفسياً، كما ارتاح جسدياً... وليكون أنفذ بصيرة، وأكثر اطميناناً في بيان حاجته التي جاء من أجلها...

وثامناً: وان جهر أبي ذر باسلامه، وتعرضه نفسه للضرب والاهانة من قبل المشركين، إنما يعكس لنا مدى اعتزاز أبي ذر باسلامه هذا، ومدى استعدادده للتضحية في سبيله... ثم هو يعكس مدى حنق قريش ورعونتها في مواجهة الدعوة إلى الله تعالى، حتى إنها تنسى: أن من تبطش به ربما يكون في المستقبل سبباً في عرقلة تجارتها إلى الشام، ومضايقتها اقتصادياً... نعم... تنسى ذلك، وتهجم عليه لتضر به، ثم ترتد عنه لابدافع انساني، ولاعن قناعة فكرية، وإنما لدوافع اقتصادية دنيوية، تعكس أنا نيتها، ومستوى تفكيرها أولاً وأخيراً... ولاشيء أخطر على الانسان من الانانية التي ربما تضع على عينيه غشاوة؛ فلا يبصر الحق الا بلج، ولا يهتدى سواء السبيل...

وأخيراً... فلنرى: أن ثمة محاولات لنسبة موقف أبي ذر الشجاع والجريء، والفذ هذا تجاه قريش إلى غيره من الصحابة، كابي بكر تارة وعمر أخرى... ولكن كل ذلك لا يمكن أن يصح، ولربما نتعرض لذلك في موقعه إن شاء الله تعالى...

الفصل الثالث

الاسراء والمعراج...

الاسراء والمعراج:

وبعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي اثناء المرحلة السرية، التي استمرت ثلاث، أو خمس سنوات، كان- على الأرجح- الاسراء والمعراج، الاسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم... والمعراج من هناك إلى السماء، الذي وردت به أخبار كثيرة...

وحيث إن التفاصيل الدقيقة لهاتين القضيتين يصعب الجزم في كثير منها إلا بعد البحث الطويل والعميق... وذلك لأن هذه القضية، وجزئياتها قد تعرضت على مرالزمان للتلاعب والتزويد فيها، من قبل الرواة والقصاصين، بل من قبل أعداء الاسلام؛ بهدف تشويه هذا الدين، واطهاره على أنه يحوي الاساطير والخرافات، ولذا فنحن لانستطيع في هذه العجالة: أن نعطي تصوراً دقيقاً عنه... ولذا... فاننا نكتفي بالاشارة إلى بعض الجوانب، التي رأينا: أن من المناسب التعرض لها... فنقول:

متى كان الاسراء والمعراج:

إن المشهور هو أن الاسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة بمدة وجيزة؛ فبعضهم قال ستة أشهر، وبعضهم قال في السنة الثانية عشرة للبعثة، أو في الحادية عشرة اوفى العاشرة... وقيل: بعد الهجرة...

وفي مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنه كان في السنة الثانية من البعثة (١)، وقيل في الخامسة، وقيل في الثالثة— وهو الأرجح عندنا— ولعل ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا حيث إنه ذكر الاسراء في أول البعثة كما ذكره عنه ابن كثير (٢) وقال مغلطاي، بعد أن ذكر بعض الأقوال: «وقيل كان بعد النبوة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف عام. وقال عياض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً (٣)».

وقال ملا علي القاري: «وذكر النووي: أن معظم السلف، وجمهور المحدثين والفقهاء: على أن الاسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهراً (٤)».

وقال ابن شهر آشوب: «ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسرائه في السنة التاسعة من نبوته (٥)» ولكنه لم يبين لنا تاريخه بالتحديد...

وقال الديار بكري: «فأما سنة الاسراء، فقال الزهري: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين. حكاه القاضي عياض، ورجحه القرطبي، والنووي. وقيل: قبل الهجرة بسنة إلخ... (٦)».

وأما ما يدل على أن الاسراء قد كان في السنوات الأولى من البعثة؛ فنذكر:

١— جميع ماتقدم، ولا سيما ما ذكره النووي، والزهري، وابن شهر آشوب، وغيرهم.

(١)— البحار ج ١٨ ص ٣١٩ عن العدد، ونقل ذلك عن الزهري في عدة مصادر...

(٢)— البداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٨.

(٣)— سيرة مغلطاي ص ٢٧.

(٤)— شرح الشفاء للقاري ج ١ ص ٢٢٢.

(٥)— المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٣.

(٦)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٧.

٢- ماروي عن ابن عباس، من أن ذلك كان بعد البعثة بستين (١)

ولربما لا يكون هذا مخالفاً لما عن الزهري وغيره، إذا كان ابن عباس لا يحسب الثلاث سنوات الأولى، على اعتبار: أنه (ص) إنما امر بانذار الناس بعدها...

٣- وقد ورد عن الامام أميرالمؤمنين عليه السلام: أن الاسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه (٢).

وهذا هو الاصح والمعتمد، كما سيظهر مما يلي...

٤- ويدل على ذلك بشكل قاطع ماروي عن: ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والامام الصادق عليه السلام، وعائشة... من أنه صلى الله عليه وآله قال لعائشة— حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيدة النساء، فاطمة— عليها السلام—: نعم يا عائشة، لما اسري بي الى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبتي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة؛ ففاطمة حوراء انسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها (٣).

(١) — البحار ج ١٨ ص ٣١٩ و ٣٨١ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٦. حيث ذكر ذلك بعد المبعث، وقبل الانذار.

(٢) — البحار ج ١٨ ص ٣٧٩ عن الخرايع والجرايع.

(٣) — تاريخ بغداد ج ٥ ص ٨٧، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٩، ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٤/٦٣ وذخائر العقبى ص ٣٦، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ و ١٦٠، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٥٦، وتلخيصه للذهبي، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٢، وينايع المودة ص ٩٧، ونزهة المجالس ج ٢ ص ١٧٩، ومناقب المغازلي ص ٣٥٨ والبحار ج ١٨ ص ٣١٥ و ٣٥٠، ٣٦٤، وعن المختصر ص ١٣٥ وعلل الشرايع ص ٧٢، وتفسير القمي ص ٣٤١ و ٢٤٢، وملحقات احقاق الحق للمعرشي ج ١٠ ص ١-١١ عن بعض من تقدم، وعن: محاضرات الاوائل ص ٨٨، ونظم در المسطين ص ٧٧، وراجح المطالب ص ٢٣٩، ووسيلة المآل ص ٧٨/٧٩، واعراب ثلاثين سورة ص ١٢٠، وكنز العمال ج ١٤ ص ٩٧ و ج ٣ ص ٩٤، ومفتاح النجا ص ٩٨ مخطوط وأخبار الدول ص ٨٧— وعن ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٨ و ٢٥٣ و ج ٢ ص ٢٦ و ٨٤...

ومعلوم مما سبق: أن فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنين، فالاسراء والمعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، ولعله قبل ذلك بستين. حتى أذن الله لتلك النطفة بالظهور، والاستقرار في موضعها.

هـ— إن سورة الاسراء قد نزلت في أوائل البعثة، ويدل على ذلك:

الف: مارواه البخاري وغيره، من ان قوله تعالى في سورة الاسراء: «ولا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها» قد نزل بمكة، ورسول الله (ص) مختلف. كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن؛ فاذا سمع المشركون سبوا القرآن، ومن انزله، ومن جاء به الخ(١)...

واجاب المحقق الروحاني على هذا... بان من الممكن ان يكون (ص) حينئذٍ مختلفاً في شعب ابي طالب...

ولكن، لنا ان نناقش في هذا بان شعب ابي طالب لم يكن محل اختفاء لهم، وانما كانوا محاصرين فيه... فالتعبير بالاختفاء يدل على أن ذلك كان في اوائل البعثة... ووجود هجوم في سورة الاسراء على عقائد المشركين، لا يضر؛ اذا كانت السورة قد نزلت في اوائل البعثة...

باء: ما ذكره البعض في مقال نشرته مجله الوعي الاسلامي المغربية عدد ١٦٣ ص ٥٦ من أن سورة الاسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور(٢). وسورة الحجر قد نزلت في المرحلة السرية... وفيها جاء قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر، واعرض عن المشركين»... الامر الذي تسبب عنه الجهر بالدعوة واطهارها... وايراد المحقق الروحاني هنا بان في السورة ما يدل على الصدام بين النبي (ص) والمشركين، يجاب عنه بما تقدم من ان من غير البعيد

(١) — صحيح البخاري طبع سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ٩٩، والدر المنثور ج ٤ ص ٢٠٦ عنه وعن: مسلم واحد والترمذي، والنسائي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن ابي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والطبراني والبيهقي.

(٢) — راجع: الاتقان ج ١ ص ١١، وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٣٧.

ان تكون هذه السورة قد نزلت تدريجاً فبدأ نزولها في اول البعثة ثم اكملت تن فترة التحدي والمجابهة بين النبي (ص) والمشركون... ويدل على قدم نزولها أيضاً قول ابن مسعود عن الاسراء، والكهف، ومرم: انهن من العتاق الاول، وهن من تلادي (١)... وابن مسعود قد هاجر الى الحبشة، ورجع منها، والنبي (ص) يتجهز الى بدر (٢).

٦— ان سورة النجم التي يذكرون انها تذكر المعراج في آياتها— قد نزلت هي الأخرى في اوائل البعثة؛ فانها قد نزلت بعد اثنتين او ثلاث وعشرين سورة، ونزل بعدها اربعة وستون سورة في مكة (٣)، وسيأتي في قصة الغرائق المكذوبة او المحرفة: أنهم يقولون: انها انما نزلت بعد الهجرة الى الحبشة بثلاثة اشهر. والهجرة الى الحبشة كانت في السنة الخامسة.

بل لقد قيل: انها اول سورة اعلن النبي (ص) بقراءتها؛ فقرأها على المؤمنين والمشركون جميعاً (٤)... وإن كان من الممكن النقاش في كون آيات سورة النجم ناظرة الى المعراج.

هذا... ويؤيد: كون هذه القضية في اوائل البعثة: انه حين عُرج به (ص) صار الملائكة يسألون: أوقد أرسل إليه (٥)... فان هذا يشير إلى أن ذلك إنما كان في أول بعثته، لابعده عشرة أو اثنتي عشر عاماً، فان أمره (ص) كان قد اشتهر في أهل السماوات حينئذ. بل يمكن أن يكون قد اشتهر ذلك منذ الايام الاولى من البعثة...

(١)— صحيح البخاري ج ٣ ط سنة ١٣٠٩ ص ٩٦ والدر المنثور ج ٤ ص ١٣٦ عنه وعن ابن الضريس وابن مردويه.

(٢)— فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٣)— راجع الاتقان ج ١ ص ١٠-١١ و ٢٥.

(٤)— تفسير الميزان مجلد ١٩ ص ٢٦.

(٥)— مجمع الزوائد ج ١ ص ٧٠/٦٩ عن البزار والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٦، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٠.

ويؤيد ذلك أيضاً: بل يدل على أن الاسراء كان قبل وفاة ابي طالب: أن بعض الروايات تذكر أن أباطالب قد افتقده ليلته، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فذهب إلى المسجد، ومعه الهاشميون، فسل سيفه عند الحجر، وأمر الهاشميين باظهار السيوف التي معهم، ثم التفت إلى قريش وقال: لولم أره مابقي منكم عين تطرف فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيماً (١).

ويؤيد ذلك أيضاً: ماروي من أن جبرئيل قال للنبي حين رجوعه: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومنى السلام (٢). وعن عمر: أن رسول الله (ص) قال: ثم رجعت إلى خديجة، وما تحولت عن جانبها (٣)...

فكل ذلك يدل على أن هذا الحدث قد كان قبل وفاة شيخ الأبطح، وأم المؤمنين خديجة... وهما قد توفيا في السنة العاشرة من بعثة، النبي (ص) فكيف يكون الاسراء والمعراج قد حصل في الحادية عشرة أو الثانية عشرة أو بعدها؟!...

ملاحظة:

إنه إذا تأكد لنا: أن الاسراء والمعراج كان في السنة الثالثة من البعثة... أي قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلاً... فإننا نعرف: أن الاسراء قد كان قبل اسلام أبي بكر بمدة طويلة... لأنه كما تقدم قد اسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، بل إنما اسلم حوالي السنة الخامسة من البعثة، أي بعد وقوع المواجهة بين قريش وبين النبي، فهو أول من اسلم بعد هذه المواجهة— على الظاهر.

(١) - مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٠، والبحار ج ١٨ ص ٣٨٤.

(٢) - البحار ج ١٨ ص ٣٨٥ عن العياشي، عن زرارة، وحمران بن أعين، ومحمد بن مسلم، عن الباقر (ع)...

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٥.

وإذا كان الاسراء قد حصل قبل اسلامه بمدة طويلة، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر، من أنه قد سمي صديقاً، حينما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله في قضية الاسراء (١)، ولا لما يذكرونه، من أن ملكاً كان يكلم رسول الله حين المعراج بصوت أبي بكر (٢)، والصحيح: هو أنه قد كلمه بصوت علي عليه السلام كما في مناقب الخوارزمي ص ٣٧. وقد صرح الحفاظ بكذب طائفة من تلك الروايات (٣).

إلى غير ذلك من فضائل ومواقف تنسب إليه في السنوات الثلاث الأولى من البعثة...

الاسراء والمعراج في اليقظة أم في المنام:

يرى البعض: أن الاسراء كان بالروح فقط في عالم الرؤيا، ويحتجون بما عن عائشة: ما فقدت جسد رسول الله (ص) (٤).

وعن معاوية: انها رؤيا صالحة (٥) و حكي مثل ذلك عن الحسن البصري...

ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه الامامية ومعظم المسلمين من أن الاسراء إنما كان بالروح والجسد معاً... أما المعراج فذهب الاكثر إلى أنه كان بالروح والجسد أيضاً... ونحن نشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: قال القسطلاني: «وأجيب: بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة؛ لأنها لم تكن إذا ذلك زوجاً، ولا في سن من يضبط، أو لم تكن

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٥، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٤٠ مستدرک الحاكم، وابن اسحاق.

(٢) - المواهب اللدنية ج ٢ ص ٣٠/٢٩.

(٣) - راجع: الغدير ج ٥ ص ٣٠٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ فانه قد نقل هذه الروايات وتكذيبها عن: ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٧٠، ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٣٥، وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٣٨، والسيوطي في الموضوعات، وابن حبان، وابن عدي.

(٤) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢، والبحار ج ١٨ ص ٢٩١ وفي المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧: أن الجهمية قالت بهذا.

(٥) - البحار ج ١٨ ص ٢٩١ عن: المقاصد وشرحه، وراجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨.

ولدت بعد، على الخلاف في الاسراء متى كان (١)»... .

وأما معاوية فحالته معلوم من تمهيد الكتاب.

وثانياً: لقد قال تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (٢)» وقال في سورة النجم— اذا كانت الآيات ناظرة إلى المعراج، ويرجع الضمير فيها إلى النبي (ص) لا إلى جبرئيل—: «فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى (٣)»... فان لفظ العبد إنما يطلق على الروح والجسد معاً، ولو كان مناماً، لكان قال: بروح عبده، والى روح عبده... كما أن قوله تعالى: «ما زاغ البصر وما طغى» ظاهر في البصر الحقيقي أيضاً (٤).

أضف إلى ذلك: أن آية سورة الاسراء، وآيات سورة النجم واردة في مقام الامتنان. وفيها ثناء على الله، وعجيب قدرته، وذلك لا يحسن، ولا يتم لمجرد رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وآله؛ إذ ربما يرى غير النبي، وحتى الفاسق الفاجر رؤيا اعظم من ذلك...

أضف إلى ذلك: أن الرؤيا عند عامة الناس لا تدل على عظيم قدرته تعالى، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الاوهام والخيالات، فيفوت الغرض المقصود من الاسراء والمعراج، كما هو ظاهر (٥).

وثالثاً: انه لو كان الاسراء مجرد رؤيا صالحة؛ فلا يبقى فيه اعجاز؛ ولما أنكره المشركون والمعادنون، ولما ارتد ناس ممن كان اسلم، كما سنشير اليه...

ورابعاً: كما انه لو كان مجرد رؤيا، لم يخرج ابوطالب والهاشميون في طلبه... وكان العباس يناديه حتى اجابه من بعض النواحي... حسبما ورد في بعض الروايات...

(١) — المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢. (٢) — الاسراء ١. (٣) — النجم ٩-١٠.

(٤) — راجع هذا الاستدلال في: البحارج ١٨ ص ٢٨٦ عن الرازي، والمواهب اللدنية ج ٢ ص

٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨.

(٥) — راجع: تفسير الميزان ج ١٣ ص ٢٤.

واما لماذا ينكرون: ان يكون ذلك بالروح والجسد معاً؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلك ، اولاًجل الخط من كرامة النبي (ص) كما تقدم في تمهيد الكتاب، اولعدم قدرتهم على اقناع الناس بامرهم كهذا...

الاسراء والمعراج في القرآن:

اننا نؤمن بالاسراء استناداً إلى قوله تعالى: «سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، الذي باركنا حوله، لئريه من آياتنا(١)»... فحط النظر في الآية هو بيان الاسراء فقط...

اما المعراج، فانه لم يذكر في القرآن صراحة، إلا ما جاء في تفسير آيات سورة النجم: «ذومرة فاستوى. وهو بالافق الاعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو ادنى. فأوحى الى عبده ما اوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى... (٢)»، ان قلنا ان الضمير فيها يرجع إلى النبي (ص)، لا إلى ذي المرة، الذي هو جبرئيل، والثاني هو الظاهر، ويدل عليه رواية صحيحة السند، عالية الاسناد، عن الامام الرضا عليه السلام. والرواية تستشهد وتستدل بنص الآيات في السورة...

ويدل على ذلك ايضاً ويفسره قوله تعالى: «ولقد رآه بالافق المبين(٣)».

ولكن كثرة الاخبار الواردة فيه، وحتى تواترها القطعي لا يثبت مجالاً للشك في حصول المعراج. فنحن نؤمن به أيضاً استناداً إلى ذلك...

وأما القول بوجود تعارض بين آية سورة الاسراء، والروايات الدالة على المعراج، على اعتبار: ان الآية تدل على ان انتهاء السير كان في المسجد الاقصى، ولم يكن بعده سير— أما هذا القول— فلا يصح... لأن هناك رحلتين مختلفتين من حيث الكيفية والقصد... وكان انتهاء الرحلة الاولى في المسجد الاقصى، ولم يتعلق غرض في الآية ببيان الرحلة الثانية أصلاً...

سؤال... وجوابه:

واما لماذا لم يذكر المعراج في القرآن صراحة، كما كان الحال بالنسبة إلى الاسراء.

فلربما يكون السر في ذلك هوان الاسراء امر قريب إلى الحس، فالتصديق به يكون ايسر وأقرب... وإذا كانوا قد صعب عليهم التصديق بالاسراء، بل... واستهزؤا وشنعوا عليه ماشاء لهم بغيبهم وحنقهم... رغم أنه أخبرهم بما جرى للقافلة التي رآها في طريقه، وبأنها قد اضلت بغيراً، وكسرت فيها ناقة حمراء في الوقت الفلاني، وبأن لهم صدقه في ذلك... ورغم أنه وصف لهم بيت المقدس وصفاً دقيقاً، يعلمون صحته وصدقه، مع علمهم بعدم رؤيته له فيما مضى...

وأيضاً... إذا كان بعض ضعفاء المسلمين قد ارتدوا، حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقضية الاسراء (١)... الذي هومن جملة المعجزات القاطعة، والبراهين الساطعة.

فكيف تكون الحال... إذا أخبرهم بما هو أكثر غرابة وبعداً عن أذهانهم، وهو رحلته إلى السماوات العلى، وما شاهد فيها من عجائب الصنع، وبديع الخلق؟!.

ولهذا... فاننا نرجح: أنه صلى الله عليه وآله قد تدرج في اخباره لهم بالاسراء والمعراج، فأخبرهم أولاً بالاسراء، أما المعراج؛ فأخبر به أولياءه، المؤمنين القادرين على التحمل، والتعقل... ثم صار يتوسع في اخباره لغيرهم بذلك في الاوقات المناسبة، وبحسب ماتقتضيه المصلحة، ومتطلبات الدعوة إلى الله تعالى...

(١) - المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٨، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١، واخرجه أبو نعيم، ومنتخب كنز العمال هامش مسند احمد ج ٤ ص ٣٥٣ حياة الصحابة ج ٣ ص ٧٣ عن بعض من تقدم. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨ و٣١٥، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٤٠.

ولعل مما تقدم يظهر: أنه اذا كان النبي إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى... فإن من الطبيعي أن يهتم في الحفاظ على الركيزة الايمانية التي يحصل عليها، وأن لا يدخلها في أجواء ليس لها القدرة على مواجهة اخطار الانحراف فيها، ومن الواضح: انه إذا أخبرهم بقضية المعراج، مع عدم قدرتهم على التحمل والتفاعل معها ولا على تصورها، فانهم إذا ارتدوا حينئذ يكونون معذورين، ولا سيما إذا كان التصديق بهذه القضية إنما يستند إلى المستوى الايماني لديهم بالدرجة الاولى...

وأما قضية الاسراء... فقد كان بالامكان أن يؤدي الاخبار عنها نفس النتيجة المتوخاة، وهي الجهة الاعجازية ذات الطابع المعين فيها... مع امكان الاستناد في مقام الاقناع بها إلى أدلة تقرها إلى الحس، وتجعل القبول بها أيسر وأسهل من تلك، ولا يعتمد فيها على المستوى الايماني وحسب... وإذن... فلا يبقى ثمة مبرر لارتداد هؤلاء، ولا لعناد أولئك...

لا تدركه الابصار:

ويرى البعض، استناداً إلى قوله تعالى: «أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدره المنتهى إلخ (١)...»: أن النبي صلى الله عليه وآله قد رأى الله حين المعراج بعين رأسه، ورووا ذلك عن ابن عباس. بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه... حتى انقطع نفسه، يعني نفس أحمد (٢)...

ونحن لانريد أن نفيض في الحديث حول الرؤية؛ فلقد أثبت علماؤنا الابرار، بما لا مجال معه للشك استحالة رؤيته تعالى، سواء في الدنيا، أو في الآخرة... وقد فندوا أدلة المجسمة المثبتين للرؤية في الدنيا والآخرة أو في الآخرة فقط بشكل علمي قاطع... فن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بمراجعة دلائل الصدق، وغيره من الكتب المعدة لذلك...

(١) - النجم ١٢-١٤.

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٤.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن الرواية عن ابن عباس غير ثابتة، فقد روي عنه أيضاً خلافها (١).

وقد روى عن عائشة: أن مسروق قال لها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد (ص) ربه؟ قالت: لقد قف شعري مما قلت... إلى أن قالت: من حدثك أن محمد رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تدركه الابصار إلخ (٢).

وعند مسلم: أنها أضافت: أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، فأخبرها: أنه لم يره، وإنما رأى جبرئيل (٣).

والروايات في أن المقصود بالآيات في سورة النجم هو جبرئيل كثيرة جداً... وكذلك الروايات التي تؤكد: على أنه صلى الله عليه وآله قدرآه بقلبه وفؤاده، لابعينه وبصره، فإنها كثيرة أيضاً، ويكفي أن يرجع المطالع إلى الدر المنثور ج ٦ من ص ١٢٢-١٢٦. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣/٣١٤، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٣٦/٣٧، وغير ذلك من المصادر الكثيرة جداً...

بل إن نفس الآيات ظاهرة— إن لم تكن صريحة في أن المقصود هو جبرئيل، بيان ذلك باختصار: ان قوله تعالى: علمه شديد القوى يراد بشديد القوى هو جبرئيل عليه السلام، ثم وصف جبرئيل الذي وصفه الله بالقوة في قوله: «ذي قوة عند ذي العرش مكين (٤)» بكونه ذامرة... (أي شدة وحصافة في العقل والرأي) (٥)، وقوله (فاستوى) أي ذلك الشديد، ذوالمرءة. أي استقام أو استولى، وهو بالافق الاعلى... وقوله: ثم دنا أي ذلك الشديد

(١) — راجع في الروايات الكثيرة عنه: الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٢-١٢٦.

(٢) — المواهب اللدنية ج ٢ ص ٣٤ عن البخاري ومسلم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣، والدر المنثور ج ٦ ص ١٢٤ عن عبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وابن مردويه.

(٣) — المواهب اللدنية ج ٢ ص ٣٥ عن مسلم.

(٤) — التكوير ٢٠.

(٥) — احتمل بعض المحققين: أن يكون وصف الله تعالى لجبرئيل بالشدة في مقابل التابع من الجن الذي كان ضعيفاً بحيث يستطيع الانسان أن يتسلط عليه.

ذوالمرة دنا من النبي وتدلى في الافق نحو النبي (ص)... ثم، إن ذلك الشديد القوى ذالمرة الذي دنا فتدلى، أوحى إلى النبي الذي هو عبدالله، ورجوع الضمير إلى الله مع عدم سبق ذكره لاضيرفيه لوضوجه، كما قال العلامة الطباطبائي اوعلى أن يكون ضمائر فأوحى إلى عبده ما أوحى راجعة الى الله تعالى... ثم قال: ما كذب الفؤاد ما رأى والمرئي هو ماتقدم، أي الدنوء والتدلي، وكون جبرئيل بالافق الاعلى. وليس في الآية ما يدل على أن الرؤية لله تعالى... ويدل على مانقول قوله تعالى الآتي: «ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى».

ثم قال تعالى: أفتمارونه على ما يرى. أي اتجادلونه في رؤيته جبرئيل، وهل هذا أمر نظري عقلي يصح الجدل والمراء فيه؟، وهل بإمكانه أن يكذب بصره ويقول: لا أراه؟!... فان الكفار كانوا ينكرون الوحي له، ورؤيته الملك...

ثم قال تعالى: ولقد رآه، والضمير يرجع إلى ذلك الذي لا يزال يتحدث عنه، نزلة أخرى، أي في نزول آخر، والذي كان ينزل عليه (ص) هو جبرئيل، فانه رآه والتقى معه على صورته في نزلة ثانية عند سدرة المنتهى، والسدرة نوع من الشجر، ولا بدو أن تكون هذه الرؤية الثانية في الارض، و إلا لوجب أن يقول: ولقد رآه نزلة أخرى، ثم عرج به الى السماء حتى انتهى الى السدرة، فرآه عندها...

و يبدو: أنه كان في الارض — كما يراه بعض المحققين — ثمة شجرة سدر كان لقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجبرئيل عندها، وعند تلك السدرة توجد جنة المأوى، أي جنة وبستان يؤدي اليها، أو أن الجنة في الآخرة ستكون في تلك المنطقة.

وهكذا يتضح: أن هذه الآيات ناظرة إلى رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل على صورته الحقيقية مرتين في نزلتين لجبرئيل.

وهذا هو ما أكده الامام الرضا عليه السلام في رواية صحيحة عنه،

جاء فيها: قال أبو قرة: إنا روينا: أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين؛ فقسم الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية...

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين، من الجن والانس: «لا تدركه الابصار. ولا يحيطون به علماً. وليس كمثله شيء»؟ أليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: بلى.

قال: كيف يجيئ رجل إلى الخلق جميعاً؛ فيخبرهم: أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: «لا تدركه الابصار. ولا يحيطون به علماً. وليس كمثله شيء»، ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت علماً، وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون: يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر...

قال أبو قرة: فانه يقول: «ولقد رآه نزلة أخرى»؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى»، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأته عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»؛ فأيات الله غير الله، وقد قال الله: «ولا يحيطون به علماً». فاذا رآته الابصار؛ فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة...

فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟!.

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الابصار، وليس كمثله شيء (١)...

صلوات الله وسلامه عليك يا أبا الحسن وعلى آبائك وبنائك

الطاهرين، فانكم مازلتم حصون الاسلام، والمدافعين عنه... والباذلين مهجكم في سبيله... فانتم مصابيح الدجى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا...

الاسراء من المسجد:

صريح القرآن: أن الاسراء كان من المسجد، وجاء في عدد من الروايات: أنه كان من بيت أم هانبي... واحتمل السيد الطباطبائي أن يكون الاسراء حصل مرتين إحداهما من بيت أم هانبي. ويحتمل أيضاً التجوز، واردة مكة من «المسجد الحرام». وهو اطلاق متعارف، قال تعالى: «هدياً بالغ الكعبة» ويقال: هو يسكن في مشهد الرضا، مع أنه يسكن في البلد المحيطة به... وأطلق في الروايات مسجد الشجرة على ذي الحليفة... ومثل ذلك كثير... فان من المتعارف أن يطلق على المكان الذي فيه شيء معروف اسم ذلك الشيء المعروف، كما اشار إليه بعض المحققين (١).

ويحتمل أيضاً أن يكون (ص) خرج تلك الليلة الى المسجد من بيت أم هانبي، ثم اسري به من المسجد.

موسى... وفرض الصلوات الخمس:

هذا... وقد جاء في بعض الروايات: أن الصلوات الخمس قد فرضت حين المعراج، وأنها فرضت أولاً خمسين صلاةً في اليوم. وحين عودة الرسول صلى الله عليه وآله التقي بموسى، فأشار عليه أن يرجع إلى الله، ويسأله التخفيف، لأن الامة لا تطيق ذلك— كما لم يطقه بنو اسرائيل— فرجع، وطلب إلى الله التخفيف فخففها إلى أربعين، وعاد الرسول؛ فر بموسى، فأشار عليه بطلب التخفيف، ففعل فخففت إلى ثلاثين... ثم إلى عشرين، ثم إلى عشرة، ثم إلى خمسة، ثم استحيا الرسول صلى الله عليه وآله من المراجعة من

(١) — هوالمحقق البحاثة السيد مهدي الحسيني الروحاني دام بقاءه

جديد. فاستقرت الصلوات على خمس (١).

وهذه الرواية... وإن كانت قد وردت في بعض المصادر الشيعية أيضاً، وقال عنها السيد المرتضى (ره): «أما هذه الرواية فهي من طريق الأحاد، التي لا توجب علماً، وهي مع ذلك مضعفة (٢)».

إلا أننا نحن لانستطيع إلا أن نشير إلى الاسئلة التالية:

لماذا يفرض الله على الامة هذا العدد أولاً، ثم يعود إلى تخفيفه بعد المراجعة، فانه إن كانت المصلحة في الخمسين، فلا معنى للتخفيف، وإن كانت المصلحة في الخمس، فلماذا يفرض الخمسين، ثم الاربعين، ثم الثلاثين وهكذا... وفي بعض الروايات: أنه كان في كل مرة يحط عنه خمساً...

وقد أجاب السيد المرتضى رحمه الله عن هذا السؤال، بأن من الممكن أن تكون المصلحة أولاً تقتضي الخمسين، ثم تغيرت هذه المصلحة بسبب المراجعة، وأصبحت تقتضي الخمس (٣).

ولكنه جواب منظور فيه؛ فان النبي إذا كان يعلم: أن الله تعالى لا يشرع إلا وفق المصلحة، فانه لا يبقى مجال لمراجعته أصلاً؛ لأنه كأنه حينئذ يطلب تشريعاً لا يوافق المصلحة، كما أن تعليل موسى للتخفيف بعدم طاقة الأمة، كأنه يدل على أنه يعتقد: أن هذا التشريع يخالف المصلحة... وهذا محال بالنسبة الى الله تعالى...

(١) - لقد وردت هذه الرواية في مختلف كتب الحديث، والتاريخ عند غير الشيعة، ولذا فلا نرى حاجة لذكر مصادرها... ووردت أيضاً في كتب الامامية رحمهم الله تعالى، واعلى درجاتهم، فراجع: البحار ج ١٨ ص ٣٣٠ و ٣٣٥ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٤٠٨ عن: أمالي الصدوق ص ٢٧٠/٢٧١ و ٢٧٤، و٢٧٥، وتوحيد الصدوق ص ١٦٧/١٦٨، وعلل الشرايع ص ٥٥/٥٦، والحضال ج ١ ص ١٢٩.

(٢) - تنزيه الانبياء ص ١٢١.

(٣) - تنزيه الانبياء ص ١٢١.

وسؤال آخر: كيف لم يعلم الله تعالى: أن الأمة لا تطيق ذلك، وعلم بذلك موسى،؟ أم يمكن القول بجواز التكليف بما لا يطاق،؟ الأمر المخالف للعقل وللنقل، ولا سيما لقوله تعالى: «يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر»، و«ما جعل عليكم في الدين من حرج» وغير ذلك من الآيات... وما ذكرناه يتضح: أنه لا يمكن أن يكون تعالى قد كلف بني اسرائيل ما لا يطيقون.

وأيضاً... كيف نسي الله تعالى تلك التجربة الفاشلة مع بني اسرائيل، حتى أراد أن يكررها مع أمة محمد من جديد؟!.

ولعل هذه التجربة هي عذر ابراهيم الذي مر عليه محمد (ص) ذهاباً واياباً عشر مرات، وأعشرين (١) على اختلاف النقل... ولكنه لم يسأله عن شيء، ولا أمره بشيء!!.. ولكن لماذا لم يسأله عن سر هذه الجولات المتتالية ذهاباً واياباً؟!.

ولماذا لم يلتفت إلى ذلك نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والتفت إليه نبي الله موسى... ولماذا بقي يغفل عن ذلك خمس مرات، بل ستة ولا يعرف: أن هذا ليس هو الحد المطلوب، حتى يضطر موسى لأن يرصد له الطريق باستمرار، ولولا له لوقعت الأمة في الحرج والعسر؟...

ولماذا لا ينزل الله العدد إلى الخمس مباشرة، دون أن يضطر الرسول إلى الصعود والنزول المتعب المتواصل باستمرار؟!.

استبعاد الاسراء والمعراج:

وبعد... فلا بد لنا من الاشارة هنا: إلى أن استبعاد الاسراء والمعراج؛ بدعوى عدم امكان تصور أن تقطع تلك المسافات الشاسعة، التي تعد بالآلاف الاميال في ليلة واحدة ذهاباً واياباً— هذا الاستبعاد— في غير محله...

(١)— لأن ابراهيم حسب نص الرواية كان في الساء السابعة، وموسى كان في السادسة وكان موسى يرجع النبي إلى ربه، كي يسأله التخفيف، فيرجع ثم يعود إليه فيرجعه من جديد.

فقد حضر عرش بلقيس لدى سليمان من اليمن إلى بلاد الشام في أقل من لمح البصر... وكان عفریت من الجن قد تكفل بأن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه...

وأما بالنسبة لنا اليوم فقد أصبح التصديق بالاسراء والمعراج اكثر سهولة، والاقناع به أقرب منالاً، ولاسيما بعد أن تمكن هذا الانسان العاجز المحدود من أن يصنع مايمكنه من قطع ١٣ كيلومتراً في ثانية واحدة، ولربما يتضاعف ذلك عدة مرات في المستقبل... كما أنه قد اكتشف أن سرعة النور هي حوالى ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية، بل يعتقد بعض العلماء: ان الموجات غير المرئية للجاذبية تستطيع أن تقطع العالم بلحظة واحدة من دون حاجة إلى الزمان...

وبعد كل هذا... فإنه إذا كان قطع المسافات البعيدة بهذه السرعة المذهلة ليس مستحيلاً على هذا الانسان المحدود، الذي بقي الاعوام الطوال يفكر ويستعد، ويجمع الخبرات والامكانيات... فهل يستحيل على خالق الانسان والكون، ومبدعه أن يسري بعبده الذي اصطفاه رسولاً للبشرية جمعاء، ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، وإلى ملكوت السموات، ثم يعيده إلى مكانه الأول؟...

من اهداف الإسراء والمعراج:

اننا اذا أردنا معرفة الأهداف والحكم، والمعجزات، والتأثيرات العميقة للإسراء والمعراج، فلا بد لنا من دراسة كل نصوصه، وفقراته، ومراحله بدقة وعمق، بعد تحقيق الصحيح منها... وحيث ان ذلك غير متيسر بل هو متعذر علينا في هذه العجالة... فاننا لا بد وان نكتفي بالإشارة الى الامور التالية:

أولاً: ان الإسراء والمعراج معجزة كبرى خالدة، ولسوف يبقى البشر عاجزين عن مجاراتها، وادراك أسرارها إلى الأبد... ولعل اعجازها هذا

اصبح اكثر وضوحاً في هذا القرن العشرين، بعد ان تعرف هذا الانسان على بعض اسرار الكون وعجائبه. و ما يعترض سبيل النفوذ الى السماوات من عقبات و مصاعب... واعجازها هذا إنما يكون بعد التسليم بنبوة النبي (ص) عن طريق الخضوع لمعجزته الخالدة، وهي القرآن، واليقين بصدقه (ص) عن أي طريق آخر، بحيث يكون ذلك موجباً لليقين بصدق اخباراته كلها؛ فاذا اخبر (ص) بهذه الحادثة، فان اخباره مساوق لليقين بوقوعها. وهي حينئذ تكون معجزة خالدة تتحدى الاجيال والامم على مدى التاريخ...

وثانياً: يلاحظ: ان هذه القضية قد حصلت بعد البعثة بقليل، و قد بين الله سبحانه الهدف من هذه الجولة الكونية؛ فقال في سورة الاسراء: «لنريه من آياتنا» و اذن فالمقصود: هو أن يشاهد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعض آثار عظمة الله تعالى، في عملية تربوية رائعة، وتعميق وترسيخ للطاقة الإيمانية فيه، وليعدّه لمواجهة التحديات الكبرى التي تنتظره و تحمل المشاق والمصاعب والاذايا التي لم يواجهها احد قبله، ولا بعده، حتى قال: «ما أودى نبي مثلاً أوديت». وعلى حسب نص السيوطي، والمنأوي، وغيرهما: «ما أودى احداً أوديت» (١)... ولا سيما اذا عرفنا: ان عمق إدراك هذا النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم —وهو عقل الكل، وإمام الكل— لاختطار الانحرافات في المجتمعات، وانعكاساتها العميقة على الاجيال، اللاحقة كان من شأنه أن يعصر نفسه ألماً من اجلهم، و يزيد في تأثره وعذاب روحه حتى لقد خاطبه الله تعالى بقوله: «فلاتذهب نفسك عليهم حسرات» (٢)...

وأيضاً... فانه بالاسراء والمعراج يفتح قلبه وعقله ليكون أرحب من هذا الكون... و يمنحه الرؤية الواضحة، والوعي الاعمق في تعامله مع الأمور، ومعالجته للمشكلات. ولا سيما... إذا كان لا بد وأن يتحمل مسؤولية قيادة الأمة والعالم بأسره.

(١) - راجع: الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٤، وكنوز الحقائق هامش الجامع الصغير ج ٢ ص ٨٣.

(٢) - فاطر ٨.

وثالثاً: لقد كان هذا الانسان— ولاسيما العربي آنثي— يعيش في نطاق ضيق، وذهنية محدودة، ولايستطيع أن يتصور أكثر من الامور الحسية، أوالقريبة من الحس، التي كانت تحيط به، أو يتلمس آثارها... وذلك من قبيل الفرس، والسيف، والقمر، والنجوم، والماء والكلاء، ونحوها... ويشعر بالحب، والبغض والشجاعة وغير ذلك...

— من أجل ذلك — كان لابد من فتح عيني هذا الانسان على الكون الارحب، الذي استخلفه الله فيه، لي طرح على نفسه الكثير من التساؤلات عنه، وبعث الطموح فيه للتعرف عليه، واستكناه أسراه... وبعد ذلك احياء الامل وبث روح جديدة فيه، ليبدل المحاولة للخروج من هذا الجوالضيق الذي يرى نفسه فيه، و من ذلك الواقع المزري، الذي يعاني منه...

وهذا بالطبع ينسحب على كل أمة، وكل جيل... وإلى الابد...

ورابعاً: والأهم من ذلك : ان يلمس هذا الانسان عظمة الله سبحانه، و يدرك بديع صنعه، وعظيم قدرته، من اجل ان يثق بنفسه ودينه. ويطمئن الى انه بايمانه بالله انما يكون قد التجأ الى ركن وثيق، لا يختار له الا الأصلح، ولا يريد له الا الخير، قادر على كل شيء، ومحيط بكل الموجودات.

وخامساً: واخيراً... انه يريد ان يتحدى الاجيال الآتية، ويخبر عما سيؤول اليه البحث العلمي— من التغلب، على المصاعب الكونية، وغزو الفضاء؛ فكان هذا الغزو بماله من طابع اعجازي خالده هو الأسبق والاكثر غرابة وابداعاً؛ وليطمئن المؤمنون، وليربط الله على قلوبهم، ويزيدهم ايماناً. كماقلنا...

الأذان:

ونحن نعتقد بان الاذان قد شرع في مناسبة الاسراء والمعراج، كما جاء

في الخبر الصحيح، ولكنهم يذكرون ذلك بعد الهجرة؛ فنحن نرجئ الحديث عنه الى هناك ، ان شاء الله تعالى...

اليهود والمسجد في القرآن:

قال تعالى في محكم كتابه:

«...وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب: لتفسدن في الارض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً. فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا، اولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمدناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم، وإن أسأتم فلها؛ فاذا جاء وعد الآخرة؛ لیسوؤاوجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتيبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً. إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات: أن لهم أجراً عظيماً. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً...»(١).

مفاد الآيات إجمالاً:

فهذه الآيات الكريمة تتضمن:

ألف: أحداثاً أربعة هامة، وهي:

١- إن بني اسرائيل سوف يفسدون في الارض، و يعلون علواً كبيراً، بعد أن كتب الله عليهم الجلاء، وضرب عليهم الذل والمسكنة، وباؤا بغضب من الله.

٢- إن عباد الله سوف يحاربون الاسرائيليين، بعد فسادهم وعلوهم، ويطأون بلادهم، ويجوسون خلال ديارهم، ويدخلون المسجد الأقصى، جزاءً على بغيهم وفسادهم...

٣- إن بني اسرائيل سوف تكثربعد ذلك أمواهم، وأولادهم، وذلك يحتاج إلى مدة طويلة نسبياً- ولسوف يجهزون جيشاً أعظم من جيش أولئك العباد، وتكون الكرة لهم عليهم...

٤- ثم يعودون إلى الافساد من جديد؛ في مهلة زمينة لا بأس بمقدارها فيعود أولئك العباد إلى حرهم، فيسوؤن وجوههم، ويتبرواماعلواً تتبيرا...

باء: إن المستفاد من هذه الآيات هو: أن من سوف تجري لهم مع بني اسرائيل هذه الاحداث هم جماعة واحدة، يجوسون خلال ديار بني اسرائيل أولاً، ثم ترد الكرة لبني اسرائيل عليهم، ثم يعودون هم إلى ضرب بني اسرائيل ضربة قاصمة...

وذلك لأن الضمائر في: «جاسوا، وعليهم، وليسوا، وليدخلوا، ودخلوه وليتبروا»- كل هذه الضمائر ترجع إلى جماعة واحدة، عبر عنها بقوله تعالى: «عباداً لنا»، وليس غيره في الآيات يصلح مرجعاً لهذه الضمائر أصلاً...

جيم: يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء العباد سوف يدخلون المسجد مرتين. وأن دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد في المرتين معاً، اي بالقوة والقهر، والغلبة...

دال: إنه تعالى بعد أن ذكر الأحداث الاربعة عاد فقال: «وإن عدتم عدنا» وهو لبيان قاعدة كلية، وسنة إلهية في مواجهة طغيان بني اسرائيل وفسادهم، وهو لايدل على أن ذلك سوف يقع منهم، بعد تلك الأحداث الاربعة، بل إن ما سوف يقع جزءاً هو ما ذكر. أماماسواه فلا دليل

على حدوثه، بل إن تعبيره بـ «إن» الشرطية، الموضوعة للاستعمال في غير موارد الجزم لربما يشير إلى عدم الوقوع...

هاء: ان المقصود بـ «عباداً لنا» قوماً مؤمنين، وذلك لاقتضاء ظاهر قوله: «بعثنا»، وقوله: «عباداً لنا» (١) لأن البعث، والعبادله، لم يستعملا في القرآن — إلا ما شذ — إلا في مقام المدح والثناء (٢)... ولا سيما مثل قوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان.. وغير ذلك...

وأيضاً: فقد ذكر العلامة البحاثة المحقق الشيخ على الأحمدي: أن قوله تعالى: «وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة» يوغز إلى أن هؤلاء العباد إنما يدفعهم شوقهم إلى المسجد، وارتباطهم به، وحبهم له فـ «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» فلا بد و أن يكونوا أتقياء ابراراً يحضرون إلى المساجد لعبادة الله فيها.

و نزيد على ذلك : إنه لربما يشير إلى ذلك أيضاً: أنه بعد أن ذكر انتصار عباده على بني اسرائيل و ما سوف يحقق ببني اسرائيل من سوء، وأنه جعل جهنم للكافرين حصيراً... عادفاً جل كل ذلك على شكل قاعدة كلية، فبين: ان سنة الله هي أن يبشر عباده المؤمنين الذين يقفون المواقف الصالحة، و يدافعون عن دينه — كهؤلاء العباد الذين أرسلهم على بني اسرائيل — بأن لهم أجراً عظيماً. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة، و يفسدون في الارض، و يعلون، علواً كبيراً، كما هو حال بني اسرائيل اعتد لهم عذاباً اليماً، فقال:

«إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات: أن لهم أجراً عظيماً. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً...»... ثم دخل في موضوع آخر...

(١) — الميزان للعلامة الطباطبائي ج ١٣ ص ٣٩.

(٢) — ذكر ذلك سماحة الأخ العلامة الشيخ إبراهيم الانصاري في مقال له في مجلة: الهادي، السنة الأولى كما ذكر ذلك لي هو بنفسه على ما بيالي...

ويرى العلامة المحقق البحاث السيد الطباطبائي أيده الله تعالى: أنه لا دليل في الكلام يدل على كون المبعوثين «مؤمنين»؛ إذ لا ضير في عدّ مجيئهم إلى بني إسرائيل، مع ما كان فيه من القتل الذريع، والاسر، والسبي، و النهب، والتخريب، بعثاً إلهياً؛ لأنه كان على سبيل المجازاة على إفسادهم في الأرض، و علوّهم، و بغيهم بغير الحق؛ فما ظلمهم الله ببعث أعدائهم، و تأييدهم عليهم، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم (١).

ولكننا لانستطيع - بدورنا - أن نقبل: أن الله تعالى يؤيد الظالمين، والمجرمين بأي وجه... نعم... هو يخلي بينهم وبينهم، و يوقف تأييداته لهم، و هذا غير تأييده لأولئك، و بعثهم على هؤلاء...

كما أننا قدأ شرفنا فيما سبق إلى وجود بعض القرائن المشيرة إلى إيمان المبعوثين...

فالأظهر هنا: هو أن أولئك العباد سوف يدفعهم أمر الله تعالى إلى القيام بذلك العمل؛ فيصح أن يقال: إن الله هو المحرك والباعث لهم...

هذا... ما يستفاد من الآيات بشكل عام.

بقي الكلام في تطبيقها الخارجي؛ فهل حصل و تحقق مفادها كله في السابق؟. أو أنه لسوف يحصل كله في الآتي!. أو أن بعض ذلك قد حصل؟. والبعض الآخر متوقع الحصول؟!...

أقوال الرواة والمفسرين:

لقد راجعنا عدداً من كتب الحديث و التفسير... فوجدنا الروايات والانظار مختلفة و متباينة في ذلك..

و نحن نذكر موجزاً عن تلك الروايات، و الآراء.. بتلخيص

منا فنقول:

١- عن ابن مسعود: إن الفساد الاول هو قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، ثم عادواهم فغزوا النبط، فأصابوا منهم...

٢- عن عطية العوفي: بعث الله عليهم أولاً جالوت، ثم قتله طالوت على يد داود، ثم قتلوا يحيى؛ فبعث عليهم بخت نصر. وكذا عن ابن عباس...

٣- عن علي: الفساد الاول قتل زكريا، والثاني قتل يحيى... مع عدم بيان من بعث عليهم.

٤- عن حذيفة: الأولى بخت نصر، ثم ردهم كورش، ثم عادوا في المعاصي، فسلط عليهم ابطنانحوس، ثم عادوا في المعاصي، فعاد فسلط عليهم ثالثاً اسبيانوس.

٥- عن ابن زيد: الا ولى قتل زكريا ويحيى، فسلط عليهم سابور ذا الاكتاف، الفارسي، من قبل زكريا، وبخت نصر من قبل يحيى...

٦- عن مجاهد: ان ملك فارس بعث جنداً إليهم ليتجسسوا أخبارهم ويسمعوا حديثهم. ثم رجعت فارس، ولم يكثر قتال، ونصرت عليهم بنو اسرائيل، ثم بعث عليهم ملك فارس ببابل جيشاً، أمر عليهم بخت نصر؛ فدمروهم... (١)

رأي العلامة الطباطبائي:

قال العلامة البحاثة المحقق الطباطبائي أيدته الله تعالى: «... والذي يظهر من تاريخ اليهود: أن المبعوث أولاً لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر، وبقى خراباً سبعين سنة. والمبعوث ثانياً هو قيصر الروم اسبيانوس، ستر إليهم

(١) - راجع هذه الروايات في الدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ١٦٣-١٦٥... عن ابن جرير، و ابن عساکر، وابن أبي حاتم، متفرقاً... وراجع: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وفتح القدير، وغير ذلك من التفاسير، في تفسير الآيات في سورة الاسراء...

وزيره طوطوز، فخرّب البيت، وأذلّ القوم قبل الميلاد بقرن تقريباً.

وليس من البعيد: أن يكون الحادثان هما المرادتان في الآيات؛ فإن الحوادث الأخرى لم تفنّ جمعهم، ولم تذهب بملكهم واستقلالهم بالمرّة، لكن نازلة بخت نصر ذهب. بجمعهم، وسؤددهم إلى زمن كورش، ثم اجتمع شملهم بعد برهة، ثم غلب عليهم الروم، وأذهبت بقوتهم، وشوكتهم، فلم يزالوا على ذلك إلى زمن ظهور الاسلام».

قال هذا سلمه الله بعد ذكر: أنه كالمسلم: أن إحدى هاتين النكائتين كانت على يدبخت نصر(١)...

ولكنه عاد فأورد على نفسه بأن في الآيات إشعاراً بأن المبعوث إلى بني إسرائيل هم قوم بأعيانهم في كلا المرتين... وأجاب عن ذلك بأنه مجرد إشعار؛ من دون تصرّيح...

و نقول: إن الضمائر حسبما تقدم ليس لها مرجع في الكلام سوى قوله: «عباداً لنا». وهذا يدلّ دلالة واضحة على وحدة القوم المرسلين على نبي إسرائيل وليس مجرد إشعار...

و يرد على كلامه سلمه الله، وعلى جميع الروايات المتقدمة، عن الدر المنثور وغيره:

١- إننا لم نجد لبني إسرائيل كرة على بخت نصر، ولا على سابور ولاغيرهما. بل إن كورش قد أرجعهم إلى بلادهم بعد حوالي مئة سنة من أسر بخت نصر لهم...

٢- إن النبط لم يدخلوا المسجد مرتين... وكذلك بخت نصر، وقيصر، وغيرهم ممن ذكر جميعاً...

٣- إن جميع أولئك ما كانوا من المؤمنين، بل كانوا من الطغاة

٤- إن بخت نصر مقدم على يحيى بأكثر من سبعمئة سنة؛ فكيف ينتقم له؟ كما أن سابور متأخر عن بخت نصر، لا مقدم عليه كما في الرواية...

٥- هذا كله عدا عن الاشكال في أسانيد تلکم الروایات... (١)

رأي آخر في الآيات:

ويحتمل البعض: أن الفساد الأول كان في منطقة الحجاز، فبعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، وضرهم الضربة القاصمة، و كان دخول عمر إلى المسجد، الذي يمثل دخول المسلمين، هو المعنى... وتبقى المرة الثانية ستأتي... كما ويحتمل أن تكون هي ضربة بخت نصر لهم...

ولكن ذلك لا يمكن قبوله... لأن عمر حينما دخل المسجد الأقصى لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان تحت سيطرة النصارى، الذين استولوا عليه قبل ذلك بعقود من الزمن... و كانوا يجعلون الاقدار والاسواخ على (الصخرة)، التي هي قبلة اليهود، بل كانت المرأة ترسل بخرقه حياضها من بلاد الروم إلى بيت المقدس لتلقى على الصخرة، مبالغة في امتنانها، وإذلالا لليهود واحتقارهم... كما أنه لا معنى لارادة بخت نصر؛ ليكون هو بطل المرة الأولى، وذلك لما أشرنا إليه آنفاً...

رأي آخر:

و يرى سيد قطب: أن المقصود بالآيات هو هتلر الزعيم النازي، الذي فتك باليهود، وقتل منهم الكثيرين (٢).

(١) - هذه النقاط أشار إليها الأخ العلامة الشيخ ابراهيم الأنصاري حفظه الله تعالى في مقاله، في مجلة الهادي...

(٢) - في ظلال القرآن، في تفسير الآيات في سورة الاسراء...

ولكن هتلر هذا لم يدخل المسجد، لامرة، ولا مرتين، ولا أعيدت الكرة لبني اسرائيل عليه، ولا هو من المؤمنين، ولا ولا إلخ...

رأي آخر:

وثمة رأي آخر يقول: إن الفساد الأول هو انكارهم نبوته (ص)، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، واتفقوا مع المشركين ضده، وإرسال عباد الله على المفسدين هو ما جرى في صدر الاسلام. فأرسل الله النبي (ص) والمسلمين عليهم؛ فضر بهم في خيبر و قريظة؛ وقينقاع، وغير ذلك، وجاسواخلال ديارهم ثم دخل المسلمون المسجد الاقصى في زمن عمر... والفساد الثاني هو ماجرى ويجرى منهم في فلسطين ولبنان، والمنطقة بشكل عام، في هذا القرن الرابع عشر، ولسوف يأتي المهدي عليه السلام لينتقم منهم... ويدخل المسلمون المسجد، كما دخلوه أول مرة...

وقد قرّر بعض الاعلام هذا، وطبق الآيات عليه حينما عرضت هذا البحث عليه... على النحو التالي:

إنه ليس في الآيات ما يدل على أن الغلبة على اليهود، وغلبة اليهود تكون في مكان واحد محدد. وقوله تعالى «كما دخلوه أول مرة» يشعر، بل يدل على أن قوله: جاسواخلال الديار، هو غير دخولهم المسجد، اي انها أمران متقايران، كما يدل على أن الجوس خلال الديار متقدم على دخولهم المسجد، وذلك لمكان اللام في قوله: «ليدخلوا» وقد تحقق ذلك في زمن عمر... كما أن عدم ذكر دخول العباد بيت المقدس حينما بعثهم أولاً يدل على أن دخول المسجد لَمَا يتحقق لهم عند ذلك...

وتدل الآية على أن دخول المسجد في الثانية يكون أشد على اليهود وليتبر ماعلوا تتيبيراً، ففسادهم الثاني يكون في غلبتهم على البلاد المقدسة، و قتلهم المسلمين، وفسادهم في هذا العصر... و جزاؤهم يكون عاجلاً على يد أهل قم إن شاء الله تعالى... أو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، أو بامارته مع كون الجيش من أهل قم، والله العالم...

وهذا رأي لا يمكن المساعدة عليه، لأن ما ذكر في تطبيق الآيات عليه مخالف لظاهرها، فأولاً: إن الظاهر: هو أن دخول المسجد سيكون عنوة وقهراً لبني اسرائيل... وحينما دخل المسلمون المسجد في عهد عمر لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان النصارى هم المسيطرون.

فلم يحارب المسلمون اليهود ليدخلوا المسجد بالرغم عنهم، من جهة... و من جهة أخرى فان عمر قد دخل بيت المقدس صلحاً وليس عنوة، وظاهر الآية: هو أن الدخول سيكون عنوة، معه سوء الوجوه، وفيه القهر والغلبة على اليهود انفسهم... «ليسوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ماعلوا تتبيرا.»

وثانياً: ما ذكر من أن اللام في «ليدخلوا» تدل على أن الدخول سيتأخر عن الجوس خلال الديار... وكذلك... فان التفريق بين الجوس خلال الديار، و دخول المسجد، يدل على ذلك أيضاً... وكذا عدم ذكر الدخول للمسجد في المرة الأولى...

إن هذا الذي ذكر لا يدل على ذلك... لأن ظاهر الآيات: أنه قد اكتفي في المرة الأولى عن ذكر دخول المسجد، بذكر الجوس خلال الديار، لأنه مستبطن له، و يكون في ضمنه، وقوله: ليدخلوا معطوف على ليسوا بالواو، التي لا تدل على الترتيب الزمني... بل يمكن أن يقال:... إن ذكر دخول المسجد بين التتبر ما علوا وبين سوء الوجوه يدل على أن دخول المسجد سيكون في وسط المعركة، في المرة الثانية، وكذلك سيكون في المرة الأولى لقوله تعالى: «كما دخلوه أول مرة»...

والا... فلو صح ما ذكره هذا المقرب، لوجب أن يكون الدخول الثاني للمسجد صلحاً، لاعنوة، كما كان دخول عمر بن الخطاب في السابق.. وحينئذ فلابق معنى لذكر دخول المسجد فيما بين قوله: «ليسوا وجوهكم»، و بين قوله: «ليتبروا ماعلوا تتبيراً»...

وثالثاً: إنه لم يكن لليهود في زمن النبي (ص) فساد في الارض،

وعلو كبير، وإنما كانوا في محيط ضيق جداً محصور معين في نواحي المدينة، وكانوا مقهورين من قبل الأوس والخزرج، وبمائتون مشركي مكة، و سائر القبائل في المنطقة، فلا يصح أن يقال: إن لهم «علو كبير». فضلاً عن إضافة قوله «في الارض» سواء قلنا: إن المراد: الأرض المقدسة، يعني فلسطين، أو قلنا: بان المراد الارض مطلقاً اي معظمها، أو على مراكز القوة والنفوذ فيها... .

وثمة رأي آخر أيضاً:

وهو أن الحروب التي جرت بين العرب و اسرائيل تمثل المراحل الثلاث الأولى، و بقيت المرحلة الأخيرة، التي أشارت إليها الآية: «فاذا جاء وعد الآخرة، ليسوؤاوجوهكم إلخ...» وهي سوف تأتي إن شاء الله تعالى (١)...

وهذا أيضاً رأي مرفوض؛ لأن العرب الذين حاربوا إسرائيل ماجاسوا خلال ديار بني اسرائيل في حروبهم تلك ، ولادخلوا المسجد عنوة، بل إنهم ليسوا من عباد الله الاتقياء والملتزمين... لأنهم قد تخلوا عن دينهم، وجروا خلف شهواتهم، واستبدت بهم انحرافاتهم بشكل واضح لكل أحد... .

وثمة روايات أخرى:

وقد ذكر في تفسير البرهان، و تفسير نورالثقلين بعض الروايات— المناقش في أسانيدها— و التي تفيد: أن الفساد الأول هو قتل علي، و طعن الحسن عليهما السلام، والعلو الكبير هو قتل الحسين، و وعداً ولاهما نصر دم الحسين، والمبعوثون أولاً هم قوم قبل خروج القائم... و كان وعداً مفعولاً: خروج القائم... و ثم رددنا لكم الكرة عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه... .

وفي تفسير القمي: الفساد الأول: فلان وفلان، ونقضهم العهد، العلو الكبير: ما ادّعوه من الخلافة... و وعدأولاهما: الجمل. و جا سوا خلال الديار: طلبوكم، وقتلوكم، ورددنا لكم الكرة: بنوأمية... و وعد الآخرة: القائم (ع)، وكما دخلوه أول مرة: رسول الله (ص)...

و واضح: أن مفاد هذه الروايات ليس هو محط نظر الآيات صراحة، وإنما هي إن صحت من باب الإشارة إلى أن مايجرى لبني إسرائيل، يجري مثله لهذه الأمة أيضاً؛ إذ من الواضح: أن ما ذكرناه في مفاد الآيات لا ينسجم مع ما جاء في هذه الروايات، كما يظهر بالملاحظة، والمقارنة...

الرأي الأمثل:

و إذ قد عرفنا معنى الآيات إجمالاً، وعرفنا: أنه لم يحصل مفادها ولم يقع لبني إسرائيل بعد، لا في تاريخهم القديم، ولا الحديث... فاننا نعلم: أن مفادها سيقع في المستقبل، ومفادها هو:

١- أن يفسد بنو اسرائيل في الارض (ولتلاحظ كلمة في الارض)، فانه لا يصدق ذلك على بلد أوقرية صغيرة في نواحي الحجاز مثلاً، بل لابد وأن يكون فسادهم وعلوهم في الارض بصورة عامة. أو على الأقل في مراكزها، بحيث يرون انفسهم لا غالب لهم، ولاشي يقف في وجههم... و يعلنون علواً كبيراً (ولتلاحظ هذه الجملة بدقة ايضاً)...

٢- أن يبعث الله عليهم عباداً له أتقياء مؤمنين، فيجوسون خلال ديارهم، (والتعبير بالجوس لربما يشير إلى عدم المكث طويلاً فيها) و يدخلون المسجد.

٣- ثم يمد الله بنبي اسرائيل بأموال وبنين، و يصير جيشهم أعظم، ويردّ لهم الكرة على السابقين...

٤- ثم يعود أولئك المؤمنون لاحتلال بلاد الاسرائيليين، و يدخلون المسجد من جديد، و يسوؤن وجوههم إلخ...

٣٠٠ الصحيح في سيرة النبي ج ١
كل ذلك سوف يحصل في المستقبل... حسبما تفيد الآيات
الكريمة...

أهل قم هم المعنيون:

ويؤيد ماتقدم: مارواه المجلسي عن كتاب تاريخ قم، تأليف:
الحسن، بن محمد، بن الحسن القمي:

«روى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام
جالساً؛ إذ قرأ هذه الآية: (حتى إذ جاء وعدأولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا،
أولى بأس شديد؛ فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً)، فقلنا: جعلنا
فذاك، من هؤلاء؟».

فقال— ثلاث مرات—: هم والله أهل قم. (١)».

فهذه الرواية تعني: أن أهل قم هم الذين يقودون الحرب ضد بني
إسرائيل في المرة الأولى، وهم المعنيون بقوله: «عبداً لنا»... ثم تعود
لإسرائيل الكرة عليهم بجيش أعظم... ثم يعود أهل قم ليسوؤاوجوه
الإسرائيليين وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة...

الحروب الطويلة:

ولربما يمكن أن نستفيد من الرواية الأخرى، المروية عن: علي بن
عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأول عليه السلام،
قال:

«رجل من أهل قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر
الحديد، لا تزهم الرياح العواصف، ولا يملون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله
يتوكلون، والعاقبة للمتقين (٢)».

(١) — البحار ج ٦٠ ص ٢١٦.

(٢) — البحار ج ٦٠ ص ٢١٦.

لربما يمكن أن نستفيد من قوله «لا تزلهم الرياح العواصف»: أن الثورة الاسلامية سوف تواجه مشكلات صعبة، لا يثبت أمامها الرجال العاديون.

ومن قوله: «لا يملون من الحرب»: أنهم سوف يواجهون حروباً طويلة، يمل منها الانسان العادى... ولكنهم سوف يصمدون، وفي النهاية ينتصرون إن شاء الله، وذلك لقوله: «والعاقبة للمتقين»...

روايات أخرى:

ولعل هذه الدولة هي المقصودة أيضاً بماورد عن أبي جعفر (ع): «كأنني بقوم قد خرجوا بالمشرق، يطلبون الحق، فلا يعطونه، ثم يطلبونه، فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك، وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون مأسألوا، فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم: قتلاهم شهداء. أما إنني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر(١)».

ولعل روايات الرايات السود التي من المشرق تنطبق على هذه الدولة أيضاً...

وجاء في رواية عن الصادق عليه السلام: «يا أبا محمد، ليس يرى أمة محمد فرجاً أبداً مادام لولد بني فلان ملك، حتى ينقرض ملكهم؛ فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمة محمد برجل منا أهل البيت، يشير بالتقى، ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشا. والله اني لاعرفه باسمه واسم أبيه، ثم يأتينا الغليظ القصرة إلخ(٢)».

وفي رواية: «وتقبل رايات من شرقي الارض غير معلمة، ليست بقطن ولا كتان، ولا حرير، مختوم في رأس القناة بخاتم السيد الاكبر، يسوقها رجل من آل محمد، تظهر بالمشرق إلخ... (٣) وجاء في رواية في الزام

(١) - البحار ج ٥٢ ص ٢٤٣ غيبة النعماني ص ٢٧٣.

(٢) - البحار ج ٥٢ ص ٢٦٩ عن اقبال الأعمال...

(٣) - البحار ج ٥٢ ص ٢٧٤.

الناصب ص ١٩٧: «الاياءيل بغداد من الري، من موت وقتل وخوف، يشمل اهل العراق إذاحل ما بينهم السيف فيقتل ماشاء الله. وعلامة ذلك: إذا ضعف سلطان الروم، وتسلمت العرب، ودبت الناس إلى الفتن كدبيب النعل؛ فعند ذلك تخرج العجم على العرب، ويملكون البصرة»... وهذه هي الحرب الفعلية، وسوف يملك الايريانيون البصرة إن شاء الله تعالى...

و إذا كان في اسانيد هذه الروايات كلام، وكذا في متون لاحقة أو سابقة على هذه الفقرات، فإن المقصود بها مجرد التأييد لا الاستدلال.

الغرب واسرائيل:

هذا... ولربما يكون لاورپا الغربية مساهمة كبرى في شد عضد اسرائيل، فقد جاء في رواية: «وتشب نار بالحطب الجزل من غربي الارض، رافعة ذيلها، تدعوايا ويلها لرحله ومثلها؛ فإذا استدار الفلك، قلت مات أوهلك بأي وادسلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: «ثم ردنا لكم الكرة عليهم، وامددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيرا(١)».

الفلسطينيون... والأرض:

وبعد كل ماتقدم... فاننا لا بد وأن نشير إلى أن الفلسطينيين قد ذهبوا للدفاع عن شرفهم وكرامتهم، وتحرير أرضهم، والدفاع عن دينهم واسلامهم. وإننا في نفس الوقت الذي نحیی فيه الشعب الفلسطيني المسلم، ونحیی المقاتلين الشرفاء والغيارى من هذا الشعب الأبي...

فاننا نجد بعض المنظمات، التي لا تمثل الشعب الفلسطيني، ولا اكثرية المناضلين من أجل حقهم ووطنهم... قد اعرضت عن هذا الاسلام العظيم، ولم تتخذة عقيدة ومنطلقاً لها، بل هي لا تعرف منه الا اسمه، بل هي تحاول الابتعاد عنه، والتبري منه، وتعتبره رجعيّاً ومتأخراً... وذلك لأنها

تسعى وراء الحصول على مكاسب دنيوية، مادية... بل لقد اتخذت الماركسية مذهباً وعقيدة لها؛ فبئس للظالمين بدلاً...

ولكن شذوذ هؤلاء وانحرافهم لا يعني أنه يجب تشويه الفلسطينيين جميعاً في أذهان الشعوب المسلمة المؤمنة... فان ذلك سوف يكون ظلماً آخر لهذا الشعب، كما أنه سوف يحرم القضية من قوة دافعة لها أهميتها... وذلك لأن أية قضية إذا أفرغت من محتواها الانساني؛ فانها تفقد زخمها وقوتها، ودافعها العاطفي وذلك لأن هذا الانسان العادي ربما يخطر له: انه لماذا يقاتل ويضحى، مادام أن الارض يمكن أن تباع وتشتري، ويقايض عليها، والانسان وحده هو الاعلى والأعلى... فلماذا إذن ترهق النفوس والارواح في سبيل قطعة من الأرض، مادام يمكن الاستعاضة عنها بثمنها، ثم الاحتفاظ بهذا الانسان ومواهبه وطاقاته لما هو أهم، ونفعه أعم.

والمسجد أيضاً... فليكن لأنصاف الحلول فيه مجال، ولن يمانع الاسرائيليون في وصول المسلمين إلى مسجد هم في كل حين، وممارسة عباداتهم فيه بحرية، إذا كانوا هم الحكام، أو كان تحت مظلة الامم المتحدة...

نعم... يمكن أن يخطر كل هذا في ذهن الانسان العادي... ولربما يؤثر هذا الخاطر على تعامله مع أقدس قضية... فيما إذا فصل الجانب الانساني والعاطفي عن الأرض، فيضعف الدافع لتحرير الارض...

وإذن... فلا بد وأن تبقى المآسى والمظالم التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ماثلة للعيان أمام المقاتل المسلم والمؤمن بعدالة قضيته، ليندفع إلى التضحية والفداء في سبيل قضيته المقدسة بروح رضية، ونفس أبية، ولينترج من ثم... الوعي بالعاطفة، وكلاهما بالايان...

نعم... ليس للمسؤولين والسياسيين أن يربطوا مصيرهم ومصير أمتهم بأولئك المنحرفين، ولا أن يتقوا بهم، لأن أولئك المنحرفين سوف يدفعونهم في النهاية ثمناً لمصالحهم، ويساومون عليهم وبهم...

هذا تمام الجزء الأول من هذا الكتاب... فإلى الجزء الثاني
منه... مع كل تمنياتي، وخالص شكري وتقديري للقارئ الكريم...

محتويات الكتاب

- ١- محتويات الكتاب إجمالاً
- ٢- محتويات الكتاب بالتفصيل

محتويات الكتاب اجمالاً

	الاهداء
٥	ايضاحات ضرورية
١٥-١١	تقديم
٣٧-١٥	تمهيد

الباب الاول

ما قبل البعثة...

٧٥-٤٣	الفصل الاول: ما قبل ميلاد النبي (ص)
١٤٧-٧٧	الفصل الثاني: من الميلاد الى البعثة
١٨٥-١٤٩	الفصل الثالث: بحوث تسبق السيرة

الباب الثاني

من البعثة الى الاعلان بالدعوة

٢٣٩-١٩١	الفصل الأول: البعثة
٢٦٩-٢٤١	الفصل الثاني: الدعوة في دور الخفاء
٣٠٥-٢٦٩	الفصل الثالث: الاسراء والمعراج
٣١٧-٣٠٥	الفهارس

محتويات الكتاب بالتفصيل

	الإهداء
٥	إيضاحات ضرورية
١١-١٥	تقديم
١١	صلة الماضي بالحاضر، وتدوين التاريخ
١٢	ونحن هل نملك تاريخاً
١٣	دراسة التاريخ
١٣	دراستنا نحن للتاريخ
١٣	حقيقة مهمة لا بد من تسجيلها
١٥-٣٧	تمهيد
١٥	صفات النبي (ص)
١٦	خيانة الدين والأمة
١٧	الخطة الملعونة
٢٤	السرا المكنون
٢٦	نتائج سياسة الامويين تلك
٣٠	أسس تقييم النصوص

الباب الاول

ما قبل البعثة

الفصل الاول: ما قبل ميلاد النبي (ص) ٤٣-٧٥

الوضع الجغرافي لشبه جزيرة العرب

الحضر في شبه جزيرة العرب

الحالة الاجتماعية عند العرب

المرأة في الجاهلية

شواهد عن حالة العرب في الجاهلية

علوم العرب

ميزات وخصائص

الاسلام... وتلك الصفات

متى كان بناء مكة

الف: بناء الكعبة

باء: دعاء ابراهيم

جيم: تقديس الكعبة

الاصنام.. والكعبة

ولاية الكعبة

مكانة قريش

انا بن الذبيحين

ملاحظات هامة

البداء عند الشيعة

التوضيح والتطبيق

٧٣	اشكال وجوابه
٧٤	اليهود و البداء

الفصل الثاني: من الميلاد إلى البعثة ٧٧-١٤٧

٧٧	نسب النبي (ص)
٧٨	مولد النبي (ص)
٧٩	تعقيب هام و ضرورى
٨٠	مصير الدارالتى ولد فيها النبي (ص)
٨١	رضاعه (ص)
٨٢	حديث شق الصدر
٨٣	توجيه هذه الرواية
٨٥	رأينا في الرواية
٨٧	المسيحيون.. وحديث شق الصدر
٨٨	أصل الرواية جاهلي
٨٩	كفالة النبي (ص)
٩١	الرحلة الاولى إلى الشام، وبحيرا...
٩١	رواية مكذوبة
٩٣	سر الوضع و الاختلاق
٩٤	اشارات خاطفة في قصة بحيرا
٩٥	حضور النبي (ص) حرب الفجار
٩٧	سر التلاعب في الرويات هنا
٩٧	حلف الفضول
٩٨	سبب هذا الحلف
٩٩	بنوامية و حلف الفضول
١٠١	ملاحظة

١٠١	ملاحظات هامة على خلف الفضول
١٠٨	رعيه (ص) للغنم
١٠٩	ملاحظة
١١١	السفر الثاني إلى الشام
١١٢	زواجه (ص) بخديجة
١٩٤	خطبة أبي بكر
١١٧	نظرة في كلمات أبي طالب
١١٧	يتيم قريش .. اكذوبة مفضوحة
١١٩	هل تزوج (ص) خديجة طمعا في مالها؟
١٢٠	خديجة مثل أعلى
١٢٠	خديجة بين نساء قريش
١٢١	هل تزوجت خديجة بأحد قبل النبي (ص)؟
١٢٣	زوجتا عثمان: هل هما بنات النبي (ص)؟
١٢٥	هل زينب ابنة رسول الله (ص) ام ربيته؟
١٢٦	منافسون لعلي .
١٢٦	عمر خديجة حين زواجه (ص) بها
١٢٧	تاريخ ولادة أمير المؤمنين (ع)
١٢٨	أول هاشمي ولد من هاشميين
١٢٩	ولادة أمير المؤمنين (ع) في الكعبة
١٣١	لماذا .. حكيم بن حزام؟!
١٣٢	بناء الكعبة أعزها الله تعالى
١٣٣	وضع الحجر الاسود
١٣٤	ملاحظات هامة
١٣٦	خرافة انحلال الازار
١٣٨	طريق جمع فاشل

١٤٠	ثوبى حجر!!
١٤٢	حياء عثمان
١٤٣	أهل الكتاب.. وتعري الانبياء
١٤٤	ولادة فاطمة بنت الرسول(ص)
١٤٥	القول الحق

١٨٥-١٤٩ الفصل الثالث: بحوث تسبق السيرة

١٤٩	البحث الأول: ايمان آباء النبي (ص) إلى آدم(ع)
١٥٠	بعض الادلة على ذلك
١٥٢	استغفار ابراهيم(ع) لآبيه
١٥٣	إن أبي وأباك في النار
١٥٤	ملاحظة
١٥٥	غريبة
١٥٦	البحث الثاني: بماذا كان يدين النبي (ص) قبل البعثة
١٥٨	من الاساطير
١٦٠	استلام الاصنام
١٦١	البحث الثالث: شروط النهضة
١٦٥	البحث الرابع: العوامل المساعدة على انتصار الاسلام وانتشاره
١٦٦	١- منطلق الدعوة: مكة
١٦٧	٢- خصائص شخصية الرسول(ص)
١٧٠	٣- الحالة الاجتماعية
١٧١	٤- نوع معجزته
١٧٢	٥- بشائر اليهود والنصارى به (ص)
١٧٤	مناطق سكنى أهل الكتاب
١٧٥	أهل الكتاب وهيمنتهم العلمية على العرب

- ١٧٧ ٦- الفراغ العقائدي والسياسي
 ١٨٠ ٧- الحياة الصعبة والتضحية بالنفس
 ١٨١ ٨- بقايا الحنيفية في العرب
 ١٨٢ ٩- الخصائص والعادات العربية
 ١٨٣ ١٠- دور أبي طالب، وعلي، وأموال خديجة...
 ١٨٤ تنبيه هام و ضروري

الباب الثاني

من البعثة.. إلى الاعلان بالدعوة

١٩١-٢٣٩ الفصل الاول: البعثة

- ١٩١ عمر النبي (ص) حين البعثة
 ١٩٢ البعثة في رجب، اوفي شهر رمضان، و كيفية نزول القرآن
 ١٩٧ بدء الوحي، و أول ما أنزل عليه (ص)
 ١٩٨ إعجاز القرآن
 ٢٠٠ لماذا الأخير فقط
 ٢٠١ بلاغة القرآن
 ٢٠٢ البلاغة
 ٢٠٢ الاعجاز بالبلاغة، كيف؟ ولماذا؟
 ٢٠٣ التوضيح و التطبيق
 ٢٠٧ ترجمة القرآن، و تفسيره.
 ٢٠٧ للقرآن ظهور و بطن
 ٢٠٩ المحكم، و المتشابه
 ٢١٢ التأويل
 ٢١٣ الحروف المقطعة
 ٢١٦ ماروى فى بدء الوحي

٢٢٠	مناقشة روايات بدء الوحي
٢٢٤	إشارة
٢٣٠	وثمة أسئلة أخرى
٢٣١	ومن الطعن في النبوة ايضاً
٢٣٣	ما هو الصحيح في قضية بدء الوحي
٢٣٤	لما ذالك الكذب والافتعال إذن؟!
٢٣٨	النتيجة

٢٦٩—٢٤١ الفصل الثاني: الدعوة في دور الخفاء

٢٤١	أول من اسلم
٢٤٢	بعض ما جاء في سبق علي (ع) للاسلام
٢٤٣	تصريحات أمير المؤمنين (ع) في ذلك
٢٤٤	دليل آخر...
٢٤٥	خاتمة المطاف
٢٤٥	القول بأن خديجة أول من اسلم
٢٤٦	أبو بكر.. وسبقه إلى الاسلام
٢٥٠	طريق جمع فاشل
٢٥٢	هدف الورعين من الجمع بين الروايات
٢٥٣	مقارنة وهدف
٢٥٤	من أسلم بدعاية أبي بكر
٢٥٧	سر التأكيد على دور أبي بكر
٢٥٨	هل عمير بن أبي وقاص من السابقين؟
٢٥٨	اسلام ابي قحافة
٢٥٩	الدعوة في مراحلها التي اجتازتها
٢٦٠	المرحلة السرية

٢٦٠	دخول النبي (ص) دار الأرقم
٢٦٢	قريش، والنبي (ص) في المرحلة السرية
٢٦٢	اسلام أبي ذر رحمه الله
٢٦٤	ما استفاد من حديث اسلام أبي ذر

٢٦٩ - ٣٠٥

الفصل الثالث: الاسراء والمعراج

٢٦٩	الاسراء والمعراج
٢٦٩	متى كان الاسراء والمعراج
٢٧٤	ملاحظة
٢٧٥	الاسراء والمعراج في اليقظة أوفي المنام
٢٧٧	الاسراء والمعراج في القرآن
٢٧٨	سؤال وجوابه
٢٧٩	لا تدركه الابصار
٢٨٣	الاسراء من المسجد
٢٨٣	موسى وفرض الصلوات الخمس
٢٨٥	استبعاد الاسراء والمعراج
٢٨٦	من اهداف الاسراء والمعراج
٢٨٨	الاذان
٢٨٩	اليهود والمسجد في القرآن
٢٨٩	مفاد الآيات إجمالاً
٢٩٢	أقوال الرواة والمفسرين
٢٩٣	رأي العلامة الطباطبائي
٢٩٥	رأي آخر في الآيات
٢٩٥	رأي آخر
٢٩٦	رأي آخر

٢٩٨	وثمة رأي آخر أيضاً
٢٩٨	وثمة روايات أخرى
٢٩٩	الراي الامثل
٣٠٠	أهل قم هم المعنيون
٣٠٠	الحروب الطويلة
٣٠١	روايات أخرى
٣٠٢	الغرب واسرائيل
٣٠٢	الفلسطينيون.. والارض

٣١٧ - ٣٠٥

الفهارس

٣٠٧	محتويات الكتاب اجمالاً
٣٠٩	محتويات الكتاب بالتفصيل

جعفر مرتضى العاملی

الصحيح

من سيرة النبي الاعظم
صلی الله علیه
وآله وسلم

الجزء الثاني

دراسة وتحليل

١٤٠٣ هـ.ق

الكتاب : ماهو الصحيح في سيرة النبي الاعظم (ص)
المؤلف : جعفر مرتضى الحسيني العاملي
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف
قم المقدسة ١٤٠٠ هـ - ق

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

و الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين،
محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الاولين
والآخرين إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب: «ما هو الصحيح في سيرة النبي
(ص)» أو «المصطفى من سيرة المصطفى» أقدمه للقراء الكرام، على أمل أن
ينال رضاهم، مع رجائي الاكيد: أن يتحفوني بآرائهم، وملاحظاتهم. وهم
مني جزيل الشكر والتقدير...

جعفر مرتضى العاملي

الباب الثالث

من الاعلان بالدعوة... حتى:

وفاة أبي طالب

الفصل الاول: حتى الهجرة إلى الحبشة.

الفصل الثاني: الهجرة إلى الحبشة، وما يرتبط بها.

الفصل الثالث: حتى الشعب.

الفصل الرابع: في شعب أبي طالب.

الفصل الخامس: ابوطالب، مؤمن قريش.

الفصل الأول

حتى الهجرة إلى الحبشة.

مقدمة:

إننا قبل أن نبدأ بالحديث عن الذين أسلموا، وحوادث ما بعدالبعثة... نرى لزاماً علينا: ان نشير إلى أمرين هامين أحدهما: تحديد اهداف الاسلام، وماالذى يريد ان يحققه، في هذه الحياة... الثاني: عملية السير الطبيعي لاي دعوة، و كيف؟ ومن اين تبدأ؟

فباختصار شديد نقول:

اهداف الاسلام

و نبادر هنا إلى القول: إن اهداف الاسلام القصوى ليست فقط هي تحقيق العدل— ولو بمفهومه الأوسع— وإلا... فإنه لا يبقى معنى للاوامر الداعية إلى الجهاد، و التضحية بالنفوس في سبيل الدين والمبدأ؛ إذماذا يتخلى هذا الشخص عن نفسه، بينما يبقى الآخرون يتمتعون بالحياة، و لذائذها؟! ولا يبقى معنى ايضا لان يكون الايثار على النفس، «و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة(١)» أمراً محبوباً و مطلوباً لله تعالى، و يمدح عليه فاعليه؛ إذلو كان

(١) — الحشر ٩.

العدل هو الهدف، فان هذا الايثار لاموضع له ايضاً.. كما انه لامعنى لان يؤمر هذا الانسان بأن لا يحقد ولا يحسد، و والى غير ذلك مما لا يمكن تتبعه و استقصاؤه... نعم.. إن ذلك كله و سواه ليبدل على ان الهدف ليس هو مجرد تحقيق العدل، وإنما هو فوق، وأهم، واقدس من ذلك...

إن الهدف هو تجسيد انسانية الانسان، و اظهار كنوزها، والارتفاع بهذا الانسان إلى مستوى الجدارة الحقيقية لأن يمثل خلافة الله على الارض: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة(١)» وليس العدل، وسواه من كمالات وفضائل، إلا واحداً من تلك المراحل والوسائل الموصلة إلى ذلك الهدف المقدس الاسمى، الذي يستبطن في داخله: كل العدل، و كل الكمالات و كل الفضائل، واخيراً كل السعادة والفوز والنجاح...

نعم: هذا هو هدف الاسلام، و هذا هو ما يسعى إليه، و يعمل من أجل الوصول والحصول عليه..

و ليس أدل على ذلك من الآية التي تحدد مهمة النبي الرسول، بأن يعلم الناس الحكمة، و يطهرهم، و يزيكهم، بالاضافة إلى تبليغ رسالة الله لهم: «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته، و يزيكهم، و يعلمهم الكتاب و الحكمة، و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين(٢)». و ليلا حظ: أيضاً قوله تعالى: «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، و لكن يريد ليظهركم، و ليتم نعمته عليكم، لعلكم تشكرون». (٣)

والمراجع للآيات القرآنية يجد الكثير الكثير مما يدل على ذلك دلالة واضحة؛ بحيث إن ذلك لا يحتاج إلى أي بيان أو توضيح، ولا إلى المزيد من الدلالات والشواهد...

(١) - البقرة ٣٠

(٢) - سورة الجمعة ٢.

(٣) - المائدة ٦

وأندر عشيرتك الأقربين:

و بعد السنوات الثلاث الاولى بدأت مرحلة جديدة و خطيرة و صعبة، هي مرحلة الدعوة العلنية إلى الله تعالى...

و قد بدأت أولاً على نطاق ضيق نسبياً، حيث نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: وأندر عشيرتك الأقربين (١) فيقول المؤمنون، (والنص للطبرى)، ماملخصه: انه لما نزلت هذه الآية دعا علياً عليه السلام فأمره ان يصنع طعاماً، ويدعوه بني عبدالمطلب ليكلمهم، ويبلغهم ما أمر به.

فصنع علي عليه السلام صاعاً من طعام، وجعل عليه رجل شاة، وملاعساً من لبن ثم دعاهم و هم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً، أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبوطالب، و حمزة والعباس، و أبوهب... فأكلوا... قال علي عليه السلام فأكل القوم، حتى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، و أريم الله الذي نفس علي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم؛ فجثتهم بذلك العس؛ فشربوامنه حتى رووامنه جميعاً، و ايم الله، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما اراد رسول الله (ص) ان يكلمهم بدره ابوهب فقال: لقدماً سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم الرسول (ص).

فأمر (ص) علياً في اليوم الثاني ان يفعل كما فعل آنفاً، و بعد ان اكلوا و شربوا، قال لهم رسول الله (ص) يا بني عبدالمطلب، اني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به، اني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فايكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي، و وصيي، و خليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقال علي: أنا يانبي الله أكون و ز يرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال:

إن هذا أخي، و وصيي، و خليفتي فيكم؛ فاسمعوا له و أطيعوا...

قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع... وفي بعض نصوص الرواية: أنه لما قام علي عليه السلام فأجاب أجلسه النبي (ص)، ثم أعاد الكلام، فأجابه علي فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا وأجاب علي عليه السلام، فقال له (ص) ذلك... وعلى حسب نص الاسكافي: انه (ص) قال: هذا أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي. وأنهم قالوا لابي طالب: أطع ابنك، فقد أمره عليك (١).

التعصب الأعمى:

ولابد أن نشير هنا: إلى أن الطبري، قد ذكر هذا الحديث في تاريخه على النحو المتقدم... ولكنه ندم على ذلك— على ما يظهر—، فذكر نفس هذا الحديث في تفسيره برمته حرفياً، متناً وسنداً، ولكنه غير فيه عبارة واحدة، فذكرها على النحو التالي:

(١)— راجع هذه القضية في: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣، ومختصر تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ١٤ ط دارالفكر بيروت وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٢ و ٤٢١ وكنز العمال الطبعة الثانية ج ١٥ ص ١١٦/١١٧ و ١١٣ و ١٣٠ عن ابن اسحاق، وابن جرير، وصححه وأحمد، وابن ابي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل، وتاريخ ابن عساکر، ترجمة الامام علي بتحقيق المحمدي ج ١ ص ٨٧ و ٨٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤ عن الاسكافي، وحياة محمد هيكل الطبعة الأولى ص ١٠٤، والكامل لابن الاثير ط صادر ج ٢ ص ٦٢/٦٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٦. ومسنند أحمد ج ١ ص ١٥٩ وراجع أيضاً المصادر التالية: كفاية الطالب ص ٢٠٥ عن الثعلبي ومنها ج السنة ج ٤ ص ٨٠ عن البغوي وابن ابي حاتم والواحدي والثعلبي وابن جرير، ومسنند أحمد ج ١ ص ١١١، وفرائد السمطين، بتحقيق المحمدي ج ١ ص ٨٦، وأثبات الوصية للمسمودي ص ١١٥/١١٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٦٠/٤٥٩. والغدير ج ٢ ص ٢٧٨—٢٨٤ عن بعض من ذكرنا وعن: انباء نجباء الابناء ص ٤٦—٤٧، وشرح الشفاء للخفاجي ج ٣ ص ٣٧، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٣٩٠، وكتاب سليم بن قيس وغيرهم... وخصائص النسائي ص ٨٦ الحديث ٦٣.

وراجع: البحار ج ٣٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٩٧ عن مصادر كنز العمال لكنه حرف فيه وجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٢ عن عدد من الحفاظ باسقاط أيضاً، ونبايح المودة ص ١٠٥ وغاية المرام ص ٣٢٠ وابن بطريق في العمدة، وتفسير الثعالبي، وتفسير الطبري ج ١٩ ص ٧٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ و ٣٥١.

«فأيكم يوازنني على هذا الأمر، على أن يكون أخي، وكذا وكذا...
إلى أن قال: ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا (١)»!!

وقد تبعه على هذا ابن كثير الشامي أيضاً؛ فلم تسمح نفسه بذكر ما
في تاريخ الطبري... بل نقل خصوص ما في التفسير، مع أن تاريخ الطبري
هو مصدره ومعتمده في تاريخه (٢)!!

كما أن محمد حسين هيكل بعد أن ذكر في حياة محمد في الطبعة
الأولى ص ١٠٤ نص الطبري في التاريخ... عاد فحذف من الطبعة الثانية
ص ١٣٩ ط سنة ١٣٥٤ هـ. قوله: «وخليفتي فيكم» واقتصر على قوله:
«ويكون أخي ووصيي» وذلك لقاء خمسمائة جنيه، وأولقاء شراء الف نسخة من
كتابه (٣).

ابن تيمية، وحديث الدار:

أما ابن تيمية، فقد انكر على عاداته— في انكار فضائل سيدالاصياء
أميرالمؤمنين عليه السلام— حديث الدار، وأورد عليه بما ملخصه:
أولاً: إن في سند رواية الطبري أبو مريم الكوفي، وهو مجمع على
تركه، وقال أحمد: ليس بثقه، واتهمه ابن المديني بوضع الحديث الخ...

وثانياً: تنص الرواية على أنه قد جمع بني عبدالمطلب، وهم أربعون
رجلاً... ومن الواضح أنه حين نزول هذه الآية لم يكن بنوعبدالمطلب بهذه
الكثرة...

وثالثاً: قول الرواية إن الرجل منهم ليأكل الجذعة، ويشرب الفرق
من اللبن كذب إذ ليس في بني هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعاً، ويشرب
فرقاً.

(١)— راجع تفسير الطبري ج ١٩ ص ٧٥.

(٢)— راجع: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥١، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ والسيرة النبوية لابن
كثير ج ١ ص ٤٥٩.

(٣)— راجع: فلسفة التوحيد والولاية ص ١٧٩ و ١٣٢ وسيرة المصطفى ص ١٣١ و ١٣٠.

ورابعاً: إن مجرد الاجابة للمعاونة على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصياً وخليفة بعده (ص) فان جميع المؤمنين أجابوا إلى الاسلام وأعانوه على هذا الأمر، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيله... كما أنه لو أجابه الأربعون؛ أوجاعة منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفة له؟

وخامساً: إن حمزة، وجعفرأ، وعبيدة بن الحرث قد أجابوا إلى ما أجاب إليه علي، بل حمزة اسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلاً (١).

الرد على ابن تيمية:

ولكن كل ما ذكره ابن تيمية لا يصح، ولا يلتفت إليه...

أ— فأما بالنسبة لما ذكره أولاً عن أبي مریم، فقد قال ابن عدي: سمعت ابن عقدة يثني على أبي مریم ويطريه، وتجاوز الحد في مدحه (٢) وأثنى عليه شعبة (٣).

وقال عنه الذهبي: كان ذا اعتناء بالعلم وبالرجال (٤).

وعدا عن ذلك فقد صرحوا بسبب تضعيفهم له، وهو كونه شيعياً... ونحن نرى أن ذلك لا يضره فقد روى أصحاب الصحاح، ولا سيما البخاري ومسلم عن عشرات الشيعة (٥).

ومع غض النظر عن ذلك؛ فان المتقي الهندي قد نقل عن الطبري: أنه قد صحح هذا الحديث (٦).

كما وصححه الاسكافي المعتزلي (٧) وصححه أيضاً: الخفاجي في

(١) - منهاج السنة ج ٤ ص ٨١-٨٣.

(٢) - راجع: الفديرج ٢ ص ٢٨٠، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٣.

(٣) - لسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.

(٤) و (٥) - ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٦٤١ و ٦٤٠، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.

(٦) - كنز العمال ج ١٥ ص ١١٣.

(٧) - راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤.

شرح الشفاء (١)

وقد رواه أحمد بسند جميع رجاله رجال الصحاح بلا كلام، وهم شريك، والاعمش، والمنهال، وعباد، وعلي عليه السلام (٢).

ولو سلم كل ذلك ... فان طرق الحديث مستفيضة يقوى بعضها بعضاً... فلا يضر ضعف بعض الرجال في بعض الاسانيد...

وأعجب من ذلك دعوى أن لا تكون قضية الخلافة بعده مذكورة في المسانيد، فإن من راجع المصادر التي ذكرناها آنفاً يعرف أنها موجودة في عشرات المصادر والمسانيد...

وأما رواية ابن أبي حاتم، فقد طعن في سندها باشتغالها على عبد الله بن عبد القدوس. وقد ضعفه الدارقطني، وقال النسائي: ليس بثقه، وقال ابن معين: ليس بشيئي، رافضي خبيث.

قال الشيخ المظفر:

وفيه: ان تضعيفهم معارض بما في تقريب ابن حجر: انه صدوق.

وفي تهذيب التهذيب: قال محمد بن عيسى: ثقة...

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال البخاري: هو في الاصل صدوق إلا أنه يروي عن اقوام ضعاف. مع أنه أيضاً من رجال سنن الترمذي...

ومدح هؤلاء مقدم؛ لعدم العبرة في قدح أحد المتخالفين في الدين في الآخر، و يقبل مدحه فيه... وهم قذفوه بذلك؛ لأنهم رموه بالتشيع، ولا نعرفه في رجالهم...

(١) - راجع: القدير ج ٢ ص ٢٨٠.

(٢) - راجع: المصدر السابق، ومسنده أحمد ج ١ ص ١١١.

لكن قد ذكر ابن عدي: أن عامة مايرويه في فضائل أهل البيت.

ولعل هذا هو سرتهم له (١).

٢- وأما ما ذكره ثانياً: فإن الظاهر هو أن كلمة (عبد) زيادة من الرواة، بدليل: أن عدداً من الروايات يصرح بأنه قد دعا بني هاشم (٢) وفي روايات أخرى جاء: إنه دعا بني عبدالمطلب ونفراً من بني المطلب (٣) ففعل الأمر قد اشتبه على الراوي وأضاف كلمة عبد، وهذا كثير... وعليه فلا يلزم من ذلك كذب أصل الواقعة المتفق عليها اجمالاً...

٣- وأما ما ذكره ثالثاً: فقد أجاب عنه الشيخ المظفر: بأن عدم معرفتهم بالاكل لا تدل على عدم كونهم كذلك، فلعلهم كذلك في الواقع.

ولوسلم؛ فانه يلزم منه مبالغة الراوي في اظهار معجزة النبي (ص) في اطعامهم رجل الشاة، وعس اللبن الواحد (٤)...

٤- وأما ما ذكره رابعاً: فقد ذكر الشيخ المظفر: أنه لا يصح، لأن قوله هذا ليس علة تامة للخلافة، ولم يدع ذلك النبي صلى الله عليه وآله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته بل أمره بانذار عشيرته؛ لأنهم أولى بالدفع عنه ونصره، فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم، وليعلم من أول الأمر: أن هذه المنزلة لعلي خاصة؛ لأن الله ورسوله يعلمان: أنه لا يجيب النبي (ص) ويوازره غير علي (ع)؛ فكان ذلك من باب تثبيت إمامته، باقامة الحججة عليهم... ومع فرض

(١) - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) - كما في السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩ عن ابن أبي حاتم وكذا في البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠، وراجع كنز العمال ج ١٥ ص ١١٣، ومسنند أحمد ج ١ ص ١١١ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ وابن عساکر ترجمة الامام علي بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٧، واثبات الوصية للمسعودي ص ١١٥، وتاريخ البيهقي ج ٢ ص ٢٧، ومسنند البزار مخطوط في مكتبة مراد رقم ٥٧٨.

(٣) - الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦٢ ط صادر.

(٤) - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٥.

تعدد المجبيين يعين الرسول الأحق بها منهم (١).

ولكن المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني قد أوضح ما ذكره المظفر بأن الخطاب للجميع، لكن النبي (ص) كان يعلم من خلقهم وعلاقاتهم، وطبائعهم: أنهم سوف لا يجيبون إلا عالياً عليه السلام، هذا بالإضافة إلى اعلام الله له بذلك... ويؤيد هذا ما سوف يأتي نقله عن البحار، عن ابن طاووس، تحت عنوان... «ماذا قال النبي (ص) يوم الانذار». وقد قلنا هناك: إن ذلك النص هو المنسجم مع الآية الكريمة، وقد جاء فيه: «إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له أخاً، ووزيراً، ووصياً، ووارثاً من أهله، وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي.... إلى أن قال: وقد والله أنبأني به، وسماه لي، ولكن أمرني أن أدعوكم وأنصح لكم، وأعرض عليكم، لئلا تكون لكم الحجة فيما بعد (٢)».

ثم احتمال الروحاني أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البدل، ولذا قال لهم: أيكم يؤازرنني الخ... فالجيب أولاً هو الذي يستحق ما وعد به (ص)، وإجابة أكثر من واحد بعيدة الوقوع جداً، ولا يعنى باحتمالها عرفاً... ولا سيما وأن الذي يضره التقارن في الإجابة، وذلك أبعد وأبعد... هذامع علمه (ص) بأنه لا يجيب سوى واحد منهم...
وأما ما ذكره ابن تيمية خامساً، وأخيراً، فإنا نقول: إنه لا يصح بأي وجه، أما:

أولاً: فإن وجود حمزة إنما يضر لو كان قد أسلم قبل نزول آية الانذار، ونحن لم نستطع: أن نحتمل ذلك، فضلاً عن ان نجزم به، إذ من القريب جداً، بل هو ظاهر، إن لم يكن صريح ماورد في كيفية اسلام حمزة: أن يكون اسلامه بعد الاعلان بالدعوة، وبعد وقوع المواجهة بين النبي (ص) وقريش وبعد مفاوضاتها لأبي طالب...

(١) - دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) - البحار ج ١٨ ص ٢١٥/٢١٦، عن: سعد السعود ص ١٠٦.

وثانياً: لو سلم فان انذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوة السرية، وقبل اسلام حمزة، لو كان قد اسلم في الثانية من البعثة، ويكون ماجرى بين حمزة وأبي جهل، بمثابة إعلان جزئي للدعوة... وتكون قريش قد بدأت تتعرض لشخص النبي (ص) حتى في الدعوة السرية... وأما بالنسبة لسائر من أسلم فقد كان ثمة محدودية في التعامل معهم، وسرية بالنسبة لمن يدخل في الاسلام منهم... ويدل على ما ذكرناه: أنهم يذكرون: أن قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» كان هو السبب في اخراج الدعوة من السر الى العلن... ولاريب أن انذار العشيرة كان قبل ذلك ...

وثالثاً: إن وجود حمزة، إن كان قد اسلم آنئذٍ، كوجود أبي طالب بينهم... فلعلهما كانا يريان نفسيهما غير مقصودين بهذه الدعوة... ولا سيما إذا كانا يدركان: أن بقاءهما إلى مابعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله أبعد احتمالاً... فان سنّ حمزة كان يقارب سن النبي (ص)، وأما أبو طالب فانه كان شيخاً هرمأ لا يحتمل البقاء إلى مابعد وفاته (ص)، فلامعنى لأن يقدم أي منها نفسه على أنه خليفته من بعده... أو على الأقل... هكذا فكرا آنئذٍ.

وهكذا يتضح: أن جميع ماجاء به ابن تيمية انما كان كسراب ببيعة، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف...

نقاط هامة في حديث الانذار

الف- روايات لا يمكن أن تصح:

هذا: وقد حاول ابن تيمية أن يقوى جانب روايات أخرى تبعد علياً وأهل البيت عن الأنظار، بل وتستبعد الهاشميين عموماً أيضاً...

كتلك الروايات التي في الصحيحين، والتي تقول: إنه (ص) جمع قريشا- حين نزلت: وانذر عشيرتك الأقربين- فاجتمعوا، فخص وعم، فقال: يا بني كعب بن لؤى، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني

عبدالمطلب أنفاً وأنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنتي نفسك من النار الخ (١).

وفي رواية أخرى: إنه جمع بني هاشم واجلسهم على الباب، وجمع نساءه فاجلسهم في البيت. ثم كلم بني هاشم، وبعد ذلك اقبل على ها بيته؛ فقال: يا عائشة بنت ابي بكر، وياحفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله اشتروا أنفسكم في الله، واسعوا في فكاك رقابكم؛ فاني لأملك لكم من الله شيئاً، ولا أغني؛ فبكت عائشة وقالت... ثم تذكر محاوره لهامعه (ص) (٢).

وثمة نصوص أخرى كلها تؤكد على دعوته قرشياً وانذاره لها... وهذه الروايات لا يمكن أن تصح، أما:

أولاً: فقد تقدم: أن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها لم تكن حينئذ قد ولدت.

وثانياً: إن عائشة (٣) وحفصة، وأم سلمة لم يكن من أزواجه حينئذ، ولاكن من أهله، وإنما صرن من أهله في المدينة بعد ذلك بسنين كثيرة...

وثالثاً: إن هذه الروايات تناقض ماورد من أنه إنما دعا قرشياً وباءها حين نزل قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر...

ورابعاً: ان هذه الروايات تناقض نص الآية نفسها، فانها تأمره بانذار

(١) - راجع: منهاج السنة ج ٤ ص ٨٣، والدر المنثور ج ٥ ص ٩٥ و ٩٦ عن: أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وأنس، وعروة بن الزبير، والبراء، وقتادة، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) - الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ عن: الطبراني، وابن مردويه، عن أبي أمامة، وهذه الروايات موجودة في مصادر كثيرة أخرى ولاسيما تلك التي ذكرناها في أوائل هذا البحث كمصادر للنص الأول...

(٣) - والغريب في الأمر: أنهم يعتقدون: أن عائشة إنما ولدت في الخامسة من البعثة، والانتذار للعشيرة كان في الخامسة، فهم يناقضون أنفسهم مناقضة صريحة... وإن كنا نحن نعتقد: أن عائشة قد ولدت قبل البعثة بسنوات، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى...

العشيرة الأقربين، لامطلق عشيرته، ولامطلق الناس، وعشيرته الأقربون إمامهم بنوهاشم، أو بنو عبدالمطلب، والمطلب...

والقول بتعدد الانذار: لايدفع الاشكال، بعد تصريح الروايات: بأن مفادها قد وقع حين نزول الآية عليه صلى الله عليه وآله وسلم...

هذا كله... مع غض النظر عما في أسانيد هذه الروايات، فان جميع رواياتها— كمايقولون— لم يدركوا زمان انذار عشيرته صلى الله عليه وآله وسلم...

باء: ما المراد بكونه خليفته في أهله:

وقد ذكر الشيخ المظفر: ان من الواضح: أن قوله: خليفتي فيكم، أو في أهلي لا يضر مادام أن ثمة إجماع على عدم جواز وجود خليفتين: خاص، وعام. فخلافته الخاصة تقتضي خلافته المطلقة. ولعل الأصح هو: أنه قال كما في الروايات الأخرى: «من بعدى»، أو أنه قال: «فيكم» باعتبار أنهم من المسلمين...

وأما القول بأن المقصود: هو أنه القائم بشؤونهم الدنيوية؛ فيكذبه الواقع؛ فان علياً عليه السلام لم يكن كذلك بالنسبة لأي من الهاشميين... ولو كان المقصود هو خصوص الحسين عليها السلام، وفاطمة صلوات الله وسلامه عليها... فان من الواضح أن نفقة هؤلاء واجبة عليه بالأصالة لا بالخلافة. وأما غيرهم فلم يكن عليه السلام مكلفاً بالانفاق عليه، ولا كان يفعل ذلك (١).

جيم: لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة؟!:

ومن الواضح: أن الاهتمام بدعوة عشيرته الأقربين كان خير وسيلة لتثبيت دعائم دعوته، ونشر رسالته؛ لأن الاصلاح يجب أن يبدأ من الداخل، حتى إذا ما استجاب له أهله وقومه، اتجه إلى غيرهم بقدم ثابتة، وعزم راسخ ومطمئن...

كما أن دعوته لهم سوف تمنحه الفرصة لاكتشاف عوامل الضعف والقوة في البنية الداخلية، من حيث ارتباطاته وعلاقاته الطبيعية، وليعرف مقدار الدعم الذي سوف يلاقه؛ فيقدر مواقفه واقدامه واحجامه على أساسه.

ومن الجهة الأخرى؛ فإنه يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس قبلي... فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسية ومصيرية... وحين لا يكون هو نفسه يرضى بالاعتماد على القبيلة كعنصر فعال في حماية مواقفه، وتحقيق أهدافه— حين يكون ذلك— فان من اللازم: أن يتخذ من ذوي قرباه موقفاً صريحاً، ويضعهم في الصورة الواضحة؛ وان يبيئ لهم الفرصة ليحددوا مسؤولياتهم، بحرية، وصراحة، وصفاء، بعيداً عن أي ضغط، وابتزاز— ولو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلي المرفوض اسلامياً...

ومن هنا... تبرز واقعية الاسلام في تعامله مع الأمور، وفي معالجته للقضايا، الاسلام الذي لا يرضى أن يستغل جهل الناس وبساطتهم، وحتى أعرفهم— الخاطئة— التي ارتضوها لأنفسهم في سبيل منفعه، وتحقيق أهدافه.

نعم... إن الاسلام يعتبر الوسيلة جزءاً من الهدف، فلا بد وأن تنسجم وتتلاءم معه... كما لا بد وأن تنال من الطهر والقداسة بالمقدار الذي يناله الهدف نفسه...

وفقنا الله للسير على هدى الاسلام، والالتزام بتعاليمه؛ إنه خير مأمول، واكرم مسؤول...

وعلى كل حال... فقد خرج صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك الاجتماع بوعداً أكيد من شيخ الأبطح، أبي طالب عليه السلام بالنصر والعون؛ فإنه لما رأى موقف أبي هب اللانسانى، واللامعقول، قال له: «يا عورة، والله لننصرنه، ثم لنعيننه. يا ابن أخى، إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح... (١)».

دال - علي عليه السلام في يوم الانذار:

ونجد في يوم الانذار: أن اختيار النبي صلى الله عليه وآله يقع على أمير المؤمنين عليه السلام، ليكون المضيف لجماعة ينا هز عددها الأربعين رجلاً، فيأمره بأن يصنع طعاماً، ويدعوهم إليه... رغم أنه كان بإمكانه هو صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعوهم إلى بيته، ورغم وجود آخرين، أكثر وجاهة ومعروفة من علي (ع)، كأبي طالب، وكجعفر، الذي كان يكبر علياً، في السن، وغيرهما...

نعم... لقد اختاره هو بالذات؛ لأنه وإن كان حينئذٍ صغير السن... إلا أنه كان في الواقع كبيراً في عقله، وفي فضائله وملكاته، كبيراً في روحه ونفسه، كبيراً في آماله وأهدافه... ولا أدل على ذلك من كونه هو المحجوب للرسول، دون كل من حضر، ليؤازره ويعاونه على هذا الأمر... كما أن النبي صلى الله عليه وآله نفسه قدرآه بدوره منذئذٍ أهلاً لأن يكون أخاه، ووصيه، وخليفته من بعده... وهي الدرجة التي قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل وحتى عن أن يدخل في وهمها: أن تصل ولو في يوم ما إليها، وتحصل عليها...

ولكن علياً كان منذ نعومة أظفاره هو السباق إليها دون كل أحد لأنه عاش في كنف الرسول، وكان (ص) كفيلاً ومربيه، وكان يبرد له الطعام، ويشمه عرفه، وكان هو يتبع الرسول اتباع الفصيل اثر أمه، وكان كأنه ولده (١). وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم...

هاء - موقف ابي لهب:

ولقد أدرك أبو لهب مغزى تلك الدعوة، ورأى أن الأمر قد بلغ مرحلة

(١) - وليس في كفاية النبي (ص) لعل غضاضة على ابي طالب شيخ الابطخ - كما يقول البعض - لان عبدالله واباطالب كانا من أم واحدة بخلاف سائر ابناء عبدالمطلب، وقدر بي النبي (ص) في حجر ابي طالب وكان (ص) يخاطب فاطمة بنت اسد بياأماه، وكانت عناية إني طالب وزوجته به (ص) فائقة جداً... وكان علي (ع) كانه ابن لرسول الله (ص)، مع ملاحظة التفاوت في السن فيما بينها.

الجد. وها هو يرى بأمر عينيه معجزة أخرى— تضاف إلى الكثير مما رآه من معاجز وكرامات، طيلة السنوات الكثيرة التي عرف فيها النبي وأحواله— فيرى أن فخذ شاة وعساً من لبن يكفي أربعين رجلاً...

نعم... لقد عرف أبوهب ذلك... وهو يعرف أيضاً طبيعة وأهداف هذا الدين الذي يبشر فيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم... وإنه لا يقيم وزناً لأي امتياز أو مكسب شخصي حصل عليه الإنسان من طريق الابتزاز والظلم، وسائر أنواع التعدي والانحراف... وإذن... فلا بد لأبي هب، بحسب منطقته اللامنطقي: أن يقف في وجه هذا الدين، ويمنعه من تحقيق أهدافه بكل وسيلة ممكنة... ولا بد من تضييع الفرصة على النبي (ص) للحفاظ على ما يراه أنه مصلحته أولاً، وليرضي حقه وحسده الذي يعتدل في صدره ثانياً— ذلك الحقد الذي لا مبرر له إلا أنه يرى تلك الصفات الجميلة والاخلاق الرضية الكريمة والسجايا الفاضلة التي كان يراها في شخصية النبي (ص)؛ فإن ذلك يعتبر عنده ذنباً وأي ذنب...

وهكذا فعل... فقد استغل معجزة الطعام التي يراها الجميع بأمر أعينهم، فرمى النبي الأكرم بالسحر، وقال: لقدماً سحركم صاحبكم... فتفرق الجمع في اليوم الأول، ولم يستطع الرسول (ص) أن يقول كلمته... حتى اليوم التالي؛ حيث استطاع النبي (ص) أن يصدع بما أمره الله تعالى، و يقيم عليهم الحجة، كما تقدم بيانه...

واو— الانذار أولاً:

وما دمننا في الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين... فاننا لا بد وأن نسجل هنا: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر من قبل الله تعالى: بالانذار أولاً لعشيرته، فقال تعالى: «وانذر عشيرتك الأقربين» (١) وكذلك الحال بالنسبة لغيرهم من سائر الناس، فانه تعالى قد قال لنبيه، كما في سورة المدثر، التي هي من العتائق النازلة في أوائل البعثة «قم فأنذر» (٢).

مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسل مبشراً ونذيراً، كما أن القرآن هدى وبشرى أيضاً...

وسر ذلك واضح؛ فإن الناس كانوا في أول البعثة كفاراً، ومنغمسين في الظلم والانحراف إلى أبعد مدى، فلا بد من إنذارهم أولاً؛ ليلتفتوا إلى الواقع السيئ الذي يعيشونه، وإلى العواقب المدمرة والمرعبة، التي تنتظرهم نتيجة لذلك... وإن التفاتهم هذا لسوف يؤثر فيهم التطلع، ثم الحركة نحو الخروج من ذلك الواقع والتخلص منه...

ثم يأتي بعد ذلك دور تخليص المجتمع من رواسبه، ومن حركاته، وأعماله، ومواقفه السيئة، على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة، وتطهيره من كل غريب ومريض.

ومعه جنباً إلى جنب تكون عملية وضع الاسس المتينة والسليمة لبناء الهيكل العام للمجتمع المسلم في عواطفه، وفي علاقاته، وفي روابطه... والأهم من ذلك في فكره وثقافته، واعطائه المفهوم الحقيقي والواقعي عن الكون، وعن الحياة، وبالذات عن هذا الانسان القوي الضعيف... وليطرد قدماً في عملية بناء الانسان من الداخل، وتربيته وتزكيتته، كما هو وظيفة النبي والامام، وكل داعية إلى الدين الاسلامي الحق...

وقد أشرنا في أول هذا الفصل إلى قوله تعالى: هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

وهذا الذي ذكرناه عن الاسلام في دعوته، هو التحرك الطبيعي لأية دعوة، تستهدف الاصلاح الجذري، والتغلب على مشاكل الحياة...

زاي - ماذا قال النبي (ص) في يوم الانذار:

هذا... وقد جاء في بعض النصوص انه (ص) قال لهم: «يا بني عبدالمطلب، اني لكم نذير من الله جل وعز، اني اتيتكم بما لم يأت به احد من العرب، فان تطيعوني ترشدوا وتفعلوا وتنجحوا، إن هذه مائدة امرني الله بها فصنعتها لكم كما صنع عيسى بن مريم عليه السلام لقومه؛ فمن كفر بعد ذلك

منكم، فإن الله يعذبه عذاباً شديداً، لا يعذبه احداً من العالمين، واتقوا الله واسمعوا ما أقول لكم، واعلموا يا بني عبدالمطلب: إن الله لم يبعث رسولا الا جعل له أخصاً، ووزيراً، ووصياً، ووارثاً من اهله. وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء من قبلي، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل علي: «وانذر عشيرتك الاقربين» ورهطك المخلصين، وقد والله انبأني به، وسماه لي. ولكن ادعوكم وانصح لكم واعرض عليكم؛ لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد، وانتم عشيرتي وخالص رهطى، فايكم يسبق اليها على ان يؤاخيني في الله و يوازرنى... إلى آخر كلامه صلى الله عليه واله، الذى ينسجم مع النص الذى ذكرناه في اوائل هذا الفصل فراجعته (١).

وهذا النص... لعله هو الأوفق والانسب لموقف كهذا، كما انه ينسجم تماما مع أمر الآية بالانذار، فان الانذار اولا هو الخطوة الطبيعية لأية دعوة، كما ذكرنا آنفا.

حاء- التبشير والانذار:

ويقول المحقق الحائى المرحوم الشيخ مرتضى المطهري: إن من يريد اقناع انسان ما بعمل ما، فله طريقان: أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه، وبيان فوائد ذلك العمل. الثانى: انذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار وعواقب سيئة.

ولذلك قيل: الانذار سائق، والتبشير قائد...

والقرآن والاسلام يرى أن الانسان يحتاج إلى هذين العنصرين معاً، وليس - كغيره - يكفيه أحد هما...

بل ويرى الاسلام: أنه لا بد وأن ترجح كفة التبشير على كفة الانذار ولذلك قدم الاول على الثانى في اكثر الآيات القرآنية.

ومن هنا فقد قال صلى الله عليه وآله للمعاذ بن جبل، حين أرسله إلى اليمن: «يسر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر».

فهو هنالم يستبعد الانذار، بل هو جزء من خطته... وإنما اهتم بجانب التبشير لأن فيه يمكن إدراك مزايا الاسلام وخصائصه الرائعة، وليكون اسلامهم من ثم عن قناعة تامة، وقبول تام... وأما قوله (ص): ولا تنفر، فهو واضح المأخذ، فان روح هذا الانسان شفاقة جداً، وتبادر إلى ردة الفعل بسرعة، ومن هنا فاننا نجد النبي (ص) يأمر بالعبادة مادامت النفس مقبلة، ولا يقبل بالضغط عليها، وتحميلها مالا تطيق... ولهذا شواهد كثيرة جداً في الشريعة السهلة السمحة... (١).

ومما تقدم نستطيع أن ندرك: لما اذا اشتملت دعوته صلى الله عليه وآله لعشيرته على التبشير أيضاً، بأن من يؤازره سوف يكون خليفة بعده، وأنه قد جاء هم بخير الدنيا والآخرة تماماً كما بدأت بالانذار، فان ذلك ينسجم مع ماتشاق إليه نفوسهم، ويتلاءم مع رغباتهم... ويأتي من قبل من لا يمكن اتهامه لديهم بأي وجه...

طاء- أخي ووصيي:

ويلفت نظرنا هنا قوله صلى الله عليه وآله: على أن يكون أخي الخ... فان ذلك يؤكد لهم على مدى التلاحم والمحبة بينه وبين ذلك الذي يؤازره ويعاونه، بحيث— يعتبره أخاً له، فليست العلاقة بينه وبينه علاقة رئيس ومرؤوس، وإنما هي علاقة تعاون وتعاضد على العمل البناء والمثمر، علاقة أخ مع أخيه، تغمرها المحبة، والثقة والصفاء، بكل مالهذه الكلمات من معنى...

فاصدع بما تؤمر:

وبعد أن أنذر صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته الأقربين... وبعد أن انتشر أمر نبوته (ص) في مكة، بدأت قريش تتعرض لشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإستهزاء والسخرية، وانواع التهم كما يظهر— بعد أن عرفوا جدية القضية، وأدركوا أبعادها... وذلك بهدف الحط منه (ص) أمام الرأي

(١) - راجع: جريدة جمهورية اسلامي الفارسية رقم ٢٥٤ سنة ١٣٥٩ هـ. ش في مقالات للمطهرى رحمه الله تعالى...

العام، وابتذال شخصيته... هذا... على رغم أنه صلى الله عليه وآله لم يطلب منهم بعدُ الايمان بما جاء به، كل ذلك حسداً وبغياً منهم، وتخوفاً من المستقبل، ليس إلا...

وكان لذلك الاستهزاء أثر كبير طبعاً، ولاسيا بالنسبة لاقبال الناس على الدخول في الاسلام... فاهتم لذلك النبي (ص) جداً، واعتبر ذلك عائقاً في سبيل انتشار دعوته واداء مهمته... فانزل الله عليه يأمره باظهار الدعوة، والطلب حتى من قريش: أن تسلم لربها، هذا... مع وعيد اكيد. بأن الله سوف يكفيه المستهزئين؛ ولذلك، فيجب أن لا يهتم لهم، وأن يتجاهلهم... فنزل قوله تعالى:

«فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين (١)».

وقد بين الله تعالى له: خطة العمل المستقبلية، حيث أمره أن يأخذ بالصفح الجميل وبالاعراض عن المشركين، وأن لا يحزن عليهم، ولا يضيع صدره بما يقولون، فان جزاءهم على الله المطلع على كل صغيرة وكبيرة.

فامتثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الله، وأظهر دعوته، وطلب من الناس جميعاً: أن يسلموا لربهم...

ويقولون: إنه قام على الحجر، فقال: يامعشر قريش، يا معشر العرب، أدعوكم إلى الشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأمركم بخلع الانداد والاصنام، فاجيبوني تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنة...

فاستهزؤا به، وقالوا: جن محمد بن عبدالله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب (٢).

وجاء أيضاً: أنه قام على الصفا، ونادى قريشاً؛ فاجتمعوا له، فقال لهم: أرايتم لو أخبرتكم: أن خيلاً في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم،

(١) - الحجر ٩٤-٩٥.

(٢) - راجع: تفسير نورالثقلين ج ٣ ص ٣٤ عن تفسير القمي.

اكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، انت عندنا غيرمتمهم، وماجر بنا عليك كذباً قط. فقال: إني نذير لكم من عذاب شديد... إلى أن قال: فنهض أبوبهب، وصاح به: تبالك سائراليوم، ألهذا جمعت الناس؟، وتفرقوا عنه، فأنزل الله تعالى: تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخر السورة (١).

المفاوضات الفاشلة:

قال ابن اسحاق وغيره. فلما بادى رسول الله (ص) قومه بالاسلام، وصدع به، كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه— فيما بلغني— حتى ذكر آهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، واجمعوا على خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام، وهم قليل مستخفون. وحدث على رسول الله (ص) عمه أبوطالب، ومنعه، وقام دونه. ومضى رسول الله (ص) على أمرالله مظهراً لأمره، لايرده شيئاً.

فلما رأت قریش: أن رسول الله لايعتبه من شيئ أنكره عليه، من فراقهم، وعيب آهتهم، ورأوا أن عمه أباطالب قدحدث عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم حاولوا مفاوضة أبي طالب. وهذه المفاوضات— كما يرى ابن اسحاق وغيره— قدمرت بثلاث مراحل، انتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: انه قد... مشى رجال من أشراف قریش إلى ابي طالب... ذكر المؤرخون أسماءهم... فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فانك على مثل مانحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم: أبوطالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الثانية: إنهم حين رأوا ان رسول الله (ص) قد استمر على ما هو عليه، يظهر دينه، ويدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه وبينهم، وحتى تباعد الرجال، وتضاغنوا، واكثرت قریش ذكر رسول الله (ص) بينها— حين رأوذلك— ذهبوا

(١)— هذا الحديث يرويه المفسرون والسيوطي في الدر المنثور، وكذلك المؤرخون من غيرالشيعة حين الحديث على انذار عشيرته الأقربين، ولكن قدبيننا: أن المقصود ليس هو مطلق عشيرته في الآية بل عشيرته الأقربون ليس إلا... فالرواية تناسب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فقط...

إلى أبي طالب، فتهددوه: إن لم يكف ابن أخيه عن شتم آبائهم، وتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه وإياه حتى يهلك أحداً فريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل إليه أبو طالب، فأخبره وطلب إليه أن يبقى على نفسه وعليه، ولا يحمل ما لا يطيق، فظن أنه قد بدالعمه فيه بداء، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه، فقال له (ص): يا عم، والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ماتركته. فوعده أبو طالب النصر... وفي المرة:

الثالثة: عرضوا على أبي طالب: أن يتخذ عمارة بن الوليد ولداً له، ويسلمهم النبي الذي فارق دين أبي طالب ودين آبائه، وفرق جماعتهم وسفه أحلامهم ليقتلوه. فانما هورجل برجل...
فقال أبو طالب: والله، لبس ماتسوموني، اتعطوني ابنكم أغذوه لكم، واعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً...

فقال المطعم بن عدي: والله، يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً... فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم علي؛ فاصنع ما بدالك؟. أو كما قال...

فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنازدا القوم، وبادى بعضهم بعضاً (١) ولعل هذه المراحل... كانت متداخلة، أو مترتبة، فان ما ذكرناه لا يعدو عن أن يكون فيها منا للسير الطبيعي للأحداث... لا أكثر ولا أقل... ولا بد لنا قبل المضي في الحديث من تسجيل النقاط التالية:

(١) - راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢-٢٨٦، والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٧-١٤٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٥-٦٨.

الف: وماذا بعد هذا الفشل الذريع؟!

لقد راينا: أن مشركي مكة قد حاولوا بائئنا، ذي بدء: أن لا يورطوا أنفسهم في مواجهة أبي طالب والهاشميين؛ فحاولوا: أن يحملوا أبا طالب نفسه على حسم الموقف، والقضاء على ما يعتبرونه مادة متاعبهم، ومصدر مخاوفهم، وحاولوا أن يثيروا أبا طالب، ويشحنوه نفسياً ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح، ويخرج كرامة وعاطفة عمه نفسه، فضلاً عن غيره، ولذا... فان من الطبيعي أن يبادر أبو طالب نفسه لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، ويكفيهم مؤونة ذلك..

ولكنهم... حينما وجدوا: أن أبا طالب لم يستجب لكل أباطيلهم، ولم يحرك ساكناً في سبيل وضع حد لمصدر الخطر عليهم وعلى مصالحهم، لجأوا إلى التهديد والوعيد، ثم إلى أسلوب المكر والخداع كما في قضية عرض عمارة على أبي طالب ليتخذها ولدأ، ويسلمهم محمداً ليقتلوه.. الأمر الذي كشف عن حقيقة ما يكونه في صدورهم وتشتمل عليه نفوسهم، وأوضح لآبي طالب ولغيره: أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، وإطفاء نور الله، الأمر الذي زاد في تصلب أبي طالب في الدفاع عن الحق والدين، وعن نبي الاسلام الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

باء— سر استكبار قريش:

ولعل سر استكبار مشركي مكة، ومحاولاتهم إطفاء نور الله تعالى يرجع

إلى:

١— إنهم كانوا يستغلون أولئك الفقراء، والعبيد، والضعفاء في مكة وغيرها في مصالحهم؛ فجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبث في هؤلاء الفقراء روحاً جديدة، وبدأ يؤكد لهم مفهوم كرامة الانسان، وحرية. ثم هو يناصرهم، ويعيش قضيتهم وآلامهم، ويفتح أعينهم على واقعهم. وبيث فيه تعاليم الاسلام، وفي مقدمتها وجوب تحررهم من سيطرة وغطرسة أولئك الطغاة المتجبرين.

٢- لقد أدركوا مما عرفوه من طبيعة الدعوة وأهدافها... أنهم سوف لن يتمكنوا في ظلها من الاحتفاظ بتلك الامتيازات الظالمة، التي كان أولئك المتجبرون يجعلونها لأنفسهم؛ والتي كان يرفضها النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤكد على أن الناس كلهم سواسية أمام عدالة السماء، وفي ميزان الحكم والقضاء...

كما أنهم سوف لن يتمكنوا في ظل هذا الدين الجديد، الذي جاء ليتمم مكارم الاخلاق من الاستمرار في ممارساتهم اللا أخلاقية، واللا إنسانية أيضاً... والتي كانوا يحرصون عليها كل الحرص... أكثر من حرصهم على الهتهم التي كانوا يدعون أنهم يحافظون عليها، وقد رأينا بعض العرب يأكل إلهه الذي صنعه من الترحين جاع!!...

٣- ما أشارت إليه الآية الكريمة «وقالوا: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا» (١) أي أنهم اعتذروا عن عدم إيمانهم أنهم: إن آمنوا فإن العرب المشركين سوف لا يرضون بإيمانهم، ورفض أوثانهم... فرد عليهم القرآن فقال: «أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيبى إليه ثمرات كل شئ، رزقاً من لدنا» (٢)، فلما موجب إذن لخوفهم هذا...

وان اختيارهم الشرك خوفاً من ذلك لا يمنع ذلك فكم أهلك الله من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم، بل ربما كان ذلك هو سبب هلاكهم في الدنيا، حيث ينشأ عنه المنازعات والاستكبار وغير ذلك من انحرافات مدمرة للمجتمعات وللأمم إن لم يكن ثمة ضوابط وروادع معينة تجعل كل تلك الامكانيات في مجراها الصحيح، وفي الجهة النافعة للفرد وللمجتمع حاضراً ومستقبلاً.

على أن الأمر لله تعالى... فليس لأحد أن يتمرد عليه، ويخرج على أوامره، فانه يعرض نفسه والحالة هذه إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ثم ضرب لهم مثلاً بقارون الذي كان لديه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة

أولى القوة، فلما استكبر وطغى، وتمرد على أوامر الله، خسف الله به وبداره الارض...

وفي آيات السورة دقائق عجيبة ومعان رائعة في هذا المجال... تحتاج إلى دراسة مستقلة ومعقدة، لاجمال لها هنا... ونكتفي هنا بهذه الاشارة الاجمالية إليها... والله هو الموفق والمعين...

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

وبعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبي طالب:

أن السيل قد بلغ الزبي، وأنه على وشك الدخول في صراع مكشوف مع المشركين... لقد رأى: أنه لا بد من الاحتياط للأمر؛ فجمع بني هاشم، وبني المطلب، ودعاهم إلى منع الرسول، والقيام دونه، فأجابوه، وقاموا معه، باستثناء أبي هب لعنه الله تعالى...

ومنع الله عزوجل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضروه في شعره وبشره سبيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر، والقرآن ينزل عليه (ص) بتكذيبهم. ورسول الله (ص) قائم بالحق، ما يثنيه ذلك عن الدعاء إلى الله عزوجل سراً وجهراً...

وذلك لأن المشركين بعهد أن أدركوا: أن الاعتداء على شخصه (ص) سوف يتسبب في صراع مسلح لم يعدوا له عدته، وليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، وخصوصاً مع ما كان لبني هاشم من علاقات، ومن احلاف مع القبائل كحلف المطيين، وحلف عبدالمطلب مع خزاعة التي كانت تقطن خارج مكة... بل قد توجب هذه الحرب - لونشبت - التمكين لمحمد (ص) من نشر دعوته (١) - من أجل كل ذلك - أثر المشركون أن يتعدوا عن الحرب، ويتبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد (ص)، والوقوف في وجه دعوته... فنجدهم:

(١) - ويرى بعض المحققين: أن من المحتمل: أن اباطالب كان يستعمل اسلوب اللين تارة والشددة اخرى؛ بهدف اثاره حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النبي من نشر دعوته، كما أشير إليه

ألف: — يهون الناس عن الالتقاء بالنبوي (ص)، وأن لا يسمعوا ما جاء به من قرآن، قال تعالى: «وهم يهون عنه، ويتأون عنه» (١). وقال تعالى: «وقال الذين كفروا: لا تسمعوا لهذا القرآن، والغوا فيه، لعلكم تغلبون» (٢).

باء: يتبعون اسلوب السخرية والاستهزاء، والصاق التهم الباطلة،
بهدف:

١- التأثير على شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم علّه ينهزم نفسياً، وجعله يعيش عقدة الحقارة والضعفة، فلربما يتخلى عن هذا الامر، ويكذب نفسه.

٢- الحط من كرامة النبي (ص)، وابتذال شخصيته، بهدف تنفير اصحاب النفوس الضعيفة من متابعته، وصرْفهم عن الدخول فيما جاء به... و من أجل هذا بالذات نجدهم: يغرون سفهاء هم بايذائه وتكذيبه، وأحياناً كان يتولى ذلك منه سادتهم وكبرأؤهم... بل لقد رأيناهم يأمرؤن غلاماً منهم بأن يلقي عليه سلاجزور وفرثه، وهو قائم يصلي، فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبوطالب، ويأتي فيمزمّ السلا على لحاهم جميعاً. وقد التى الله الرعب في قلوبهم... وكانوا أيضاً يلقون عليه التراب، ورحم الشاة، وغير ذلك...

وقد اثر ذلك إلى حدما في صرف الناس، وابعادهم عن الدخول في الاسلام، حتى ليقول عروة بن الزبير وغيره: «... وكرهوا ما قال لهم، وأغرؤابه من اطاعهم؛ فانصفق عنه عامة الناس (٣)».

المعذبون في مكة:

كما أنهم في مقابل ذلك: قد تدامروا بينهم على من في القبائل منهم، من أصحاب رسول الله (ص) الذين اسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من

(١) - الانعام ٢٦. (٢) - فصلت ٢٦.

(٣) - تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٨.

فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم... يعذبونهم. بالحبس، والضرب، والجوع، وبرمضاء مكة، وبغير ذلك من الاساليب الوحشية، واللاإنسانية.

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر:

ومن عذب في سبيل الله بلال الحبشي، وعامر بن فهيرة، ويقولون: إن أبا بكر قد اشتراها واعتقها، فكانت نجاتها من العذاب بسببه...

ولكننا نشك في أن يكون أبو بكر هو الذي اشتراها، وذلك:

أولاً: لما ذكره الاسكافي، حيث قال: «أما بلال، وعامر بن فهيرة، فانما أعتقها رسول الله (ص)، روى ذلك الواقدي، وابن اسحاق (١)».

كما أن ابن شهر آشوب قد عدّ بلالاً من موالي النبي صلى الله عليه وآله (٢)...

وثانياً: إنهم يروون روايات متناقضة في هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقي رواية مع أخرى، ويكفي أن نذكر اختلافها في الثمن الذي أعطاه أبو بكر.

فرواية تقول: إنه أعطى ثمنه غلاماً له أجلد منه...

وأخرى: إنه أعطى غلاماً وزوجته، وابنته، وماء تي دينار.

وثالثة: اشتراه بسبع اواق. ورابعة: بتسع. وخامسة: بخمس وسادسة: برطل من ذهب.

وسابعة: إنه اشتراه بعبد قسطاس، الذي كان صاحب عشرة آلاف دينار، وجوار، وغلمان، ومواش.

(١) - راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٣، وقاموس الرجال ج ٥ ص ١٩٦ وج ٢ ص

وثامنة: ببردة، وعشر أواق من فضة، إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف والتناقض...

وثالثاً: إنهم يقولون: إن قوله تعالى: «فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى (١)» نزلت في أبي بكر بهذه المناسبة (٢).

١- وقد رد الاسكافي على ذلك: بأن هناك من يقول: إن هذه الآية نزلت في مصعب بن عمير (٣)...

٢- أضف إلى ذلك: أن ابن عباس وغيره، حتى النبي (ص) نفسه يفسرونها بمعنى عام لا يختص بأحد... ويروي الشيعة: أن الآية نزلت في علي. ويورد الحلبي عليهم: بأن علياً كان للنبي (ص) عليه نعمة تجزى، وهي تربيته له، والآية تقول: إنه ليس لاحد عنده نعمة تجزى، وبمثل ذلك أورد الرازي (٤).

ولكن قدفات الرازي والحلبي: أن المقصود هو أن هذا المال الذي ينفقه لا يريد أن يجازي بانفاقه له نعمة من أحد عليه، وإنما ينفقه لوجه الله، ولوجه الله فقط.

لا أنه تعالى يريد وصف الاتقى بذلك...

٣- وأخرج ابن أبي حاتم ما ملخصه: ان هذه السورة قد نزلت في رجل (هوسمرة بن جندب) الذي كان له نخلة فرعها في دار رجل، فكان إذا جاء ليأخذ عنها الثمر، وصعد عليها ربما تقع ثمرة، فيأخذها صبيان الفقير؛ فينزل من نخلته؛ فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم ادخل إصبعه،

(١)- سورة الليل ٥-٧.

(٢)- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٨-٣٩٠ عن عدد من المصادر والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٣ عن الجاحظ والعثمانية ص ٣٥.

(٣)- شرح النهج ج ١٣ ص ٢٧٣.

(٤)- السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩٩.

حتى يخرج الثمرة من فيه؛ فشكاه الفقير إلى الرسول (ص)، ثم لقي الرسول صاحب النخلة؛ فطلب منه ان يعطيه النخلة وله مثلها في الجنة، فقال: لقد اعطيت، وإن لي لنخلاً كثيراً؛ وما فيه نخل اعجب إلى ثمرة منها... فسمع رجل ما دار بين النبي وبينه؛ فجاء إلى الرسول (ص) فقال: اعطني ما اعطيت الرجل ان انا اخذتها، قال: نعم. فذهب الرجل، ولقي صاحب النخلة، وفاوضه واشترها منه بربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبي، فوهبها له، فذهب رسول الله (ص) إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله: والليل اذا يغشى الى آخر السورة (١)...

ولأجل هذا نجد السيوطي يقول عن: «سورة الليل: الاشهرانها مكية؛ وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة، كما اخرجناه في اسباب النزول (٢).

وهذه القضية هي المناسبة للآيات... لأنها تذكر ان بعضهم اعطى واتقى، وبعضهم بخل واستغنى، إلا ان يكونوا— والعياذ بالله— يقصدون بمن بخل النبي نفسه مع ان فرض عدم مال له ينا في صدق البخل عليه. كما انه (ص) هو الذي يذكرون أنه قال: لو كان عنده مال لا اشتري بلالاً... والعباس الذي تقول الروايات: انه ذهب فاشترى بلالاً، فارسله إلى ابي بكر، فاعتقه...

٤— ولسوف يأتي ان شاء الله في حديث الغار، قول عائشة: انه لم ينزل في آل ابي بكر شيئاً، الا أن الله أنزل عذرها، وحتى عذرها هذا؛ فانه لم ينزل؛ كما حققناه في كتابنا حديث الافك.

ورابعاً: لم نفهم معنى قوله صلى الله عليه وآله إنه لو كان عنده مال لا اشتري بلالاً، وكيف نوفق بين هذا وبين قولهم: انه (ص) طلب من أبي

(١)— الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٧ عن ابن ابي حاتم عن ابن عباس، وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٧٠

عن علي بن ابراهيم، باختلاف مع ما عن الدر المنثور.

(٢)— الاتقان ج ١ ص ١٤.

بكر الشركة في بلال فأخبره أنه اعتقه (١)؟! ... ثم ... اوليست اموال خديجة تحت تصرفه (ص)؟! الم يكن هو الذي ينفق على المسلمين في مكة، كما قالت اساء بنت عميس لعمر حينما غيرها بأنها لاهجرة لها، حيث قالت له: انه ومن معه من المسلمين كانوا مع رسول الله يطعم جائعهم، ويعلم جاهلهم؟! ... وستأتي هذه القضية في موضعها ان شاء الله...

واحتمال ان تكون قصة بلال في اواخر سني ما قبل الهجرة، لا يقبل به المؤرخون فان النووي يذكر: أنه أسلم اول النبوة، وهو من أول من اظهر اسلامه (٢).

هذا كله عداعما تذكره بعض الروايات من ان العباس هو الذي ذهب فاشتراه، ثم ارسله إلى أبي بكر فاعتقه (٣)! وروايات اخرى تقول: بل اشتراه نفس ابى بكر شخصياً واعتقه...

كما أننا نجد روايات تقول: أنه لما توفي رسول الله (ص) قال بلال لابى بكر: إن كنت انما اشتريتني لنفسك فأمسكني وان كنت انما اشتريتني لله فذرني (طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٠) وهذا يشير الى أنه لم يكن قد اعتقه حتى وفاته (ص)!! وبالنسبة لشراء العباس له... فاننا لاندرى لما ذالم يعتقه العباس؟ وايضاً: متى كان العباس وكيلاً لأبى بكر؟ اومتى كان يهتم في امور كهذه، وهو الذي لم يسلم الا عام الفتح، او في بدر، كما يقولون؟ وحاول بعضهم ان يدعي: ان العباس فاوض أمية بن خلف، ثم جاء ابو بكر فاشتراه (٤)! وهذا اعجب!! وما عشت اراك الدهر عجياً!!

وايضا فاننا لا بدوان نشير إلى ان حالة أبى بكر الاقتصادية لم تكن تسمح له بأن يدفع تلك المئات من الدنانير، ولا سيما أن يكون احد مواليه يملك

(١) - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٦٥.

(٢) - تهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٣٦.

(٣) و (٤) - السيرة النبوية للدحلان ج ١ ص ١٢٦ والسيرة الخلبية ج ١ ص ٢٩٩ وراجع

المصنف ج ١ ص ٢٣٤ وغيره.

عشرة آلاف دينار، وجوار، ومواش، وغير ذلك لو فرض ان العرب كانوا يملكون عبيدهم الاموال.

حيث إن ابابكر لم يكن تاجرا، وانما كان معلماً، فمن أين تأتيه تلك الآلاف أو المئات من الدراهم والدنانير لشراء سبعة أو تسعة واعتاقهم؟! ولسوف يأتي ان شاء الله البحث عن ثروة ابي بكر حين الكلام على قضية الغار... بل لقد شك البعض في أن يكون كثير ممن ذكروا في مواليه شخصية حقيقية... ولا سيما مثل «زنيرة» التي قال السهيلي عنها: «ولا تعرف زنيرة في النساء (١)».

ويقول السيد الحسنی: «ان قريشا كانت تعذب من آمن؛ من اجل ان لا ينتشر الاسلام، وكانت تود ان تبذل لمحمد كل غال ونفيس، ليتراجع عما جاء به، ودعا اليه؛ فكيف تتنازل قريش عن ملكيتهم لأبي بكر، وتترك تعذيبهم بهذه السهولة (٢)» إلا ان يقال أن حبه للمال، ثم اليأس من محمد هو الذي يدفعها إلى ذلك كما يقوله البعض...

أول شهيد في الاسلام من آل ياسر:

وعلى كل حال؛ فلقد عذب آل ياسر أشد العذاب، واستشهدت سمية أم عمار على يد فرعون قريش أبي جهل لعنه الله، فكانت أول شهيد استشهد في الاسلام (٣) ثم استشهد ياسر رحمه الله تعالى...

وأما ما ذكره: من أن أول قتيل في الاسلام هو الحارث بن أبي هالة، وذلك أنه لما أمر رسول الله (ص) أن يصدع بما يؤمر قام في المسجد، فقال: قولوا: لا

(١) - الروض الانف ج ٢ ص ٧٨.

(٢) - سيرة المصطفى ص ١٤٩.

(٣) - الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٣٣١ و ٣٣٠ و ٣٣٣، والاصابة ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٩٥، واسد الغابة ج ٥ ص ٤٨١، وتاريخ يعقوبي ج

إله إلا الله تفلحوا؛ فوثبت إليه قريش؛ فأتى الصريح أهله؛ فكان أول من أتاه الحارث هذا؛ فضرب في القوم فصرفهم عنه، وعطفوا عليه حتى قتلوه (١).

أما هذا... فإنه لا يصح؛ لما تقدم؛ من أن الله قد منع النبي صلى الله عليه وآله بأبي طالب وقومه، ولم يجز وأعلى أن ينالوه بسوء في شعره وبشره... وأيضاً... فقد ذكرنا آنفاً أن كلمة المؤرخين تكاد تكون متفقة على أن أول شهيد في الإسلام كان سمية وزوجها...

أضف إلى ذلك: أن ما يقال في كيفية اعلانه بالدعوة كله يتنافى ويتناقض مع ما ذكره هنا...

والذي يمكن أن نفهمه: هو أنه ربما يكون الهدف من وضع هذه القضية هو أن يثبتوا أن خديجة قد تزوجت قبل النبي صلى الله عليه برجل أو أكثر وولد لها منها. وقد تقدم ما يوجب الشك في ذلك، حين الكلام على زواجها بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

عمار بن ياسر:

وعذب عمار أيضاً عذاباً شديداً من قبل بني مخزوم، حتى أكره على التفوه بما يعجب المشركين، فتركوه؛ فأتى النبي (ص) باكياً، وقال له: لم أترك يارسول الله، وقد أكرهوني حتى نلت منك، وذكرت آهتهم بخير؛ فقال له النبي (ص): كيف تجد قلبك يا عمار؟ قال: إنه مطمئن بالإيمان يا رسول الله، قال: لا عليك، فإن عادوا إليك فعد لما يريدون؛ فقد انزل الله فيك: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان (٢)».

(١) — نورالقيس ص ٢٧٥ عن الشرقي ابن القطامي، والاصابة ج ١ ص ٢٩٣ عن الكلبي، وابن حزم وعن العسكري والوائل ج ١ ص ٣١١/٣١٢.

(٢) — النحل ١٠٦ راجع: حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ وتفسير الطبري ج ٤ ص ١١٢ وتفسير النيسابوري بهامشه وغير ذلك..

التقية في الكتاب والسنة:

وما جرى لعمار، ونزول الآية فيه دليل على مشروعية التقية، اذاخاف
الانسان على نفسه وماله...

٢- ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: «ومن يفعل ذلك فليس من الله
في شيء، إلا أن تتقوا منهم تقاة» (١).

٣- وقوله تعالى: «وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه: أتقتلون
رجلاً أن يقول ربي الله؟» (٢).

والقول بأن هذه الآية قد نسخت... لامثبت له، بل خلاف ذلك
هو الثابت، كما سنرى...

وقد روى الكليني عن عبدالله بن سليمان، قال: «سمعت أبا جعفر
عليه السلام يقول - وعنده رجل من أهل البصرة، يقال له: عثمان الاعمى،
وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم: أن الذين يكتمون العلم يؤذي ربح
بطونهم أهل النار- فقال أبو جعفر: فهلك إذن مؤمن آل فرعون، مازال العلم
مكتوماً منذ بعث الله نوحاً عليه السلام؛ فليذهب الحسن يمينا وشمالاً؛ فوالله
ما يوجد العلم إلا هاهنا (٣)».

فاستدلال الامام بالآية يدل على أن عدم كونها منسوخة كان متسالمًا
عليه لدى العلماء آنئذٍ.

وأما السنة، فنذكر منها:

١- ماجاء: أن مسيلمة الكذاب قد أتى برجلين، فقال لأحدهما:
تعلم أنني رسول الله؟ قال: بل محمد رسول الله. فقتله. وقال للاخر ذلك،

(١)- آل عمران ٢٨.

(٢)- غافر ٢٨.

(٣)- أصول الكافي ص ٤٠/٤١ منشورات المكتبة الاسلامية، والوسائل ج ١٨ ص ٨.

فقال: أنت ومحمد رسول الله؛ فخلي سبيله. فبلغ ذلك رسول الله (ص)، فقال: أما الأول ففضى على عزمه و يقينه. وأما الآخر، فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه (١)...

٢- مارواه السهمي عنه (ص): لادين لمن لا ثقة له (٢) ...
والصحيح: «لاتقية» كما يدل عليه مارواه شيعة أهل البيت عنهم عليهم السلام...

٣- قصة عمارين ياسر المعروفة، وقول النبي (ص) له: إن عادوا فعند... وهي مروية في مختلف كتب الحديث والتفسير.

٤- استعمال النبي (ص) نفسه للتقية، حيث بقي ثلاث أو خمس سنوات يدعو إلى الله سرا، وهذا مجمع عليه، ولا يرتاب فيه أحد.

٥- إن الاسلام يخير الكفار في ظروف معينة بين الاسلام والجزية، والسيف... وواضح: أن ذلك اغراء بالتقية، لأن دخولهم في الاسلام في ظروف كهذه لن يكون إلا لحقن دماثهم، كما ذكره البعض.

٦- قبول المنافقين في المجتمع الاسلامي، وتألفهم على الاسلام، على أمل أن يتفاعلوا مع هذا الدين، ويستقر الايمان في قلوبهم...

أمثلة تاريخية...

وأما التقية في التاريخ، فنذكر على سبيل المثال:

١- إن رجلاً سأل ابن عمر: «أدفع الزكاة إلى الامراء؟ فقال ابن عمر: ضعها في الفقراء والمساكين. قال: فقال لي الحسن: ألم أقل لك: إن ابن عمر إذا امن الرجل قال: ضعها في الفقراء والمساكين؟؟ (٣)».

(١) - محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني ج ٤ ص ٤٠٨/٤٠٩.

(٢) - تاريخ جرجان ص ٢٠١.

(٣) - مصنف عبدالرزاق ج ٤ ص ٤٨.

٢— عن أيوب قال: ماسألت الحسن عن شيء قط ماسألته عنها. قال: فيقول لي مرة: أذها إليهم. ويقول لي مرة: لا تؤدها إليهم (١).

٣— وفي خطبة لمحمد بن الحنفية: «لا تفارق الأمة، اتق هؤلاء القوم (يعني الامويين) بتقيتهم، ولا تقاتل معهم. قال: قلت: وماتقيتهم؟ قال: تحضرهم وجهك عند دعوتهم؛ فيدفع الله بذلك عنك، وعن دمك ودينك. وتصيب من مال الله الذي انت أحق به. (٢)

٤— استفتي مالك بالخروج مع محمد بن عبدالله بن الحسن، وقيل له: في اعناقنا بيعة لأبي جعفر المنصور. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين (٣).

٥— ونقل القرطبي عن الشافعي والكوفيين القول بالتقية عند الخوف من القتل، وقال: «أجمع أهل العلم على ذلك (٤)».

٦— لقد اتقى عامة اهل الحديث، وكبار العلماء واجابوا إلى القول بخلق القرآن، وهم يعتقدون بقدمه، ولم يمتنع منهم الا أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح (٥) وحتى أحمد فانه قد تاقى في ذلك، فكان إذا وصل إلى المحدث قال: ليس أنا بمتكلم كما أنه حين قال له الوالي: ماتقول في القرآن أجاب: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد عليها (٦) ... مع أنه هون نفسه يقول: ان من قال: القرآن كلام الله ووقف؛ فهو من الواقعة الملعونة (٧) ...

(١) — المصدر السابق.

(٢) — طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٧٠.

(٣) — مقاتل الطالبين ص ٢٨٣، والطبري ط أور پا ج ٣ ص ٢٠٠.

(٤) — تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١.

(٥) — تجارب الامم المطبوع مع العيون والحدائق ص ٤٦٥.

(٦) — تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٠١ وراجع: آثار الجاحظ ص ٢٧٤، ومذكرات الرمانبي ص

٤٧.

(٧) — بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٨٣ و ١٨٤ عن: الرد على الجهمية لابن حنبل في

كتاب الدومي ص ٢٨.

ومن استعمل التقية في قضية خلق القرآن اسماعيل بن حماد، وابن
المديني، وكان ابن المديني يلزم مجلس القاضي أبي دؤاد المعتزلي، ويقتدي به
في الصلاة، ويجانب أحمد بن حنبل وأصحابه (١)...

٧- وفي غارة بسر بن أبي أرطاة على المدينة، وشكوى جابر بن
عبدالله الانصاري لام سلمه زوج النبي: أنه خشي أن يقتل، وهذه بيعة
ضلال، قالت: إذن... فبايع؛ فان التقية حملت أصحاب الكهف على أن
كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الاعياد مع قومهم (٢).
وعلى كل حال... فان تتبع ذلك يحتاج إلى وقت طويل، ولعل فيما
ذكرناه كفاية...

التقية ضرورة فطرية عقلية دينية اصلاحية:

وان تشريع التقية هو خير دليل على شمولية الاسلام ومرونته،
واتساعه لكل الظروف والأحوال... والا فلو كانت الرسالة جافة وقاسية،
ولا تلاحظ الظروف الطارئة، والأحوال العارضة... فانها لا بد وأن تصطدم مع
الواقع، وتنهيار أمامه، دون أن تتمكن من تجاوزه.

فهو بتشريعه للتقية، إنما يحافظ على الرسالة من خلال حفاظه على
رائدها وحافظها وحاملها في ذلك الظرف العصيب، وخير شاهد على ذلك هوتلك
الفترة السرية التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون في أول
البعثة...

وان المحافظة على حامل الرسالة من خلال مرونة الرسالة تكون
ضرورة جدأ، حينما لا يكون للتضحية به فائدة، ولا عائدة. إن لم يكن في ذلك
ضرر على الرسالة نفسها حينما تفقد جندياً أميناً من جنودها، ربما تكون في
وقت ما بأمس الحاجة إليه.

(١) - راجع: لسان الميزان ج ١ ص ٤٠٠/٣٣٩ متناً وهامشاً...

(٢) - تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٩٨.

وهكذا... فكثيراً ما يكون الحفاظ على الاسلام من خلال الحفاظ على جنوده الابرار الاوفياء، والذين يكونون دائماً على استعداد للتضحية في سبيله كلما اقتضى الأمر ذلك... فالتقية إنما شرعت للحفاظ على هؤلاء. اما الآخرون، فانهم لا يفكرون إلا في انفسهم، ولا ينفعهم تشريع التقية، ولا عدمه...

ومما يدلنا على أن تشريع التقية إنما هو للحفاظ على الرسالة من خلال الحفاظ على جنودها وليس ذلك نفاقاً، ولا انهزاماً... لأن هؤلاء المخلصين الذين يراود الحفاظ عليهم هم على استعداد للبذل والعطاء دائماً: أن الحسين الساكت في زمان معاوية هونفسه الحسين الثائر على يزيد تحت شعار:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي ياسيوف خذيبي

فسكوته هناك كان حفاظاً على الدين والحق... تماماً كما كانت ثورته هنا حفاظاً على الحق والدين. وقد تكلمنا على هذه النقطة في حلف الفضول...

وهكذا... يتضح: أنه اذا توقف الحفاظ على الحق على الفداء والتضحية فان الاسلام يأمر به، ولا يتسامح مع من يمتنع عنه...

وأيضاً... فان جفاف الاسلام وقسوته ربما يبعث الكثيرين على التخلي عنه، أو بالاحرى على عدم الاقدام عليه... ولسوف يأتي في اسلام وحشي وغيره: أن البعض كان يسلم؛ لأنه يعرف أن محمداً لا يقتل أصحابه...

وواضح: أن مرونة الاسلام هذه لا يجب أن تفسر على أنها نوع من التساهل في الاحكام ليهون على البعض اعتناق الاسلام، بل هي من قبيل الحفاظ على الاسلام والمسلمين، حيث لا ضرر على المبدأ والرسالة... وحيث يكون في عدم التقية هدر للطاقات والامكانيات، حيث لا جدوى من هدرها... وليكن ذلك هو الفرق بين التقية وبين النفاق الذي يحلو للبعض أن

ينزبه - ظلماً وعدواناً - من يعتقد بمشروعية التقية ...

وقدر أينا: أنه صلى الله عليه وآله، حينما جاءه بعض القبائل، وطلبوا منه أن يعطيهم فرصة لعبادة أصنامهم، وأن لا يفرض عليهم الصلاة لأنها صعبة عليهم وأن لا يكسروا صنمهم بيدهم، نرى - أنه صلى الله عليه وآله وسلم قبل بهذا الأخير، ورفض الأولين (١) ... ولم يأخذ بنظر الاعتبار أن هذه قبيلة تريد أن تسلم، فيتقوى بها الإسلام، ويضعف بذلك جانب أعدائه ومناوئيه... فلماذا لا يسمح لها بعبادة صنمها الذي عبدته عشرات الاعوام - سنة واحدة أيضاً لتتعرف على الإسلام وتندرب عليه... نعم لقد رفض ذلك، بل هو يرفضه ولو كان لساعة واحدة، لأنه لا يريد أن يستفيد من أية وسيلة من أجل الوصول إلى أهدافه، لأنه يعتبر الوسيلة جزءاً من الهدف - كما قلنا -

ولكنه في مقابل ذلك ... لو أساء إليه أحد مثلاً؛ فإنه على استعداد لأن يعفونه ولكن شرط: أن يعرف ذلك أنه قد أذنب، وأن هذا عفونه، أما إذافهم من ذلك مشروعية ذلك الأمر الذي ارتكبه، فإن ذلك أمر مرفوض جملة وتفصيلاً ...

وخلاصة الأمر (٢): إنه إذا كان المسلم ضعيفاً، فإنه لا مبرر لأن يدخل في صراع عنيف مع الآخرين ينتهي بالقضاء عليه، أو عليه وعلى عقيدته، لأن المبدأ لا يستفيد من صراع كهذا بل ربما يلحق به الضرر... وكذا إذا كان الحفاظ على الحق يحتاج إلى غطاء واق من الاضطهاد، الذي يحاول القضاء عليه جملة وتفصيلاً بالاساليب الوحشية التي لا تخضع للفكر، ولا تستجيب لشروط الصراع المبدئي وظروفه... وليكن هذا دليلاً آخر على عظمة الإسلام، وعلى شموليته وانسجامه مع واقع الحياة، ومع كل ظروفها ومناخاتها ...

(١) - وهذا يلاحظ: أن عمر بن الخطاب لم يكن موفقاً حين أصر على الاقتصاص من جبلة بن الأيهم الذي دخل في الإسلام جديداً... وكان ملكاً في قومه، ولم يتعرف بعد بعمق على عظمة وخصائص الإسلام ومميزاته الفريدة... إذ قد كان عليه أن يراعي الموقف، ويحل المشكلة بأسلوب مرن آخر.

(٢) - هذه الخلاصة مقتبسة من كلمات للعلامة الجليل السيد محمد حسين فضل الله في: مفاهيم

مع المعذبين أيضاً:

وقد عذب المشركون بالاضافة الى آل ياسر عدداً من المسلمين...، فعذب عمر بن الخطاب جارية بنى مؤمل - حي من بني عدي - وكانت مسلمة؛ فكان يضربها، حتى إذا مل، قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة (١)

وعذب المشركون أيضاً خباب من الارت، وأم شريك، ومصعب بن عمير، وغيرهم ممن لا مجال لذكرهم، وبيان ماجرى عليهم...

وقد ضرب هؤلاء لنا المثل الا على في الصمود والجهاد من أجل المبدأ، والعقيدة، مع معرفتهم بأنهم لا يملكون قوة تستطيع أن ترد عنهم - غير إرادة الله تعالى - وأنهم إنما يتحدون باسلامهم العالم كله، الذي كان بكل ما فيه ضدهم... وهنا تكمن عظمتهم وامتيازهم على غيرهم...

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٠، وراجع السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٩٣.

الفصل الثاني

الهجرة إلى الحبشة، وما يرتبط بها

لابد من حل:

لقد استمرت قریش في تعذيب من يدخل الاسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم .. و كان الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن ... فقد كان لابد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، و مواجهة الصعاب، و يجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التي يتعرضون لها من قبل من رفضوا، أن يعترفوا بألوهية و حاكمية فوق ألوهيتهم و حاكميتهم، و آثروا الاستكبار و العناد على الرضوخ و الانقياد...

و من جهة ثانية: فان استمرار هذا الوضع الذي يواجهه المسلمون، الملىء بالآلام و المشاق، لسوف يقلل من اقبال الناس على الدخول في الاسلام، مادام أن هذا الدخول لاحصاده سوى الرعب، و التعذيب و الآلام...

و من جهة ثالثة، و أخيرة... لقد كان لابد من ضربة لكبرياء قریش و جبروتها، ولو نفسياً؛ لتستطيع أن تدرك : أن قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها و قدراتها... و أن عليها: أن تفكر بموضوعية و عقلانية اكثر

فكان أن اختار رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم للمسلمين الهجرة إلى الحبشة... و كانت هجرتهم إليها في السنة الخامسة من البعثة...

سراختيار الحبشة:

وأما عن سراختيار الحبشة مهاجراً للمسلمين، فلقد أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «إن بهاملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق» و «انه يحسن الجوار» وذلك لانه:

١— قد كان لابد لقريش، وأن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هي المهيمنة، وصاحبة الاختيار الأول والأخير في مصير هذا الدين، الذي تراه يتهدد كبرياءها وشركها وانحرافها...

٢— لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الروم والشام؛ لما كان لها من علاقات تجارية واقتصادية معها؛ فلهجرة إلى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاعهم، وأعلى الأقل الحاق الأذى بهم... ولا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الاصول الأخلاقية والانسانية... ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم والجور، وعلى الأخص بالنسبة لمن ينتسب إلى دعوة يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصية، وتهدد كياناتهم وجبروتهم...

وأما بلاد اليمن، وبعض المناطق العربية والقبلية الأخرى، فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي، المتجبر والظالم... ويذكرهنا: أن بعض القبائل عندما عرض عليها النبي صلى الله عليه وآله دعوته وحمايتها له، قبلت بذلك ولكن بمادون كسرى، أما من كسرى، فلا... و واضح: أن الالتجاء إلى كسرى نفسه لا يقل خطراً عن الالتجاء إلى بلاد الروم، خصوصاً وأنه يرى: أن هذا العربي— وهو بطبعه كان يحتقر العرب، ولا يرى لهم حرمة، ولا شأناً يذكر— لسوف يخرج في منطقة قريبة من بلاده و قد تسرى دعوته إلى بلاده نفسها، ولسوف يؤثر على الامتيازات الظالمة التي يجعلها لنفسه، كما يعبر عنه طبيعة دعوة ذلك النبي، واهدافها.

٣— كما أنه قد كان لقريش نفوذ قوي في مختلف القبائل العربية، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس و الروم— كما ربما يتضح مما ذكرناه في

أوائل هذا الكتاب...

نعم... إن كل ذلك بالاضافة إلى:

٤- ما ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن بها ملك لا يظلم عنده أحد-:

يجعلنا نضع أيدينا على السراحيقي لاختيار بلاد الحبشة، البعيدة عن النفوذ الفارسي و الرومي، والقريشي، والتي لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد أوراحلة، ولا تعرف حرب السفن- اختيارها- أرضاً لهجرة المهاجرين، الذين لا يزالون ضعافاً أمام قوة قريش وجبروتها...

وأخيراً... فاننا نستفيد من قوله (ص) عن أرض الحبشة: انها أرض صدق: أنها لم يكن فيها من الانحرافات والافكار والشبهات ما كان في بلاد الروم و الفرس، التي كانت قد لوثتها؛ بالمفاهيم والنظرات اللإنسانية، والاديان المنحرفة إلى حد بعيد، ولم تتعرض بلاد الحبشة لمثل ذلك؛ فكانت أقرب إلى الفطرة، والحق من غيرها...

الهجرة إلى الحبشة:

وهاجر المسلمون بأمر من رسول الله (ص) إلى الحبشة، ذهبوا إليها أرسالاً على حسب رواية ام سلمة، (١) ويقال: إنه سافر أولاً عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون (٢)، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا في الحبشة اثنين أو ثلاثاً وثمانين رجلاً، إن قلنا، إن عمار بن ياسر كان معهم. و تسعة عشر امرأة عدا الاطفال.

و يرجح: أنه لم يكن سوى هجرة واحدة للجميع عليهم جعفر بن أبي

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ عن الصفوة والمنق

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٤، قال: وبه جزم ابن المحدث في سيرته، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨.

طالب عليه السلام،— الذي لم يكن غيره من بني هاشم— و إن كان خروجهم كان أرسالاً حفاظاً على عنصر السرية... وذلك بدليل الرسالة التي وجهها الرسول (ص) إلى ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، والتي جاء فيها:

«قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب، معه نفر من المسلمين؛ فإذا جاؤوك فأقرهم إلخ...» (١). وهذا هو الظاهر من رواية أخرى عن أبي موسى، قال: «أمرنا رسول الله (ص): أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي إلخ...» (٢) وإن كانت هجرة أبي موسى هذه محل شك كما سنرى

من هو أول مهاجر إلى الحبشة؟:

و يقولون: إن عثمان بن عفان كان أول من هاجر إلى الحبشة بأهله، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال عنه بهذه المناسبة: إنه أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام (٣)... وقيل: إنه كان أول خارج أيضاً (٤)...

ونحن نشك في ذلك؛ لأنه إن أريد أنه أول من هاجر بأهله فإن أباسلمة— كما يقولون— هو أول من هاجر بأهله (٥)... وإن أريد أنه أول خارج بنفسه، فإنا نجد أنهم يقولون: إن أول خارج كان حاطب بن أبي

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٣، والبحار ج ١٨ ص ٤١٨، واعلام الورى ص ٤٦—٤٥ عن قصص الانبياء

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٠ عن ابي نعيم في الدلائل، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١١

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٦٦ عن ابن اسحاق، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٩.

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٦ عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٢٣.

(٥) الاصابة ج ٢ ص ٣٣٥، وراجع ج ٤ ص ٤٥٩/٤٥٨ والاستيعاب بما مشها ج ٢ ص ٣٣٨ عن: مصعب الزبيري، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٩٦ عن أبي عمر، وابن منده، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣

عمر (١)، أو سليلط بن عمرو (٢)... كما أنهم يقولون: مثل ذلك عن أبي سلمة فراجع...

هجرة أبي موسى إلى الحبشة لا تصح:

وروى الامام أحمد بسند حسن، وغيره: ان ابا موسى الاشعري كان في جملة من هاجر الى الحبشة في الهجرة الأولى (٣) ولكن الظاهر هو أن هذا وهم أو إدراج عمدي من الراوي؛ فان أبا موسى لم يسلم إلا في المدينة في السنة السابعة من الهجرة، وقيل: إنهم خرجوا الى النبي فألقمهم سفينتهم إلى الحبشة، فجاؤا مع مهاجري الحبشة إلى المدينة، في سنة سبع (٤)... والظاهر هو: أن ذلك قد حدث بعد الهجرة الى المدينة، إذ لم يكونوا ليقدموا على قصده (ص) الى مكة، ولا ليقيموا خمسة عشر سنة في الحبشة...

موقف عمر من المهاجرين:

ويقولون: إن عمر رآهم، وهم يتهبأون للخروج إلى الحبشة، فرق لهم، وأحزنه ذلك (٥). وذلك لا يصح؛ لأن خروجهم كان سراً، متسللين، منهم الراكب، ومنهم المشي، حتى انتهوا الى البحر، فوجدوا سفينة فألقمهم، فخرجت قريش في آثارهم، حتى جاسوا البحر؛ فلم يجدوا أحداً منهم (٦) هذا كله... عدا عن شدة عمرو وغلظته، التي تدعى له قبل وبعد الهجرة الى الحبشة. فان ذلك لا يتناسب مع ما يقال عنه هنا.

(١) الاصابة ج ١ ص ٣٠١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣.

(٣) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٧ و ٦٩ و ٧٠ عن ابن اسحاق وأحمد وعن أبي نعيم في الدلائل والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٧ و ٩، وفتح الباري، ج ٧ ص ١٤٣ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤ عن الطبراني وحلية الاولياء ج ١ ص ١١٤.

(٤) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧١.

(٥) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٩ عن ابن اسحاق، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤، ومستدرک الحاكم ج ٤ ص ٥٨ والطبراني، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣/٣٢٤.

(٦) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٩/٢٨٨ عن المنتقى والطبري ج ٢ ص ٦٩ وراجع البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٩، واعلام الوری ص ٤٣ واليعقوبي ج ٢ ص ٢٩ وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٤٤.

هجرة أبي بكر لا تصح:

و يقولون: إنه حين اشتد البلاء على بقية من بمكة من المسلمين، وضافت مكة على أبي بكر، وأصابه فيها الأذى، خرج، حين حصر الهاشميين في الشعب مهاجراً إلى الحبشة؛ فلما وصل إلى برك الغماد— موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن— لقيه ابن الدغنة، سيد قبيلة «القارة»، وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش، فقال له: اين تريد يا أبا بكر، فقال: أخرجني قومي؛ فأريد أن اسبح في الارض، وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج؛ إنك تكسب المعدوم... إلى أن قال: فارجع فأنا لك جار، ورجع معه ابن الدغنة، فطاف عشية في أشرف قريش، وأعلمهم بأنه أجاره، فأجازوا جواره بشرط: ان يعبد ربه في داره، ولا يستعلن.

ولكن أبا بكر بعد مدة ابتنى مسجداً في بني جمح، بجوار داره يصلي فيه، وقرأ القرآن، وجعل نساء المشركين، وأبنائهم يجتمعون لسماع قراءته، حتى يسقط بعضهم على بعض، وكان له صوت رقيق، ووجه عتيق أي جميل...

فراجع المشركون ابن الدغنة في ذلك، فأتاه فطالبه، فرد عليه أبو بكر جواره (١).

هذا ويذكرون: أن أبا بكر قد تعرض للعذاب في سبيل الاسلام حيث إن عمر بن عثمان أخذه وقرنه مع طلحة بن عبيدالله التيمي في حبل حين اسلمها، وعذبها نوفل بن خويلد، وفتنها عن دينها، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة بـ «القرنين». ويرى البعض أن الذي قرنها وعذبها هو نوفل فقط، وليس لعمر بن عثمان ذكر في شيء (٢).

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٧/١٢٨، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢-١٣، وشرح النهج ج ١٣ ص ٢٦٧، والمصنف ج ٥ ص ٣٨٦/٣٨٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٩٤ و ٩٥، وفي تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٩/٣٢٠ ان ذلك كان في الثالثة عشرة من البعثة، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ عن البخاري ص ٥٥٢.

(٢) - راجع في ذلك: العثمانية للجاحظ ص ٢٧/٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٣، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠١، ونسب قريش لمصعب الزبيري ص ٢٣٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩، والبيهقي، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٦٩ والبده والتاريخ ج ٥ ص ٨٢.

ونحن نشك في ذلك... إذ مع غض النظر عن:

أن هذا الحديث مروى عن عائشة فقط - وهو عجيب!! - ... وهم يقولون: إنها كانت حينئذٍ صغيرة السن جداً لا يمكن أن تعي كل تلك الامور والخصوصيات - وإن كنا نحن نعتقد: أن عمرها كان أكثر مما يقولونه بكثير، كما سنشير إليه... فاننا نسجل هنا الامور التالية:

أولاً: إن الرواية تنص على أن ابن الدغنة كان حليفاً لبني زهرة من قريش؛ فكيف أجار على قريش مع ان الحليف لا يجير؟! كما اعتذر به الاخنس بن شريق حينما طلب منه النبي أن يجيره ليدخل مكة، حسبما يدعون (١).

وثانياً: لما ذا بعد أن ردّ جوار ابن الدغنة لم تؤذ قريش ولم تخرجه، وإذا كانت قبيلته قد منعتة الآن؛ فلماذا لم تمنعه أولاً... و إذا كانت قد اقنعتهم تقریظات ابن الدغنة لابي بكر، فلماذا لم تقنعهم أولاً، حتى احتاج أبو بكر إلى جواره؟!.

وثالثاً: لقد رد الاسكافي على الجاحظ المدعي لهذه القضية بقوله:

«كيف كانت بنو جح تؤذي عثمان بن مظعون وتضربه، وهو عندهم ذوسطوة و قدر، وتترك أبا بكر يبني مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم؟ وانتم الذين رويتم عن ابن مسعود: انه قال: ماصلينا ظاهرين حتى اسلم عمر بن الخطاب. والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل اسلام عمر...»

وأما ما ذكرتم من رقة صوته، وعتاق وجهه، فكيف يكون ذلك، وقد روى الواقدي، وغيره: أن عائشة رأت رجلاً من العرب، خفيف العارضين، معروق الخدين، غائر العينين أجناً (يعني مائل الظهر)، لا يمسك إزاره، فقالت: مارأيت أشبه بأبي بكر من هذا. فلا أراها دلت على شئ من الجمال في

(١) - اعلام الوری ص ٥٥ والبحار ج ١٩ ص ٧ عن القمی، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠، والبدایة والنهاية ج ٣ ص ١٣٧، والسيرة الحلبیة ج ١ ص ٣٦٠، والسيرة النبویة لدحلان ج ١ ص

صفته (١)».

ويدل على صحة ما ذكره الاسكافي أن المقدسي، بعد أن ذكر: أنه لقب بعتيق لحسن وجهه وعتقه، يقول: كان ابيض البشرة، مشرباً حمرة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الاشاجع، أحنى لا يستمسك إزاره، ويسترخي عن حقويه، وكان من مياسير الخ...» وكذا قال غيره (٢)

ورابعاً: لقد نصت الرواية على أن أبابكر قد ابنتى مسجداً في بني جمح... ولكننا نجدهم يقولون: إن مسجد قباء كان أول مسجد بني في الاسلام (٣). ويقولون أيضاً، إن عماراً كان أول من بنى مسجداً في الاسلام (٤)

وحاول البعض الاجابة بأن المقصود: هو أن قباء كان أول مسجد بني في المدينة... وأن عماراً كان أول من بنى مسجداً عاماً (٥). وقد فاته: أن اطلاق قوله في الإسلام يدفع الأول، وإطلاق كون عمار أول من بنى مسجداً يدفع الثاني... كما أن ثمة تصريح بأنه أول من بنى في بيته مسجداً يتعبد فيه (٦).

وخامساً: إنه ترد الأسئلة التالية: لماذا يترك ابوبكر يبني مسجداً في بني جمح؟... وكيف لم يعترض الجمحيون على هذا التحدي؟، ولماذا لم يدرك التيميون صفاته النبيلة تلك، ويدعونه يخرج، ثم يدركها ابن الدغنة؟!

(١) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٨ عن الاسكافي.

(٢) - البدء والتاريخ ج ٥ ص ٧٦/٧٧، وتاريخ الحميس ج ٢ ص ١٩٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٥.

(٣) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥.

(٤) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٩ و ١٧٨ وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١، والتاريخ ج ٩ ص ٢٠ عنها.

(٥) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠.

(٦) - طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ١٧٨ وذكره في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣١١.

وأيضاً لماذا لم تلاحظ قريش تلك الصفات النبيلة التي أقرت بها، وتركته يخرج؟! بل ولماذا عذبت أشد العذاب؟!...

وسادساً: واما بالنسبة لتعذيبه على يدى نوفل بن خويلد؛ فاننا نشير الى مايلي:

١- إنهم يقولون: إن أبابكر قد منعه الله بقومه (١)، وهذا يتناقض تماماً مع قولهم: إنه قد عذب... .

٢- إن الذي يظهر من مراجعة كتب السيرة هو ان كل قبيلة كانت تتولى تعذيب من يدخل في الاسلام منها، ولم يكن منهم من يجروء على تعذيب من كان من قبيلة أخرى.

٣- لقد قال الاسكافي: «إننا لنعلم: أن العذاب كان واقعاً إلا بعد أو عسيف. (وهو الأجير)، ولمن لا عشيرة له تمنعه (٢)». مع أنهم يقولون: إن أبابكر كان رئيساً متبعاً، وكبيراً مطاعاً (٣) ينتظره عظماء قريش ولا يقطعون أمراً دونه، حتى يأتيهم لبيئوا في أمر محمد (ص) (كما تقدم في حديث اسلام ابى بكر). وعلى حسب تعبيراتهم: كان ذامكانة عليه، وصدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً (٤).

وعلى حد تعبير ابن هشام وغيره: كان «مألفاً لقومه، محبباً، سهلاً... إلى أن قال: وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحد من الأمر...» (٥).

(١) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٨، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨٤، وصححه هو والذهبي في تلخيصه بهامشه، وحلية الاولياء ج ١ ص ١٤٩، والاستيعاب ج ١ ص ١٤١ وأحمد، وابن ماجه، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٦ وعن كنز العمال ج ٧ ص ١٤ عن ابن أبي شيبة...

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٥.

(٣) - راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٥، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٣.

(٤) - السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦.

(٥) - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٧.

وعلى حد التعبير المزعوم لابن الدغنة: «لا يخرج مثله أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ (١)»... ويلاحظ: أن هذه الكلمات هي - تقريباً - نفس الكلمات التي تنسب إلى خديجة في وصف النبي (ص) حين بعثته، قالها ابن الدغنة حين هجرة أبي بكر إلى الحبشة - وسيأتي عدم صحتها - فاقراً، واسمع، وتعجب!!

ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيساً الخ؟!:

إننا إنما ذكرنا هذا الوجه الثالث من أجل بيان تناقض كلماتهم، فإن هذا لو صح لم يمكن أن يصح ذلك، وإلا... فنحن نشك في أن يكون أبو بكر رئيساً معظماً، وكبيراً مطاعاً، ويدل على ذلك:

١- إن أبا بكر حج، ومعه أبوسفيان، فرفع صوته عليه، فقال أبو قحافة: اخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا قحافة، إن الله بنى في الإسلام بيوتاً كانت غير مبنية، وهدم بيوتاً كانت في الجاهلية مبنية، وبيت أبي سفيان مما هدم (٢).

٢- وحين بويع أبو بكر نادى أبوسفيان: «غلبكم على هذا الأمر أذل أهل بيت في قريش» وفي نص الحاكم: «ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة، وأذلها ذلة، يعني أبا بكر (٣)».

٣- ويقول عوف بن عطية:

وأما الألمان بنوعدي وتيم حين تزدهم الأمور

(١) - السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠١. وستأتي العديد من المصادر لذلك حين الكلام على هجرة أبي بكر إن شاء الله.

(٢) - راجع: النزاع والتخاصم للمقرئ ص ١٩ والغدير ج ٣ ص ٣٥٣ عنه.

(٣) - راجع المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٥١، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٧٨، عن ابن عساکر، وأبي أحمد الدهقان، وراجع الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٦، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٤٩. والنزاع والتخاصم ص ١٩ وعن كنز العمال ج ٣ ص ١٤١ و ١٤٠

فلا تشهد بهم فتیان حرب
ولكن أدن من حلب وعير
إذارهنوارماحهم بزبد
فان رماح تيم لا تضير (١)

ملاحظة أخيرة: وأخيراً... فان ما يذكره: من أن أبابكر هو أول من أظهر اسلامه، فنعه قومه. أو أنه ضرب حتى كاد يموت (٢). فيكذبه الكثير مما قدمناه، ونزيد هنا: أن النبي كان أول من أعلن الدعوة.. هذا دعاء عن أنهم يذكرون تارة: أن ابن مسعود هو أول من أعلن، وأخرى عمر بن الخطاب، وثالثة: أبابكر... كما أن الرواية تنص على أن ذلك قد كان حينما كان المسلمون ثمانية وثلاثين رجلاً. وقد تقدم: أن أبابكر لم يكن قد أسلم بعد... إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

فضيلة عثمان بن مظعون لغيره:

والذي نظنه قوياً هو أنهم أرادوا: أن يجعلوا له فضيلة سبق إليها عثمان بن مظعون؛ فانه كما يذكره المؤرخون، لما رجع من الحبشة مع من رجع بعد شهرين من الهجرة، وفوجئ بأن الأمر بين المشركين والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال على حاله، دخل مكة بجوار الوليد بن المغيرة...

ولكنه لما رأى ما فيه المسلمون من البلاء، وهو يعدو ويروح في أمان... صعب عليه ذلك، فشى إلى الوليد فرد عليه جواره؛ فقال: يا بني أخي، لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد، فارد علي جوارى علانية، كما أجرتك علانية.

فانصرف معه، ورد عليه جواره علانية في المسجد (٣).

(١) - طبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨.

(٢) - السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٤٩/٤٣٩ البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠، وتاريخ

الخميس ج ١ ص ٢٩٤ والغدير ج ٧ ص ٣٢٢ عنه وعن الرياض النضرة ج ١ ص ٤٦.

(٣) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٢، وقد ذكرت هذه القضية في مختلف المصادر التاريخية فلا حاجة

إلى تعدادها...

محاولة قريش اليائسة:

وبعد أن صحت قريش من عنف الصدمة. «ورأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم»، على حد تعبير البعض (١) ائتمرت فيما بينها، وقررت إرسال رجلين من قبلها إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين... ووقع اختيارهم على عمرو بن العاص، ويقال: على عمارة بن الوليد، أيضاً فأرسلوهما إلى النجاشي بهداياله ولبطارفته... (وجرى بين عمارة وعمرو بن العاص في الطريق شيئٌ مثير، يرتبط بالعلاقة بين عمارة وزوجة عمرو... فاحتملها له عمرو وليكيده في الوقت المناسب)...

وآذعيا أمام النجاشي: إنه «قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دينهم، ولم يدخلوا في دينك. وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت. وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، واعمامهم، وعشائرتهم لتردهم، إليهم الخ...»

فرفض تسليمهم إليهم حتى يسألهم عن صحة ما جاء به عمرو وعمارة، فجاء المسلمون؛ فسألهم فقال جعفر: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه؛ فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا: أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا، بالصلاة، والزكاة، والصيام الخ... (٢)»

(١) - سيرة مغلطاي ص ٢٢.

(٢) - ذكرت الزكاة والصيام في مختلف المصادر؛ فراجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢١، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٨٠ ولم يذكر الزكاة، وعلام الوري ص ٤٤ ولم يذكر الصيام والبدية والنهاية ج ٣ ص ٧٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠

وقرأ عليه جعفر بعض سورة الكهف؛ فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وكذلك اساقفته؛ ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا اسلمهم اليكما، ولا يكادون...

ثم غدا عمرو في اليوم التالي؛ ليخبر النجاشي، بأن المسلمين يقولون: ان عيسى بن مريم عبد؛ فأرسل اليهم، فسألهم؛ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا (ص): هو عبد الله ورسوله، وروحه، وكلمته التي القاها إلى مريم العذراء البتول: فتناول النجاشي عوداً، وقال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارفته، فقال: وان نخرتم، اذهبوا فأنتم شيوم: أي آمنون، من سبكم غرم— قالها ثلاثا— ما احب أن لي ذبراً— اي جبلاً— من ذهب واني آذيت رجلا منكم...

ثم ردها يا قریش...

ملاحظة: يذكر البعض ان هذه الرواية ربما تكون موضوعة؛ وذلك لذكر الصيام فيها، وهو انما شرع في المدينة (١)... ولكنه كلام باطل؛ فان الصيام، والزكاة، وغير ذلك كله قد شرع في مكة، ولسوف يأتي ان شاء الله بيان ذلك في الحديث على ما بعد الهجرة، ونبين ان ما ذهبوا اليه من تشريعها في المدينة لا يصح؛ فإلى هناك... لأن المؤرخين يذكرون ذلك هناك.

ويرى المحقق الروحاني: ان منشأ هذه التحقيقات الرشيقة لأحمد امين، ومن هم على شاكلته، هو التشكيك في موقف يظهر بطولة جعفر، وجرائته، وحكمته، وعقله ودرايته...

وفد ابتلى جعفر ايضاً بمثل هذا الاجحاف في حقه في مورد آخر، وهو كونه الامير الأول في غزوة مؤتة، فإن لهم اهتماماً خاصاً في ابعاد جعفر، والتأكيد على ان الأمير الأول هو زيد بن حارثة، كل ذلك من

→
والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٠. وستأتي بقية المصادر حين الكلام على اثبات ان تشريع الصلاة والزكاة كان في مكة، وذلك قبيل الكلام على غزوة بدر ان شاء الله تعالى...

اجل اخوته لعلي وقربته منه... راجع مقال: من هو الامير الأول في مؤتة، في كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، المجلد الأول...

قريش... وخططها المستقبلية:

حقاً... لقد كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة ضربة قاسية، أفقدت قريشاً صوابها، وزعزعت وجودها وكيانها؛ فحاولت أن تتدارك الأمر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم، وابقائهم تحت سلطتها، ولكن بعد فوات الاوان...

وكان أن اضطرت قريش للمرة الأولى لمراجعة حساباتها من جديد، بعد أن أدركت: أن زمام المبادرة لم يعد بيدها... وذلك لأنها:

١- ترى: أن الاستمرار في تعذيب المسلمين، الذين اصبحوا متفرقين في مختلف القبائل، لم يعد له كبير جدوى... هذا... إن لم يكن سبباً في اثاره حرب داخلية، تكون عواقبها السيئة على سمعتها وكرامتها كبيرة وخطيرة، حينما لا توافق كل قبيلة على التصفية الجسدية للمنتهين إليها، للمنطق القبلي، الذي مازالوا يتعاملون على أساسه، حتى في مواقفهم ومناهضتهم لمحمد (ص)، ودعوته، رغم اجماعهم على العدا له ولها... ويكفي أن نشير هنا: إلى أنهم قد قرروا: أن تتولى كل قبيلة تعذيب الذين ينتسبون إليها!!!...

٢- وترى أيضاً: أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن تكون دعوته انسانية عالمية، لا تختص بعرب مكة والحجاز... وتعتبر: أن هجرة هؤلاء إلى الحبشة لم تكن متمحضة في الهروب من التعذيب، لأن الكثيرين من أولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب... هذا... عدا عن أنهم يمثلون مختلف القبائل المكية أيضاً...

٣- وترى كذلك: أن معنى هجرة المسلمين هذه، وخروجهم من تحت سلطتها، هو أنها سوف تكون أمام مواجهة شاملة، وأن مصالحها في معرض التهديد والبوار...

و إذا كان أبوذر قد ضايقها تلك المضايقة الشديدة، باقامته بعسفان

على طريق القوافل، فكلما اقبلت غير لقريش احتجزها حتى يقولوا: لا إله الا الله وان محمداً رسول الله (ص)... وظل على ذلك إلى ما بعد حرب أحد إلى آخر ماتقدم... إذا كان أبوذر قد ضايقها إلى هذا الحد، مع العلم بأن القضاء على حركته ربما يكون اسهل وأيسر؛ لأنه في منطقتها، ويمكن تطويقه، والحد من نشاطه بسرعة؛ لأنه بين أمة كلها تدين لقريش بالولاء، وتقول بمقاتلتها، كما أنهم ينظرون إليه على أنه غريب ومعتد... إذا كان هذا حالهم مع أبي ذر.

فان وجود المسلمين - وهم من قريش في الصميم في منطقته بعيدة عن نفوذ القرشيين وسلطانهم، وفي ملجأ أمين، ومنطلق مطمئن. ليشكل أعظم الاخطار على قريش ومصالحها... الأمر الذي يحتم عليها التريث والصبر، واحكام التدبير.. ولا سيما وأنها لا تجدد إلى تصفية النبي صلى الله عليه وآله وسلم جسدياً حيلة، ولا إلى اسكاته سبيلاً، مادام في حماية شيخ الابطح، أبي طالب عليه السلام والهاشميين، باستثناء أبي لهب لعنه الله تعالى...

فأرسلت إلى النجاشي ممثلين عنها لاسترداد المهاجرين... فرجعوا إليها بالفشل الذريع والخبية القاتلة...

فعدت من جديد على من تبقى من المسلمين بالعذاب والتنكيل... وجعلت تتعرض للنبي صلى الله عليه وآله بالسخرية، والاستهزاء، والاتهام بالجنون والسحر، والكهانة، وبأنواع مختلفة من الحرب النفسية والأذى.

الثورة على النجاشي:

وكان وجود المسلمين في الحبشة، قد تسبب للنجاشي ببعض المتاعب؛ فاتهموه بأنه خرج من دينهم وثاروا عليه. ولكنه استطاع أن يخمد الثورة بحسن إدراكه ووعيه، واستمر المسلمون عنده في خير منزل، وخير جوار، حتى رجعوا إلى المدينة، بعد هجرة النبي (ص) إليها كما سيأتي إن شاء الله تعالى...

فيروي محمد بن اسحاق، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة، فقالوا. للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل

إلى جعفر وأصحابه، فهيأهم سفناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم؛ فان هزمت؛ فاذهبوا حيث تلتحقوا بحيث شتم. وإن ظفرت فاثبتوا، ثم خرج إليهم فجادلهم في الأمر، فانصرفوا عنه (١).

وكان ذلك قبل إيقاد قریش عمرواً وعمارة، بدليل قول النجاشي لهما «فوالله، ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، ولا أطاع الناس في، فأطيع الناس فيه، ردوا عليهم هداياهم؛ فلا حاجة لي بها، واخرجوا من بلادي، فخرجوا مقبوحين (٢)».

عودة بعض المهاجرين:

وتسرت أنباء الهدنة القصيرة غير المعلنة التي حصلت في مكة إلى مسامح المسلمين في الحبشة. ورأى المسلمون: ماجرى للنجاشي بسببهم... فارتأى فريق منهم العودة إلى مكة، بعد شهرين، أو ثلاثة أشهر، وعاد منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، وكان ما كان من رده جواره، ورضاه بجوار الله تعالى، حسبما تقدم...

نعم هذا هو السرفي عودة بعض المهاجرين من الحبشة، وليس ما ذكره أعداء الإسلام من قصة الغرائق التي لاشك في كذبها... كما سرى.

قصة الغرائق (٣):

وملخص هذه القضية المكذوبة: أنه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة بجوالي شهرين؛ جلس رسول الله (ص) مع المشركين، فأنزل الله تعالى

(١) - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٥، والبدية والنهاية ج ٣ ص ٧٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) - البدية والنهاية ج ٣ ص ٧٥ عن ابن اسحاق، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٢.

(٣) - الغرائق، جمع غرنوق بكسر الغين: طيور الماء. شبهت الاصنام بهالارتفاعها في السماء فتكون الاصنام مثلها في رفعة القدر، والغرنوق أيضاً: الشاب الابيض الناعم.

عليه سورة النجم؛ فقرأها، حتى إذا بلغ قوله تعالى: «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، وسوس إليه الشيطان بكلمتين، فتكلم بهما، ظاناً، أنها من جملة الوحي وهما: «تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»، ثم مضى في السورة، حتى إذا بلغ السجدة، سجد، وسجد معه المسلمون والمشركون. لكن الوليد بن المغيرة لم يتمكن من السجود، لشيخوخته، اولتكبره— على الخلاف— فرفع تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وقيل: إن الذي فعل ذلك هو سعيد بن العاص، وقيل كلاهما، وقيل: أمية بن خلف، وصحح، وقيل: أبوهب، وقيل: المطلب...

وأضاف البخاري سجود الانس والجن، إلى مجموع المسلمين. وطار الخبر في مكة، وفرح المشركون، بل ويقال: أنهم حملوا الرسول، وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها...

ولما أمسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السورة، وذكر الكلمتين فيها؛ فأنكرهما جبرائيل؛ فقال (ص): قلت على الله ما لم يقل؟ فأوحى الله إليه: «وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك؛ لتفتري علينا غيره، وإذن لا اتخذوك خليلًا. ولولا أن ثبتناك، لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً. إذن لأذقناك ضعف الحياة، وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيراً».

وقد استدلوا على صحة هذه الرواية بالاية التي يقولون: إنها نزلت بهذه المناسبة: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا إذا تمنى أنقى الشيطان في أمنيته؛ فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم. ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض.. الخ... وعدد من أسانيد هذه الروايات صحيح عند البعض (١).

(١) - راجع: الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ و ٣٦٦-٣٦٨ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٥-٣٢٦، وتفسير الطبري ج ١٧ ص ١٣١-١٣٤، وفتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣.

وأشار إلى أصلها البخاري أيضاً في غير موضع من صحيحه، كما في البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٠، وقد صرح السيوطي في دره المنثور بصحة اسانيد عدد منها، وراجع لباب النقول، وتفسير الطبري، وهي موجودة في مختلف التفاسير، عند تفسير الآيات، ولذا فلا حاجة إلى تعداد مصادرها...

و يقولون: إنه لما سمع المسلمون في الحبشة بالسلام والوءام بين النبي وقريش عادت طائفة منهم إلى مكة، فوجد الأمر على خلاف ذلك ونحن نعتقد جازمين بكذب هذه الرواية، وافتعالها.. و يشاركنا في هذا الاعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن اسحاق حين ما سئل عنها: «هذا من وضع الزنادقة». و صنف في تفنيدها كتابا (١). وقال القاضي عبد الجبار عن هذا الخبر: «لأصل له، ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة» (٢).

وقال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة فيه (٣).

وانكرها البيضاوي، طاعناً في أسانيدھا، وكذا البيهقي، والنووي والرازي، والنسفي، وابن العربي، والسيد المرتضى، وفي تفسير الخازن: أهل العلم وهنوا هذه القصة (٤).

وقال عياض: «إن هذا حديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به، وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والمتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي، حيث قال: لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير. وتعلق بذلك الملحدون. مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع أسناده، واختلاف كلماته (٥)....»

ونحن نؤيد هؤلاء فان جميع رواياتھا سوى طريق سعيد بن جبیر، إما ضعيف أو منقطع (٦) وحديث سعيد مرسل، والمرسل عند جمهور المحدثين من

(١) - راجع: البحر المحيط لأبي حيان ج ٦ ص ٣٨١.

(٢) - تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٤٣.

(٣) - عن تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ٣٨١.

(٤) - السيرة الحلبية ج ١ ص ١١، والهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٣٠، والرحلة المدرسية

ص ٣٨. وفتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣، وتفسير الرازي ج ٢٣ ص ٥٠.

(٥) - الشفاء ج ٢ ص ١٢٦ ط الثمانية.

(٦) - فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣.

قسم الضعيف، لاحتمال أن يكون قد رواه عن غير الثقة (١).

وأيضاً... فإن الاحتجاج بالمرسل لوسلم؛ فإنما يكون في الفرعيات، وما نحن فيه يرتبط بالعقائد، التي تحتاج إلى القطع... هذا والملاحظ لاسانيدھا يراها تنتهي: أما إلى تابعي أو إلى صحابي لم يولد إلا بعد هذه القضية.

بل إن هذا الحديث يجب رده، والقطع بكذبه، ولو كان متصلاً، لأنه مصادم لحكم العقل كما سنرى و بهذا يرد على القسطلاني والعسقلاني وآخرين حيث قد حكموا بصحتها، وبأن لها اصلاً لكثرة طرقها (٢). وعلى كل حال... فإننا بالاضافة إلى ما ذكر، نستند في اعتقادنا بكذب هذه القضية إلى الأمور التالية...

أولاً: تناقض رواياتها، وقد تقدم التناقض فيمن لم يسجد، ونزید هنا: أن النبي (ص) قرأها وهو يصلي... أو: وهو جالس في نادي قومه... حدث نفسه بها... جرت على لسانه.

الشیطان أخبرهم: أنه (ص) قالها... قرأها المشركون.

تنبه (ص) حين قراءتها... لم يتبته إلى المساء... بل ذكر الكلاعي: أن الأمر لم ينكشف بهذه السرعة، بل فشا الأمر حتى بلغ الحبشة: أن المسلمين قد آمنوا في مكة، فقدم مسلموها، ونزل نسخ ما ألقاه الشيطان، فلما بين الله قضاءه اشتد المشركون على المسلمين (٣)... إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف...

ويقولون: لاحافظة لكذوب...

(١) - راجع: مقدمة ابن الصلاح ص ٢٦.

(٢) - فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣، والسيرة الخلبية ج ١ ص ٣٢٦ وراجع سيرة منطاي ص ٢٤ وعن المواهب اللدنية.

(٣) - راجع: الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٢/٣٥٣.

وثانياً: إن هذه الرواية ليس فقط تنافي ما هو مقطوع به من عصمته (ص) عن الخطأ والسهو... وعلى الأخص في أمر التبليغ، وهو ما قام عليه اجماع الأمة، والادلة القطعية... وانما هي تثبت الارتداد له صلى الله عليه وآله وسلم، نعوذ بالله من الغواية، عن طريق الحق والهداية...

وثالثاً: إن هذه الرواية تنافي قوله تعالى: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» وقوله: «إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون»... إلا أن يفرض هؤلاء— والعياذ بالله—: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من عباد الله، ولا من الذين آمنوا، ولا من المتوكلين... وليس هذا القول إلا الكفر بعد الايمان، كما هو ظاهر للعيان...

ورابعاً: ينص الكلاعي على أن المشركين والمسلمين قد سجدوا جميعاً لما بلغ النبي (ص) آخر السورة. وأن المسلمين قد عجبوا لسجود المشركين؛ لأن المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذي ألقى الشيطان على السنة المشركين... مع أنه يصرح قبل ذلك بأسطر: أن الشيطان قد ألقى تلك الكلمات على لسان النبي (ص)!!... وعداعن هذا التناقض الظاهر؛ فانه يرد سؤال: انه كيف سمع المشركون ما لقيه الشيطان على لسانه (ص)، ولم يسمعه المسلمون، وهم معهم، ولا بد وأنهم كانوا اقرب إليه (ص) منهم؟!...

وخامساً: إن جميع الآيات المذكورة لا يمكن أن تكون ناظرة إلى مناسبة هذه الروايات إطلاقاً؛ فأما:

١— آيات سورة النجم؛ فإنه تعالى قد قال عن أصنام المشركين: مناة، والللات، والعزى: «إن هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان. إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى...»

فكيف رضي المشركون بأن يذم آلهتهم بهذا النحو الحاد، تم فرحوا بقوله،

وسجدوا معه؟! وكيف لم يدركوا هذا التناقض الظاهر في كلامه، حتى حملوه وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها وهم يقولون: نبي بني عبدمناف؟! ...!

والنبي صلى الله عليه وآله نفسه، لما ذالم يلتفت إلى هذا التناقض الظاهر، وبقي غافلاً عنه إلى الليل، حتى جاء جبرئيل فنبهه إليه؟! ...! فهل كان (ص) في غيبوبة طويلة تلك الفترة؟! ...! أم أنه كان سقيم الذهن - والعياذ بالله - إلى هذا الحد؟! ...!

ثم ... أوليست هذه الرواية تناقض تماماً قوله تعالى في سورة النجم نفسها، وبالذات في أول السورة بعد القسم: «وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى». فها هو في نفس السورة ينطق عن الهوى، بل هو يردد ما يلقىه إليه الشيطان. على أنه آيات قرآنية إلهية... مع أن الله تعالى يقول: «ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين (١)». فيها هو يتقول عليه، ولا يفعل به شيئاً (٢)... وإذا كانت هذه الآية قد نزلت بعد سورة النجم، فإن ذلك لا يضر مادامت الآية تعطى قاعدة كلية، ولا تشير إلى قضية خارجية خاصة...

٢- وأما آية التمني، فهي في سورة الحج، التي هي مدنية بالاتفاق، ولا سيما وأنه قد ورد فيها الأمر في الأذان بالناس بالحج، والأمر بالقتال، والأمر بالجهاد، وذكر الصدعن المسجد الحرام، وكل ذلك كان بعد الهجرة، وبعضه بعدها بعدة سنوات. هذا بالإضافة إلى أن الضحاك، وابن عباس، وقتادة، وابن الزبير وغيرهم، قد ذكروا أنها مدنية...

وإذا كانت مدنية، فهذا يعني: أن هذه الآية قد نزلت بعد قصة الغرائق بسنوات عديدة، لأن قصة الغرائق قد حصلت!! في الخامسة

(١) - الحاقة ٤٤-٤٦.

(٢) - هذا إن لم نقل إن الآية ناظرة إلى صورة تعمد الكذب على الله، لانه عبر بالتقول، الذي هو تعمد القول...

من البعثة، فكيف أخرج الله تسليية وتهذبة خاطر الرسول هذه السنين الطويلة؟! .

على أن معنى الآية لا ينسجم مع مفاد الرواية... فإن التمني هو تشهي حصول أمر مرغوب فيه، فالرسول إنما يتشهى ويتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، وأعظم أمنية لانسان كهذا هي ظهور الحق والهدى، وطمس الباطل... فيلقي الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الامنية، ويكون فتنة للذين في قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمة موسى من الغواية ما ألقى، فينسخ الله بنور الهدى غواية الشيطان، ويظهر الحق للعقول السليمة، ويقول المرتضى ان كان المراد التلاوة وانه إذا تلا على قومه الآيات حرفوها، وزادوا ونقصوا فيها، كما فعلت اليهود بالكذب على نبيهم فاضافة ذلك إلى الشيطان لأنه هو الوسوس لهم بذلك ثم يدحض الله ذلك ويزيله بظهور حجته (١).

وأما لو أردنا تطبيق الآية على ما يقولون. فإن المراد بالتمني يكون هو القراءة والتلاوة. وهو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوي وظاهر اللفظ، ولأنشك في أنه تفسير موضوع ومفتعل ليوافق الرواية، اما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت (٢) فنعتقد أنه مصنوع ومنسوب إليه للغرض نفسه...

٣- وأما بالنسبة لآيات سورة الاسراء، وهي قوله تعالى: وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك؛ لتفتري علينا غيره الخ... والتي يقولون: إنها نزلت في هذه المناسبة... فان هذه الآيات تناقض وتنافي هذه القضية؛ فكيف تكون قد نزلت من أجلها.

فان هذه الآيات تقول: إنه لم يركن إليهم، بل لم يقرب إلى الركون إليهم، وأن الله قد ثبتته، وأنه لوركن لعوقب... وقضية الغرائيق تقول: إنه قد زاد على الركون، فاستجاب، وافترى، وأدخل في القرآن ما ليس منه.

(١) - تنزيه الانبياء ص ١٠٧ و ص ١٠٨.

(٢) - ففي تنزيه الانبياء ص ١٠٧: أن حسان بن ثابت قال:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

على أن من الممكن أن يكون المقصود بالتمني هنا حب ذلك والشوق إليه...

ومعنى الآية: ان المشركين قد أصروا على أن يتركهم وشأنهم، وتفاوضوا معه، ومع أبي طالب كثيراً، فلربما يكون النبي (ص) قد فكر في أن يمهلهم قليلاً، لعلهم يفكرون ويرجعون؛ فجاءت الآية لتقول له: إن الصلاح في عدم الامهال، بل في الشدة...

هذا كله... عدا عن أنهم يقولون: إن آيات سورة الاسراء قد نزلت في ثقيف، حينما اشترطوا الاسلامهم شروطاً تزيد في شرفهم. وقيل: نزلت في قریش حينما منعه من استلام الحجر. وقيل: نزلت في يهود المدينة، عندما طلبوا منه أن يلحق بالشام (١). وقد اقتصر القاضي البيضاوي على هذه الوجوه...

وسادساً: وأخيراً... كيف سجد المشركون عند نهاية السورة لقوله تعالى: «فاسجدوا لله واعبدوا» مع أنهم كانوا يرفضون السجود لله؟! قال تعالى «وإذا قيل لهم: اسجدوا للرحمان قالوا: وما الرحمان؟ انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا». ثم كيف... لا يرتد أحد من المسلمين، أو يتزلزل ايمانه حينما يعلم أن رسول الله قد مدح الاصنام، وجعل لها شفاعة (٢)؟!.

حقيقة الامر:

والظاهر هو أن حقيقة ماجرى هو ما قيل من: ان الكفار كانوا يكثرون اللغو واللغظ حين قراءته (ص) حتى لا يسمع أحد، ما يقرأ: «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن، والغوا فيه، لعلكم تغلبون» (٣) فحينما قرأ النبي صلى الله عليه وآله سورة النجم، وانتهى إلى هذا المورد، قال المشركون تلك الغرائق العلى الخ (٤)...

(١) - راجع: السيرة الخلبية ج ١ ص ٣٢٦، والدر المنثور، وتفسير الخازن، وسائر كتب التفسير.

(٢) - راجع هامش: الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٤/٣٥٣.

(٣) - فصلت الآية ص ٢٦.

(٤) - السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٨ وتنزيه الانبياء ص ١٠٧ وليراجع هامش الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٤ عن السهيلي، وقد نقل الكلبي في كتاب الاصنام: أن قریشا كانت تقول هذه الكلمات في مدحها لاصنامها حول الكعبة - كما نقل...

نعم... ثم جاء القصاصون والحاقدون، ونسجوا حولها ما يتلاءم مع مصالحهم واهدافهم الشريرة، من الطعن بعصمته صلى الله عليه وآله وسلم، ثم التشكيك بكل ما في القرآن، بحيث يتهياً الجو لتطرق احتمالات من هذا النوع في كل سورة وآية... ثم التدليل على مدى جهل النبي (ص)، وعدم إدراكه حتى المتناقضات الواضحة.

ثم خضوعه لسلطان الشيطان، وعدم قدرته على تمييز ما هو منه عما هو من غيره.

ونجدهم يقولون في مقابل ذلك... كما تقدم: ان الشيطان يفر من حس عمر، أو لم يلق عمر منذ أسلم إلاخراً لوجهه، أو ماسلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً آخر.

ولعلمهم أرادوا: أن يقولوا: ان للنبي شيطاناً يعتريه كما كان لابي بكر... وقد تقدم الحديث عن كل ذلك في بحوث سابقة...

ثم جاء المستشرقون الحاقدون، أعداء الاسلام، فحاولوا الاستفادة من هذه الاباطيل والاساطير في الطعن على نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم (١).

فأحبط الله سعيهم، ورد كيدهم في نحورهم... فان الحق كالصبح أبلج، وسيرة نبينا في النبل والصفاء والطهر من كل عيب وشين كذكاء تتوهج...

(١) - راجع: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٤ لبروكلمان وكتاب الاسلام ص ٣٦/٣٥ لالفريد هيوم.

الفصل الثالث:

حتى الشعب

تناقضات في تاريخ اسلام حمزة عليه السلام:

ويقولون: إن اسلام حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام كان في الثانية من البعثة. ثم يقولون: إنه اسلم بعد دخوله (ص) دارالارقم... وهذا متناقض؛ لانه إنما دخل دار الارقم في أواخر السنة الثالثة.

وتناقض آخر: انهم يذكرون: أنه اسلم قبل عمر بثلاثة ايام، مع أنهم يذكرون أنه اسلم بعد خروجه من دار الارقم في السنة السادسة...

وهذا متناقض؛ لأنه (ص) إنما دخلها في أواخر السنة الثالثة من البعثة ولمدة شهر واحد فقط كما يقال... وسيأتي أن اسلام عمر كان بعد اسلام حمزة بسنوات.

اسلام حمزة (رض)

ونلاحظ: أن ابن هشام وغيره يذكرون اسلامه عليه السلام بعد الهجرة إلى الحبشة، أي في حوالي السنة السادسة للبعثة، ونحن نرجح ذلك؛ لأنه حين اسلم— كما يقول المقدسي— «عزبه النبي (ص) واهل الاسلام، فشق ذلك على المشركين، فعدلوا عن المنابذة إلى المعاتبه، واقبلوا يرغبونه في المال

والانعام، ويعرضون عليه الازواج (١)» وعروضهم هذه إنما كانت بعد الهجرة إلى الحبشة، كما يفهم من سيرة ابن هشام... كما أنه إنما أسلم بعد الاعلان بالدعوة، وبعد مفاوضات قريش مع أبي طالب وعروضها عليه، وبعد أن عدلوا عن ذلك إلى العداوة والاذى...

وعلى كل حال... فقد كان اسلام حمزة تطوراً جديداً لم يكن قد دخل في حسابات قريش، حيث قلب الموازين رأساً على عقب، وفتت في عضد قريش، وزاد من مخاوفها، وكبح من جماحها...

فقد مر أبوجهل بالرسول عند الصفا؛ فأذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلمه الرسول صلى الله عليه وآله... وكان حمزة صاحب صيد وقنص، وكان إذا رجع بدأ بالبيت، وطاف به، وسلم على من فيه، ورجع إلى بيته.

وفي هذه المرة كان حمزة راجعاً من صيده، فأخبرته إحدى النساء بما كان من أبي جهل تجاه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فاحتمل حمزة الغضب، ودخل المسجد، فرأى أبوجهل جالساً مع القوم؛ فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة. ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فرد علي ذلك إن استطعت— وكان ذلك بعد أن تضرع إليه أبوجهل، وأخذ بثوبه، فلم يقبل منه— فقام رجال من بني مخزوم، لينصروا أبوجهل، فقالوا لحمزة: مانراك إلا قد صبأت؟ فقال حمزة: وما معنى؟ وقد استبان لي منه أنه رسول الله، والذي يقول حق؟! فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين.

فقال أبوجهل: دعوا بأعمارة؛ فاني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً. يقول المقدسي: «فلما أسلم حمزة عزبه الدين والنبي (ص) (٢)»، وسر رسول الله باسلامه كثيراً...

(١) — البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٨/١٤٩، وهو الظاهر من سيرة ابن هشام، حيث ذكر هذه العروض بعد ذكره لاسلام حمزة عليه السلام...

(٢) — البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٨.

وعلمت قریش: أن رسول الله (ص) قد عزوا وامتنع، فكفوا عما كانوا ينالونه منه. وقال حمزة للنبي (ص): فأظهر يا بن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء، وأني على دين الأول.

وكان حمزة أعزفتي في قریش، وأشدهم شكيمة...

اسلام حمزة كان عن وعي لاجمحة:

والظاهر، بل الصريح من كلام حمزة عليه السلام، ولاسيا قوله الأخير: «وما يعنيني، وقد استبان لي منه: أنه رسول الله، والذي يقول حق...» أنه لم يكن في اسلامه منطلقاً من عاطفته التي أثيرت وحسب، وإنما سبقت ذلك قناعة كاملة، كونها مماشاهده عن قرب من مواقف وسلوك، وسمعه من أقوال النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

ولعل قوله: أتشتمه وأنا على دينه يدل دلالة واضحة على أن اسلامه كان متقدماً على ذلك الوقت، ولكنه كان يتكتم به مراعاة للظروف، وحفاظاً على الاسلام والمسلمين، الذين كانوا أضعف من أن يتمكنوا من مواجهة قریش وجبروتها... ولربما كان بعضهم بحاجة إلى المزيد من التربية النفسية الخاصة؛ ليتمكن من مواجهة تلك الظروف القاسية مع المشركين...

سرجبن أبي جهل في مواجهة حمزة:

ولابد من التذكير هنا: بأن أباجهل، عظيم المشركين وجبارهم... مع أنه كان بين أهله وعشيرته... ومع أن عشيرته قد اعلنت عن استعدادها لنصرته— ان أباجهل هذا كان أجبن وأذل من أن يقف في وجه أسدالله وأسد رسوله؛ وما ذلك إلا لأنه كان— من جهة: يعلم فتوة حمزة وعزته، وشدة شكيمته وبطولته، ورأى مدى تصميمه واصراره وعرف مقدار استعداده للتضحية والفداء في سبيل دينه، وعقيدته...

ومن الجهة الأخرى: فان أباجهل إنما كان يحارب النبي صلى الله عليه وآله ويناقضه، حباً بالحياة، ومن أجل الدنيا... فهو إذن لا يريد الموت

اطلاقاً، بل هوهرب منه، ويعدده خسارة له، مابعدھا خسارة... أما حمزة عليه السلام؛ فكان يعتبر الموت في سبيل هذا الدين نصراً وفوزاً، تماماً بالمقدار الذي يعتبره أبو جهل، ومن هم على شاكلته خسراناً وضياعاً... وإذن فلماذا يخشى الموت ويخافه؟، بل لماذا لا يكون الموت عنده أحلى من العسل، وألذ من الشهد؟...

ومن جهة ثالثة: فان أبا جهل لم يكن على استعداد لأن يحارب بني هاشم في تلك الفترة، التي كان له فيهم أنصار كثيرون... لأن حربهم لهم لسوف تؤدي إلى أن يخسر- بحسب المنطق القبلي- هؤلاء الذين يلتقي معهم فكرياً وعقدياً؛ لأنهم بحكم المنطق القبلي الذي يهيمن على مواقفهم وتصرفاتهم لسوف لن يتركوا ابن أخيهم، حتى ولو كان على غير دينهم، (وقد وعدوا أبا طالب باستثناء أبي هب أن يمنعوا محمداً ممن يريد به سوءاً كما تقدم)... بل إن تحرك أبي جهل في ظروف كهذه لربما يؤدي إلى تحكيم أمر محمد، وإلى دخول الكثيرين من بني هاشم في دينه، حمية وانتصاراً... وهذا ما لا يريد أبو جهل، ولا يرغب فيه.

ومن هنا... فقد كانت جميع الظروف والعوامل تدفعه إلى الاستسلام للذل والهوان في مقابل أسد الله وأسد رسوله.

والخلاصة: ان حب أبي جهل للحياة، وجبنه، وأيضاً... ما كان يراه من الصلاح في عدم التصعيد في مناهضة محمد وبني هاشم... قد جعله في موقف الذليل المهان.

وجعل الله كلمة الباطل هي السفلى... وكلمة الحق هي العليا...

عبس وتولى:

ويذكر المؤرخون بعد قضية الغرائق القضية. التي نزلت لأجلها سورة عبس وتولى، المكية، والتي نزلت بعد سورة النجم... وملخص هذه القضية:

ان النبي (ص) كان يتكلم مع بعض زعماء قريش، ذوي الجاه والمال؛ فجاهه عبدالله بن أم مكتوم— وكان أعمى— فجعل يستقرئ النبي (ص) آية من القرآن، قال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله. فاعرض عنه رسول الله (ص)، وعبس في وجهه، وتولى، وكره كلامه، وأقبل على أولئك الذين كان (ص) قد طمع في إسلامهم، فأنزل الله تعالى:

«عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنعه الذكرى. أمانن استغنى. فأنت له تصدى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى. وما يدريك لعله يزكى... (١)».

وفي رواية: أنه (ص) كره مجيئه، وقال في نفسه: يقول هذا القرشي: إنما اتباعه العميان والسفلة، والعبيد، فعبس (ص) الخ...

وعن الحكم: ما روي رسول الله (ص) بعد هذه الآية متصدياً لغني، ولا معرضاً عن فقير...

وعن ابن زيد: لو أن رسول الله (ص) كتم شيئاً من الوحي، كتم هذا عن نفسه (٢)...

هذا وقد اجمع المفسرون، وأهل الحديث— باستثناء شيعة أهل البيت عليهم السلام— على أصل القضية المشار إليها...

ونحن نرى: أنها قضية مفتعلة، لا يمكن أن تصح. وذلك.

أولاً: لضعف أسانيدها، لأنها تنتهي: إما إلى عائشة؛ وأنس، وابن عباس، من الصحابة، وهؤلاء لم يدرك أحد منهم هذه القضية أصلاً، لأنه إما

(١)— سورة عبس ١—١٠.

(٢)— راجع في هذه الروايات: مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ والميزان عن المجمع وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠ عن الترمذي، وأبي يعلي، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٢٠ عنه، وتفسير الطبري ج ٣٠ ص ٣٤/٣٣، والدر المنثور ج ٦ ص ٣١٤/٣١٥. وأي تفسير قرآن آخر لغير الشيعة... فانك تجد فيه الروايات المختلفة التي تصب في هذا الاتجاه... فراجع الأخير على سبيل المثال.

كان حينها طفلاً، أولم يكن ولد(١).

أولى أبي مالك (٢)، والحكم، وابن زيد، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وهؤلاء جميعاً من التابعين، فالرواية مقطوعة، لا تقوم بها حجة...

وثانياً: تناقض نصوصها (٣) حتى ماورد منها عن راو واحد، فعن عائشة: في رواية: إنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، وفي أخرى عنها: عتبة وشيبة، وفي ثالثة عنها: في مجلس فيه ناس من وجوه قريش، منهم أبوجهل، وعتبة بن ربيعة...

وفي رواية عن ابن عباس: إنه (ص) كان يناجي عتبة، وعمه العباس، وأباهل... وفي التفسير المنسوب الى ابن عباس: إنهم العباس، وأممية بن خلف، وصفوان بن أمية،...

وعن قتادة: أمية بن خلف. وفي أخرى عنه: أبي بن خلف.

وعن مجاهد: صناديد من صناديد قريش، وفي أخرى عنه: عتبة بن ربيعة، وأممية بن خلف...

هذا كله... عدا عن تناقض الروايات مع بعضها البعض في ذلك، وفي نقل ماجرى، وفي نص كلام الرسول (ص)، ونص كلام ابن أم مكتوم... ونحن نكتفي بهذا القدر، ومن أراد المزيد فعليه بالمراجعة والمقارنة...

وثالثاً: إن ظاهر الآيات المدعى نزولها في هذه المناسبة هو أنه كان من عادة هذا الشخص، وطبعه، وسجيته، وخلقه: أن يتصدى للغني، وهم به، ولو كان كافراً، ويتلهى عن الفقير ولا يبالي به أن يتزكى، ولو كان مسلماً... وكلنا يعلم: أن هذا لم يكن من صفات وسجايا نبينا الأكرم

(١) - راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.

(٢) - الظاهر أن المراد به أبا مالك الأشجعي، المشهور بالرواية، وتفسير القرآن، وهو تابعي...

(٣) - راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٩/١٥٨.

صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من طبعه، وخلقه...

كما أن العبوس في وجه الفقير، والاعراض عنه، لم يكن من صفاته (ص) حتى مع اعدائه، فكيف بالمؤمنين من اصحابه وأودائه (١)... وهو الذي وصفه الله تعالى بأنه «بالمؤمنين رؤوف رحيم (٢)».

بل لقد كان من عاداته صلى الله عليه وآله مجالسة الفقراء، والاهتمام بهم، حتى ساء ذلك أهل الشرف والجاه، وشق عليهم. وطالبه الملا من قریش بأن يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، وأشار عليه عمر بطردهم، فنزل قوله تعالى: «ولا تطرد الذين يدعونهم بالغداة والعشي يريدون وجهه (٣)»...

كما أن الله تعالى قد وصف نبيه في سورة القلم التي نزلت قبل هذه السورة بأنه على خلق عظيم... وإذا كان كذلك؛ فكيف يصدر عنه هذا الامر المنافي، والموجب للعتاب واللوم منه تعالى لنبيه (ص)؛ فهل كان الله - والعياذ بالله - جاهلاً بحقيقة أخلاق نبيه؟ أم أنه يعلم بذلك، لكنه قال هذا الحكمة ومصلحة اقتضت ذلك؟ نعوذ بالله من الغواية، عن طريق الحق والهداية...

ورابعاً: إن الله تعالى يقول في الآيات: «وما عليك ألا يزكى»، وهذا لا يناسب أن يخاطب به النبي (ص)، لأنه مبعوث لدعوة الناس وتركيبتهم. وكيف لا يكون ذلك عليه، مع أنه هو مهمته الاولى والأخيرة، ولا شئ غيره. ألم يقل الله تعالى: هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته

(١) - راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨، والميزان ج ٢٠ ص ٢٠٣، وتنزيه الانبياء ص ١١٩ ومجمع البيان ج ١ ص ٤٣٧.

(٢) - سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٣) - راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ١٣/١٢، ويظهر: أن الآية قد نزلت قبل الهجرة إلى الحبشة لوجود ابن مسعود في الرواية... اوحين بلوغهم أمر الهدنة، ورجوعهم إلى مكة... ولكن يبقى أن ذكر عمر في هذا المقام في غير محله، لأنه لم يكن قد أسلم حينئذ لأنه إنما أسلم قبل الهجرة إلى المدينة بيسير، كما سنرى...

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؟ (١) فكيف يغريه بترك الحرص على
إيمان قومه؟ (٢)

خامساً: لقد نزلت آية الانذار: «وأندر عشيرتك الأقربين. واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٣)»... قبل سورة عبس بستتين... فهل نسي
(ص): أنه مأمور بخفض الجناح لمن اتبعه؟ وإذا كان قد نسي، فما الذي يؤمننا
من أن لا يكون قد نسي غير ذلك أيضاً؟، وإذا لم يكن قد نسي، فلماذا يتعمد
أن يعصي هذا الأمر الصريح؟! (٤).

سادساً: لقد ذكر العلامة الطباطبائي: أن الملاك في التفضيل
وعدمه ليس هو الغنى والفقر، وإنما هو الأعمال الصالحة، والسجايا الحسنة،
والفضائل الرفيعة... وهذا حكم عقلي وجاء به الدين الخفيف، فكيف
جازله (ص) أن يخالف ذلك، ويميز الكافر لماله وجاهه على المؤمن؟ أليس هذا
مما يرفضه الدين، ويأباه الوجدان، على أساس أنه قبيح وغير منطقي؟ (٥).

والقول: بأنه إنما فعل ذلك لأنه يرجو اسلامه، وعلى أمل أن يتقوى
به الدين، وهذا أمر حسن، لأنه في طريق الدين، وفي سبيله...

هذا القول يخالف صريح الآيات التي تنص على أن الذم له كان
لأجل أنه يتصدى لذاك الغني لغناه، ويتلهى عن الفقير لفقره...

وأيضاً... فان هذا الوصح، فقد كان اللازم أن يفيض القرآن في
مدحه واطرائه على غيرته لدينه، وتحمسه لرسالته... فلماذا هذا الذم والتقريع
إذن؟! .!

(١) - سورة البقره الآية ١٢٩.

(٢) - تنزيه الانبياء ص ١١٩.

(٣) - الشعراء ٢١٤/٢١٥.

(٤) - الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٣.

(٥) - راجع: الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٤.

المذنب رجل آخر:

وهكذا... فانه يتضح: أن المقصود بالآيات شخص آخر غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومما يؤيد ذلك:

ماروي عن الصادق عليه السلام، أنه قال: كان رسول الله إذا رأى عبدالله ابن أم مكتوم قال: مرحباً، مرحباً، والله لا يعا تبني الله فيك أبداً. وكان يصنع به من اللطف، حتى يكف عن النبي (ص) مما كان يفعل به (١).

وفي هذا تعريض بذلك الرجل الذي ارتكب في حق ابن أم مكتوم تلك المخالفة، ونفي قاطع حتى لا يمكن صدور مثل ذلك عنه صلى الله عليه وآله، بحيث يستحق العتاب والتوبيخ؛ إذ لا معنى لهذا النفي لو كان الله تعالى قد عاتبه فيه فعلاً...

هذا... ولكن الايدي غير الامينة قد حرفت هذه الكلمة؛ فادعت أنه صلى الله عليه وآله كان يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي. فلتراجع كتب التفسير، كالدر المنثور وغيره...
والصحيح هو ماتقدم...

سؤال وجوابه:

ولعلك تقول: إنه إذا كان المقصود بالآيات شخصاً آخر؛ فما معنى قوله تعالى: «فأنت له تصدى» وقوله: «فأنت عنه تلهي» فان ظاهره: أن هذا التصدي والتلهي من قبل من يهمله هذا الدين؛ فيتصدى لهذا، ويتلهي عن ذلك...

(١) - تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٩، وجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧.

فالجواب: إنه ليس في الآيات ما يدل على أن التصدي كان لأجل الدعوة إلى الله أولغيرها... فعمل التصدي كان لأهداف أخرى دنيوية، ككسب الصداقة، أو الجاه، أو نحو ذلك. وقوله تعالى: «لعله يزكى» ليس فيه أنه يزكى على يد المخاطب، بل هو أعم من ذلك؛ فيشمل التزكي على يد غيره ممن هم في المجلس، كالنبي (ص) أو غيره...

ثم... فلنفرض: أنه كان يتصدى لأجل الدعوة، فإن ذلك ليس محصوراً به صلى الله عليه وآله؛ فهم يقولون: إن غيره كان يتصدى لذلك أيضاً، وأسلم البعض على يديه، لو صح ذلك!...

الرواية الصحيحة:

وبعد كل ماتقدم... فإن الظاهر هو أن الرواية الصحيحة، هي ماجاء عن الصادق عليه السلام: أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي صلى الله عليه وآله؛ فجاءه ابن أم مكتوم؛ فلما جاءه تقدر منه، وعبس في وجهه، وجمع نفسه، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك عنه، وانكره عليه (١).

ويلاحظ: أن الخطاب في الآيات لم يوجه أولاً إلى ذلك الرجل؛ بل تكلم الله سبحانه عنه بصورة الحكاية عن الغائب: انه عبس، وتولى، أن جاءه الأعمى... ثم التفت إليه بالخطاب، فقال له مباشرة: وما يدريك...

ويمكن أن يكون الخطاب في الآيات أولاً للنبي (ص)، من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة. والأول أقرب، والطف ذوقاً.

اتهم عثمان:

وبعض الروايات تهم عثمان بهذه القضية، وأنه هو الذي جرى له ذلك

(١) - مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، وتفسير نورالثقلين ج ٥ ص

مع ابن أم مكتوم (١).

ولكننا نحن نشك في هذا الأمر، لأن عثمان قد هاجر إلى الحبشة مع من هاجر— فمن أين جاء عثمان إلى مكة، وجرى منه ماجرى؟!...

إلا أن يقال: إنهم يقولون: إن أكثر من ثلاثين قعدادوا إلى مكة بعد شهرين في هجرتهم كما تقدم، وكان عثمان منهم (٢).

وعلى كل حال... فإن اتهام عثمان... (٣) أو غيره من بني أمية، لأهون بكثير من اتهام النبي المعصوم، الذي لا يمكن أن يصدر منه أمر كهذا على الإطلاق... وإن كان يهون على البعض اتهام النبي صلى الله عليه وآله بها أو غيرها، شريطة أن تبقى ساحة قدس غيره منزهة وبريئة...

أعداء الاسلام وهذه القضية:

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: هو أن بعض المسيحيين الحاقدين قد حاول أن يتخذ من قصة عبس وتولى وسيلة للطعن في قدسية نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (٤)... ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون...

أكاذيب أخرى مشابهة:

وبالمناسبة فقد رووا: أن الاقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، جاءا إلى النبي (ص)، فوجداه قاعداً مع عمار، وصهيب، وبلال وخباب، وغيرهم

(١) — تفسير القمي ج ٢ ص ٤٠٥ وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٧، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٨.

(٢) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣.

(٣) — ونحن نجد في عثمان بعض الصفات التي تنسجم مع مدلول الآية، كما يشهد له قضيته مع عمار حين بناء المسجد في المدينة، حين رد عمار ما ارتجز به علي عليه السلام تعرّضاً بعثمان: لا يستوى من يعمر المساجد يدأب فيها قائماً وقاعداً ومن يرى عن التراب حائداً وستأتي هذه القضية إن شاء الله تعالى...

(٤) — راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.

من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، فخلوا بالنبي (ص)، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك؛ فنستحي أن يرانا العرب قعوداً مع هذه الاعبد؛ فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: نعم.

قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً؛ فدعى بالصحيفة، ودعا علياً ليكتب، فنزل قوله تعالى: «ولا تطرد الذين يدعون رهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه. ما عليك من حسابهم من شيء الخ (١)» فرمى (ص) بالصحيفة ودعاهم وجلس معهم... وصار دأبه هذا: أن يجلس معهم، فإذا أراد أن يقوم قام وتركهم فأنزل الله تعالى: «واصبر نفسك مع الذين يدعون رهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه، ولا تعد عينك عنهم (٢)». فكان يجلس معهم إلى أن يقومواهم عنه وفي بعض الروايات: إنهم يقصدون أباذر وسلمان (٣).

ويرد هذه الاباطيل جميع ماتقدم حين الكلام على قصة ابن ام مكتوم، ولذلك فلاحاجة إلى الاعادة...

وأيضاً... فقد استفاض: أن سورة الانعام قدنزلت دفعة واحدة في مكة (٤)، فما معنى أن تكون هذه الآيات قد نزلت بهذه المناسبة...

والقول بأن نزولها كذلك لاينافي كون هذه الآيات نزلت بهذه المناسبة...

مرفوض لأنها قدنزلت دفعة واحدة قبل الهجرة و بعد اسلام الانصار، لانها نزلت واساء بنت يزيد الانصارية آخذة بزمام ناقة النبي (ص) (٥) والاية قدنزلت في المدينة على الفرض...

(١) - الانعام ٥٢.

(٢) - الكهف ٢٨.

(٣) - حلية الاولياء ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٥، وجمع البيان ج ٤ ص ٣٠٦/٣٠٥. والبداية والنهاية ج ٦ ص ٥٦ وعن كنز العمال ج ١ ص ٢٤٥ وج ٧ ص ٤٦ عن ابن أبي شيبه وابن عساکر. والدر المنثور في تفسير الآيات المشار إليها. عن العديد من المصادر.

(٤) - راجع الميزان ج ٧ ص ١١٠.

(٥) - الدر المنثور ج ٣ ص ٢٢.

على أن قصة عبس وتولى وحدها كافية لأن يرتدع النبي (ص) عن أمر كهذا— ولاسيما إذا كانت تؤنب غيره (ص) ممن هوليس بمعصوم على فعل كهذا...

ونضيف إلى ذلك أيضاً: أن سلمان إنما أسلم في المدينة، كما أن أباذر قدفارق النبي (ص) فوراسلامه، واقام بعسفان على طريق قوافل مكة، كماقدمنا...

والظاهر هو أنهم أصروا على أن يبعدوا الفقراء عنه، حتى توسطوا لأبي طالب في ذلك، وأشار عليه عمر بقبول ذلك كما جاء في بعض الروايات، فجاءت هذه الآيات في ضمن سورة الانعام بمثابة ردعليهم، وتفنيد لرأيهم... وليس في الآيات مايدل على قبوله (ص) بذلك، كما تدعيه الروايات المزعومة آنفاً... ولم نتوسع في بيان وجوه الاختلاف بين الروايات، ونقاط الضعف فيها والرد على هذه المزاعم اعتماداً على ما ذكرناه في قضية ابن ام مكتوم المتقدمة.

قضية اسلام عمر بن الخطاب:

ويقولون: إن عمر بن الخطاب قد اسلم في السادسة من البعثة، بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام؛ حيث خرج متوشحاً سيفه، يريد رسول الله، ورهطاً من أصحابه، وهم قريب من أربعين رجلاً في دارالارقم عندالصفاء، فيهم أبو بكر، وحمزة وعلي وغيرهم ممن لم يخرج إلى الحبشة، فالتقى عمر بنعيم بن عبدالله، فسأله عن أمره، فأخبره: أنه يريد أن يقتل محمداً.

فذكر له نعم: أنه إن قتله لاينجو من بني عبدمناف، وأن صهره وأخته قداسلما، فرجع عمر إليهما، وعندهما خباب بن الأرت يعلمهما سورة طه، فلما سمعوا حسه، اختبا خباب في مخدع، وخبأت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة تحت فخذها...

فدخل عمر، وبعد كلام بطش عمر بختنه، وشج أخته، فأخبرته حينئذ أنها قداسلما؛ فليصنع ما بداله. فندم عمر، وارعوى لما رأى الدم بأخته،

وطلب الصحيفة فلم تعطه اياها حتى حلف بآلته ليردنها إليها، فقالت له: انك نجس على شركك ولا تغتسل من الجنابة، وهذا لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل (أوتوضأ) ثم قرأ من الصحيفة صدراً وكان كاتباً، فاستحسنه، وظهر له خبأ وأخبره: أن النبي (ص) قد دعاه بأن يعز الاسلام به أو بأبي جهل... فطلب منه عمر أن يده له على الرسول ليسلم؛ ففعل، فذهب إليهم، وضرب الباب فنظر رجل منهم من خلل الباب؛ فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى الرسول (ص) فزعاً. فأخبره...

فقال حمزة: فأذن له، فان كان جاء ير يدخيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً، قتلناه بسيفه، فأذن له، ونهض إليه (ص) حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جبذه جبذة شديدة وتهده، فأخبره عمر: أنه جاء ليسلم، فكبر (ص)، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من في المسجد.

ثم طلب عمر من الرسول أن يخرج و يعلن أمره، قال عمر: فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد (أي غبار) ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إلى قريش فأصابتهم كآبه لم تصبهم مثلها. فسماه رسول الله (ص): بـ «الفاروق» يومئذ...

وفي رواية: أن قريشاً اجتمعت وتشاورت فيمن يقتل محمداً، فقال عمر: أناها. فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج متقلداً السيف، فالتقى بسعد بن أبي وقاص، وجرت بينها مشادة، حتى سل كل منها سيفه فأخبره سعد بخبر اخته الخ...

وفي الثالثة: أنهم خرجوا وعمر أمامهم، ينادي: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما سأله قريش عما وراءه تهددهم بأنه إن تحرك منهم أحد ليكن سيفه منه، ثم تقدم أمام رسول الله، يطوف الرسول، ويحميه عمر، ثم صلى (ص) الظهر معلناً...

وفي رابعة: إنه لما أسلم— وكان المسلمون يضر بون— جاء إلى خاله أبي جهل كما عند ابن هشام، وقال ابن الجوزي هو غلط بل خاله العاص بن

هاشم— فأعلمه باسلامه، فأجاف الباب، فذهب إلى آخر من كبراء قریش فكذلك... فقال في نفسه: ما هذا بشيء، الناس يضربون، وأنا لا يضربني أحد؛ فاستدل على أنقل رجل للحديث، فدلوه، فأعلمه باسلامه؛ فنأدى في قریش بذلك، فقاموا إليه يضربونه؛ فأجاره خاله، فانكشف الناس عنه.

ولكنه عاد فرد عليه جواره؛ لأن الناس يضربون ولا يضرب. قال:
فلم يزل يضرب، و يضرب حتى اظهر الله الاسلام...

وفي خامسة: انه ذهب ليطوف، فقال له أبوجهل: زعم فلان أنك صبات؟ فتشهد الشهادتين، فوثب عليه المشركون. فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، وبرك عليه، وجعل يضربه، وجعل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، ففتحى الناس عنه فقام عمر، فجعل لا يدنومه إلا أحدشريف، وجعل حمزة يكشف الناس عنه...

وفي سادسة: إنه كان صاحب خمر في الجاهلية؛ فقصد ليلة المجلس المألوف له، فلم يجد فيه أحداً، فطلب فلاناً الخمار، فكذلك. فذهب ليطوف فوجد محمداً يصلي، فأحب الاستماع إليه، فدخل تحت ثياب الكعبة وسمع، فدخل الاسلام في قلبه، فلما انصرف الرسول (ص) وذهب إلى داره التي يسكنها المعروفة بالرقطاء لحقه في الطريق، واسلم. ثم انصرف إلى بيته...

وفي العمدة: قيل اسلم عمر بعد ثلاثة وثلاثين رجلاً وست نسوة، وقال ابن المسيب بعد أربعين، وعشرين نسوة، وقال عبدالله بن ثعلبة: بعد خمس واربعين واحدى عشرة امرأة. وقيل انه اسلم تمام الاربعين فنزل قوله تعالى: يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (١).

(١) راجع في مجموع ماتقدم: الاوائل للعسكري ج ١ ص ٢٢١/٢٢٢، والثقات لابن حبان ص ٧٢-٧٥ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨-٩٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٦١ عن البزار والطبراني، وتاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩١، وعمدة القارى للعيني ج ٨ ص ٦٨، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٦-٣٧٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٥-٢٩٧ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٣-٣٠، والبدية والنهاية ج ٣ ص ٣١ و ٧٢-٨٠، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٩-٣٣٥، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص

وثمة أوسمة أخرى:

ويقولون: إنه (ص) كان قد دعا قبل اسلام عمر، فقال: اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب... وفي نص آخر: اللهم أيد (أو أعز) الاسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، وكان دعاؤه (ص) يوم الاربعاء، واسلام عمر يوم الخميس.

وعن ابن عمر: انه (ص) قال: اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبها إليه عمر...

وقالوا: إن اسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته نصراً، وإن امارته كانت رحمة... وانه لما اسلم قاتل قريشاً حتى صلى المسلمون عند الكعبة (١).

إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا... وقد استغرب الترمذي هذه الاحاديث رغم تصحيحه لبعضها...

ونحن نشك في صحة كل ماتقدم في كيفية اسلام عمر وفي هذه الاحاديث أيضاً، بل ونطمئن إلى بطلانها من الاساس، ولأجل بيان ذلك نشير إلى النقاط التالية:

١٣٧-١٣٢ ومصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٢٧/٣٢٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٣/١٨٢، واسباب النزول للواحدي وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٦، والاتقان ج ١ ص ١٥، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠. إلى غير ذلك من كتب الحديث والتاريخ...

(١) - راجع هذه الاحاديث وغيرها في: البدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨، وسيرة مغلطي ص ٢٣، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٤٧٠ عن الطبراني، وأحمد، وابن ماجه، والحاكم والبيهقي، والترمذي، والنسائي، عن عمر، وخباب، وابن مسعود، والأوائل ج ١ ص ٢٢١، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩١-١٩٣، وجامع الترمذي ط الهند ج ٤ ص ٣١٥/٣١٤، وتحفة الاحوذى ج ٤ ص ٣١٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٩، والبخاري ط الميمنية ج ص ومصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٢٥، والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٢٧١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٠، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٢ وتاريخ الخميس، وسيرة ابن هشام، وسيرة دحلان، ومسند أحمد، وسيرة المصطفى، والطبراني في الكبير والاوسط، والمشكاة وغير ذلك من كتب الحديث والتاريخ...

١- متى كان اسلام عمر:

تذكر تلك الروايات: أنه قد اسلم بعد اسلام حمزة بن عبدالمطلب (ع) بثلاثة أيام. وكان اسلامه سبباً لخروجه (ص) من دارالارقم، بعد أن تكامل المسلمون أربعين رجلاً أو ما هو قريب من ذلك.

ونحن نشير هنا إلى:

الف: إن الخروج من دارالارقم إنما كان في الثالثة من البعثة، حينما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاعلان بالدعوة... وهم يصرحون بأن اسلام عمر كان في السادسة من البعثة.

باء: إنه يقولون: إنه اسلم بعد الهجرة الى الحبشة، حتى لقد رق لهم لما رأهم يستعدون للرحيل، حتى رجوا إسلامه منذئذ.

جيم: إنه قد اشترك في تعذيب المسلمين، وكان ذلك بعد الخروج من دارالارقم، والاعلان بالدعوة...

بل إننا نستطيع أن نقول باطمينان: إنه لم يسلم في السنة السادسة قطعاً، وذلك:

أولاً: إنهم يقولون: إنه قد اسلم بعد فرض صلاة الظهر، فصلى رسول الله الظهر معلناً تحت حماية عمر كما تقدم. مع أنهم هم أنفسهم يقولون: إن صلاة الظهر قد فرضت حين الاسراء والمعراج الذي كان - عندهم - في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من البعثة... فكلامهم متناقض وقد وجه البعض ذلك، بأن المقصود هو صلاة الغداة اي الصبح (١) ولكنه توجيه لا يصح؛ إذ كيف يؤخر النبي (ص) صلاته عن وقتها بلا عذر ظاهر؟... وإن كنا نحن قد حققنا: أن الاسراء والمعراج قد كان في أول البعثة...

وثانياً: إن عبدالله بن عمر يصرح: أنه حين اسلم أبوه كان له هو من

العمرست سنين (١) و يرى البعض: أن عمره كان خمس سنين (٢).

ويدل على ذلك: أن ابن عمر كان حين اسلام أبيه على سطح البيت، ورأى أن الناس قد هاجوا ضد أبيه، وحصروه في البيت؛ فجاء العاص بن وائل ففرقهم عنه، وقد استفسر ابن عمر أباه حينئذ عن بعض الخصوصيات كما سيأتي.. كما أن ابن عمر يروى: انه حين اسلم أبوه غدا يتبع أثره، وينظر ما يفعل يقول: وأنا غلام أعقل مارأيت (٣) مما يدل على أن ابن عمر كان حين اسلام أبيه مميزاً مدركاً.

وذلك يدل على أن عمر قد اسلم في السنة التاسعة من البعثة— كما ذهب اليه البعض (٤)— لأن ابن عمر ولد في الثالثة من البعثة، وتم عمره على الخمسة عشر سنة في عام الخندق سنة خمس من الهجرة، حيث أجازته (ص) فيها، كما هو مشهور...

بل نقول إنه لم يسلم إلا قبل الهجرة بقليل... ويدل على ذلك.

أولاً: إنه بلغه: أن أخته لا تأكل الميتة (٥).

وواضح: أن تحريم الميتة إنما كان في سورة الانعام، التي نزلت في مكة جملة واحدة، وكانت— كما تقول بعض الروايات— اسماء بنت يزيد الاوسية أخذة بزمام ناقته (ص) (٦).

واسلام الاوس وأهل المدينة إنما كان بعد الهجرة إلى الطائف. ومجيئ نسائهم إلى مكة إنما كان بعد بيعة العقبة الاولى...

(١)— تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٩، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٢.

(٢)— فتح الباري ج ٧ ص ١٣٥.

(٣)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٨١ وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٥ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٣—٣٧٤.

(٤)— السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢، ومروج الذهب ط دارالاندلس بيروت ج ٢ ص ٣٢١.

(٥)— مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.

(٦)— الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبراني، وابن مردويه.

وثانياً: لقد استقرب البعض: أن يكون قد أسلم بعد أربعين، أو خمس وأربعين ممن أسلم بعد الهجرة إلى الحبشة (١) و يؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين رجلاً... وإن كان ابن الجوزي يعد الذين أسلموا قبل عمر، فيذكر أسماء من هاجر إلى الحبشة على الأكثر (٢).

و يؤيد ذلك أيضاً: تلك الروايات التي تصرح بأنه أسلم في السنة السادسة من البعثة، وأنه رق للمهاجرين إلى الحبشة حتى لقد رجوا إسلامه...

و إذا كان كذلك . فلسوف يأتي في حديث المؤاخات التي جرت في المدينة بعد الهجرة بين المهاجرين والانصار: أن المهاجرين كانوا حينئذ خمسة وأربعين رجلاً أو أقل أو أكثر بقليل (٣)... وهذا يدل على أن عمر قد أسلم قبل الهجرة بقليل، ثم هاجر، ولعله لاجل ذلك لم يتعرض للتعذيب في مكة، كما سنشير إليه...

وثالثاً: لقد جاء في الروايات في اسلام عمر: أنه «دنامن رسول الله، وهو يصلي ويجهر بالقراءة، فسمع رسول الله (ص) يقرأ: وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تحطه بيمينك... حتى بلغ: الظالمون... (٤)».

و واضح: أن هاتين الآيتين قد وردتا في سورة العنكبوت، وهي إما آخر ما نزل في مكة، او هي السورة قبل الأخيرة (٥)...

ورابعاً: لقد روى البخاري في صحيحه، بسنده عن نافع قال: إن

(١) - الثقات لابن حبان ج ١ ص ٧٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٠ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨.

(٢) - تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٨/٢٩.

(٣) - وإن كان ابن هشام قد عد نحو سبعين ممن هاجر إلى المدينة... ولكن ذلك لا يمكن الاعتماد عليه بعد النص على عدد من آخى رسول الله (ص) بينهم من قبل غير واحد، كما سيأتي... ولا يعقل أن يترك أحداً من أصحابه لا يؤاخي بينه وبين آخر من اخوانه...

(٤) - المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٢٦. وراجع مصادر روايات اسلام عمر المتقدمة...

(٥) - الاتقان ج ١ ص ١١/١٠.

الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر... ثم حاول نافع أن يوجه هذا بأن ابن عمر بايع تحت الشجرة قبل أبيه، ثم قال: فهي التي يتحدث الناس: أن ابن عمر اسلم قبل عمر (١).

ولكننا نقول لنافع: ألم يكن الناس يعرفون اللغة العربية؟! فلم لم يقولوا: إنه بايع قبل أبيه، وقالوا: أسلم قبل أبيه؟!... ثم ألم يكن أحد منهم يعرف أن هذا الكلام لا يدل على ذلك ولا يشير إليه، فكيف يصح أن يكون هو المقصود منه...

ونحن نعتقد أن ما يقوله الناس في ذلك الزمان هو الصحيح الظاهر، أي أن ابن عمر قد اسلم وهو ابن عشر سنين قبل الهجرة ببسيرة، ثم اسلم أبوه وهاجر...

٢- من سمي عمر بالفاروق؟!

وقد ذكرت تلك الروايات: أن النبي صلى الله عليه وآله قد سمي عمر بالفاروق حين أسلم...

ولكننا نحن نشك في ذلك جداً، إذا أننا نرى الزهري يقول:

«بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: «الفاروق». وكان المسلمون يأترون ذلك من قوهم. ولم يبلغنا: أن رسول الله (ص) ذكر من ذلك شيئاً (٢)».

٣- هل كان عمر قارئاً؟!

وتذكر الروايات: أن عمر بن الخطاب كان قارئاً، وأنه قد قرأ الصحيفة بنفسه.

(١) - صحيح البخاري ط مشكول ج ٥ ص ١٦٣.

(٢) - تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٠، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، والبدية والنهاية ج ٧ ص ١٣٣، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٦٧ حوادث سنة ٢٣. وذيل المذيل ج ٨ من تاريخ الطبري.

ونحن نشك في ذلك أيضاً: لأننا نعتقد أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولا سيما في بادئ أمره، إلا أن يكون قد تعلمها بعد ذلك في أواخر أيام حياته، وذلك لأمرين.

احدهما: إننا نجد البعض يصرح بأن خباب بن الارت هو الذي قرأه الصحيفة (١).

الثاني: لقد روى الحافظ عبدالرزاق، بسند صحيح حسباً يقولون: هذه الرواية نفسها، ولكنه قال فيها: «فالتمس الكتف في البيت حتى وجدها، فقال حين وجدها: أما إني قد حدثت: انك لا تأكلين طعامي الذي آكل منه، ثم ضربها بالكتف فشجها شجتين. ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئاً؛ فقرأ عليه. وكان عمر لا يكتب. فلما قرئت عليه تحرك قلبه حين سمع القرآن الخ...» (٢).

و يؤيد ذلك ما عن عياض بن أبي موسى: أن عمر بن الخطاب قال لابي موسى: أذع لى كاتبك ليقراً لنا صحفاً جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: أبه جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني؛ فرفع عمر يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها إلخ (٣)...

ولربما يمكن أن يعتذر عن ذلك بأن الخليفة ربما لم يكن يباشر القراءة لمركزه مع معرفته بها... أو أن الرسائل كانت بغير العربية... ولكن الظاهر هو أن هذه الاعراف والتقيدات قد حدثت في وقت متأخر... كما أن بلاد الشام كانت ولا تزال عربية اللغة، فن البعيد أن يكتبوا بغير العربية...

ويمكن أن يؤيد ذلك أيضاً: بأن عمر لم يكن ذا ذهنية علمية، وذلك

(١) - تاريخ ابن خلدون ج ٢ قسم ٢ ص ٩.

(٢) - مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.

(٣) - عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٤٣.

بدلیل: أنه بقی اثنتی عشرة سنة حتى تعلم سورة البقرة، فلما حفظها نحر جزوراً (١).

بل لقد ورد أنه لما طلب من حفصة أن تسأل له النبي (ص) عن الكلاله، فسألته عنها؛ فاملأها عليها في كتب ثم قال رسول الله (ص): «عمر أمرك بهذا ما أظنه أن يفهمها» (٢).

بل لقد واجهه النبي (ص) نفسه بذلك كما رواه كثيرون (٣).

نعم... يمكن أن يكون عمر قد عاد فتعلم القراءة. والكتابة بمشاق ومتاعب جمة، كما يمكن أن يستدل على ذلك بأنه كما روى البخاري كان يقول: إنه لولا أن يقال: إن عمر قد زاد في كتاب الله لكتب آية الرجم بيده؟!...

ملاحظة: وإذا ثبت العدم، أو شك في كونه كان حينئذ يقرأ ويكتب، فن الطبيعي أن يتطرق الشك إلى قولهم إنه كان من كتاب الوحي، فلعل ذلك كان من بعض من عز عليهم أن يحرم عمر من هذا الشرف بنظرهم... كما أننا قد رأينا عمر بن الخطاب يضرب فخذ أبي موسى لاتخاذ كاتبا نصرانياً... مع أنهم يقولون: إنه هو نفسه كان له مملوك نصراني لم يسلم، وكان يعرض عليه الاسلام فيأبى، حتى حضرته الوفاة فأعتقه (٤).

٤— هل عز الاسلام بعمر حقاً؟!!

وتذكر الروايات: أن الاسلام قد عز بعمر، وأنه (ص) قد دعا الله أن

(١) — سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٦٥، والدر المنثور ج ١ ص ٢١، عن الخطيب في رواة مالك، والبيهقي في شعب الايمان، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٦٦، والغدير ج ٦ ص ١٩٦ عنهم وعن تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٤.

(٢) — المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ١٠ ص ٣٠٥.

(٣) — راجع الغدير ج ٦ ص ١١٦ عن غير واحد. وراجع ١٢٨.

(٤) — حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٤، عن كنز العمال ج ٥ ص ٥٠ عن ابن سعد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم...

يعز الاسلام به الخ... ونحن نشك في صحة ذلك بل نجزم بعدم صحته، وذلك للامور التالية:

الف: إن الاسلام إذالم يعزبأبي طالب شيخ الأبطح، وحمزة أسدالله وأسد رسوله، الذي فعل برأس الشرك أبي جهل مافعل، وبسائر بني هاشم أصحاب العز والشرف والنجدة، فلايمكن أن يعزبعمر الذي كان عسيفاً (أي مملوكاً مستهانابه (١)) مع الوليدبن المغيرة إلى الشام (٢). عمر... الذي لم يكن في قبيلته سيد أصلاً (٣)... عمر... الذي لم تؤثر عنه في طول حياته مع النبي صلى الله عليه وآله أية مواقف شجاعة، وحاسمة، بل لم نجد له أية مبارزة، أو أي عمل جريئ في أي من غزواته، رغم كثرتها وتعددتها...

بل لقد رأيناها يفر في غير موضع، كأحد، وحنين، وخيبر حسبما صرح به الجهم الغفير من أهل السير، ورواة الأثر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى...

ومن الطريف هنا ما رواه الزمخشري، من أن انس بن مدركة اغار على سرح قريش في الجاهلية؛ فذهب به، فقال له عمر في خلافته: لقد اتبعناك تلك الليلة؛ فلو أدركناك؟. فقال: لو أدركتني لم تكن للناس خليفة (٤).

نعم... لا يمكن أن يعز الاسلام بعمر، الذي لم يكن له عز في نفسه، ولا بعشيرته، ولا شجاعة يخاف منها...

باء: إننا إذا تتبعنا مراحل سير الدعوة الاسلامية قبل اسلام عمر وبعده، فاننا لانجد أي تحول نحو الافضل بعد اسلامه، بل رأينا: أن عكس ذلك هو الصحيح، فن حصر المشركين للنبي (ص) والهاشميين في الشعب، حتى كادوا يهلكون جوعاً، وحتى كادوا يأكلون ورق السمرة، واطفالهم يتضاغون

(١) - راجع: أقرب الموارد، مادة: «عسف».

(٢) - المنمق، لابن حبيب ط الهند ص ١٤٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٣.

(٣) - المنمق ص ١٤٧.

(٤) - ربيع الابراج ١ ص ٧٠٧.

جوعاً... إلى تأمرهم على حياة النبي (ص)... وبعد وفاة أبي طالب لم يستطع (ص) دخول مكة بعد عودته من الطائف إلا بعد مصاعب حمة، لم نجد عمر ممن ساعد على حلها... ثم هناك الاذايا الكثيرة التي كان أبوطب يوجهها نحو النبي (ص) باستمرار...

جيم: لقد روى البخاري في صحيحه، وغيره: عن عبد الله بن عمر قال: بينما عمر في الدار خائفاً، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي... إلى أن قال: فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت. قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمنت... ثم ذكر إرجاع العاص الناس عنه... وأضاف الذهبي قول عمر: فعجبت من عزه (١).

فن يتهده الناس بالقتل، ويخاف، ويختبئ في داره، فانه لا يكون عزيزاً ولا يعز الاسلام به... نعم... لقد ارتفع هو نفسه بالاسلام، وصار له شخصية وشأن، كما سنرى.

هذا كله... عداعن الروايات القائلة: إن أبا جهل هو الذي أجار

عمر...

وعلى هذا... فقد كان الأجدر: أن يدعو النبي (ص) بأن يعز الاسلام بمن يجير عمر، والذي يعجب الناس من عزه، لابعمر الخائف، والمختبئ في بيته...

دال: والغريب هنا: ان احد الرجلين الذين دعاها النبي صلى الله عليه وآله، يضربه حمة رضوان الله تعالى عليه بقوسه امام الملائم من قومه، فيشجعه شجة منكورة، ولا يجرو على الكلام، ثم يقتل في بدر في اول وقعة بين المسلمين والمشركين. والرجل الآخر يكون على خلاف توقعات النبي صلى الله عليه وآله

(٢) - راجع: صحيح البخاري ج ٥ ص ٦١/٦٠ ط مشكول، فيه روايتان بهذا المعنى، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٤، ونسب قریش لمصعب الزبيرى ص ٤٠٩، وتاريخ عمر لابن الجوزي ص ٢٦، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٢، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٥، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٤، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢.

وآله، ولا يستجيب الله دعاءه فيه، حيث لم يعز الاسلام به، كما رأينا... مع ان النبي (ص) يقول: «ما سألت - ربي - الله - شيئاً إلا اعطانيه (١)» بل لقد كانت النتيجة عكسية، حيث يذكر عبدالرزاق: (انه لما جهر عمر باسلامه اشتد ذلك على المشركين فعذبوا من المسلمين نفرأراجع: المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٨).

هاء: لآباس بالمقارنة بين نعيم بن عبدالله النحام العدوي... وبين عمر بن الخطاب العدوي؛ فقد اسلم قبل عمر، وكان يكرم اسلامه، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، لانه كان ينفق على ارامل بني عدي وياتمهم...

فقالوا: «أقم عندنا على اي دين شئت، فوالله لا يتعرض اليك احد الاذهبت انفسنا جميعاً دونك (٢)»، ويقول عروة عن بيت نعيم هذا: «ما اقدم على هذا البيت احد من بني عدي» (٣)، اي لشرفه.

اما عمر، فان رسول الله اراد في الحديبية أن يرسله الى مكة؛ ليلغ عنه رسالة الى اشراف قريش، تتعلق بالامر الذي جاء له؛ فرفض ذلك، وقال: «انني اخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي احد يمنعني»، ثم اشار على النبي (ص) بان يرسل عثمان بن عفان (٤)...

واو: لقد خطب ابن عمر بنت نعيم النحام، فردّه نعيم، وقال: «لا داع لحمي تراباً»، وزوجها النعمان بن عدي بن نضلة (٥).

(١) - راجع: ترجمة الامام علي بن ابي طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وهامشها و ٢٧٨ و فرائد السمطين باب ٤٣ حديث ١٧٢ وكز العمال ج ١٥ ص ١٥٠ ط ٢ عن ابن جرير، وصححه، وابن ابي عاصم، والطبراني في الاوسط. وابن شاهين في السنة، وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) - اسد الغابة ج ٢ ص ٣٣ وراجع: نسب قريش لمصعب ص ٣٨٠.

(٣) - نسب قريش لمصعب ص ٣٨١.

(٤) - راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٧ عن ابن اسحاق، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٩٧/٣٩٨ عن كنز العمال ج ١ ص ٨٤ و ٥٦ و ٥٥ ص ٢٨٨ عن ابن ابي شيبه، والرويانبي، وابن عساكر، وابي يعلى، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٦١ وسنن البيهقي ج ٩ ص ٢٢١.

(٥) - نسب قريش لمصعب ص ٣٨٠.

زاي: وفي زيارته للشام حين خلع عمر خفيه، ووضعها على عاتقه، واخذ بزمام ناقته، وخاض المخاضة اعترض عليه ابو عبدة، فاجابه عمر بقوله: «انا كنا اذل قوم؛ فاعزنا الله بالاسلام، فهما نطلب العز بغير ما اعزنا الله به اذلنا الله (١)»، وفي نص آخر عنه: «انا قوم اعزنا الله بالاسلام، فلن نبتغي العز بغيره (٢)».

حاء: وقال ابوسفیان للعباس في فتح مكة، حينما كان يستعرض الأولوية؛ فرأى عمر، وله زجل: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟ قال: عمر بن الخطاب. قال: لقد أمر أمرُ بنبي عدي بعد— والله— قلةً وذلةً. فقال العباس: يا أبا سفيان، ان الله يرفع من يشاء بما يشاء، وان عمر ممن رفعه الاسلام (٣)».

٥- غسل عمر لمس الصحيفة:

و يبقى أنهم يقولون: كيف طلبت اخته منه: ان يغتسل، مع أن غسل المشرك لا يجدي في جواز مسه للقرآن؛ فان المانع هو شركه، لاحتثه؛ ولذلك قالت له: «انك نجس على شركك، وانه لا يمسه الا المطهرون (٤)».

واما غسل الجنابة... فانهم يقولون: ان اهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة (٥)؛ فكيف تقول له اخته: انك لا تغتسل من الجنابة... الا ان يكون هو نفسه لم يكن يلتزم بما كان يلتزم به قومه في الجاهلية...

(١)— مستدرك الحاكم ج ١ ص ٦١. وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصححه على شرط الشيخين.

(٢)— مستدرك الحاكم ج ١ ص ٦٢.

(٣)— مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١، وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥، عن ابن عساكر، عن الواقدي.

(٤)— الثقات ج ١ ص ٧٤، وراجع مصادر الرواية المتقدمة.

(٥)— السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٩ عن الدميري، والسهيلي وذكر الدميري: انه بقية من دين ابراهيم واسماعيل.

قال: وفي كلام بعضهم: كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة، ويفسلون موتاهم، ويكفنونهم، ويصلون عليهم الخ...

ومما يدل على انهم كانوا يقتسلون من الجنابة، ان اباسفيان قدحلف بعد رجوعه من بدر مهزوماً: ان لايمس راسه ماء من جنابة، حتى يغزو محمداً، وكانت غزوة السويق لاجل ان يكفر عن يمينه، كما سنرى...

٦- نزول آية في اسلام عمر:

و يذكر ان آية: «يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين»، قد نزلت في هذه المناسبة حيث اسلم عمر رابع اربعين...

ولكن يعارض ذلك ماروي عن الكلبي من ان الآية قد نزلت في المدينة في غزوة بدر (١)، وعن الواقدي: انها نزلت في بني قريظة والنضير (٢). وايضاً فان الآية في سورة الانفال، وهي مدينة لامكية

يضاف الى ذلك أن الآية مسبوقة بآيات القتال ولم يشرع القتال الا في المدينة، فانها تنسجم مع تلك الآيات تمام الانسجام، فراجعها وتأمل فيها، وهي ايضاً تناسب المدينة، حيث قويت شوكة الاسلام، وعز المؤمنون.

ملاحظات اخيرة:

واخيراً... فاننا نذكر:

١- ان الذي يلاحظ روايات اسلام عمر، يرى: انها متناقضة تناقضاً كلياً فيما بينها.

٢- ان بعض الروايات تذكر: ان عمر قدالتقى بنعيم النحام، وجرى. بينها كلام؛ فاخبره باسلام اخته، وزوجها، واغراه بها...

ويرد سؤال: انه اذا كان نعيم قد اسلم قبل عمر سراً، فلماذا يغري عمر باخته المسلمة وصهره... واذا كان يخاف منه على النبي، وعنده امثال

(١)- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٧.

(٢)- التبيان للطوسي ج ٥ ص ١٥٢.

حمزة وعلي الى تمام الاربعين رجلاً؛ فلماذا لا يخاف على هذين المسلمين، وليس لهما ناصر، ولا عندهما احد؟!...

٣- وأما إنهم إنما صلوا ظاهرين حين اسلم عمر؛ فلا ادري ما اقول فيه، وهم يقولون: ان اول من صلى ظاهراً هو ابن مسعود، ويقولون مثل ذلك عن غيره ايضاً...

خاتمة المطاف:

وبعد كل ماتقدم... فان المراجع لروايات إسلام عمر لا يصعب عليه: ان يكتشف بسرعة: أن ثمة محاولات للتغطية على قضية اسلام حمزة، الذي عزبه الاسلام حقاً، وسرّ به رسول الله (ص) سروراً كثيراً... ولهذا يلاحظ: انهم يقرنون عمر بحمزة كثيراً في تلك الروايات، ويحاولون اعطاء هما المواقف مناصفة، مع تخصيص عمر بحصة الأسد فيها...

كما انهم يحاولون اعطاء فضيلة ردّ الجوار التي لعثمان بن مظعون إلى عمر... بل اننا نجد في بعض الروايات: ان اهل الكتاب في الشام قد بشروه بما سوف يؤول اليه امره في مستقبل هذا الدين الجديد، كما بشروا بأب بكر في اليمن، وكما بشروا النبي (ص) نفسه...

كما وانهم قد وجدوا في عمر العلامات التي تدعم مدعاهم، كما وجدوا هافي ابي بكر من قبل؟!...

ثم كان اسلام عمر، وكانت كل الجهود موقوفة على صنع الفضائل والكرامات له!! فتبارك الله أحسن الخالقين!!

ولقد قال ابن عرفة: إن اكثر فضائل الصحابة قد افتعلت في عهد بني أمية، إرغاماً لانوف بني هاشم... كما أن معاوية قد أمر الناس بوضع الحديث في الخلفاء الثلاثة كما سيأتي بيانه إن شاء الله...

وحسبنا ما ذكرناه هنا؛ فان فيه مقنع وكفاية لكل من أراد الرشده

والهداية...

الفصل الرابع

في شعب أبي طالب

المقاطعة:

و«لمارات قر يش عزة النبي (ص) بمن معه، وعزة أصحابه في الحبشة، وفشو الاسلام في القبائل (١)».

وأن جميع جهودها في محاربة الاسلام قد باءت بالفشل... حاولت، أن تقوم بتجربة جديدة، وهي الحصار الاقتصادي والاجتماعي، ضد الهاشميين، وأبي طالب؛ فاما أن يرضخوا المطالبها في تسليم محمد لها للقتل... واما ان يتراجع محمد (ص) نفسه عن دعوته، وإما أن يموتوا جوعاً وذكاً، مع عدم مسؤولية محددة على أحد، تجر عليهم حرباً أهلية، ربما لا يمكن لأحد التكهن بنتائجها، وعواقبها السيئة.

فكتبوا صحيفة تعاقد و افيها على عدم التزوج و التزويج لبني هاشم، و بنى المطلب، وأن لا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، وأن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليقتلوه.

ووقع على هذه الصحيفة أربعون رجلاً من وجوه قر يش، وختموها بخواتيمهم، وعلقت الوثيقة في الكعبة مدة (و يقال: إنهم خافوا عليها السرقة؛

(١) - سيرة مغطاي ص ٢٣، وراجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٧، عن المواهب اللدنية.

فنقلوها إلى بيت أم أبي جهل (١)..

وكان ذلك في سنة سبع على أشهر الروايات... وقيل ست...

ودخل بنوهاشم الشعب - شعب أبي طالب - ومعهم بنوالمطلب بن عبدمناف، باستثناء أبي هب لعنه الله وأخزاه (٢)... واستمروا فيه إلى السنة العاشرة...

ووضعت قر يش عليهم الرقباء حتى لا يأتهم أحد بالطعام.

وكانوا ينفقون من أموال خديجة، وأبي طالب، حتى نفدت، حتى لقد اضطروا إلى أن يقتاتوا بورك الشجر. وكان صبيتهم يتضاغون جوعاً، ويسمعهم المشركون من وراء الشعب، ويتذاكرون ذلك فيما بينهم، فبعضهم يفرح، وبعضهم يتذم من ذلك... ويقولون: إنه ربما وجد فيهم من يتعاطف مع المسلمين، وكان هذا يصدر غالباً ممن يتصل بهم نسباً، كأبي العاص بن الربيع، وحكيم بن حزام [وان كنا نحن نشك في ذلك كما سيأتي ان شاء الله تعالى]

ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشتركون حينئذ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جداً، حيث إن المشركين كانوا يلتقون بكل من يقدم مكة أولاً، ويطمعونه بمبالغ خيالية ثمناً لسلعته، شرط أن الايبيعها للمسلمين. وكان أبوهب هورائدهم في ذلك؛ فكان يوصي التجار بالمغالات عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئاً، ويضمن لهم، ويعوضهم من ماله كل زيادة تبذل لهم... بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئاً بنهب أمواله، ويحذرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم... والخلاصة: أن قر يشاً قد قطعت عنهم الاسواق، فلا يتركون لهم طعاماً يقدم

(١) - هكذا جاء في بعض الروايات في البحار ج ١٩ ص ١٦ عن الخرائج والجرائح... ولا يهنا تحقيق هذا الأمر كثيراً..

(٢) - وقيل: إن أبا سفيان بن الحارث أيضاً لم يدخل الشعب معهم، ولكنه قول نادر. والاكث على الاقتصار على أبي هب لعنه الله... ولسنا هنا في صدد تحقيق ذلك..

مكة، ولا يبعاً إلا بادروهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص) (١).

وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً... وكان علي أمير المؤمنين عليه السلام اثناءها يأتيهم بالطعام سراً من مكة، من حيث يمكن، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه كما يقول الاسكافي وغيره (٢).

وكان أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كثيراً ما يخاف على النبي (ص) البيات؛ فاذا أخذ الناس مضاجعهم، واضطجع النبي (ص) على فراشه، حتى يرى ذلك جميع من في شعب أبي طالب، فاذا نام الناس جاء واقامه، وأضحج ابنه علياً مكانه (٣).

وثمة ابيات شعر له مخاطباً بها ولده علياً بهذه المناسبة، فلتراجع في مصادرها.

أموال خديجة (رض)، وسيف علي (ع):

إن من المعروف: أن الاسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين عليه السلام، واموال خديجة رحمها الله تعالى... فامعنى هذا الكلام، وما الذي يرمي إليه؟!... فهل معنى ذلك: أن خديجة كانت ترشو الناس من أجل أن يسلموا؟ وهل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل في التاريخ؟!...

ولعلك تقول: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يتألف كثيرين على الاسلام، فيعطيهام الأموال ترغيباً لهم في ذلك... وقضية غنائم حنين الآتية— إن شاء الله أوضح دليل على ذلك، ولا يجهل أحد سهم المؤلفه قلوبهم في الاسلام.

(١) — البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤.

(٢) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦.

(٣) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦ و ج ١٤ ص ٦٤، الغدير ج ٧ ص ٣٥٧/٣٥٨ عن كتاب الحجة لابن معد. وذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤ من دون تصريح بالاسم. وتيسير المطالب ص ٤٩.

والجواب: أن هذا الذي ذكر ليس معناه: أنهم كانوا يأخذون الرشوة على الاسلام، وإنما يريد الاسلام لهؤلاء أن يعيشوا في الاجواء الاسلامية، ويتفاعلوا معها، وينظرواها نظرة سليمة، ومن دون وجود أية حواجز نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية، فكان هذا المال المعطى لهم يساعد على التغلب على تلك الحواجز الوهمية في أكثرها، ويجعلهم يعيشون في الاجواء والمناخات الاسلامية، ويتعرفوا على خصائص الاسلام وأهدافه... ولتحصل لهم من ثم القناعات الوجدانية والفكرية بأحقية الاسلام، وسمو أهدافه...

كما أن من هؤلاء من يرى: أن هذا الاسلام قد حرمه من المال و الثروة والامتيازات التي يجبها... واذن... فلماذا لا يدبر في الخفاء ما يريح هذا الكابوس الخانق، والمضرم مصالحه... فإذا أعطي المال، وأفهم أن الاسلام ليس عدواً للمال: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق»؛ فإنه يمكن اقناعه حينئذ بأن هدف الاسلام ليس إلا التركيز على انسانية الانسان، واعتبارها المقياس الحقيقي له، لا المال، ولا القوة، ولا الجمال، ولا الجاه، ولا غير ذلك... وأنه يهدف إلى تنظيم حياة هذا الانسان في هذا الخط، ليكون سعيداً في الدنيا والآخرة على حد سواء...

واما اموال خديجة؛ فلم تكن تعطى كرشوة على الاسلام، ولا كانت تنفق على المؤلفة قلوبهم... وإنما كانت تسد رمق ذلك المسلم، الذي يعاني اعظم المشاق والآلام، في سبيل اسلامه وعقيدته، هذا المسلم الذي لم تتورع قريش عن محاربتة بكل ماتملكه من اسلحة لانسانية ولا اخلاقية، حتى بالفقر والجوع... فكانت تلك الاموال تسد رمق من يتعرض للاخطار الكبيرة، وتخدم الاسلام عن هذا الطريق... وهذا معنى قولهم: ان الاسلام قام باموال خديجة...

وملاحظة لابدمنها، وهي ان اموال خديجة التي انفقت في المقاطعة، كانت في غالبها من الاموال التي يمكن الانتفاع بها في سدرمق الجائع، وكسوة المعاري، واما ماسواها؛ فلربما لم تتعرض لذلك؛ بسبب عدم القدرة على البيع والشراء في غالب الأحيان.

هذا... ولا بد ان نشير اخيراً، الى أن مكة مهما عظمت الثروة فيها، فانها لا تخرج عن كونها محدودة الامكانيات، تبعاً لموقعها، وحجمها؛ حيث انها لم تكن مدينة كبيرة جداً، بل كانت بلداً كبيراً بالنسبة الى القرية، ولذا جاء التعبير عنها في القرآن بـ «ام القرى»، وثروة في بلد كهذا تبقى دائماً محدودة، تبعاً لمحدوديته، وقدراته، وامكانياته...

حكيم بن حزام، وعواطفه تجاه المسلمين:

قد تقدم انهم يذكرون حكيم بن حزام في جملة من كان يرسل الطعام سراً الى المسلمين في شعب أبي طالب روى ذلك ابن اسحاق وغيره. (١)
ولكننا بدورنا نشك في ذلك؛ فان حكيم بن حزام كان يحتكر الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

ومن كانت له نفسية كهذه، فانه يصعب عليه جود كهذا، وخصوصاً إذا كان معه تعريض نفسه لأخطار العدا مع قريش... إلا أن يكون يمارس ذلك بروحه الاحتكارية التجارية؛ فيبيع المسلمين الطعام باغلى الاثمان... فيعرض نفسه لهذه الاخطار جأباً بالمال...

ويكون حبه للمال، و تفانيه في سبيله هو الذي يسهل عليه كل عسير، و يذلل له ركوب كل صعب و خطير...

أضف إلى ذلك كله... أنه سوف يأتي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قدرته هديته وهدية غيره— لأنها هدية من مشرك— في مناسبات كثيرة؛ فلا يعقل: أن يقبلها الآن، ويردّها بعد ذلك... والا لا اعتراضوا عليه بقبوله لها قبل الآن...

ومن ذلك كله يظهر أيضاً: أنه لا يمكن الاطمينان، ولا قبول قوهم إن أبا العاص بن الربيع كان يفعل مثل ذلك آنئذ...

ونحن لانستبعد أن يكون للزبيرين يد في تسجيل هذه الفضيلة لحكيم بن حزام، ولاسيا وأنه كان ممن تلكاً عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عثمانياً متصلباً (١)... وقد أشرنا إلى ذلك حين الكلام على ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة، وحين الكلام على افتعال الاكاذيب في موضوع الوحي وكيفاته.

انشقاق القمر:

وفي السنة الثامنة من البعثة وقد كان المسلمون محصورين حينئذ في الشعب— شعب أبي طالب— كانت قضية انشقاق القمر (٢)...

وقد جاء في الروايات الكثيرة: أن قريشاً قد سألوا رسول الله (ص) أن يرهم آية، فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم؛ فقالوا: هذا سحر مستمر، فأنزل الله تعالى: اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر.

وفي رواية: أنهم قالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار؛ فان محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، ف جاء السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم رأينا، فأنزل الله: اقتربت الساعة وانشق القمر (٣).

ونقل عن السيد الشريف في شرح المواقف، وعن ابن السبكي في شرح المختصر: أن الحديث متواتر لا يمتري في تواتره عند أهل السنة (٤).

وأما عند غيرهم، فيقول العلامة البحاث السيد الطباطبائي ايده الله: «ورد انشقاق القمر لرسول (ص) في روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم

(١) قاموس الرجال ج ٣ ص ٣٨٧.

(٢) — تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٢ و ٦٤.

(٣) — الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٣ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في

دلائلها، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

(٤) — تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠.

السلام كثيراً، وقد تسلمه محمد ثوهم، والعلماء من غير توقف (١)» ولكن على أي حال... لا يمكن أن تعتبر هذه المسألة من ضرورات الدين كما اشار إليه بعض الاعلام (٢).

شبهة... وحلها:

ويقول العلامة الطباطبائي: «واعترض عليها: بأن صدور المعجزة منه (ص) باقتراح من الناس، ينافي قوله تعالى: ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتيناثمود الناقة مبصرة فظلموا بها، ومانرسل بالآيات إلتخويفاً... أسرى ٥٩.

ففا هذه الآية، إما أنا لانرسل بالآيات إلى هذه الأمة أصلاً، لأن الأمم السابقة كذبوا بها، وهؤلاء، يماثلونهم في طبايعهم؛ فيكذبون بها، ولافائدة في الارسال مع عدم ترتب أثرعليه. أوالمفاد؛ أنا لانرسل بها، لانا أرسلنا إلى أوليهم، فكذبوا بها؛ فعذبوا بها، واهلكوا. ولوأرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، وعذبوا عذاب الاستئصال، لكننا لانريد أن نعاجلهم بالعذاب. وعلى أي حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمة، كما كانت ترسل إلى الامم الدارجة.

نعم... هذا في الآيات المرسله باقتراح الناس، دون الآيات التي تؤيد بها الرسالة، كالقرآن المؤيد لرسالة النبي (ص)، وكآيتي العصا، واليد لموسى (ع)، وآية احياء الموتى وغيرهاالعيسى (ع)، وكذا الآيات النازلة لطفاً منه سبحانه، كالخوارق الصادرة عن النبي (ص)، لاعن اقتراح منهم الخ...»

ثم أجاب أيده الله بما ملخصه: إن تكذيبهم بآية انشقاق القمر كان يستدعي العذاب، لأنها آية اقتراحية منهم، وما كان الله ليهلك جميع من أرسل إليهم، وهم أهل الارض جميعاً، لعدم اتمام الحجة عليهم، لأن هذه الآية كانت قبل الهجرة بخمس سنين.

(١) — تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦١ راجع باب المعجزات السماوية في البحار، ج ١٧

ص ٣٤٨-٣٥٩.

(٢) — راجع: همه بايد بدانند (فارسي) ص ٧٥.

وما كان الله ليهلك جميع أهل مكة ومن حولها، لأن فيهم جمعاً كبيراً من المسلمين، قال تعالى: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم، فتصيبكم منهم معرفة بغير علم، ليدخل الله في رحمته من يشاء، لوتزيلوا لعذبتنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً(١)».

كما أنه إذا كان الرسول (ص) بينهم فإنه لا يعذبهم. قال تعالى: «وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم(٢)» وما كان الله لينجي المؤمنين، ويهلك الكفار بعد أن آمن جمع كثير منهم فيما بين سنة ثمان من البعثة، وثمان من الهجرة، ثم أسلم عامتهم يوم الفتح. والاسلام يكتفى فيه بظاهره.

وأيضاً... فإن عامة أهل مكة ومن حولها لم يكونوا أهل جحود و عناد، وإنما كان ذلك في عظمائهم وصناديدهم، الذين كانوا يستهزؤن به (ص) ويعذبون المؤمنين.

والآيات التي تبين أنهم لكونهم يصدون على المسجد الحرام، ولكونهم يستفزون (ص) من الأرض ليخرجه منها... سوف ينشأ عنه أنهم لا يلبثون خلفه إلا قليلاً، وليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون(٣) — هذه الآيات — قد تحقق مضمونها بما أصابهم يوم بدر من القتل الذريع...

فقوله تعالى: «و ما منعنا أن نرسل بالآيات» إلخ،... إنما يفيد الامسك عن إرسال الآيات مادام النبي (ص) فيهم، وأما إرسالها وتأخير العذاب إلى حين خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه...

وقوله تعالى: «وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً — إلى أن قال — قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً»(٤). لا يدل على نفي تأييد النبي (ص) بالآيات المعجزة، وانكار نزولها من الأساس... والا...

(١) — الفتح ٢٥.

(٢) — الانفال ٣٣.

(٣) — راجع الاسراء ٧٦ والانفال ٣٥.

(٤) — الاسراء ٩٣.

في شعب أبي طالب ١١٥
فان جميع الانبياء كانوا بشراً... ومعنى الآية: أنه من حيث هو بشر فانه لا يقدر
على ذلك... وانما الأمر الى الله تعالى فهو الذي يأتي بالآيات في الحقيقة... (١)

و يقول البعض: إن آية: «وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً» لعلها ناظرة
إلى أن دعوة النبي (ص) ليست معتمدة على الآيات التي هي من قبيل ناقة
ثمود وآيات موسى (ع)، بل هي تعتمد بالدرجة الأولى على الاقناع، واقامة
الحجة العقلية كدعوة ابراهيم عليه السلام... و ذلك لا ينافي صدور بعض
الآيات في الموارد التي لا تنفع فيها الحجج العقلية والبراهين القطعية.

الناس، والمؤرخون، وانشقاق القمر

وأوردوا على انشقاق القمر، بأنه لو انشق - كما يقال - لرآه
جميع الناس، ولضبطه أهل الارصاد في الغرب، لكونه من اعجب الآيات
السماوية، والدواعي متوفرة على استماعه ونقله...

وأجيب، أولاً: إن من الممكن أن يغفل عنه، فلا دليل على كون كل
حادث أرضي أو سماوي معلوماً للناس، محفوظاً عند هم، يرثه خلف عن
سلف (٢).

وأوضح ذلك العلامة البحائة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي بما حاصله:

إنه لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

١- إن هذا الانشقاق قد حصل في نصف الكرة الارضية، حيث
يوجد الليل دون النصف الآخر، حيث يوجد النهار...

٢- وفي هذا النصف لا يلتفت اكثر الناس إلى ما يحصل في الاجرام
السماوية، بل كلهم إذا كان ذلك بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون....

(١) - راجع تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠-٦٤.

(٢) - تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٤.

٣- ولربما يكون في بعض المناطق سحاب يمنع من رؤية القمر...

٤- والحوادث السماوية انما تلتفت النظر لو كانت مصحوبة بصوت كالرعد، أو بأثر غير عادي كقلة نور الشمس في الكسوف إذا كان لمدة طويلة نسبياً...

٥- هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء.

٦- ولم يكن ثمة وسائل اعلام تنقل الخبر من أقصى الارض إلى اقصاها بسرعة مذهلة... لتتوجه الانظار الى ما يحدث.

٧- والتاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جداً، فكم كان في تلك المئات والآلاف من السنين الخالية من كوارث وزلازل، وسيول عظيمة اهلكت طوائف وأممًا، وليس لها ماع ذلك في التاريخ أثر يذكر... بل إن زرادشت وقد ظهر في دولة عظيمة، وله أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ- لا يعرف حتى أين ولد ومات ودفن، بل ويشك البعض في كونه شخصية حقيقية، أو وهمية... وبعد هذا فلا يجب أن يعرف الناس بانشقاق القمر، ولأن يضبطه التاريخ بشكل واضح (١)... كما هو معلوم.

وثانياً: لم يكن في المنطقة العربية وغيرها مرصد للاوضاع السماوية، وإنما كان ما كان من المراصد في المشرق والمغرب من الروم، واليونان، وغيرها. ولم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت. على أن بلاد الغرب، الذين كانوا معنيين بهذا الشأن بينها وبين مكة من اختلاف الافق ما يوجب فصلاً زمنياً معتدابه. وقد كان القمر على ما في بعض الروايات بداراً قد انشق حين طلوعه، ودام مدة يسيرة، ثم التأم، فيقع طلوعه في بلاد المغرب وهو ملتئم ثانياً (٢)...

(١)- هم بايد بدانند (فارسي) ص ٩٤.

(٢)- تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٤/٦٥.

امكان الانشقاق والالتيام علمياً:

ويبقى هنا سؤال، وهو أنه هل يمكن علمياً الانشقاق في الاجرام السماوية؟، وإذا أمكن الانشقاق، فانما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين، حينئذ فيستحيل الالتيام بعد الانشقاق...

وأجاب عنه مكارم: بأن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيرة في الأجرام السماوية... بسبب عوامل خاصة، وكمثال على ذلك يذكر:

١- ان ثمة حوالي خمسة آلاف من القطع الكبيرة والصغيرة التي تدور حول الشمس ويعتقد العلماء انها بقايا احدى السيارات التي كانت بين مداري المريخ، والمشتري، ثم انفجرت لاسباب مجهولة و تحولت إلى قطع متفاوتة الاحجام في مدارات حول الشمس...

٢- إنهم يقولون: إن الشهب هي أحجار صغيرة تسير بسرعة مذهلة في مدار حول الشمس، وربما تتقاطع مع الارض أحياناً فتجذبها الارض، فتصطدم بالجو الارضي فتشتعل ثم تتلاشى... ويقول العلماء: انها بقايا نجوم انفجرت وتشققت بهذا النحو...

٣- والمنظومة الشمسية أيضاً يقال- حسب نظرية لابلاس-: إنها كانت في الاصل قطعة واحدة، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو...

فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر، وهو القدرة الالهية حيث إن النبي(ص) قد دعا الله فاستجاب له... ولم يدع أحد أنه ينشق بلاسبب أصلاً...

وأما عودته إلى الالتيام بعد ذلك.. فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبية. ولذلك نجد أن الشمس كثيراً ماتجذب بعض القطعات التي تدور

حوها، كما ان الشمس تجذب تلك القطع التي تتحول بفعل الصدمة والاحتكاك إلى هب متلاشى... واذن... فما دام كل من شقي القمر قريباً إلى الآخر، وبعد رفع تأثير القوة المانعة من تأثير الجاذبية، فلما ذالايشد كل من النصفين النصف الآخر إلى نفسه، ليعودا كما كانا، وأي محذور عقلي في ذلك (١).

وقد أوجز العلامة الطباطبائي الاجابة عن سؤال امتناع الالتيام لعدم الجاذبية، فقال: إن الاستحالة العقلية ممنوعة، والاستحالة العادية، بمعنى اختراق العادة... لومنت عن الالتيام بعد الانشقاق، لمنعت أولاً عن الانشقاق بعد الالتيام، ولم تمنع. وأصل الكلام مبني على خرق العادة (٢).

دلالة الآية القرآنية على ذلك :

ويحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر» ناظراً إلى ما يأتي ، وأنه من أشراط الساعة، كتكوير الشمس، وانكدار النجوم...

وأجاب العلامة المحقق الشيخ ناصر مكارم: بما حاصله:

أولاً: إن ظاهر قوله تعالى: «وان يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مستمر» هو أن جماعة من مخالفي النبي لا يؤمنون بالآيات و كلما جاءتهم آية يزيد عنادهم واستكبارهم، ويعتبرونها من السحر... مما يدل على أنه قد جرى له (ص) معهم في قصة انشقاق القمر مثل ذلك...

ثانياً: إن جملة «انشق» فعل ماض، ولا يراد الاستقبال من الفعل الماضي إلا بقرينة، وهي غير موجودة. بل الموجود خلافة؛ فقد قال الرازي: «المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، ودلت الاخبار الصحاح

(١) - كتاب: همه بايد بدانند ص ٨٤-٩٠.

(٢) - تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٥.

عليه» (١) — وإن كان الطبرسي وابن شهر آشوب يستثنيان: عطاء، والحسن والبلخي (٢). — ثم قال: الطبرسي وهذا لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه (٣)

وإن قيل: إن اقتران جملة: اقتربت الساعة: بجملة: وانشق القمر، يوحي بأن زمانها واحد، فالجواب: هو أن كثيراً من الآيات تؤكد على أن الساعة قد قرب وقتها، فلم الغفلة؟، قال تعالى: «اقترب للناس حسابهم، وهم في غفلة معرضون (٤)». وينقل عنه (ص) انه قال: «بعثت انا والساعة كهاتين» (٥) وأشار إلى اصبعيه. «والظاهر: أن ذلك بملاحظة مجموع عمر الدنيا الطويل جداً، حتى ليصح أن يقال: إن هذا الفاصل الزماني بين بعثته (ص) وقيام الساعة ليس بشيء».

وبعد هذا.. فإن مفاد الآية يكون: إن الساعة قد اقتربت، وهذه الآية المعجزة قد ظهرت للنبي صلى الله عليه وآله. ولكن هؤلاء المشركين المستكبرين لا يؤمنون، ولا يصدقون. بل يقولون: سحر مستمر (٦).

ولكن بعض المحققين يقول: إن قوله تعالى: «وإن يروا آية الخ...» جملة شرطية، لادلالة فيها على وقوع ذلك. وجملة «انشق القمر» مساقها مساق قوله تعالى: أتى أمر الله؛ فلا تستعجلوه، فانها جملة فعلية ماضوية. ولكن الأمر لم يأت بعد بقرينة قوله: «فلا تستعجلوه». وكذا الحال في قوله تعالى: «وانشق القمر» بملاحظة قوله تعالى: «وإن يروا الخ...» والمراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا... وأما الاجماع فلا حجية فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطئ للآية. انتهى كلامه.

(١) — تفسير الرازي ج ٢٩ ص ٢٨.

(٢) — مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

(٣) — مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦.

(٤) — الانبياء ١٤.

(٥) — نقله في مفتاح كنوز السنة ص ٢٢٧ عن البخاري، ومسلم، وابن ماجه والطيالسي، وأحمد، والترمذي والدارمي، فراجع

(٦) — راجع في كل ما ذكرناه في دلالة الآية كتاب: همه بايد بدانند (فارسي) ص ٧٦-٨٠.

ونقول نحن: إن هذا الكلام له وجه... لولم يكن لدينا أخبار صحيحة تدل على وقوع انشقاق القمر...

الاساطير:

هذا... وقد لعبت الأهواء والاساطير في قضية شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنة الناس: أن أحد شقي القمر قد مر من كُم النبي صلى الله عليه وآله... فيقول العلامة ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له في كتب الحديث والتفسير عين ولا أثر، سواء عند السنة، أو عند الشيعة.

هذا... وثمة تفاصيل و خصوصيات تذكر في بعض الروايات لانرى في تحقيق الحق فيها كبير نفع، ولاجليل أثر؛ ولذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، ونفعه أعم...

نقض الصحيفة:

وبعد ثلاث سنين تقريباً: أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبا طالب بأن الارضة قد اكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم، ولم يبق فيها إلا ما كان اسم الله (وفي نص آخر: انها قد اكلت كل اسم الله تعالى فيها، ولم تبق إلا كل ظلم وشر، وقطيعة رحم. (١)).

فخرج أبوطالب من شعبه ومعه بنوه هاشم إلى قريش؛ فقال المشركون: الجوع أخرجهم...

(١) — ولربما يقال: إن استمرار قريش على عدائه (ص)، إلى نقض الصحيفة، يدل على أن الارضة إنما محت اسم الله تعالى... وابتقت قطيعة الرحم و سائر المواد التي اتفقوا عليها... وقد استبعد ذلك بأن أكل الارضة لاسم الله بعيد... فلعلهم التزموا بضمونها وان كانت قد محيت، أو أنهم أعادوا كتابتها...

ولربما يدعى على ذلك بأن الارضة إنما محت اسم الله عنها تنزيها له عن أن يكون في صحيفة ظالمة كهذه وهذا إعجاز مطلوب وراجع من أجل اظهار الحق، وليس في ذلك إهانة...

وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك . قال: قد جئتكم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا، فأتواها. فلما وضعت وعليها آختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟ قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الارضة، فأكلت كل قطعة وإثم، وتركت كل اسم هو لله؛ فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه اليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب...

ففتحت، ثم أخرجت فإذا هي كما قال صلى الله عليه وآله؛ فكبر المسلمون، وامتنعت وجوه المشركين...

فقال أبو طالب: آتئين لكم: اينأ أولى بالسحر والكهانة؟...

فأسلم يومئذ عالم من الناس...

ولكن المشركين لم يقنعوا بذلك ، بل استمروا على العمل بضمون الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، وذكرون منهم:

هشام بن عمرو بن ربيعة، وزهير بن أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وأبوالبختری بن هشام، وزمعة بن الاسود، وكلهم له رحم ببني هاشم والمطلب... وتكلموا في نقضها فعارضهم أبو جهل، فلم يلتفتوا إلى معارضته، ومزقت الصحيفة، وبطل مفعولها...

وخرج الهاشميون حينئذ من شعب أبي طالب رضوان الله تعالى عليه...

حنكة أبي طالب، وإيمانه:

إن المطالع لأحداث ما قبل الهجرة النبوية الشريفة ليجد عشرات

الشواهد الدالة على حنكة أبي طالب عليه السلام...

وخير شاهد نسوقه الآن على ذلك، هو ما ذكرناه آنفاً، حيث رايناه يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، ويمزج ذلك بالتعريض بإمكان أن يكون ثمة صلح في ما بينهم وبينه. وما ذلك إلا من أجل أن لا تفتح الصحيفة إلا علناً، يراها كل أحد، وأيضاً... حتى يهيئهم للمفاجئة الكبرى، ويمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقي عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به.

ولاسيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعداً بما يريد، ويضعهم أمام شرف الكلمة، وعلى محك قواعد النبل واحترام الذات، حسب المعايير التي كانوا يتعاملون على أساسها... وهو ينجح في ذلك إلى حد بعيد، حتى ليصبح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب...

ثم تبرزلنا من النصوص المتقدمة حقيقة أخرى، لها أهميتها وانعكاساتها... وهي تدل مدى ثقة أبي طالب بصدق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وبسداد أمره، وواقعية ما جاء به... حتى لقد كان يتألم جداً من اتهام ابن أخيه بالسحر والكهانة، ويعتبر ذلك افتراءً ظاهراً، ويغتم الفرصة السانحة للتعبير عن خطل رأيهم، وسفه أحلامهم فيقول لهم: «أتبين لكم: أينأولى بالسحر والكهانة؟». وكانت النتيجة أن اسلم بسبب هذه المعجزة يومئذٍ عالم من الناس

القبلية وآثارها:

وقد لاحظنا فيما سبق: أن القبلية قد ساعدت إلى حد ما في منع الكثير من الأحداث التي تؤثر مستقبلياً على الدعوة ونجاحها... وليكن ماقام به هؤلاء الذين عملوا على نقض الصحيفة هو أحد الشواهد على ذلك... ولكن الذي يلفت نظرنا هو أننا لانرى أبا لهب فيمن قام في ذلك أو ساعد عليه... كما أننا لانجد أثراً لابن عم خديجة حكيم بن حزام، الذي تدعى

الروايات!! أنه كان يرسل الطعام لهم وهم محصورون في الشعب. وأيضاً لانجد مكاناً لابي العاص بن الربيع الأموي (!!)، الذي سوف يأتي أنهم يدعون (!!): ان النبي(ص) أثنى على صهره!! تعريضاً بعلي الذي لم يكن يستحق إلا التقريع والتعريض (!!)، علي الذي كان يخاطر بنفسه، و يأتي لهم بالطعام من مكة، ولو وجدوه لقتلوه، كما تقدم...

ما بعد نقض الصحيفة:

واستمر الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم يعمل على نشر دينه، وأداء رسالته، واستمرت قریش تضع في طريقه العراقيل، وتحاول أن تمنع الناس من الاجتماع به، والاستماع إليه، بكل الوسائل التي تقع تحت اختيارها...

والنبي صلى الله عليه وآله يتحمل ويصبر... لا يكل ولا يمل... ولم تفلح قریش في ذلك، ولا وصلت إلى نتيجة...

والأحداث التي في هذا السبيل كثيرة، لو أردنا استقصاءها لطلال بنا المقام... ولا محيص لنا عن تجاوزها إلى غيرها... وإن كان يعز ذلك علينا...

وفد من الحبشة:

وقدم على النبي الأعظم الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم أول وفد من خارج مكة، وبالذات، من الحبشة، ومن النصارى، وقيل من نجران. وكان يتألف— على قول ابن اسحاق وغيره— من عشرين رجلاً، وقيل غير ذلك.. وكان على رأس الوفد جعفر بن أبي طالب عليه السلام(١)، فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد؛ فكلموه، وسألوه، ورجال من قریش في

(١) — كذا قال البوطي في فقه السيرة ص ١٢٦ وجمع البيان ج ٧ ص ٢٥٨ ويفهم منه أنهم قدموا مع جعفر حين قدومه نهائياً عام خيبر...

أنديتهم حول الكعبة، وبعد دعوة الرسول صلى الله عليه وآله لهم إلى الاسلام آمنوا وصدقوا...

فلما قاموا، اعترضهم أبوجهل، وعنفهم على اسلامهم، وتركهم دينهم؛ فقالوا: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنامانحن عليه، ولكم ما انتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً؛ فأنزل الله تعالى: «الذين آتينا هم الكتاب من قبله، هم به يؤمنون... إلى قوله تعالى: وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وقالوا: لنا اعمالنا ولكم اعمالكم، سلام عليكم لانبغى الجاهلين(١)».

وكانت هذه - بطبيعة الحال - ضربة قاسية لقريش و كبريائها، وخطتها واهدافها... وخصوصاً إذا كان ذلك الوفد قد جاء من الحبشة، وبالأخص بقيادة جعفر عليه السلام... فان ذلك يعني: أن الدعوة قد بدأت تأخذ طريقها إلى القلوب في مناطق لا تخضع لقريش، وسلطانها، ونفوذها...

كما أنه إنذارها بلزوم التحرك بسرعة قبل أن يفوت الاوان، ولكن كيف؟ وأنى؟. وهذا أبوطالب، و معه الهاشميون والمطلبون ينعون محمداً، ويحوطنه... فلا بد إذن من الانتظار...

من مواقف أبي طالب:

وكان أبوطالب شيخ الابطح عليه السلام هو الذي حامى و ناصر النبي صلى الله عليه وآله، وحدث عليه منذ طفولته... وحتى الآن، بيده، ولسانه، وواجه المصاعب الكبيرة، والمشاق العظيمة، في سبيل الدفع عنه، والذود عن دينه ورسالته، واعطائها الفرصة للتوسع والانتشار، ما وجدت الى ذلك سبيلاً...

(١) - الآية في سورة القصص ٥٤، وراجع الحديث في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢، و تفسير ابن كثير، والقرطبي، والنيسابوري في تفسير الآيات، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢.

وهو أيضاً الذي كان يقدمه على اولاده جميعاً، وقد ارجعه بنفسه من بصرى الى مكة عندما حذره بحيرا من اليهود عليه (ص)...

نعم... وهو الذي رضي بعداء قريش له، وبمعاناة الجوع والفقر، و النبذ الاجتماعي، ورأى الاطفال يتضاغون جوعاً، حتى اقتاتوا ورق الشجر، بل لقد عبّر صراحة: عن انه على استعداد لان يخوض حرباً طاحنة، تأكل الاخضر واليابس، ولا يسلم محمداً لهم، ولا يمنعه من الدعوة الى الله، بل هولاء يطلب منه ذلك على الاقل...

وهو الذي يقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش و فراعنتها، حينما جاء النبي (ص) — وقد القت عليه قريش سلاتاقه — حيث أخذ السيف، وامر حمزة بان ياخذ السلا، وتوجه الى القوم، فلما رأوه مقبلاً عرفوا الشرفي وجهه، ثم أمر حمزة ان يلطخ وجوههم ولحاهم، واحداً واحداً، ففعل...

وفي نص آخر: انه نادى قومه، وامرهم بان يأخذوا سلاحهم؛ فلما رآه المشركون ارادوا التفرق؛ فقال لهم: «ورب البنية، لا يقوم منكم احداً لجلته بالسيف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبي ذلك حتى ادمها، — وهو ابن الزبعرى — وامر بالفرث والدم على لحاهم...»

وفي الشعب كان يحرس النبي (ص) بنفسه، وينقله من مكان الى آخر، ويجعل ولده في موضع النبي (ص)، حتى اذا كان امر اصاب ولده دونه.

وكان يدفع قريشاً عنه باللين تارة، وبالشدّة أخرى. وينظم الشعر السياسي، ليثير العواطف، ويدفع النوازل، ويهيئ الاجواء لاعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وحماية اتباعه...

وقد افتقد النبي (ص) مرة «فلم يجده؛ فجمع الهاشميين، وسلحهم، واراد ان يجعل كل واحد منهم الى جانب عظيم من عظماء قريش ليفتك به، لو ثبت ان محمداً اصابه شر... كل ذلك في سبيل الدفع عن الرسول الاعظم،

ونصر دينه واعلاء كلمته، ورفعة شأنه... و واضح: ان الامام بكل مواقف ابي طالب، وتضحياته الجسام يحتاج الى وقت طويل، وجهد مستقل، ونحن نكتفي هنا بهذه الاشاره، وان كنا نعتزف اننا لم نقض حقه كما ينبغي؛ وذلك من اجل ان نوفر الفرصة لبحوث أخرى في السيرة النبوية الشريفة...

مع تضحيات أبي طالب رضوان الله عليه:

مما تقدم يظهر ان أبا طالب، شيخ الأبطح، على استعداد لأن:

١- يتخلى حتى عن مكانته في قومه، إلى بديل آخر هوفي الاتجاه المضاد تماماً، ألا وهو العداء لقومه، وسائر أهل بلده، بل والدنيا بأسرها... بل هو يتحمل النفسي والنبذ الاجتماعي له، ولكل من يلوذه، ولا يستسلم للضغوط المتنوعة التي يتعرض لها، ولا تلين فئاته، ولا تصدع صفاته.

٢- إنه يرضى بتحمل الجوع والفقر والمحاصرة الاقتصادية، بل هو يبذل أمواله وكل ماله... .

٣- إنه يوطن نفسه على خوض حرب طاحنة، ربما تنتهي با بادة الهاشميين وأعدائهم، إذ ألزم الأمر...

٤- إنه يضحى حتى بولده الأصغر سناً علي عليه السلام، ويتحمل آثار غربة ولده الآخر جعفر، المهاجر إلى الحبشة...

٥- إنه يجاهد بيده ولسانه، ويستخدم كل ماله من امكانات مادية و معنوية... ولا يبالي بكافة الصعاب والمشاق وهو يدافع عن هذا الدين، ويحوطه بالرعاية والعناية، ما وجد إلى ذلك سبيلاً...

ويرد سؤال، وهو: لما ذا لا يكون ذلك كله بدافع عاطفي، ونابغاً عن حمية النسب والقبيلة؟! او على حد تعبير البعض بدافع من «حبه الطبيعي» (١)...

وجوابه ان ذلك ممالا يمكن أبداً؛ فانه إذا كان محمد صلى الله عليه وآله ابن اخيه؛ فان علياً ولده، فلو كانت العاطفة النسبية هي الدافع، فلماذا يضحى بولده دون ابن أخيه، طائعاً مختاراً، بعد تفكير وتأمل وتدبر لعواقب ذلك؟ ولماذا يرضى بأن يكون الاغتتيال - لوتم - موجهاً له دونه؟! أم يعقل أن يكون حبه الطبيعي لابن أخيه أكثر منه لولده، وفلذة كبده؟!.

كما ان الحمية القبلية، والرابطة النسبية، لو كانت هي السبب في موقفه ذلك ... فلماذا لم تدفع أباهب لعنه الله لان يقف موقف ابي طالب عليه السلام؛ فيدفع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويضحى في سبيله؛ حتى بولده، وبمكانته، وبكل ما يملك؟! ...

بل لقدراً أيناه من اشد الناس على النبي، واكثرهم جرأة عليه، وايداء له ...

وأما ساير بني هاشم فانهم وان دخلوا الشعب مع النبي (ص) إلا أن تضحياتهم في سبيل النبي لم تبلغ عشر معشار تضحيات أبي طالب، كما انهم انما وقفوا هذا الموقف تحت تأثير نفوذ ابي طالب، وإصراره.

وهكذا يتضح: ان حمية الدين اقوى من حمية النسب، ولذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم واولادهم في سبيل دينهم، وقد استأذن عبدالله بن عبدالله بن أبي رسول الله (ص) بقتل ابيه، وفي صفين لم يرجع الأخ عن اخيه حتى أذن له امير المؤمنين عليه السلام بتركه ... الى غير ذلك من الشواهد الكثيرة.

كما أننا لا بد وان نشير الى ان ابا طالب (ع) لو كان يفعل ذلك من اجل الدنيا؛ فقد كان يجب ان يضحى بابن اخيه دون ولده، ويضحى به دون عشيرته؛ لانه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؛ كما قتل المأمون أخاه، وسممت ام الهادي ولدها، لا أن يضحى بكل شئ دونه، ثم تكون النتيجة: أن يدمره ويدمر نفسه معه، فان هذا لا يصح في منطق المصالح الدنيوية باية صورة على الاطلاق ...

وايضاً فان الحمية القبلية— لو كانت— فانما تؤثر اثرها في حدود مصالح القبيلة، والحفاظ على شؤونها، ومستقبلها، اما اذا كانت هذه الحمية سبباً في تدمير القبيلة والقضاء عليها، وتعطيل مصالحها، وتعريض مستقبلها للاخطار الجسام؛ فان هذه الحمية لايمكن ان يفسح لها المجال، ولا ان يظهر لها اثر لدى عقلاء الرجال...

وهكذا يتضح: اننا لايمكن ان نفسر مواقف ابي طالب عليه السلام تلك، الآ على انها بدافع عقيدي وایماني راسخ، يدفع الانسان للبدل والعطاء، لكل ما يملك في سبيل دينه وعقيدته... فصلوات الله وسلامه عليك يا ابا طالب، يا ابا الرجال، ويا رائد قوافل التضحية والفداء، في سبيل الحق والدين، ورحمة الله وبركاته...

عام الحزن:

وفي السنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الرجل العظيم، ابي طالب عليه الصلاة والسلام.

ففقده النبي (ص) بفقده نصيراً قوياً، ووقياً عزيزاً... كان هو الحامي والدافع عنه، وعن دينه، ورسالته، كما اشرنا اليه.

ثم توفيت بعده بمدة محيزة— قيل: بثلاثة أيام، وقيل بشهر خديجة أم المؤمنين صلوات الله وسلامه عليها، أفضل أزواج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأحسنهن سيرة، وأخلاقاً مع النبي صلى الله عليه وآله، والتي كانت بعض نساء النبي (ص) (عائشة) تغارمنها غيرة شديدة، رغم أنها لم تجتمع معها في بيت النبي صلى الله عليه وآله أبداً، لأن النبي (ص) قد تزوجها بعد وفاة خديجة بزمان...

ونستطيع أن نعرف: كم كان لأبي طالب عليه السلام، و لخديجة صلوات الله وسلامه عليها... من خدمات جلى في سبيل هذا الدين— نستطيع أن نعرف ذلك— من تسمية النبي صلى الله عليه وآله عام وفاتها ب:

«عام الحزن»

وقد جعل ذلك مصاباً للامة بأسرها حيث قال: «اجتمعت على هذه الامة مصيبتان لأدرى بأيهما أنا اشد جزعاً(١)» وذلك من شدة تأثره عليهما...

الحب في الله والبغض في الله:

ومن الواضح: أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن ينطلق في حبه لهما، وحزنه عليهما من مصلحته الشخصية، أو من عاطفة رحمة، وإنما هو يحب في الله تعالى، وفي الله فقط... ويقدر أي إنسان، ويحزن لفقده، ويرتبط به روحياً وعاطفياً، بمقدار ارتباط ذلك الانسان بالله، وقربه منه، وتفانيه في سبيله، وفي سبيل دينه ورسالته...

نعم... إنه لم يتأثر على ابي طالب وخديجة؛ لأن هذه زوجته وذاك عمه... والافتقد كان أبوهب عمه أيضاً... وإنما لما لمسه فيها من قوة إيمان، وصلابة في الدين، وتضحيات وتفان في سبيل الله والعقيدة...

وذلك هو الأصل الاسلامي الأصيل، الذي قرره الله تعالى بقوله: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، أو عشيرتهم الخ... (٢)». وهل ثمة محادة لله ورسوله أعظم من الشرك، الذي عبر الله عنه بقوله: «إن الشرك لظلم عظيم» و«إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك».

والآيات والروايات التي تؤكد على الحب في الله والبغض في الله كثيرة تفوق حد الحصر في عجالة كهذه...

وعلى هذا الأساس... قال الله تعالى لنوح عن ولده: «إنه ليس من أهلِكَ إنه عمل غير صالح»...

(١) - تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٥ ط صادر.

(٢) - المجادلة ٢٢.

وعلى هذا الاساس أيضاً كان سلمان من أهل البيت... قال
أبوفراس:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم تكن بين نوح وابنه رحم... .

الفصل الخامس

أبطال مؤمن قريش

إيمان أبي طالب رضوان الله عليه

ولابد أخيراً من الحديث بإيجاز عن موضوع مازال بين أخذ وردّ بين المسلمين... ألا وهو إيمان أبي طالب عليه السلام، فمن مؤيد، ومن منكر...

فأما أهل البيت وشيعتهم، فانهم مجمعون على اسلامه عليه السلام (١)، بل في بعض الأحاديث: أنه من الاوصياء، وأن نوره يطغى في يوم القيامة على كل نور، ما عدانور النبي صلى الله عليه و الأئمة و فاطمة عليهم السلام... ونحن وإن كنا لم نستطع أن نجزم بصحة هذه الأحاديث، إلا أن إيمانه وتصديقه برسالته صلى الله عليه وآله وانقياده للأمر و الزواجر الالهية، كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار.

والأحاديث الدالة على إيمانه، والواردة عن أهل بيت العصمة كثيرة، وقد جمعها العلماء في كتب مفردة وكان من الكتب الاخيرة كتاب: منية الراغب في إيمان أبي طالب للشيخ الطبسي... وواضح: أن أهل البيت أدركوا بما فيه، من كل أحد... يقول ابن الأثير: «وما أسلم من اعمام النبي

(١) روضة الواعظين ص ١٣٨، وأوائل المقالات ص ١٣ والطرائف لابن طاووس ص ٢٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٦٥، والبحار ج ٣٥ ص ١٣٨ والغدير ج ٧ ص ٣٨٤ عنهم، وعن: التبيان ج ٢ ص ٣٩٨، وكتاب الحجّة لابن معد ص ١٣، وجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧.

(ص) غير حمزة والعباس، وأبي طالب عند أهل البيت» (١).

وعدا عن ذلك فإن الأدلة الدالة على إيمانه كثيرة... وقد أُلّف في اثبات إيمانه الكثير من الكتب من السنة والشيعة على حد سواء، وقد انبأها بعضهم إلى ثلاثين كتاباً، ومنها كتاب: أبو طالب مؤمن قريش للاستاذ عبدالله الخنيزي، الذي كاد ان يدفع حياته ثمناً لهذا الكتاب؛ حيث حاول الوهابيون في السعودية تنفيذ حكم الاعدام فيه، بسبب كتابه هذا؛ فتداركه الله برحمته، وتخلص من شرهم...

هذا عدا عن البحوث المستفيضة المبتوثة في ثنايا الكتب والموسوعات، ونخص بالذكر هنا ما جاء في الغدير للعلامة الاميني قده ج ٧ و ج ٨.

وقد نقل العلامة الاميني عن جماعة من أهل السنة: أنهم ذهبوا الى ذلك أيضاً، و أُلّف عدد منهم و كتبوا الكتب و البحوث في اثبات ذلك كالبرزنجي في أسنى المطالب ص ٦-١٠ و الاجهوري، و الاسكافي، و أبي القاسم البلخي، و ابن وحشي في شرحه لكتاب: شهاب الاخبار، و التلمساني في حاشية الشفاء، و الشعراني، و سبط ابن الجوزي، و القرطبي، و السبكي، و أبي طاهر، و السيوطي، وغيرهم... بل لقد حكم عدد منهم— كابن وحشي و الاجهوري، و التلمساني بأن من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر (٢).

بعض الأدلة على إيمان أبي طالب:

وقد استدل من قال باسلامه بعدة أدلة، مثل:

١— ماتقدم مروي عن الائمة عليهم السلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على إيمانه، وهم بأمر كهذا أعرف من كل أحد.

(١)— البحار ج ٣ ص ١٣٩ والغدير ج ٧ ص ٣٦٩.

(٢)— راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٢ و ٣٨٣ وغير ذلك.

٢— ماتقدم من مناصرته للنبي صلى الله عليه وآله، وتحمله تلك المشاق والصعاب العظيمة، و تضحيته بمكانته في قومه، وحتى بولده، وتوطينه نفسه على خوض حرب طاحنه تأكل الاخضر واليابس... ولو كان كافراً فلماذا يتحمل كل ذلك؟!... ولماذا لم نسمع عنه ولو كلمة عتاب أوتذمر مماجره عليه محمد صلى الله عليه وآله؟!...

و احتمال: أنه كان يطمع بمقام أعظم... غير وجيه... فإنه كان قد بلغ من الكبر عتياً... حيث إنه قد توفي عن بضع وثمانين سنة، وهو يرى: موقف قومه منه، ومن النبي (ص) كيف هو، ولا يأمل أن يعيش إلى حيث يبلغ مثل ذلك المقام، كما تشير إليه كل الدلائل والشواهد التي يراها حوله...

٣— وقد استدل سبط ابن الجوزي على إيمانه بأنه— كما نقل— لو كان أبو علي كافراً لكان شنع عليه معاوية وحزبه، والزبيريون وأعاونهم، وسائر أعدائه عليه السلام... مع أنه عليه السلام كان يذكرهم ويزري عليهم بكفر الآباء والامهات، وردالة النسب (١).

٤— تصریحاته واقواله الكثيرة جداً فإنها كلها ناطقة بإيمانه واسلامه... ويكفي أن نذكر نموذجاً من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: إن كل هذه الاشعار قد جاءت مجيئ التواتر، من حيث مجموعها (٢).

ونحن نذكر هنا اثني عشر شاهداً من شعره، أي على عدد الائمة المعصومين من ولده عليه وعليهم السلام، تيمناً، والشواهد هي:

١— ألم تعلموا: أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

٢— نبي أتاه الوحي من عند ربه ومن قال: لا، يقرع بهاسن نادم

(١)— راجع كتاب: أبو طالب مؤمن قر يش ص ٢٧٢/٢٧٣ ط سنة ١٣٩٨ هـ .

(٢)— شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨ والبحارج ٣٥ ص ١٦٥ .

٣- يا شاهد الله علي فاشهد
إني على دين النبي أحمد

من ضل في الحق فاني مهتد

٤- انت الرسول رسول الله نعلمه
عليك نزل من ذي العزة الكتب

٥- أنت النبي محمد
قرم أغر مسود

٦- أوتؤمنوا بكتاب منزل عجب
على نبي كموسى أو كذي النون

٧- وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى
وأمرأتى من عند ذي العرش قيم

٨- لقد أكرم الله النبي محمداً
فأكرم خلق الله في الناس أحمد

٩- وخير بني هاشم أحمد
رسول الاله على فترة

١٠- والله لا أخذل النبي ولا
يخذله من بني ذوحسب

١١- أتعلم ملك الحبش أن محمداً
نبياً كموسى والمسيح بن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتياه
فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وانكم تتلون في كتابكم
بصدق حديث لاحديث الترجم

فلا تجعلوا الله نداً فأسلموا
فان طريق الحق ليس بمظلم

١٢ فصبراً أبايعلى على دين أحمد
وكن مظهراً للدين وفققت صابرا

وحط من أتى بالحق من عند ربه
بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا

فقد سرنى أن قلت: انك مؤمن
فكن لرسول الله في الله ناصرا

وباد قر يشأ في الذي قد أتيته
جهاراً، وقل: ما كان أحمد ساحرا

هذا... وأشعار ابى طالب الناطقة بإيمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هذا القدر؛ لنفسح المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل، ويقال في هذا الموضوع.

هـ- قال المعتزلى: «قلت: كان صديقنا علي بن يحيى البطريق رحمه الله يقول: لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبى طالب، وهو شيخ قر يش، ورئيسها وذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمداً. وهو شاب قدر بي في حجره. وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى أولاده بمثل قوله:

وتلقوا ربيع الابطحين محمداً
وتأوي اليه هاشم إن هاشماً
على ربوة في رأس عنقاء عيطل
عرانين كعب آخر بعد أول

ومثل قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يطيف به الهلاك من آل هاشم
ثمال اليتامى عصمة للارامل
فهم عنده في نعمة وفواضل

فان هذا الاسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابي من الناس، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء. فاذا تصورت: أنه شعر أبي طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم في محمد صلى الله عليه وآله. وهو شاب مستجير به، معتصم بظله من قر يش، قدرباه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً. يأكل من زاده، ويأوي إلى داره... علمت موضع خاصية النبوة وسرها، وأن أمره كان عظيماً» (١).

كما أن قصيدته اللامية تلك التي يقول فيها: وابيض يستسقى الخ...
— وهي طويلة—، وكان بنوهاشم يعلمونها أطفالهم (٢) فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، وقد ذكرها ابن هشام وابن كثير، وغيرهم...

٦— ولقد رأينا أباطالب أيضا يدعو ملك الحبشة إلى الاسلام، كما أنه هو الذي دعا ولده جعفرأ (٣) وأمره بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاة... وهو أيضاً الذي دعا زوجته فاطمة بنت أسد إلى الاسلام (٤) وأمر حمزة بالثبات على هذا الدين، وأظهر سروره باسلامه، وكذلك الحال بالنسبة لولده أمير المؤمنين عليه السلام. إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لكلامه ومواقفه في المناسبات المختلفة.

(١) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٣ وماذا في التاريخ ج ٣ ص ١٩٦/١٩٧ عنه.

(٢) — مقاتل الطالبين ص ٣٩٦.

(٣) — راجع: الاوائل لابي هلال العسكري ج ١ ص ١٥٤، و روضة الواعظين ص ١٤٠

وشرح النهج للمعتزلي— ج ١٣ ص ٢٦٩.

(٤) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٢.

٧- ثم هناك ترحم النبي صلى الله عليه وآله عليه، واستغفاره له باستمرار، وحزعه عليه عند موته (١) وواضح: أنه لا يصح الترحم إلا على المسلم، ولأجل ذلك قال (ص) لسفانة بنت حاتم الطائي: لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه (٢).

وكيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، ولولده سعيد بن زيدو لورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة... ولابي سفيان الذي مازال كهفياً للمنافقين والذي سيأتي لمحة عن تصريحاته ومواقفه في أواخر غزوة أحد كيف يحكمون لهؤلاء بالاسلام.

بل يروون عنه (ص) أنه قال عن أمية بن أبي الصلت: انه كاد أن يسلم في شعره (٣).

ويقول الشافعي عن صفوان بن أمية: «وكان كأنه لا يشك في اسلامه» لأنه حين سمع يوم حنين قائلاً يقول: غلبت هوازن، وقتل محمد: «بفيك الحجر، فوالله، لرب قریش أحب، الي من رب هوازن...»

نعم... كيف يحكمون لكل هؤلاء بالاسلام وهم لم يدركوا الاسلام، أو أدركوه ولم يسلموا، أو اظهروا الاسلام، وأبطنوا الكفر...

ثم يحكمون بالكفر على ابي طالب الذي ما فتئ يؤكد و يصرح عشرات المرات في أقواله وفي افعاله، و يعلن بالشهادة لله بالواحدية ولنبيه صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة؟!...

و واضح: أن اسلام أي شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور اربعة.

١- إما من مواقفه العملية، ومواقف ابي طالب، قد بلغت الغاية

(١)- تذكرة الخواص ص ٨.

(٢)- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥.

(٣)- صحيح مسلم ج ٧ ص ٤٨-٤٩، والاغانى ط ساسي ج ٣ ص ١٩٠.

التي مابعدھا غاية في الوضوح والدلالة على اخلاصه وتفانيه في الدفاع عن هذا الدين.

٢— وإمامن اقراراته اللسانية بالشهادتين، و يكفي أن نشير إلى ذلك القدر الكثير منها في شعره في المناسبات المختلفة...

٣— وإما من موقف ممثل الاسلام ورائد الحق النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم منه... والموقف الرضي أيضاً ثابت منه عليه السلام تجاه أبي طالب على اكمل وجه...

٤— واقما من إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، وعن حس، كاهل بيته، ومن يعيشون معه. وقد قلنا: انهم مجمعون على ذلك.

بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يستطيعوا إنكار مواقفه العملية، ولا الطعن بتصريحاته اللسانية، حاولوا: أن يشبهوا على العامة بكلام مبهم، لامعنى له؛ فقالوا: «إنه لم يكن منقاداً (١)»!!...

كل ذلك رجماً بالغيب و افتراء على الحق والحقيقة، من أجل تصحيح مارووه عن المغيرة بن شعبة وامثاله من أعداء آل أبي طالب كما سنشير إليه حين الكلام على الأدلة الواهية إن شاء الله تعالى...

ومن أجل أن نوفي أبا طالب بعض حقه نذكر بعض مايدل على إيمانه— من مصادر غير الشيعة عموماً— ونترك سائره، وهو يعد بالعشرات، لأن المقام لايتسع لأكثر من أمثلة قليلة معدودة، وهي.

١— قال العباس: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجوه من ربي (٢).

٢— جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله (ص) يقوده، وهو

(١)— راجع: سيرة دحلان ج ١ ص ٤٤—٤٧، والاصابة ج ٤ ص ١١٦—١١٩.

(٢)— الاذكياء ص ١٢٨ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١

ص ٧٩، والبحارج ٣٥ ص ١٥١ و ١٠٩.

شيخ أعمى، يوم فتح مكة. فقال رسول الله. ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟! قال: أردت أن يؤجره الله. لأننا كنت باسلام أبي طالب أشد فرحاً مني باسلام أبي، التمس بذلك قرّة عينك الخ (١).

وإن كان العلامة الاميني في الغدير، لا يوافق على أن يكون الرسول (ص) قد قال لأبي بكر ذلك، وقد بحث ذلك بحثاً جيداً، ونحن نوافق في ذلك أيضاً ...

٣- قال المعتزلي: «روي باسانيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبدالمطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إن أبا طالب مامات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله (٢)».

٤- ولقد ترحم عليه ودعاه النبي صلى الله عليه وآله واستغفرله، حتى في المدينة حينما استسقى لاهلها فجاءهم الغيث فذكروا طالب، واستغفرله على المنبر وتبع جنازته— مع انهم يروون النهي عن المشي في جنازة المشرك كما أنهم يروون أنه أمر عليابان يغسله... ويكفنه ويواريه (٣)، وانما لم يأمره بالصلاة عليه لأن صلاة الجنازة لم تكن فرضت بعد. ولاجل ذلك قالوا: إن خديجة لم يصل عليها النبي صلى الله عليه وآله حينما توفيت، مع انها سيدة نساء العالمين...

(١) - مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٤ عن الطبراني والبخاري، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٤٤ عن المجمع، والاصابة ج ٤ ص ١١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧١، وراجع: الغدير ج ٧ ص ٣٦٩ عن البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٣، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧ والاصابة ج ٤ ص ١١٦، وعيون الاثر ج ١ ص ١٣١، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٢ والسيرة النبوية لدحلان بهامشها ج ١ ص ٨٩، واسنى المطالب ص ٢٠ ودلائل النبوة للبيهقي وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠ وكشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٤٤.

(٣) - راجع: في كل ذلك تذكرة الخواص ص ٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٧ والمصنف ج ٦ ص ٣٨، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٧، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٥، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٨ وتاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٢٦، و ج ١٣ ص ١٩٦ وتاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٥، والطرائف لابن طاووس ص ٣٠٥ عن الحنبلي في نهاية الطلب والبحار ج ٣٥ ص ١٥١ والتعظيم والمنة ص ٧ ولسان الميزان ج ١ ص

٥- لقد رثاه ولده علي عليه السلام حينما توفي بقوله:

أباطال عصمة المستجير وغيث المحول و نورالظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم
ولقائك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم (١)

٢ ٦- وكتب أمير المؤمنين عليه السلام رسالة مطولة لمعاوية جاء فيها:
«ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبدالمطلب ولا أبوسفیان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق (٢)».

فإذا كان أبو طالب كافراً وأبوسفیان مسلماً، فكيف يفضل الكافر على المسلم... ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً... فان أباسفیان هو الذي قال: «إنه لا يدري ماجنة ولا نار» كما سأأتي في أواخر غزوة أحد...

ويلاحظ هنا أيضاً: أن أمير المؤمنين يشير إلى عدم صفاء نسب معاوية، ولهذا البحث مجال آخر...

٧- وورد عنه (ص) أيضاً قوله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي، وأمي، وعمي أبي طالب، وأخ لي كان في الجاهلية (٣).

٤١. والاصابة ج ٤ ص ١١٦، والغدير ج ٧ ص ٣٧٢ و ٣٧٥/٣٧٤ عن ذكر، وعن: شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦، واعلام النبوة للماوردي ص ٧٧، وبدايع الصنائع ج ١ ص ٢٨٣، وعمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥، واسنى المطالب ص ١٥ و ٢١ و ٣٥ و طلبه الطالب ص ٤٣، ودلائل النبوة للبيهقي والبرزنجي، وابن خزيمة، وابي داود، وابن عساکر.

(١) - تذكرة الخواص ص ٩.

(٢) - وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٧١، ونهج البلاغة الذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٨ الكتاب رقم ١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١١٧ والامامة والسياسة ج ١ ص ١١٨، والغدير ج ٣ ص ٢٥٤ عنهم، وعن: ربيع الابرار للزنجشيري باب ٦٦، وعن مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢.

وراجع أيضاً: الفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ٢٦٠ ومناقب الخوارزمي الحنفى ص ١٨٠.

(٣) - ذخائر العقبى ص ٧ عن تمام الرازي في فوائده، والدرج المنقفة للسيوطي ص ٨ ومسالك الحنفا ص ١٤ عن ابي نعيم وغيره وذكر أن الحاكم صححه، وتفسير القمي ج ١ ص ٣٨٠ وتفسير البرهان ج ٢ ص ٣٥٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥.

٨- وعنه (ص): إن الله عزوجل قال له على لسان جبرئيل: حرمت النار على أصلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك. أما الصلب فعبداً لله، وأما البطن فأمنة، وأما الحجر فعممة، يعني أباطالب، وفاطمة بنت أسد. وبمعناها غيرها مع اختلاف يسير (١).

٩- وسئل السجاد عن إيمان أبي طالب، فقال: واعجبا إن الله نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر؛ وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات (٢).

ونزول آية النهي عن الامسك بعصم الكوافر في المدينة، لا يضر ولا يوجب بطلان هذه الرواية، لا يمكن أن يكون النهي عن ذلك بالقول على لسانه (ص) قبل نزول القرآن... وعدم خضوع بعض المسلمين لذلك حينئذٍ ربما كان لظروف معينة فرضت عليهم ذلك...

١٠- وأخيراً... فقد كتب بعضهم يسأله عن اسلام أبي طالب، فانه قد شك في ذلك، فكتب (ع) إليه: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية... وبعدها: إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار (٣).

و حسبنا ما ذكرناه من الامثلة الناطقة باسلام أبي طالب، ومن أراد التوسع فعليه بالكتب المعدة لذلك...

(١)- أصول الكافي ج ١ ص ٣٧١ والبحار ج ٣٥ ص ١٠٩ والتعظيم والمنة للسيوطي ص ٢٧ وراجع: روضة الواعظين ص ١٣٩ وشرح النهج ج ١٤ ص ٦٧ والغدير ج ٧ ص ٣٧٨ عنهم، وعن: كتاب الحجّة لابن معد ص ٨، وتفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٠.

(٢)- شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، والغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٨٩ عنه وعن: كتاب الحجّة ص ٢٤، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين، وادعي تواتر هذا الحديث عندنا.

(٣)- شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ والغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٩٤ عن الكراجكي ص ٨٠، وكتاب الحجّة لابن معد ص ١٦، والدرجات الرفيعة والبحار وضياء العالمين...

الأدلة الواهية...

وقد استدل القائلون بكفر أبي طالب— والعياذ بالله— بروايات وأدلة واهية، ونحن نشير هنا إلى عمدة ما اعتمدوا عليه في ذلك، وهي:

١- حديث الضحضاح:

عن ابي سعيد الخدري، أنه سمع النبي (ص)، وقد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه... وحسب نص آخر: ان العباس قال للنبي (ص): ما أغنيت عن عمك، فوالله، كان يحوطك ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار(١).

ونقول:

الف: لقد ناقش كل من الاميني في الغدير ج ٨ ص ٢٣/٢٤ والختيزي في: أبوطالب مؤمن قریش... أسانيد هذه الرواية، وبيناهما وضعفها، وتناقض نصوصها العجيب...

باء: وأيضاً... فانه إذا كان (ص) قد نفع أباطالب، وأخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؛ فلماذا لا يتم معروفه، ويخرجه من هذا الضحضاح أيضاً؟!
وايضاً هل تكون الشفاعة في الدنيا؟!...

جيم: إن مايروونه، من أنه طلب منه حين وفاته: أن يقول كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ ليستحل له بها الشفاعة يوم القيامة، فلم يعطه

(١) - صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ٢٠٩، وج ٤ ص ٥٤، والمصنف ج ٦ ص ٤١، وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠.

وصحيح مسلم، كتاب الايمان، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩، ومسند أحمد ج ١ ص ٢٠٦ و ٢٠٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٥، الغدير ج ٨ ص ٢٣ عن بعضهم، وعن عيون الاثر ج ١ ص ١٣٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٦.

إياها يدل على أنه قد أناط (ص) مطلق الشفاعة بكلمة لا إله إلا الله (١)...
فلماذا استحلت هذه الشفاعة مع أنه لم يعطه الكلمة التي توجب حليتها؟!...

ثم أوليس يروون: أن الشفاعة لا تحل لمشرك فلماذا حلت لهذا المشرك بالذات، بحيث أخرجه من الدرك الاسفل إلى الضحضاح (٢).

دال: قال المعتزلي، نقلاً عن الامامية والزيدية: «قالوا: وأما حديث الضحضاح؛ فانما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم، وعلى الخصوص لعلي عليه السلام مشهور معلوم، وفقصته وفسقه غير خاف (٣)...».

ولكننا نجدهم يروونه عن غير المغيرة أيضاً كما في البخاري وغيره، ففعل رواية غير المغيرة قد حدثت في وقت متأخر، فان من غير المعقول أن يورد الشيعة على غيرهم بذلك إن لم يكن له واقع.. وقد سكت المعتزلي على ردهم هذا، وكأنه يحتمل ما احتملناه ولو وسعه الرد لفعل...

هاء: وسئل الباقر عليه السلام عما يقوله الناس: إن أباطال في ضحضاح من نار؛ فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه. ثم قال: ألم تعلموا: أن أمير المؤمنين علياً (ع) كان يأمر أن يحج عن عبدالله، وابنه وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم (٤).

(١) - الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٣٣ عن أحمد بسندين صحيحين، وعن البزار، والطبري باسناد أحدهما جيد وابن حبان في صحيحه وراجع: الغدير ج ٢/٢٥.

(٢) - مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٣٦، وتلخيصه للذهبي وصحاحه والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ والغدير ج ٨ ص ٢٤ عنها وعن كنز العمال ج ٧ ص ١٢٨، وشرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٩١ وكشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٢٤، وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠.

(٣) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠ والبحار ج ٣٥ ص ١١٢.

(٤) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، والدرجات الرفيعة ص ٤٩، والبحار ج ٣٥ ص ١١٢ والغدير ج ٨ ص ٣٨٠-٣٩٠ عنها وعن كتاب الحجّة للسيد ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، والفتوني في ضياء العالمين.

٢- إرث عقيل لابني طالب:

واستدلوا: بأن الذي ورثه هو ولده عقيل، ولم يرثه علي وجعفر، لأنه كان مشركاً وهما مسلمان. فهما من ملتين مختلفتين، واهل ملتين لا يتوارثان (١).

ولكن ذلك لا يصح أيضا وذلك:

أولاً: من أين ثبت لهؤلاء: أن علياً وجعفرأ لم يرثاه.
وثانياً: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل ولا تفاعل عندنا في ميراثهما، واللفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب، فانه لا يكون إلا من اثنين فان الصحيح هو مذهب أهل البيت من أن المسلم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم (٢).

وثالثاً: لقد روي عن عمر قوله: «أهل الشرك نرثهم ولا يرثونا (٣)» وقد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين، وقالوا نرثهم ولا يرثونا (٤).

٣- وهم ينهون عنه، ويناؤون عنه:

لقد ذكروا: أن آية: وهم ينهون عنه، ويناؤون عنه، قد نزلت في أبي طالب، الذي كان ينهى الناس عن أذى الرسول، ويناؤى عن أن يدخل في الاسلام (٥).

(١)- المصنف ج ٦ ص ١٥، وج ١٠ ص ٣٤٤، وفي هامشه أي هامش السادس عن البخاري ج ٣ ص ٢٩٣، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩.
(٢)- راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩.

(٣)- مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١٠ ص ٣٣٩ وج ٦ ص ١٠٦.

(٤)- المصنف لعبدالرزاق ج ٦ ص ١٠٧/١٠٦ و ١٠٥ وج ١٠ ص ٣٣٨ حتى ص ٣٤١...

(٥)- الاصابة ج ٤ ص ١١٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٨، وهجة المحافل ج ١ ص ١١٦ وانساب الاشراف بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ٢٦ والغدير ج ٨ ص ٣ عنهم وعن: تفسير الخازن ج ٢ ص ١١، وتفسير ابن جزي ج ٢ ص ٦، وعن الطبري والكشاف...

ولقد تحدث الحنيزي على اسانيد هذه الرواية بما فيه الكفاية (١).

كما أننا نجد أن هذه الآية لا تنطبق على أبي طالب بأي وجه؛ حيث إن الله تعالى يقول قبلها: «وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، حتى إذ جاؤوك يجادلونك، يقول الذين كفروا: إن هذا إلا أساطير الأولين. وهم ينهون عنه الخ (٢)».

فضمائر الجمع ككلمة: (هم)، وفاعل (يهون) و (ينأون) كلها ترجع إلى من ذكرهم الله في تلك الآية. وهم المشركون، الذين إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، ويجادلون الرسول في هذه الآيات، ويصفونها من عنادهم بأنها ليست سوى أساطير الأولين. ولا يقف عنادهم عند هذا وحسب، بل يتجاوزوه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع من النبي، كما أنهم هم أنفسهم يبتعدون عنه...

وهذه الصفات كلها لا تنطبق على أبي طالب، الذي لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبي صلى الله عليه وآله، والنصرة له باليد واللسان... بل نراه كان يطلب من غيره أن يدخل في هذا الدين. وأن يتمسك به ويصبر عليه، كما كان الحال بالنسبة لزوجته وحمزة وجعفر وعلي، وملك الحبشة حسبما تقدم...

كما أن المفسرين قد فهموا من الآية عمومها لجميع الكفار، وأن معناها: ينهون عن استماع الكفار، واتباع الرسول، وابتعادون عنه...

وهذا هو المروي عن ابن عباس، والحسن... وقتادة، وأبي معاذ، والضحاك، وابن الحنفية، والسدي، ومجاهد، والجبائي، وابن جبير (٣).

(١) - أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٠٥/٣٠٦...

(٢) - الانعام ٢٤-٢٦.

(٣) - راجع: مجمع البيان ج ٧ ص ٣٥ و ٣٦، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧ والتدريج ٨ ص ٣٣. والدر المنثور ج ٣ ص ٨ و ٩ كلهم - كلا أو بعضاً عن القرطبي، والطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبه وابن مردويه وعبد بن حميد، والقرطبي ج ٦ ص ٤٠٦.

ويقول الأميني: إن تلك الرواية تقول: إن آية الانعام: وهم يهنون عنه إلخ قد نزلت حين وفاة أبي طالب عليه السلام... وتقول رواية أخرى: إن آية: إنك لا تهدي من أحببت إلخ... قد نزلت حين وفاته أيضاً، مع أن تلك الآية قد وردت في سورة القصص التي نزلت قبل الانعام التي نزلت جملة واحدة (١) بخمس سور. وهذا يدل على أنها نزلت بعد وفاة أبي طالب بمدة.

وعليه فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاته عليه السلام؟!...

٤- آية النهي عن الاستغفار للمشرك:

روى البخاري ومسلم، وغيرهما: عن ابن المسيب، عن أبيه، رواية تتلخص في أن النبي طلب من أبي طالب حين وفاته أن يقول كلمة لا إله إلا الله ليحاج بها له عند الله... فقال له أبو جهل، وعبد الله بن أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل الرسول يعرضها عليه، ويقولان له ذلك، حتى قال عبد المطلب آخر كلمة: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

فقال رسول الله (ص): والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله: ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولى قرى، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (٢) وأنزل الله في أبي طالب: إنك لا تهدي من أحببت إن الله يهدي من يشاء (٣).

ولانريد أن نناقش في أسانيد هذه الرواية (٤). المقطوعة، ولانريد

(١)- الدر المنثور ج ٢ ص ٣، وتفسير الشوكاني ج ٣ ص ٩١/٩٢، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢ والتدير ج ٨ ص ٥ عنهم وعن تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٨٢/٣٨٣ كلهم عن: أبي عبيد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والنحاس...

(٢)- التوبة ١١٣.

(٣)- القصص ٥٦ والرواية في البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١١١، وغير ذلك.

(٤)- راجع في ذلك: أبو طالب مؤمن قر يش ٣١٣-٣٤٠ وانساب الاشراف بتحقيق الحمودي

أن نفيض في الدلائل والشواهد على أن ابن المسيب فضلاً عن غيره متهم على علي عليه السلام كما نص عليه البعض (١). ولكننا نشير إلى مايلي:

أولاً: إن آية النهي عن الاستغفار وردت في سورة التوبة، ولا ريب في كونها من أواخر ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة... بل لقد ادعى البعض أنها آخر ما نزل (٢)... ولا يعقل أن تكون هذه الآية قد بقيت أكثر من عشر سنوات منفردة، والقرآن ينزل، حتى نزلت سورة التوبة، فأضيفت إليها، لأن الآيات التي كانت تلحق إنما تلحق بما نزل سابقاً عليها وكان ذلك في السور الطوال— دون سائر السور التي كانت تنزل دفعة واحدة...

فكيف بقي (ص) يستغفر لابني طالب طيلة هذه المدة، ويترحم عليه، مع أن ذلك من أظهر مصاديق المودة للكافر، وقد نهى الله عن مودتهم في آيات كثيرة نزلت قبل سورة التوبة كما في قوله تعالى: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حادَّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم (٣)».

وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين (٤).

وقوله تعالى: الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

(١) — الغارات للثقفى ج ٢ ص ٥٦٩.

(٢) — الغدير ج ٨ ص ١٠ و أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤١ عن: البخاري، والكشاف، والبيضاوي، وتفسير ابن كثير والاتقان، وابن أبي شيبة والنسائي وابن الضريس، وابن المنذر، والنحاس، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٣) — المجادلة ٢٢، وقد نزلت قبل التوبة بسبع سور كما في الاتقان ج ١ ص ١١ وفي تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٩، وفتح القدير ج ٥ ص ١٨٦ والغدير ج ٨ ص ١٠ عنهم وعن تفسير الآلوسى ج ٣٧/٢٨ وأخرجه ابن أبي حاتم، والطبراني والحاكم والبيهقي وابن عمير: أنها نزلت في بدر أوفي أحد.

(٤) — النساء ١٤٤.

أيتبعون عندهم العزة (١)؟

وقوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (آل عمران ٢٨) إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

ثانياً: قال تعالى: في سورة المنافقين، التي نزلت في غزوة بني المصطلق، سنة ست على ما هو المشهور، ونزلت قبل سورة التوبة على كل حال: «سواء عليهم، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم».

فإذا كان النبي (ص) يعرف أن الله لن يغفر لهم — سواء استغفرهم أم لا — فلماذا يتعب نفسه في أمر لا نتيجة له؟؛ فإن ذلك أمر لا يقره العقلاء، كما هو واضح...

ثالثاً: إننا نجد النبي صلى الله عليه وآله نفسه يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة (٢)».

كما أنه (ص) قد ردهدية حكيم بن حزام؛ لأنه كان مشركاً، قال عبيدالله: حسبت انه قال: إنا لانقبل من المشركين شيئاً، ولكن ان شئت اخذناها بالثمن (٣).

ورد أيضاً هدية عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد اسلم بعد. ورد أيضاً هدية ملاعب الأسنة، وقال: لا أقبل هدية مشرك (٤)... كما انه جاء عن عياض المجاشعي انه اهدى إلى النبي هدية فأبى قبولها، وقال: اني نهيته عن زبد المشركين (٥)... ولم يكن ذلك منه صلى الله عليه وآله إلا لأنه يوجب

(١) — النساء ١٣٩.

(٢) — راجع أبوطالب مؤمن قريش للخنيزي.

(٣) — مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٤ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وصحاحه وكنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن احمد والطبراني، والحاكم وسعيد بن منصور.

(٤) — كنز العمال ج ٣ ص ١٧٧ طبعة اولى عن ابن عساکر ط ثانية ج ٦ ص ٥٧ عن الطبراني والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ وفي الهامش عن مغازي ابن عقبة.

(٥) — كنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن ابي داود والترمذي وصححه واحد والطيالسي والبيهقي، وراجع ماعن عمران بن حصين في الكنز نفس الجلد والصفحة والمصنف لعبد الرزاق ج

١٠ ص ٤٤٧ وفي الهامش عن ابي داود واحمد عن الترمذي ج ٢ ص ٣٨٩.

احتراماً ومودة من النبي (ص) له...

ورابعاً: لقد روي بسند صحيح - كما يقول الأميني - عن علي: إنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه، وهما مشركان؛ فذكر علي عليه السلام ذلك للنبي صلى الله عليه وآله، فنزلت الآية المذكورة (١).

وفي أخرى: إن المسلمين قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت (٢).

وفي رواية: انها نزلت حينما أستاذن (ص) الله في الاستغفار لأمه، فلم يأذن له، ونزلت الآية، فسأله أن يزور قبرها فأذن له. (٣).

وان كنا نعتقد: أن الرواية الأخيرة بعيدة عن الصحة لاعتقادنا بأن أمه كانت مؤمنة موحدة - كما أسلفناه في بحث إيمان آبائه (ص)... ولكنها مناقضة لما تقدم فعل الرواة طبقوها على هذا المورد، اجتهاداً عمدياً اوسهويماً منهم، والصحيح هو المتقدم عن علي (ع)... وإلا فلماذا نسي النبي الاستغفار لأمه إلى آخر أيام حياته هذا عدا عما تقدم.

وخامساً: إن آية لاتهدي من أحببت، يقال: إنها نزلت يوم احد حينما كسرت رباعيته، وشج وجهه صلى الله عليه وآله، فقال: اللهم اهد

(١) - الغدير ج ٨ ص ١٢، وغيره عن: الطيالسي، وابن أبي شيبه، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء في المختارة، والاتقان، واسباب النزول، وتفسير ابن كثير، والكشاف، واعيان الشيعة، واسنى المطالب ص ١٨، لدحلان وابوطالب مؤمن قریش، وشيخ الابطح ومسند أحمد ج ١ ص ١٣٠/١٣١.

(٢) - مجمع البيان ج ٥ ص ٧٦ عن الحسن، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣، وابوطالب مؤمن قریش ص ٣٤٨، عنها وعن الاعيان ج ٣٩ ص ١٥٨ و ١٥٩ عن ابن عباس والحسن، والكشاف ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) - تفسير الطبري ج ١١ ص ٣١، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣، وارشاد الساري ج ٧ ص ٢٨٢ و ١٥٨ عن مسلم في صحيحه، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤ وأحمد في مسنده، وابي داود في سننه، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه والكشاف ج ٢ ص ٤٩. وابوطالب مؤمن قریش ص ٣٤٩.

قومي فانهم لا يعلمون، فانزل الله: إنك لاتهدي من أحببت إلخ... (١).
وقيل: إنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل، الذي كان الرسول
(ص) يرغب في اسلامه، بل لقد ادعي الاجماع على ذلك (٢).

سادساً: إذا كان النبي (ص) يحب ايمانه فالله يحب ذلك لأن
الرسول لا يجب إلا ما أحب الله. وقولهم: كان (ص) يكره إيمان وحشى ثم
آمن لا يصح لأن هذا من نوع التضاد بين الرسول والمرسل لولم يتوافقا وإذا
توافقا فكيف يمكن أن يكره الله ورسوله ايمان احد... راجع هامش انساب
الاشراف ج ٢ ص ٢٨.

وأخيراً... فان عبدالمطلب لم يكن كافراً ولا مشركاً حسبما قدمنا، بل
كان مؤمناً على دين الخنيفية. وقد صرح المسعودي في بعض كتبه بانه قدمات
مسلماً (٣). فقول ابي طالب: بل على ملة عبدالمطلب لا يدل على كفره؛
فلو كان قد قال ذلك حقاً... فلا بدو أن يكون قد قال ذلك تعمية على قر يش
لمصالح يراها لا بد من ملاحظتها في تلك الفترة...

الوجبة الأخيرة:

كان ماتقدم هو عمدة ما استدل به القائلون بكفر ابي طالب،
والعياذ بالله، وقد رأينا: أنه لا يستطيع أن يثبت أمام النقد الواعي والدقيق...
وقد بقيت بعض الروايات، التي يمكن الاستدلال بها على ذلك... وليس فيها
ما يثبت ذلك... ونحن نشير إليها باختصار شديد فنقول: إنهم قد رووا أيضاً:

١- إن الرسول قال لا يبي بكر حول ما ينجي من الوسوسة: «ينجيكم
من ذلك: أن تقولوا: مثل الذي أمرت به عمي عند الموت؛ فلم يفعل» يعني

(١)- أبوطالب مؤمن قر يش ص ٣٦٨ عن أعيان الشيعة ج ٣٩ ص ٢٥٩ والحجة ص ٣٩. ولربما
يأتي بعض مصادر ذلك في وقعة أحد...

(٢)- أبوطالب مؤمن قر يش ص ٣٦٩ عن شيخ الاطبع ص ٦٩.

(٣)- الروض الانف ج ٢ ص ١٧١/١٧٠.

شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله (١)». وفي رواية عن عمر: إن كلمة التقوى التي ألا ص عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت: شهادة الخ (٢)...

ولكن من الواضح: أن الذين يسألونه (ص) كانوا يقولون ذلك، ولكنهم مع ذلك قد كانوا مبتلين بالسوسة!!!...

كما أن نفس هذه الرواية مروية بسند صحيح وتفيد أن الخلاف كان بين سعد وعثمان، وأن الذي حكم بينها هو عمر بن الخطاب، وذكر: دعوة ذي النون: «لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين» ولم يذكر أبا طالب (٣)...

٢- إنه لما مد أبوقحافة يده ليسلم بكى أبوبكر، فقال له (ص): ما يبكيك؟ قال: لأن تكون يد عمك مكان يده ويسلم، ويقر الله به عينك أحب إلي من أن يكون (٤).

ولكن قد تقدمت هذه الرواية بنحو يدل على إيمان أبي طالب عن عدد من المصادر، فلانعيد...

بل جاء أنه لما اسلم أبوقحافة لم يعلم أبوبكر باسلامه، حتى بشره

(١)- حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٤١/٥٤٠ وكنز العمال ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠-٢٦١ عن أبي يعلى والبوصيري في زوائده، وعن طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٢.

(٢)- مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥٥، وكنز العمال ج ١ ص ٢٦٢ و ٦٣ عن أبي يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان والبيهقي وغيرهم كثير جداً.

(٣)- مجمع الزوائد ج ٧ ص ٦٨ عن أحمد ورجال رجال الصحيح، باستثناء إبراهيم بن محمد بن سعد وهوثقة، وحياة الصحابة عنه وعن الترمذي وعن الكزج ج ١ ص ٢٩٨ عن أبي يعلى والطبراني - وصح...

(٤)- الاصابة ج ٤ ص ١١٦ والحاكم وصححه على شرط الشيخين، وعن عمر بن شبة وأبي يعلى، وأبي بشر سمويه في فوائده، ونصب الراية ج ٦ ص ٢٨٢/٢٨١ عن عدد من المصادر في هامشه، والمصنف ج ٦ ص ٣٩، وفي هامشه عن ابن أبي شيبه ج ٤ ص ١٤٢ و ٩٥ وأبي داود ٤٥٨ ومسنند أحمد ج ١ ص ١٣١.

أبوطالب مؤمن قر يش ١٥٣
النبي (ص) بذلك (المحاسن والمساوي ج ١ ص ٥٧). فكيف يكون أبوبكر قد
قال ذلك حين مديده.

٣- وفي رواية إنه لما توفي ابوطالب، جاء علي إلى النبي (ص)
وقال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفي .

وفي رواية أن علياً رفض ما أمره به النبي (ص) من تغسيله ودفنه،
فأمره أن يتولى ذلك غيره (١)...

ولكن قد روى أحمد في مسنده هذه الرواية، وفيها: إن عمك الشيخ
قد توفي، من دون ذكر كلمة «الضال» (٢).
ثم كيف يأمره بتغسيله ولا يأمر عقيلاً، أوطالباً المشركين بذلك؟ ...

ثم كيف يتناسب هذا مع كونه (ص) قد حزن وترحم عليه، ودعاه،
وعارض جنازته، ومشى فيها، مع أنهم يروون أنه لا يجوز المشي جنازة المشرك
!؟ (٣).

هذا ولولم يكن مؤمناً فلماذا يأمر بتغسيله؟ ...

و أيضاً... هل صحيح: أن علياً رفض تنفيذ ما أمره به النبي، حتى
احتاج لأن يأمره بأن يتولى ذلك غيره، فهل كان علي يملك نفسية متمردة
كهذه النفسية؟ حاشاه! ...

ثم ماذا يصنع هؤلاء بما ورد عن كثير من المصادر من أن علياً
عليه السلام هو نفسه قد تولى تغسيله ودفنه، واغتسل بعد تغسيله إياه غسل
المس الواجب من مس كل ميت مسلم.

(١) - المصنف ج ٦ ص ٣٩٦.

(٢) - مسند الامام أحمد ج ١ ص ١٢٩/١٣٠ وانساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٤
وفيه أنه أمره هو فواراه...

(٣) - قد تقدمت بعض مصادر ذلك في أوائل هذا البحث، وعن عدم جواز المشي في جنازة المشرك
، راجع كتب الحديث كسنن البيهقي وغيره...

و إذا كان أبوطالب مسلماً مصداقاً؛ فلا يصغى لرجز أمثال المدني، غير الموافق للعقل والدين ولا يفيد تملقهم، وتظاهروهم بالصلاح، حتى ليقول المدني: «وددت أن اباطالب كان اسلم، فسرّبه رسول الله (ص) وأني كافر.»!!

سرية إيمان أبي طالب:

إننا إذا تتبعنا سير الدعوة، ومواقف أبي طالب فإننا نجد أنه كان بادئ ذي بدء يكتّم إيمانه، تماماً كمؤمن آل فرعون، والظاهر أنه قد استمر يظهر ذلك تارة، ويخفيه أخرى إلى أن حصر الهاشميون في الشعب، فصار يكثر من اظهار ذلك.

وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الايمان واظهروا الشرك ، فاتاهم الله اجرهم مرتين (٢)».

وعن الشعبي، يرفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان والله أبوطالب بن عبد مناف بن عبدالمطلب مؤمناً مسلماً يكتّم إيمانه؛ مخافة على بني هاشم أن تنابذها قریش. وكذا عن ابن عباس (٣).

وثمة أحاديث أخرى عديدة بهذا المعنى لاجمال لذكرها (٤).

(١) — عيون الاخبار ج ١ ص ٢٦٣. لابن قتيبة.

(٢) — أمالي الصدوق ص ٥٥١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠، وأصول الكافي ج ١ ص ٣٧٣، وروضة الواعظين ص ١٣٩، والبحار ج ٣٥ ص ١١١ والغدير ج ٧ ص ٣٨٠—٣٩٠ عنهم وعن: الحجة لابن معد ص ١٧ و ١١٥ وتفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٢، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين.

(٣) — أمالي الصدوق ص ٥٥٠ والغدير ج ٧ ص ٣٨٨ عن كتاب الحجة ص ٢٤ و ٩٤ و ١١٥.

(٤) — راجع الغدير ج ٧ ص ٣٨٨—٣٩٠ عن: الفصول المختارة ص ٨٠ وإكمال الدين ص ١٠٣، وكتاب الحجة لابن معد عن أبي الفرج الاصفهاني.

ولكن لا بد وأن نذكر رواية أخرى، ولعلها هي الأقرب الى واقع الأمر، وهي ما ذكره الشريف النسابة العلوي، المعروف بالموضح، باسناده: أن أباطالب لما مات لم تكن الصلاة على الموتى، فما صلى النبي عليه، ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب، وعلي و جعفر (١)، وحمزة جلوس، فقاموا وشيعوا جنازته، واستغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً. ظننا منهم أن أباطالب مات مشركاً، لأنه كان يكتنم إيمانه، فنفى الله عن أبي طالب الشرك، ونزه نبيه، والثلاثة المذكورين عليهم السلام عن الخطأ في قوله: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى...».

فن قال بكفر أبي طالب، فقد حكم على النبي بالخطأ والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وأفعاله الخ (٢).

ضرورة سرية إيمان شيخ الابطح:

ونستطيع أن نقول: إن سرية إيمان أبي طالب كانت ضرورة جدأ، وذلك لأن الدعوة كانت بحاجة إلى شخصية إجتماعية قوية تدعمها، وتحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفاً في النزاع... فتتكلم من مركز القوة لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة ضغط كبير يشل حركتها، ويحد من فاعليتها...

قال ابن كثير وغيره: «إذ لو كان اسلم (ونحن نقول: أسلم، ولكنه لم يظهر اسلامه) أبوطالب لما كان له عند مشركي قریش وجاهة، ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه و يحترمونه، ولا اجترؤا عليه، ولدوا أيديهم والسنتهم بالسوء إليه» (٣).

(١) - لقد كان جعفر بالحبشة، فإما أن يكون قد جاء في زيارة قصيرة ثم رجع... وإما أن يكون الراوى قد ذكره من عند نفسه سهواً أو عمداً...

(٢) - الغدير ج ٧ ص ٣٩٩ عن كتاب الحجية لابن معد ص ٦٨.

(٣) - البداية والنهاية ج ٣ ص ٤١، وراجع السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٤٦.

لماذا الافتراء على أبي طالب:

وأخيراً... فلعل ذنب أبي طالب الوخيد، هو أنه كان أباً
 لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فالمستهدف بهذه النسبة الشنيعة— في
 الحقيقة— هو ولده، الشوكة الجارحة في أعين الامويين والزبيريين، وكل
 أعداء الاسلام... فهم يريدون النيل من علي في كل أمر يرتبط به حتى
 وصلت النوبة إلى أخيه جعفر وابيه أبي طالب عليها السلام... بل اننا
 لانكاد نرى فضيلة ثبتت له بسند صحيح عند مختلف الفرق الاسلامية الاوها
 نظير في الخلفاء الثلاثة، ولكن بسند ضعيف والله الحمد وله الحجة البالغة.

و يقينا... إنه لو كان أبوسفیان أو أي شخص آخر من آباء مخالفين
 علي عليه السلام قد عمل معشار ما عمله أبوطالب، لرأيت الثناء العاطر عليه،
 والتبجيل والتقدير، والأحاديث في فضله، وماله من الكرامات والشفاعات
 إن دنيا، وإن آخرة، ما يفوق حدا الحصر، ويزيد ويتضاعف باستمرار في كل
 مصر، وعصر...

والغريب في الأمر: أن اباسفيان، أبا معاوية الذي يقول في مجلس
 عثمان: والذي يحلف به أبوسفیان ما من جنة ولا نار، مؤمن تقني عادل
 معصوم، وأبوطالب— أوفقل: أبوعلي— كافر مشرك، وفي ضحضاح من نار،
 يبلغ كعبه، ويغلي منه دماغه... ما عشت أراك الدهر عجباً!!...

أبوهب ونصرة النبي (ص):

وبعد كل ماتقدم... فلا بدو أن نشير إلى أنهم يذكرون هنا: أنه بعد
 أن توفي أبوطالب أعلن أبوهب استعدادده لنصرة النبي صلى الله عليه وآله...
 فاحتالت قریش فأخبرته أنه يقول: إن اباك عبدالمطلب في النار، فسأله عن
 ذلك، فأخبره بما طابق ما أخبروه به فتخلى عن نصرته، وانقلب ليكون عدواً له
 معاش (١).

(١) — راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٤ عن ابن الجوزي وتاريخ الخميس ج

ونحن لانشك في كذب هذه القضية، أما:

أولاً: فكيف لم يعلم أبو هب طيلة عشرين من عداته للنبي ومحاربه له: أن هذا هورأيه ورأي الاسلام في كل من يموت مشركاً بالله تعالى؟! وعلى أي شيء كان يحاربه طيلة هذه المدة إذن؟!...

ولماذا... عاداه في حياة أبي طالب ثم عاد إلى حمايته ونصرته بعد وفاته؟!... ولماذا لم يفعل أبو طالب كما فعل أبو هب؟، أو لماذا لم يفعل أبو هب مثل فعل أبي طالب!

وثانياً: لقد اسلفنا أن عبدالمطلب لم يكن مشركاً، بل كان مؤمناً صادق الإيمان...

سرافتعال الرواية:

ولعل سرافتعال هذه الرواية هنا هو إظهار: أن حماية أبي طالب لم تكن إلا بدافع العصبية والحمية القبلية، أو الحب الطبيعي...

ولكن... أين كانت حمية وعصبية أبي هب قبل هذا الوقت، وأين كان حبه الطبيعي لابن أخيه؟... ولا سيما حينما حصرت قريش الهاشميين في الشعب، وكادوا يهلكون جوعاً؟!...

وأين ذهبت حميته بعد ذلك؟ وهو الذي كان يتتبع محمداً صلى الله عليه وآله من مكان إلى مكان يؤذيه، ويصد الناس عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً...

وقد قدمنا بعض الكلام في ذلك، حين الكلام على تضحيات أبي طالب، فلانعيد...

الباب الرابع

إلى الهجرة

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف

الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة

الفصل الثالث: بيعة العقبة

الفصل الأول

الهجرة إلى الطائف:

لابد من تحرك جديد:

لقد فقد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بوفاة أبي طالب نصيراً قوياً، دافع عن النبي (ص)، وعن دعوته الالهية، بيده ولسانه، وشعره، وولده وعشيرته وكل مواهبه وطاقاته. وضحي من اجله بمركزه وماله، وعلاقاته الاجتماعية— كما قدمنا— فاعتقدت قریش أنه (ص) سيضعف عزمه عن مواصلة جهوده بعد أن مات ناصره.

فنالت قریش بعد وفاة شيخ الابطح بأنواع الأذى، مما عجزت عنه في حياة عمه العظيم، ووجدت الفرصة للتنفيس عن حقدھا، وصب جام غضبھا على ذلك الذي ترى فيه سبباً لكل مشاكلھا ومتاعبھا...

ورأى صلى الله عليه وآله... أن الدعوة الاسلامية تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارھا، ومن دخول الآخرين فيها، ماداموا لا يرون في ذلك الدخول إلا العذاب والنكال، وإلا الذل والمهانة... بل ويمكن أن يتعرض ماحصل عليه، وجاهد من أجله وفي سبيله لأخطار، ربما لا يكون في وسعه مواجهتها وتجاوزھا بنجاح تام...

ومن هنا... فقد كان لابد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة جديدة، ويجعلها أكثر حيوية، وأكثر قدرة على مواجهة الاخطار المحتملة...

وإذا كان بقاءه في مكة— إن لم يكن فيه خطر على الدعوة— معناه جمودها، وتحجيمها، وشل حركتها... فان من الطبيعي أن يبحث النبي عن مكان آخر تتوفر فيه له حرية الحركة، والدعوة إلى الله، بعيداً عن أذايا قریش ومكائدها... ويتوفر فيه متنفس لهؤلاء المسلمين الذين تنالهم قریش بمختلف أنواع العذاب والتنكيل... قبل أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، وينهاروا أمام تلك الضغوط التي يتعرضون لها باستمرار...

فكان كل ذلك وسواه دافعاً إلى...

الهجرة إلى الطائف:

فبعد ان آذن الله له بالخروج من مكة، على اعتبار أنه قدمات ناصره؛ خرج إلى الطائف، ومعه علي عليه السلام (١)— اوزيد بن حارثة اوهما معاً (٢) على اختلاف النقل— وذلك ليلال بقين من شوال سنة عشر.

فأقام في الطائف عشرة أيام، وقيل: شهرا، لا يدع من أشرافهم أحداً إلا جاءه، و كلمه؛ فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم؛ فطلبوا منه أن يخرج عنهم، وأغروا به سفهاءهم؛ فجلسوا له في الطريق صفيين، يرمونه بالحجارة، وعلي عليه السلام يدافع عنه، حتى شج في رأسه— أو ان الذي شج في راسه هوز يدبن حارثة—

ويقولون: إنه صلى الله عليه وآله التجأ إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وجلس في أحد جوانبه، فتحركت عاطفة ابني ربيعة، وهما يران ما به من الجهد، فأرسلا إليه غلامهما— عداساً، وهو نصراني من أهل نينوى— بعنب، فوضعه بين يديه، فدأليه يده، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم؛ فتعجب عداس من أن يكون بهذا البلد أحد يذكر الله، وجرت بينها مكالمة انتهت باسلام عداس... فقال أحد هما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك...

(١)— سيرة المصطفى ص ٢٢٢/٢٢١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٩٧ عن الشيعة.

(٢)— شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٧ عن المدائني وسيرة المصطفى ص ٢٢٢/٢٢١.

ثم انصرف راجعاً إلى مكة.. فاستعد اعداؤه للقائه بأنواع من الاذى لم يعرفها من قبل.

ولكنه صلى الله عليه وآله كان مصمماً على مواجهة كل الاحتمالات؛ حيث قال لرفيقه علي، أوزيد: إن الله جاعل لماترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه.

فطلب من الأحنس بن شريق أن يجيره ليتمكن من دخول مكة فرفض على اعتبار أنه حليف، والحليف لا يجير (١)

ثم طلب من سهيل بن عمرو أن يجيره فرفض ذلك لانه من بني عامر فلا يجير على بني كعب، فدخل مكة بجوار المطعم بن عدي، الذي تجهز ومن معه بالسلاح لحمايته؛ فأمضت قریش جواره...

ويقول البعض إنه رد عليه جواره من أول يوم وصوله... و قال آخرون: بل استمر في جواره مدة

هكذا باختصار يروي المؤرخون قضية الهجرة إلى الطائف ثم العودة منها...

هجرات أخرى له (ص):

و يقولون أيضاً: إنه بعد وفاة عمه خرج إلى بني صعصعة، ومعه علي؛ فلم يجيبوه، وغاب عن مكة عشرة أيام.

وهاجر أيضاً مع علي وأبي بكر إلى بني شيبان، وغاب ثلاثة عشر يوماً، فلم يجد عندهم نصرة (٢).

ونحن لا بد لنا هنا من وقفات لبيان بعض الامور التي ترتبط بما تقدم،

(١) — قد تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على هجرة أبي بكر، ثم دخوله مكة بجوار ابن الدغنة...

(٢) — شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٦.

ونراها هامة، إلى حد ما. وهي التالية.

أ- ما ذكر عن عداس:

وبالنسبة لما ذكر من دور عداس، وأكله (ص) العنب المهدي إليه،
فنحن نشك في ذلك ... أما:

أولاً: فلما تقدم من ان النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقبل هدية
مشرك ، ولا يرضى بأن يكون له اي فضل او نعمة عليه، يستحق بها
المكافأة ... فكيف قبل هدية ابني ربيعة المشركين، ورضي بأن يكون
لها فضل عليه؟! ...

وثانياً: إن هذه الرواية تنص على أن عداساً قد أسلم ... مع أن
البعث ينص على أنه عاد من الطائف محزوناً، لم يستجب له رجل ولا امرأة ...
(١) الا أن يقال: إن مراد هذا البعض هو أنه لم يستجب له أحد من الأحرار
أو أن المقصود: لم يستجب له أحد من أهل نفس البلد ... وعداس من أهل
نينوى ...

وثالثاً: لقد كان قدمضى على دعوة الرسول صلى الله عليه وآله الناس الى الاسلام
حوالى عشر سنوات، وكانت شهرة دعوته قد تجاوزت مكة إلى غيرها
من الاقطار والأمصار. وأصبح ذكره وذكر ما جاء به على كل شفة ولسان ...
فكيف إذن يتعجب عداس من ذكر الله في ذلك البلد؟! ... وكيف وقد مضى
على وجود النبي صلى الله عليه وآله في ذلك البلد عشرة أيام، أو شهر وهو يدعو
الناس إلى الله، لا يفترو ولا يميل؟! ... فهل من المعقول: أن يكون عداس لم يسمع
بذكره أو بدعوته هذه المدة كلها، سواء مدة وجوده في الطائف، أو مدة دعوته
إلى الله في المنطقة؟! ...

وقد قدمنا بعض الكلام عن عداس في مناقشتنا لروايات بدء
الوحي. فلانعيد ...

٢- دخوله (ص) مكة بجوار:

ويقولون: إن الأحنس بن شريق وسهيل بن عمرو لم يقبلا أن يجيرا النبي صلى الله عليه وآله ليدخل مكة واحتج الأحنس بانه حليف والحليف لا يجير على الصميم (١) فدخل في جوار المطعم بن عدي... ونحن نشك في ذلك أيضاً...

فأولاً: قد قدمنا: أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يقبل أن يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها... وهذه يد ولا شك...

وثانياً: كيف لم يعلم النبي، الذي بلغ من العمر حوالي خمسين عاماً، ويعيش بين العرب - كيف لم يعلم - طيلة هذه المدة: أنه ليس للحليف أن يجير عندهم؟!..

وأن بني عامر لا يجير على بني كعب؟!..

وثالثاً: أليس هذا يعتبر ركناً للظالمين، ولغير أهل دينه، والله تعالى يقول: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم. ويقول: ولا تتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار (٢).؟

ورابعاً: إننا نجد عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة، رغبة منه في مواساة أصحابه؛ فهل يعقل أن يكون النبي (ص) أقل من ابن مظعون في ذلك؟! ولا يستطيع الصبر على تحمل المشاق والأذى، الذي استعدت قریش لتتاله به؟ إن ذلك لعجيب حقاً!!

وأيضاً... لما ذالم يخف من الأذى حين رد عليه جواره - ولا سيما إذا كان قد رده عليه من أول يوم؟!..

وأما أنه كان يخشى على نفسه القتل، فلذلك طلب الجوار؛ فان جوابه

(١) - راجع مصادر ذلك حين الكلام على هجرة أبي بكر إلى الحبشة...

(٢) - هود ١١٣.

هوأنه كان يعلم: أن قريشاً لاتستطيع ذلك ... وأنها تعرف: أنه في غيرصالحها في تلك الظروف، وبالاخص إذا كان ذلك علناً...

و أخيراً... فأين كان عنه الهاشميون في تلك الساعة، ولماذا لا يحمون كبيرهم وسيدهم حتى يحتاج إلى جوار الآخرين؟! وأين كان عنه أسد الله وأسد رسوله، الذي فعل بأبي جهل ما فعل كما تقدمت الإشارة إليه؟!

٣- اسلام نفر من الجن:

ويذكر هنا: أنه وهو منصرف من الطائف إلى مكة، التقى ببعض الجن، فقرأ عليهم القرآن، فأمنوا به، ورجعوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين، فقص الله خبرهم في سورة الجن فقال: «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن، فقالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدى الى الرشد إلخ...»

ولكن الظاهر: هو أن قضية الجن قد كانت في أوائل البعثة؛ حيث إن الرواية تذكر: أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وآله، حيل بين الجن وبين استراق السمع في السماء، وأرسلت عليهم الشهب، ففهموا: أن ذلك إنما كان لحدث جرى في الارض، فعادوا اليها و بحثوا عن الأمر، فوجدوا أن النبي (ص) قد بعث، فاستمعوا القرآن وآمنوا، فنزلت الآية (١).

وفي رواية أخرى: إن ابليس أرسل جنوده ليكشفوا له الأمر، فعادوا إليه نبأ بعثته (ص) (٢).

والى ما ذكرناه من كون ذلك قد حدث في أوائل البعثة ذهب ابن كثير

ايضاً (٣).

(١) - راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٠/٢٧٥، عن: البخاري، ومسلم، وعبد بن حميد، وأحمد، والترمذي والنسائي، والحاكم، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل وغير ذلك ... وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٤ ويقال: إن آيات سورة الاحقاف قد نزلت حين رجوعه من الطائف بهذه المناسبة... ولكن يدفع ذلك ما في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٥ عن مسلم، وأحمد، والترمذي، وعبد بن حميد وغيرهم...

(٢) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

(٣) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣ عن المواهب اللدنية.

ويدل على ذلك أيضاً: أن عدداً من الروايات تذكر: أن ابن مسعود كان معه (ص) ليلة الجن (١) ... وابن مسعود من المهاجرين إلى الحبشة، فلا بد وأن تكون القضية قد حدثت قبل هجرته إليها، أي قبل الخامسة من البعثة.

٤- الطائف وعلاقتها بمن حولها:

إن أهل الطائف كانوا مرتبطين إقتصادياً بأهل مكة، ومن حولهم، حيث إنهم كانوا يصدرون الفاكهة التي هي عمدة محاصيلهم إلى مكة وغيرها من الاطراف المحيطة بهم.

إذن... فهم يرون مصيرهم مرتبطاً إقتصادياً واجتماعياً بغيرهم، وهم بحاجة إلى التقرب والتزلف إلى ذلك الغير، واستجلاب محبتهم ورضاهم... حتى لا يتعرضوا للضغط الاجتماعي، أو إلى حصار اقتصادي— كما جرى لبني هاشم— من قبل من يحيط بهم، ولاسيما من المكين حيث السوق الرئيسي لمنتجاتهم...

وأضاف المحقق الروحاني: أنه قد كان لهم صنم يقال له العزى، وكان له سدة. ويزوره العرب (٢)، فكان لهم مركز ديني أيضاً بين العرب، يهتمون جداً بالمحافظة عليه.

ومن هنا نلاحظ: لم كانوا اشداء وعنيفين في مواجهة النبي (ص)، وكم كانوا حريصين على اخراجه من بينهم بسرعة...

٥- الاسلام دين الفطرة:

إننا نلاحظ، أن أهل الطائف قد خافوا على أحداثهم من دعوة النبي (ص)، رغم أن النبي صلى الله عليه وآله لم يقم بينهم سوى فترة قصيرة

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

(٢) الاصنام للكليبي.

جداً... الأمر الذي يؤكد على أن الاسلام كان يجد سبيله بيسر وسهولة إلى العقول الصافية، وينسجم مع الفطرة السليمة، التي لم تتلوث بعد بالمفاهيم المنحرفة، ولم تطف عليها عوامل المصالح الشخصية، والعواطف القبلية، وغير ذلك ...

وكيف لا يجد سبيله إليها بيسر... وهو الدين القائم على الدليل والبرهان العقلي، والمنسجم مع الفطرة، وهو دين الضمير والوجدان الحي...

ومن هنا... فاننا نلاحظ: أنهم لم يمكنهم الرد عليه ومناقشته، بل طلبوا منه أن يخرج من بينهم، وحاولوا أن يشوهوا صورته في أذهان أولئك الذين استمعوا إليه، بما استعملوه ضده من أساليب غير منطقية وإنما تتميز بالاهانة والأذى بالدرجة الأولى، ثم السخرية والاستهزاء الجارح والمهين...

٦- هل كانت هذه سفرة فاشلة؟!...

ولربما يتساءل البعض عن الفائدة العاجلة لهذه الرحلة الفاشلة؟... وفي جوابه نقول: إن من الطبيعي أن تترك هذه الحادثة آثاراً إيجابية من نوع ما في أذهان من التقى بهم، وكلمهم، وإن تشر فيا بعد آثارها المطلوبة والمرجوة منها... حيث قد أثرت بشكل واضح في تهيئة الجولايان ثقيف فيما بعد، وذلك عندما قويت شوكة الاسلام، ولم تعد تخشى الضغوط الاقتصادية والاجتماعية ممن حولها، ولا سيما من قریش عليها...

وذلك يعود: إلى أن قریشاً كانت تشيع عن النبي (ص): أنه مجنون أوساحر، أو كاهن، أو شاعر الخ... فعندما يتصل النبي صلى الله عليه وآله بالناس مباشرة، ويلمسون بأنفسهم حقيقة الأمر، ويتعرفون عن قرب على شخصيته وخصائصه، بحيث تسقط كل الاشاعات الكاذبة والمغرضة؛ فان الايمان به وبرسالته، وبنبوته يصير أسهل وأيسر، ويصبح اكثر قوة وعمقاً ورسوخاً...

الفصل الثاني

حتى بيعة العقبة

المجاعة:

ثم هاجت الأزمة، وهي الجوع— وكان ذلك بدعاء النبي (ص) الذي دعا عليهم— حتى اكلوا العلهز(١)، والقّد، وحتى أحرقوا العظام فأكلوها، واكلوا الكلاب الميتة، والجيف، ونبشوا القبور، واكلت المرأة طفلها.. وحتى كان الرجل يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان؛ فشغل ذلك الناس بأنفسهم و بمشاكلهم، فأتاحت الفرصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم— ولو لفترة قصيرة— ليتحرك في سبيل دينه ورسالته داعياً إلى الله، ومجاهداً في سبيله...

فلما دخلت سنة احدى عشرة جاء أبوسفیان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا محمد، جئت بصلة الرحم، وقومك قد هلكوا جوعاً، فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم... فكشف عنهم بقول الله عزوجل: «إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون...»(٢)

ولابد وأن نشير هنا: إلى أن رجوع أبي سفیان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم ليؤكد على أن المشركين كانوا يعرفون أن ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم و

(١) العلهز: دم يابس يدق به اوبار الابل في المجاعات و يؤكل...

(٢) الدخان ١٥. راجع: البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٥٧، وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٦٠ عن المناقب

لابن شهر آشوب

آله هو الحق، و لكنهم حجدوا ذلك استكباراً و عتواً، وعلواً، و حفاظاً على الامتيازات الظالمة التي جعلوها لانفسهم...

و من الجهة الثانية، فاننا نجد صلى الله عليه و آله... يستجيب لطلب أبي سفيان، ولكن ليس فقط لاجل ما ذكره له من لزوم صلة الرحم... لأن الاسلام هو الصلة الحقيقية بين ابناء البشر جميعاً، و على اساسه تكون الأخوة بينهم... و إنما يستجيب له ليعطيه دليلاً جديداً على أحقية ماجاء به، و ليقم الحجة عليه، و على كل من يرى رأيه... ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة... و لينح الفرصة لأولئك الذين يعيشون بعيداً عن الاضواء ليس لهم مصالح دنيوية كبيرة، ليفكروا بموضوعية و تجرد؛ بعيداً عن الاجواء المصطنعة..

النبي (ص) يعرض دعوته على القبائل:

لقد كان النبي الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم يغتم الفرصة في مواسم الحج؛ فيعرض على القبائل، قبيلة قبيلة، أن تعتنق الاسلام، و تعمل على نشره و تأييده، و حمايته و نصرته. بل كان لا يسمع بقادم إلى مكة، له اسم و شرف، إلا تصدى له و دعاه إلى الاسلام... و لكن عمه أبا لهب كان يتبعه أنى توجه، و يعقب على كلامه، و يطلب منهم أن لا يقبلوا منه ولا يطيعوه في شئ... هذا... عداعن اتهامه بالجنون، و السحر والكهانة، و الشعر، و غير ذلك...

و كان الناس في الغالب يسمعون من قريش...! إما خشية من سلطانها و نفوذها، و إما حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية في مكة، و لا سيما في مواسم الحج، و عكاظ...

كما أن تصدي أبي لهب عم النبي (ص) بالذات لافساد الأمر عليه (ص) كان أبعد تأثيراً في ذلك، على اعتبار: أنه عمه و اعرف الناس به...

ولقد افادت تحركات النبي صل الله عليه و آله و سلم هذه... حيث

إنهم بعد أن ذهب شوكة قريش، وخذ عنفوانها، وأصيب نفوذها بنكسة قوية بسبب ظهور دعوته و انتشار دينه صلى الله عليه وآله، وتوالى انتصاراته عليها... ولا سيما بعد فتح مكة... بدأت وفادات العرب تتري إلى المدينة بعد أن امنوا غائلة عداة قريش ليعلنوا عن ولائهم ومساندتهم، لأن دعايات قريش واشاعاتها الكاذبة قد ذهب أثرها وبطل مفعولها، لأنهم قد رأوا هذا النبي عن قرب و عرفوا فيه رجاحة العقل، واستقامة الطريقة، منذ اجتمعوا به في تلك المواسم، و عرض دعوته عليهم...

ونقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها... وهي أن تحرك النبي (ص) و عرضه دين الله على القبائل، وهجراته المتعددة في سبيله ليعتبر إدانة للمنطق القائل: إن على صاحب الدعوة: أن يجلس في بيته، ولا يتحرك، وعلى الناس أن يقصدوه و يسألوه عما يهمهم، و يحتاجون إليه...

بنوعا مر بن صعصعة، ونصرة النبي (ص):

و نود أن نشير هنا إلى واقعة هامة، حدثت في خلال عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوته على القبائل... وهي:

إن الرسول (ص) قد أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، و عرض عليهم نفسه، فقال لهم رجل منهم، إسمه: «بيحرة بن فراس»: والله، لو أنني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: أ رأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟

قال: الأمر لله، يضعه حيث يشاء.

فقال له: افهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لاجابة لنا بأمرك

فأبوا عليه... فلما صدر الناس، رجع بنوعا مر إلى شيخ لهم؛ فسألهم عما كان في موسمهم؛ فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبدالمطلب،

يزعم أنه نبي، يدعوننا إلى أن نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا...

فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذئابها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده، ماتقوها اسماعيلي قط، وإنما لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟!... (١)

ومثل ذلك جرى له مع كندة، كما ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة (٢).

ونحن هنا نشير إلى مايلي:

أ- الأمر لله:

ألف: ان الرسول لم يعط هؤلاء وعداً بما طلبوه منه، من جعل الأمر لهم بعده وأجابهم بأن الأمر لله، يضعه حيث يشاء، أي أنه لا يمكن أن يعد بما لا يعلم قدرته على الوفاء به... تماماً على العكس من السياسيين في عصرنا الحاضر الذين لا يتورعون عن اغداق الوعود المعسولة على الناس، حتى إذا وصلوا إلى غاياتهم، وجلسوا على كرسي الزعامة فانه ينسون كل ما قالوه، وما وعدوا به...

ولكن نبي الاسلام الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم رغم أنه كان بأمرس الحاجة إلى من يمدله يدالعون، ولاسيا من قبيلة كبيرة تملك من العدد والعدة، مايمكنها من حمايته، والرد عنه... هذا الرسول... يرفض أن يعد بما لايمك الوفاء به، حتى ولو كان هذا الوعد يجز عليه الربح الكثير فعلاً...

باء- إن جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بقوله: «الأمر لله يضعه حيث يشاء يؤيد مايزهد إلى أهله البيت عليهم السلام وشيعتهم الابرار

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦، والثقات لابن حبان ج ١ ص ٨٩-٩١، بهجة المحافل ج ١ ص ١٢٨، وحياة محمد لهيكل ص ١٥٢، والسيرة النبوية للدحلان ج ١ ص ١٤٧، والسيرة الخليلية ج ٢ ص ٣، والروض الانف ج ١ ص ١٨٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٩ و١٤٠، وعن دلائل النبوة لابن نعيم ص ١٠٠.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٠.

رضوان الله تعالى عليهم، من أن خلافة النبوة ليست من المناصب التي يرجع البتّ فيها إلى الناس. بل هي منصب إلهي، والأمر لله فيها، يضعه حيث يشاء...

٢- سمو الهدف... والنظرة الضيقة:

ومن البديهي: أن عرض هذه القبيلة مساعدتها على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النحو... إنما يدل على أنها لا تريد في مساعدتها له وجه الله سبحانه، ولا تنطلق في موقفها ذلك من قاعدة إيمانية قوية، وقناعة عقائدية راسخة... ولاطمعاً بثواب الله، ولاخوفاً من عقابه... لا... لا هذا، ولاذاك...

وإنما تنطلق في ذلك من نظرة ضيقة، مصلحة تجارية بالدرجة الأولى: وتريد من نصرها له أن تأكل به العرب، وتحصل على المجد والسلطان...

ومن الواضح - بناء على هذا - أن نصرها له لسوف ينتهي، عند ما تجد: أن مصلحتها قد انتهت، وحصلت على كل ما تريد، أوحيناً ترى: أن تجارتها الدنيوية قد خسرت، بل لربما تنقلب عليه إذارات فيه عائناً يمنعها عن تحقيق أهدافها، أو الاحتفاظ بالامتيازات الظالمة التي تفرضها لنفسها.

وهكذا... يتضح: أن الاعتماد على من يفكر بعقلية كهذه، و يتعامل من منطلق كهذا ليس إلا اعتماداً على سراب، إن لم يجز على من يعتمد عليه البلاء والعذاب...

٣- الدين... والسياسة:

وقد لاحظ بعض المحققين هنا: أن هذا العربي، وهو من بني عامر بن صعصعة، لما أخبروه بما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونقلوا إليه ماجرى لهم معه... قد أدرك: أن هذا الدين ليس مجرد ترهب في الصوامع، وصلاة، ودعاء، وأوراد، وأذكار... بل هودين يشتمل على التدبير

والسياسة، والحكم، ولاجل هذا قال: «لوأني أخذت هذا الفتى (يعني محمداً بماله من الدعوة الشاملة) لأكلت به العرب...».

ولقد سبقه إلى إدراك هذه الحقيقة شيخ الأنصار أسعد بن زرارة، لما قدم إلى مكة، وعرض عليه النبي (ص) ما يدعو إليه، فرأى: أن فيه وفي دعوته ما يصلح مجتمعه، ويعالج مشاكلهم المستعصية بينهم وبين إخوانهم من الأوس، وعلى هذا كانت الهجرة.

وقد أدرك ذلك أيضاً نفس أولئك الذين اشترطوا على النبي (ص) أن يكون لهم الأمر من بعده، فرفض صلى الله عليه وآله وسلم طلبهم...

فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للاسلام، ولدعوة القرآن... حتى إن هذا الفهم هو الذي مهد لاسلام الانصار، ثم الهجرة... وكذلك بيعتهم (بيعة العقبة الاولى والثانية) واختيار النقباء والكفلاء على المبايعين... وبين ذلك الذي يعتبر الدين منفصلاً عن السياسة، وان السياسة أمر غريب عن الدين. وإن ذلك ولاشك من القاءات الاستعمار، و من الفكر المسيحي الغريب المستورد، كما هو ظاهر...

٤- نتائج عرضه (ص) دعوته على القبائل:

ويمكننا: أن نستفيد مما تقدم:

١- ماتقدمت الاشارة إليه، من أن مقابلة النبي الأ عظم صلى الله عليه وآله وسلم للناس، والتحدث معهم مباشرة كان من شأنه: أن يعطي الناس الانطباع الحقيقي عن شخصية الرسول الاكرم (ص)، وحقائقه ما جاء به. ويدفع كل الدعايات والاشاعات الكاذبة، والمغرضة، التي كانت تبثها قريش و أعوانها، ككونه ساحراً، أو كاهناً، أو شاعراً أو مجنوناً، أو غير ذلك من ترهات...

٢- إن ماجرى في قضية بني عامر ليدل دلالة واضحة: على ان عرضه

صلى الله عليه وآله دعوته على القبائل، قداسهم في الدعاية لهذا الدين، ونشرويته، في مختلف الانحاء، والارجاء، فقد كان من الطبيعي أن يتحدث الناس، إذ ارجعوا الي بلادهم بما رأوه وسمعوه في سفرهم ذاك... ولم يكن ثمة خبر أكثر إثارة، لهم من خبر ظهور هذا الدين الجديد، و في مكة بالذات...

زواج النبي (ص) بسودة وعائشة:

و يقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله قد تزوج بسودة بنت زمعة، و عقد على عائشة بنت أبي بكر، و كان ذلك بعد عشرين سنة من البعثة...

ولا نجد لسودة دوراً هاماً في التاريخ، و في حياة النبي صلى الله عليه وآله و آله أو بعده، و كل الاهتمامات مركزة على عائشة، حتى لقد حكموا باستحباب العقد في شوال، لأنه صلى الله عليه وآله قد تزوج عائشة في شوال (١)... مع أنه (ص) نفسه تزوج غيرها في اشهر أخرى... و على كل حال فاننا لن نستطيع ان نلم في هذه العجالة بجميع ما قيل، أو يقال حولها؛ فان ذلك متعسر، بل متعذر...

ولذلك فنحن نكتفي بذكر أمرين لهما صلة بموضوع زواجه (ص) بها... و لربما يأتي انشاء الله بحوث أخرى لجوانب أخرى مما يرتبط بها...

و هذان الأمران هما: سن عائشة، و جمالها و حظوتها عند النبي (ص) فنقول:

١- سن عائشة:

و يقولون: إنه (ص) قد عقد على عائشة وهي بنت ست سنين أو سبع. ثم انتقلت الى بيته بعد هجرته إلى المدينة وهي بنت تسع. و هذا هو المروي

عنها (١) ...

و نحن نقول: إن ذلك غير صحيح، وان عمرها كان أزيد من ذلك بكثير، و نستند في ذلك الى مايلي:

أولاً: إن ابن اسحاق قد عدّ عائشة في جملة من أسلم أول البعثة، قال: وهي يومئذ صغيرة. و أنها اسلمت بعد ثمانية عشر انساناً فقط (٢) ... فلو جعلنا عمرها حين البعثة سبع سنين مثلاً فان عمرها حين العقد عليها كان ١٧ سنة، وحين الهجرة ٢٠ سنة...

ثانياً: و في مقام رفع التنافي بين قوله (ص) لفاطمة: انها سيدة نساء العالمين و بين ما نسب إليه (ص) من أنه لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، و آسية امرأة فرعون، و ان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام...

يقول الطحاوي: «قد يحتمل أن يكون ما في هذا الحديث قبل بلوغ فاطمة، و استحقاقها الرتبة التي ذكرها رسول الله (ص) لها... الى ان قال: و ان كل فضل ذكر لغير فاطمة، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمة، محتملاً لأن يكون وهي حينئذ صغيرة، ثم بلغت بعد ذلك الخ... (٣)».

قال الطحاوي هذا، بعد أن جزم قبل ذلك بقليل، بأن فاطمة صلوات الله و سلامه عليها كان عمرها حين توفيت خمساً و عشرين سنة (٤)

(١) - راجع فيما ذكرناه: طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٩، و الاصابة ج ٤ ص ٣٥٩، و تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤١٣ و تهذيب التهذيب ج ١٢، و أسد الغابة ج ٥ و غير ذلك و راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٠ لكنه ناقض نفسه ص ١٩١ فقال: انها توفيت سنة ٥٧ هـ . و عمرها ٦٤ سنة، و هذا يعني أنها كان عمرها حين الهجرة سبع سنوات فقط...

(٢) - راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧١، و تهذيب الاسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٥١ و ٣٢٩ عن ابن ابي خيثمة في تاريخه عن ابن اسحاق، و البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٤٦.

(٣) - مشكل الآثار ج ١ ص ٥٢

(٤) - مشكل الآثار ج ١ ص ٤٧. هذا... وقد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشة كفضل الثريد الخ... على المزاح منه (ص) معها؛ لأن جواهرها لا ينسجم مع جواهر التفضيل كما في قوله (ص): فاطمة

و هذا يعني أنها قد ولدت قبل البعثة بسنتين، والفرض: أن فاطمة كانت صغيرة حينما كانت عائشة بالغة مبلغ النساء...

وثالثاً: يذكر ابن قتيبة أن عائشة قد توفيت سنة ٥٨ - و عند غيره سنة ٥٧ هـ - وقد قاربت السبعين (١) فاذا لاحظنا: أن البعض يقول: إن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بثلاث أو أربع أو بخمس سنين وروي عن عائشة قولها: تزوجني رسول الله (ص) وأنا بنت تسع سنين راجع بحديث الافك ص ٩٣ ولعل هذه الرواية هي الاقرب بقريظة ما قدمناه، ولكثرة الخلط بين كلمتي «سبع» و «تسع» بسبب عدم نقط الكلمات في السابق... و هذا الرقم ايضاً مشكوك فيه لما تقدم، ولأن المرأة تميل إلى تقليل مقدار عمرها عادة...

وعلى كل حال... فكلام ابن قتيبة و الذي بعده يدل على أنها قد ولدت اما سنة البعثة أو قبلها... وهذا الثاني هو الأرجح لما قدمناه...

إذ لاحظنا كل ذلك :

فتكون النتيجة هي: أن عمر عائشة كان حين عقد النبي (ص) عليها سنة عشر من البعثة كان أكثر من ست سنين بكثير، أي ما بين ثلاثة عشر و سبعة عشر سنة...

من طرائف الروايات الموضوعية:

ومن الموضوعات الغريبة في هذا المجال، ماجاء عن أبي هريرة: من أن

سيدة نساء العالمين، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية الخ... ولاسيما بملاحظة: أن النبي (ص) لم يكن من المهتمين بأموالاطعمة، واللذيذ منها ليأتي بها كمثال على تفضيل في أمر حساس كهذا...

النبي (ص) لما دخل المدينة، واستوطنها طلب التزويج؛ فقال لهم: أنكحوني. فأتاه جبرئيل بخرقه من الجنة فيها صورة لم ير الراؤون أحسن منها، وأبلغه أمر الله له: أن يتزوج على تلك الصورة، فقال له النبي (ص): أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبرئيل؟ فقال له: إن الله يقول لك: تزوج بنت أبي بكر الصديق. فضى رسول الله إلى منزل أبي بكر، ففرع الباب، ثم قال: يا أبا بكر، إن الله أمرني أن أصاهرک، فعرض عليه بناته الثلاث فقال: إن الله أمرني أن أتزوج هذه الجارية، وهي عائشة، فتزوجها رسول الله (ص) (١)... انتهى باختصار...

وعادما في سند هذه الرواية، فاننا نقول:

أولاً: لم نفهم كيف يتصرف النبي تصرفاً لا يصدر عن العقلاء الذين يحترمون أنفسهم، فيطلب التزويج من الناس، ويقول لهم: أنكحوني!!... إلا أن يكون صبياً صغيراً، لحياء عنده، ولا عقل لديه... والغريب في الأمر: أنهم قد عاملوه بالجفاء، واهملوا تنفيذ طلبه، حتى جاء جبرئيل فتولى حل مشكلته...

وثانياً: هل صحيح: ان عائشة كانت من الحسن بهذه المثابة: حتى إن صورتها لم ير الراؤون أحسن منها؟!... ولعل في ماسياتي مقنعاً وكفاية لمن أراد الرشدهم والحق والهداية...

وثالثاً: لقد تزوج النبي (ص) عائشة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات وإجماع المؤرخين على ذلك ظاهر للعيان.

ورابعاً: لم نعرف البنات الثلاث اللواتي عرضهن أبو بكر على النبي (ص) فأسماء كانت تحت الزبير، وقدمت المدينة وهي حامل بولدها عبد الله، وعائشة قد تزوجت النبي (ص) في مكة، وام كلثوم، قد ولدت بعد وفاة

(١) - تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ١٩٤، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٤، وقد كذبا (الخطيب والذهبي) هذا الحديث الذي جمع رجال أسناده ثقات باستثناء محمد بن الحسن الدقاع الأصب... وراجع: الغدير ج ٥ ص ٣٢١.

أبي بكر (١) ولم يولد له غير هن.. وأخيراً فإن لقب (الصديق) قد جاءه بعد وفاته صلى الله عليه وآله من محبيه، كما ربما نشير إليه حين الكلام على قضية الغار إن شاء الله تعالى.

جمال عائشة و حظوتها:

وإن أكثر إن لم يكن كل ما يقال عن جمال عائشة و حظوتها، وحب النبي (ص) لها مروى عنها نفسها، أو عن ابن أختها عروة.. ونحن نقطع بعدم صحة ذلك من الأساس، و نحن نذكر هنا ما أوردناه في كتابنا «حديث الافك»، (الذي طبع مؤخراً)، مع بعض الاضافات؛ فنقول:

أولاً: إن ذلك — كما قلنا — لم يأت عموماً— إلا من طريق عائشة نفسها، كما يظهر من تتبع الروايات!!...

وثانياً: إننا نجد ابن عباس يواجهها بعد حرب الجمل بحقيقة: أنها لم تكن أحسن نساء النبي (ص) وجهاً، ولا بأكرمهن حسباً (٢). كما أن عمر انما يصف زينب بالحسن دون عائشة كما سيأتي بعد قليل.

وثالثاً: قال علي فكري: «... ومارواه ابن بكار: من أن الضحاك بن أبي سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً؛ فلما بايعه النبي (ص) قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشة، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب) أفلا أنزل لك عن احدهما فتزوجها؟— وعائشة جالسة تسمع؛ فقالت: أهي أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن واكرم. فضحك رسول الله (ص) من سؤالها إياه (لأنه كان دميماً قبيح الوجه)... (٣)».

ورابعاً: ان من يتتبع سيرة زوجات النبي (ص) يجد: أن عائشة هي التي كانت تحسد و تغار من كل زوجة و سُرِّيَّة له (ص). و يدرك بما

(١) — راجع: نسب قریش لمصعب الزبيری ص ٢٧٥ — ٢٧٨ لتعرف من ولدهم أبو بكر.

(٢) — الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٣٣٧ ط الهند

(٣) — السمير المهذب ج ٢ ص ٨ — ٩.

لا مجال معه للشك: أن أكثرهن - إن لم يكن كلهن - كن أكثر حظوة لدى النبي (ص) منها، إن لم نقل أنهن أجمل وأضوء منها أيضاً؛ فإن من الطبيعي أن نجد الدميم هو الذي يحسد على الجمال ويغار، أما الجميل فليس من الطبيعي أن يحسد الدميم، وأن يغار منه...

كما أنه ليس من الطبيعي أن يكون الميل لغير ذات الجمال أكثر منه للجميلة الوضيئة، وقد ذكر في حديث الافك على لسان أم عائشة قولها: «فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يجها، ولها ضرائر إلا أكثرن عليها».

ولو صدقنا: أنها كانت هي ذات الحظوة لدى الرسول، وأنه كان يجها أكثر من غيرها، فلماذا هذه الغيرة، وهذا الحسد منها لهن... فإن الحسد لا بد وأن يكون على شيء يفقده الحاسد، ويتمنى زواله عن المحسود، وانتقاله إليه...

و إليك بعض موارد غيرة و حسد عائشة لضرائها...

١- خديجة عليها السلام:

عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة كما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها. ولكن لكثرة ذكر رسول الله (ص) إياها، وإن كان ليذبح الشاة؛ فيتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن (١)...

وللحديث عبارات وأسانيد مختلفة لا مجال لها الآن.

وقد ذكر النبي (ص) خديجة يوماً، فغارت أم المؤمنين، فقالت: هل

(١) - صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٩٢، وج ٥ ص ٤٨، وج ٧ ص ٤٧، وج ٨ ص ١٠، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤ و ١٣٣، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٣٨، والمصنف ج ٧ ص ٤٩٣، والإستيعاب هامش الإصابة ج ٤ ص ٢٨٦، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٨ عن البخاري، ومسلم، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٥٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٨.

كانت إلا عجوزاً أبد لك الله خيراً منها... وفي لفظ مسلم: «... ومات ذكر من عجوز من عجائز قر يش، همراء الشدقين، هلكت في الدهر، أبدلك الله خيراً منها» فغضب (ص)، حتى اهتز مقدم شعره، ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها... الخ الرواية (١)...

وقال العسقلاني والقسطلاني: «... وان عائشة كانت تغار من نساء النبي (ص)، لكن كانت تغار من خديجة أكثر...» (٢).

ولعمري... لقد كان هذا بعد الوفاة، فكيف لو كانت على قيد الحياة؟!.. وإذا كانت غير أم المؤمنين قد بلغت الأموات، فاحالها مع الأحياء. وكيف كانت معاملتها لهن؟!...

٢- زينب بنت جحش..

ولقد اعترفت عائشة في حديث الأفك بأن زينب هي التي كانت تسامها من أزواج النبي (ص).

واعترفت عائشة أيضاً: أنها قد أخذها ما قرب وما بعد، حينما اراد النبي (ص) أن يتزوج زينب، لما كان يبلغهم من جاهها (٣)...

وقضية عائشة وحفصة مع زينب في قضية المغاير مشهورة، حتى يقولون: إن هذا هو سبب نزول آية التحريم (٤)، وان كنا نحن نعتقد أنها نزلت في غير هذه القضية...

(١) - صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤، لكنه لم يذكر جوابه (ص) وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٣٨، والإصابة ج ٤ ص ٢٨٣، والإستيعاب هامشها ج ٤ ص ٢٨٧/٢٨٦، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٨، ومسنند أحمد ج ٦ ص ١١٧، وليراجع البخاري ج ٥ ص ٤٨، والبدية والنهاية ج ٣ ص ١٢٨.

(٢) - فتح الباري ج ٧ ص ١٠٢، وإرشاد الساري ج ٦ ص ١٦٦ وج ٨ ص ١١٣.

(٣) - الإصابة ج ٤ ص ٣١٤، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٢، والدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٢ عن ابن سعد، والحاكم.

(٤) - طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٦...

واعترف عمر بن الخطاب بجمال زينب، عندما قال لابنته، ليس لك حظوة عائشة، ولا حسن زينب (١)... ونحن نشك في الفقرة الأولى، ونعتقد أنها من تزيد الرواة لحاجة في النفس، وذلك لما تقدم وسيأتي...

وتذكر أم سلمة: أن زينب كانت معجبة لرسول الله (ص) وكان يستكثر منها (٢)...

٣- أم سلمة رحها الله تعالى: ... كانت أم سلمة من أجل الناس (٣).

وعن الإمام الباقر: انها أجل نساء النبي (ص)... ويذكرون أن قصة المغاير من عائشة وحفصة كانت معها (٤). كما أن عائشة قد اعترفت بأن أم سلمة وزينب كانتا أحب نسائه (ص) إليه بعدها (٥).

تقول عائشة: «ولما تزوج رسول الله (ص) أم سلمة حزنت حزناً شديداً، لما ذكرنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت والله أضعاف ما وصفت الخ...» (٦).

وقال ابن حجر: «كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ الخ...» (٧).

٤- صفية بنت حيي بن أخطب: قالت أم سنان الاسلمية: «كانت من أضوأ ما يكون من النساء...» (٨). ولما قدمت المدينة جئن نساء الأنصار ينظرن إلى جمالها، وعائشة متنقبة معهن. فلما سأها رسول الله: كيف رأيت يا

(١)- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٣٧، ١٣٨.

(٢)- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٣، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٤٧.

(٣)- المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٥ وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢.

(٤)- راجع طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢٢، والدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.

(٥)- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨١.

(٦)- الإصابة ج ٤ ص ٤٥٩، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٦.

(٧)- الإصابة ج ٤ ص ٤٥٩.

(٨)- الإصابة ج ٤ ص ٣٤٧ و ص ٤٦٣، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٧.

عائشة؟ قالت: رأيت يهودية. فنهاها (ص) عن قولها ذلك (١). وعندما وقعت في السبي جعلوا يمدحونها، ويقولون: رأينا في السبي امرأة مارأينا ضربها (٢) ولما أرسلت صفيّة قصعة فيها طعام إلى النبي وهو في بيت عائشة أخذتها رعدة حتى استقلها افكل، وضربت القصعة، فرمت بها الخ... (٣).

٥- جويرية بنت الحارث: تقول عائشة انها كانت امرأة حلوة ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه؛ فأنت رسول الله (ص) تستعينه في كتابتها. قالت عائشة: فوالله ما هي إلا ان رأيتها، فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت، فلما دخلت على رسول الله (ص) الخ... (٤).

٦- مارية القبطية: قالت عائشة: ماغرت على إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول الله (ص). وكان أنزلها أول ما قدمت في بيت الحارث بن النعمان؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامة الليل والنهار عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحوّوها إلى العالية، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا (٥).

وعن أبي جعفر عليه السلام: انه (ص) قد حجب مارية «وكانت ثقلت على نساء النبي (ص)، وغرن عليها، ولا مثل عائشة» (٦).

(١) - الإصابة ج ٤ ص ٣٤٧، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٩٠.

(٢) - طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٨.

(٣) - مسند أحمد ص ٢٧٧ ج ٦، والبخاري باب الغيرة، وأخر كتاب النكاح، لكنه لم يصرح باسم عائشة!!!

(٤) - الإصابة ج ٤ ص ٢٦٥، والإستيعاب هامش الإصابة ج ٤ ص ٢٥٩، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٥٠.

(٥) - الإصابة ج ٤ ص ٤٠٥، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣، ولتراجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣/٣٠٤ ووفاء الوفاء للسهمودي ج ٣ ص ٨٢٦.

(٦) - طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩.

وكان رسول الله (ص) يعجب بمارية، «وكانت مارية بيضاء جعدة، جميلة» (١)... وكانت حسنة الدين (٢).

وتنافست الأنصار فيمن يرضع ابراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي (ص)، لما يعلمون من هواه فيها (٣)...

ولعل... مما زاد في غيرة عائشة قضية ولادة ابراهيم منها، حتى تجرأت على نفي شبهه برسول الله، رغم تأكيد النبي (ص) لها على ذلك... وحتى كان ما كان من نزول آية التحريم كما عن السيوطي وغيره...

٧- سودة بنت زمعة: كانت عائشة تقول: ما من الناس امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة، إلا أنها امرأة فيها حسد (٤).

٨- أسماء بنت النعمان: كانت أجمل أهل زمانها وأشبّه... وقد حسدتها نساء النبي (ص) وخدعتها. وكانت الخديعة لها من عائشة وحفصة معاً. حتى قالت للنبي (ص): أعوذ بالله منك، فطلقها (٥).

٩- مليكة بنت كعب: كانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعذت من رسول الله (ص): فطلقها (٦)...

(١)- طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦. والإصابة ج ٤ ص ٤٠٥.

(٢)- تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٥٥، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣.

(٣)- ذخائر العقبى ص ٥٤ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ٤٢، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣.

(٤)- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٧، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٠.

(٥)- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٥، ٤١٦ دون تصريح باسم من خدعتها

(٦)- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٦.

١٠— أم شريك : وهبت نفسها للنبي (ص)، فقبلها (ص)، فقالت عائشة: مافي امرأة حين تهب نفسها لرجل خير. قالت أم شريك: فأنا تلك، فسامها الله مؤمنة؛ فقال: وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي، فلما نزلت هذه الآية، قالت عائشة للنبي(ص): ان الله ليسرع لكفي هواك (١).

١١— شراف بنت خليفة: خطب رسول الله امرأة من كلب؛ فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت، ثم رجعت. فقال لها رسول الله: مارأيت، فقالت: مارأيت طائلاً...

فقال رسول الله: لقد رأيت طائلاً، لقد رأيت خالاً بخذها، اقشعرت كل شعرة منك. فقالت: يا رسول الله، مادونك سر (٢)...

نهاية المطاف:

هذه كانت حالة عائشة مع زوجات النبي... وأكثر هذه المشاكل كانت فيما يبدو بسبب غيرتها منهن، لجمالهن البارع، وحسنهن الرائع كما قدمنا، ولم نجد لأبي من زوجات النبي (ص) معشار ما وجدناه لعائشة من المشاكل والتجاوزات... اللهم إلا رواية أو روايتين مرويتان عن عائشة نفسها!!! فهذا السيل العارم منها— خاصة— دون غيرها منهن يكشف عن أن ثمة ما يبرر هذا... الا وهوانها تحس بالنقص في نفسها تجاههن من حيث الجمال على الأقل.

وهكذا... تسقط جميع الادعاءات والروايات التي عن عروة وغيره وعنها والمبينة لحظوتها ولمكانتها لدى النبي صلى الله عليه وآله... أو على الأقل تصير محل شك وريب. وأما ما يقال في حديث الافك فانه ايضا باطل وقد فصلنا القول في ذلك في كتاب مستقل طبع مؤخراً.

(١) — طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٢.

(٢) — طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٥.

وماذا بعد:

هذا واننا لانجد مبرراً لتحمل النبي (ص) من عائشة جرأتها. وتجاوزاتها، وايدائها له في أخيه علي، وفي زوجاته، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يتخذ القرار النهائي بالنسبة إليها، لأن السياسة كانت تقضي عليه بتحمل كل هذه المشاق... ويدلنا على أن النبي كان يتعامل مع زوجاته من موقعه السياسي الحرج، لا من جوبيت الزوجية... قول عمر حفصة— عندما تظاهرت على النبي (ص) مع عائشة، واعتزلن—: «... والله، لقد علمت أن رسول الله (ص) لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله (ص)...» (١).

الحق... أننا يجب أن نتذكر هنا: أنه لم يكن ثمة من يستطيع الجهر بالحقيقة وإظهار الواقع، لأن الجهاز الحاكم كله كان يمسك بركاب عائشة، ويعلي قدرها، ويرفع من شأنها؛ لأنه كان يستفيد منها أعظم الفوائد، وأسناها... وكان ثمة خطة مرسومة لإظهار عظيم منزلتها، وإغداق الأوسمة عليها، بثمان، أو بغير ثمن!!

دخول الاسلام إلى المدينة:

وثمة خلاف بين المؤرخين في من؟ ومتى؟ و كيفية اسلام أول دفعة من أهل المدينة. أما نحن... فنستطيع أن نؤكد على أن الاسلام قد دخل المدينة على مراحل، فأسلم أولاً: اسعد بن زرارة. و ذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين في الشعب ثم اسلم خمسة أو ثمانية أوسمة نفر بعد ذلك ثم كانت بيعة العقبة الاولى، ثم كانت بيعة العقبة الثانية، وهذا هو ما يظهر من مغلطي (٢) وغيره...

ولذلك فهم يقولون: ان أسعد بن زرارة، و ذكوان بن عبد القيس الخنزرجيين قدما مكة في أحد المواسم، حينما كانت قریش تحاصرها شاميين في الشعب (شعب أبي طالب) و ذلك بهدف طلب الحلف من عتبة بن ربيعة

(١) — صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٩. ولسوف يأتي مزيد توضيح لذلك في البحث عن سبب تكثر زوجاته قبل واقعة أحد إن شاء الله تعالى... (٢) — راجع سيرة مغلطي ص ٢٩.

على الأوس، فرفض عتبة ذلك ، وقال: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لانتفرغ لشيئ.. فسأله عن هذا الشغل؛ فأخبره بخروج النبي (ص) فيهم، و أنه أفسد شبابهم، و فرق جماعتهم، ثم حذره من الاتصال به، فانه ساحر يسحره بكلامه، وأمره إذا أراد الطواف أن يضع القطن في أذنيه، حتى لا يسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله، الذي كان آنئذ يجلس في الحجر جمع طائفة من بني هاشم، وكانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم.

و جاء أسعد للطواف، ورأى النبي (ص) جالسا في الحجر، فقال في نفسه: ما أجد أجهل مني. أيكون هذا الحديث في مكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟، ثم أخذ القطن من أذنيه فرمى به، وجاء إلى النبي (ص)، فسلم عليه، وكلمه؛ فعرض عليه (ص) ما جاء به فأسلم، و اسلم بعده ذكوان...

ثم في سنة احدى عشرة من النبوة خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الموسم، يعرض على القبائل دعوته، و يطلب منهم نصرته؛ فالتقى على العقبة برهط من الخزرج؛ فدعاهم إلى الله و الاسلام، و قرأ عليهم القرآن فأمنوا به، و كانوا ستة نفر، وهم: اسعد بن زرارة، و جابر بن عبدالله، و عوف بن الحارث و رافع بن مالك، و عقبة و قطبة ابنا عامر... و قيل: ثمانية نفر. و قيل غير ذلك (و ثمة اختلاف في اسمائهم، و ذكر غير ما ذكر، مكانه، و لا مجال لتحقيق ذلك)

و رجع اولئك نفر إلى قومهم في المدينة، فذكروا لهم رسول الله (ص)، و دعوههم إلى الاسلام. ثم كانت بيعة العقبة الأولى في سنة اثنتي عشرة من البعثة اي قبل الهجرة بسنة...

وفي رواية: ان اسعد بن زرارة لما التقى به النبي (ص) هو و ذكوان، قال للنبي (ص): يا رسول الله، بأبي أنت و أمي، انا من اهل يثرب، من الخزرج، و بيننا و بين اخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فان وصلها الله بك، و لا اجد اعز منك، و معي رجل من قومي، فان دخل في هذا الأمر رجوت ان

يتمم الله لنا امرنا فيك. والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، و
ييشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وارجوان يكون دارنا دار هجرتك عندنا،
فقد اعلمنا اليهود ذلك؛ فالحمد لله الذي ساقني اليك، والله ماجئت
الانطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما آتيت له.

ثم اقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود
تبشرنا به، وتخبرنا بصفته؛ فهلهم فأسلم؛ فأسلم ذكوان الخ (١).
ونحن قبل أن نمضي في الحديث لابد وأن نشير الى ما يلي:

١- اخبارات أهل الكتاب:

يفهم مما تقدم: ان أهل المدينة كانوا يسمعون من اليهود خبر ظهور
النبي عن قريب، وأن ذلك قد جعلهم مهيين نفسياً لقبول الدين الذي جاء
به هذا النبي (ص)...

٢- المشاكل بين الأوس والخزرج:

لقد كان ثمة حروب هائلة بين الأوس والخزرج، كانت آخرها وقعة
بعث التي انتصرت فيها قبيلة الأوس، حينما كان الهاشميون و النبي (ص)
محصورين في شعب ابي طالب... وكانت الحالة بين القبيلتين صعبة للغاية،
حتى ليزكروا: أنهم ما كانوا يضعون السلاح لافي الليل ولا في النهار (٢)
مما يعني أنهم يعانون من أقسى الحالات التي يمكن أن يواجهها من يملك
امكانيات معيشية محدودة مثلهم...

وحتى لقد كان واضحاً: أنهم كانوا يتطلعون بشوق إلى الخروج من

(١) - السجدة ج ١ ص ٩ و اعلام، الوري ص ٥٧ عن علي بن ابراهيم.

(٢) - السجدة ج ١ ص ٩ و اعلام، الوري ص ٥٥.

هذه الحالة المأساة... و يأملون في وصل الحبال المقطوعة فيما بينهم - كما عبر عنه أسعد بن زرارة للحظات خلت - والذي كان يعمل من أجل عقد حلف مع عتبة بن ربيعة ضد الأوس.

فأهل المدينة إذن... قد ذاقوا مرارة الانحراف و الظلم.. وهم يريدون المنقذ الحقيقي لهم. وقد وجدوه في نبي الاسلام الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي جاء هم بتعاليم الشريعة السهلة السمحاء... و لذلك فقد قالوا لرسول الله (ص): «نرجع إلى قومنا، ونخبرهم بالذي كلمتنا به، فما أرغبنا فيك. إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم، لانعلم حياً من العرب بينهم من العدو ما بينهم. و سترجع اليهم بالذي سمعنا منك، لعل الله يقبل بقلوبهم، و يصلح بك ذات بينهم، و يؤلف بين قلوبهم (١)».

٣- تعاليم الشريعة السمحاء:

و إن تعاليم الاسلام هي التعاليم الموافقة للفطرة السليمة، و بلا تعقيد أو إبهام فيها، فهي بسيطة و سهلة، لا تحتاج لإدراك حقانيتها إلى تفكير عميق، أو اجتهاد في إدراك مراميها، و التكهن بنتائجها...

ولذلك نجد أهل المدينة يسارعون إلى قبول الدعوة بمجرد سماعهم لأهدافها، و مبادئها... و يتضح ذلك أكثر إذا لاحظنا: أن أهل المدينة كانوا لا يعانون من ظروف أهل مكة، الذين يحاربون الاسلام؛ لأنهم رأوا فيه خطراً على مصالحهم الشخصية، و امتيازاتهم الظالمة التي فرضوها لأنفسهم، و أهوائهم و انحرافاتهم... كما أوضحناه في غير موضع...

إن أهل المدينة بالإضافة إلى اخبارات اليهود لهم - قدرأوا منذ اللحظات الأولى في الاسلام و تعاليمه المنقذ لهم، و المخرج من الظلمات إلى النور، و من الموت إلى الحياة... و الموافقة للفطرة و العقل السليم، سواء على صعيد العقائد أو التشريع أو على صعيد اتخاذ القرار الاجتماعي و السياسي، فقد سألوا

النبي صلى الله عليه وآله عما يدعو إليه، فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى:

«أن لا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين احساناً، ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق، نحن نرزقكم واياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا تكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا، ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون(١)».

ولاجل ذلك اعتقدوا بهذه الدعوة، وحاربوا قريشاً والعرب من اجلها وفي سبيلها.

٤- المدنيون والمكيون:

إن الوثنية التي كان أهل المدينة يدينون بها لم تستطع أن تحل مشاكلهم الداخلية، على اختلافها، ولا حتى أن تخفف من حدتها... كما أنها لم تكن تجلب لهم امتيازات اجتماعية، ولا اقتصادية ولا غيرها... ولذلك فقد ضعفت ووهنت، وزاد في ضعفها ووهنها مخالفتها للفطرة السليمة، والعقل القويم... ثم جاءت اخبارات اليهود لهم بقرب ظهور نبي يخبر عن الله لتزيد من ذلك الضعف والوهن إلى حد بعيد...

وهذا تماماً على عكس الحال في مشركي مكة؛ فانهم كانوا يستفيدون من وثنيتهم اجتماعياً واقتصادياً، وجعلوا من انفسهم محوراً تلتقي عليه سائر الفئات والقبائل في المنطقة، وكرسوا لانفسهم الكثير من الامتيازات الظالمة... ولم يكونوا على استعداد للتخلي عن هذه الامتيازات من اجل خدمة الحق والانسان، بل كانوا يضحون بالانسان والحق في سبيل امتيازاتهم وانحرافاتهم ومصالحهم تلك...

هذا... ولا بد من ملاحظة ما قدمناه حين الكلام على العوامل التي ساعدت على انتصار الاسلام وانتشاره، لنجد: أن شخصية الرسول العظيمة، وأخلاقه الكريمة، وكونه من أرفع بيت في قريش والعرب— ويضيف البعض: رابطة القريبي، التي كانت تربطه ببني النجار الخزرجيين، عن طريق آمنة بنت وهب— كل ذلك وسواه مما تقدم قد أسهم في اقبال أهل المدينة على الاسلام، وتقبل دعوته، والتضيحة في سبيله...

الفصل الثالث

بيعة العقبة:

بيعة العقبة الاولى:

و يقولون: إنه حينما عاد أولئك النفرالذين اسلموا إلى المدينة ذكرواهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعوهم إلى الاسلام، حتى فشافيهم، فلم يبق دارمن دورالأنصار، إلاوفىها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وآله...

حتى إذا كان العام المقبل أي في السنة الثانية عشرة من البعثة، وفى الموسم اثنا عشر رجلا اثنان منهم أوسيان، والباقون من الخزرج، فالتقوا مع الرسول صلى الله عليه وآله فى العقبة، وبايعوه على بيعة النساء، أي البيعة التي لا تشتمل على حرب، أي: «على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقون، ولا يزنون، ولا يقتلون أولادهم، ولا يأتون بهتان يفترونه من بين أيديهم و أرجلهم، ولا يعصونه فى معروف، فان و فوا فلهم الجنة، وإن غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله عزوجل، إن شاء عذب، وإن شاء غفر».

ولما رجعوا الى المدينة أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى المقرئ. وألحقه با بن أم مكتوم (١) كما قيل.. وأقام مصعب

(١) — السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥١ و١٥٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩ وفيه أن الواقدي ذكران ابن أم مكتوم إنما قدم المدينة بعد بدر بقليل، وفي كلام ابن قتيبة أنه قدم المدينة مهاجراً بعد بدر بستين. ثم جمع الحلبي بين الأقوال باحتمال: أن يكون قد علم أهل المدينة ثم عاد إلى مكة، ثم عاد فهاجر بعد بدر.. وهو احتمال وجيه لا باس به...

أول صلاة جمعة في المدينة!!.

وقد نجح مصعب، و من معه ممن اسلم في الدعوة إلى الله تعالى، و اسلم سعد بن معاذ، الذي كان السبب في اسلام قومه بني عمير بن عبد الاشهل، حيث إنه بعد ان اسلم على يد مصعب رجع إلى قومه، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعرفون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا و افضلنا رأياً، و ايميننا نفساً و أمراً.

قال: فان كلام رجالكم و نسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله و

رسوله...

قال: فوالله، ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً، او مسلمة، فأسلموا كلهم في يوم واحد، (إلا عمر و بن ثابت، فانه تأخر اسلامه إلى احد، فأسلم، ثم استشهد قبل أن يسجد لله سجدة واحدة، كما قيل)...

و أقام مصعب بن عمير يدعو الناس إلى الاسلام، حتى أسلم الرجال و النساء، من الأنصار، باستثناء جماعة من الاوس، اتبعوا في ذلك أحد زعمائهم، الذي تأخر اسلامه إلى ما بعد هجرة الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم...

هكذا يذكر المؤرخون... ولنا هنا وقفات، فلنقف أولاً مع:

دعوة سعد بن معاذ قومه:

و إن الدعوة إلى الله ليست مختصة بالانبياء و الاوصياء بل هي شاملة لكل مكلف بحسب ما يملك من طاقات و قدرات. وهي من الامور التي يلزم بها العقل الفطري السليم، و يوجها على كل إنسان، و لا تحتاج إلى جعل شرعي؛ فان العقل يدرك: أن في ارتكاب المنكرات و ترك الواجبات، و الانحراف في الفكر و العقيدة و السلوك ضرر جسيم على المجتمعات الحاضرة و على الاجيال،

ولذلك فهو يحكم بلزوم الدعوة إلى الالتزام بالخط الفكري الصحيح، وترك المنكر، وفعل المعروف.

وهذا هو— بالذات— مايفسرلنا اندفاع سعدبن معاذ في الدعوة إلى الله تعالى، حتى إنه على استعداد لقطع كل علاقة مع قومه إذا كانوا ضالين منحرفين...

هذا وإن عظمة هذاالموقف لتتضح اكثر إذا عرفنا إلى أي حد كان سعادة ومصيرالانسان العربي في تلك الفترة مرتبطاً بقبيلته و مدى ارتباطه بها...

وقد جاء القرآن مؤيداً لحكم العقل والفطرة هذا؛ ففرض على كل من كان له بصيرة في أمر الدين أن يدعوا إلى الله تعالى. قال تعالى: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني» (١)

كما أننا لا بد وأن نشير أيضاً: إلى أن من عرف الحق، و ذاق حلاوة الايمان، فإنه لا يملك نفسه من الاندفاع نحو محاولة جلب الآخرين نحو هذا الحق، وجعلهم يؤمنون به، و يستفيدون منه، و يلتذون و يشعرون بحلاوته.

ولذلك نجد الامام علي بن الحسين عليه السلام، الذي كان يخشى على شيعته، الذين هم الصفوة في الامة الاسلامية، والذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد، و البلايا في الدولة الاموية، و بعدها في الدولة العباسية— إن الامام السجاد— كان يظهر تدمره من عدم مراعاة الشيعة للظروف و المناسبات، و هو يرى حدة اندفاعهم نحو اظها رامرهم، بسبب شعورهم بحلاوة الايمان، و ضرورة ابلاغ كلمة الحق، قال السجاد: «وددت و الله أنني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدي: النزق و قلة الكتمان» (٢).

(١) — يوسف ١٠٨

(٢) — سفينة البحار ج ١ ص ٧٣٣ و البحار ج ٧٥ ص ٦٩ و ٧٢ عن الخصال ج ١ ص ٢٤ و

البيعة:

ويلاحظ: أن نص البيعة قد تضمن الخطوط العريضة، واهم المبادئ التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي وهي تتضمن جانباً عقائدياً، و آخر عملياً، وقد حملهم صلى الله عليه وآله مسؤوليات معينة في علاقاتهم مع بعضهم بعضاً.. وجعل التزامهم هذا قائماً على اعطاء تعهد من قبلهم، يرون مخالفته تتنافى مع شرف الكلمة وقدسيتها؛ وذلك تحت عنوان: «البيعة» والتي تعني اعطاء كلمة الشرف بالالتزام بتلك المبادئ...

ولكنه لم يقرر عقاباً عنيفاً لمن ينقض هذا العهد، ويتجاوزه ويغش فيه؛ فان الوقت حينئذ لم يكن مناسباً لقرار كهذا. بل أوكل ذلك إلى الوجدان والضمير الشخصي لكل منهم، مع ربطه بالمبدأ العقيدي... مع اعطاء الفرصة له للعودة لاصلاح الخطأ إن كان... حيث أبقي الأمل حياً لدى ذلك الذي يمكن أن يغش، وأوكل امره إلى الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر...

صلاة الجمعة:

وقد تقدم في الحديث: أن مصعب بن عمير قد جمع بالمسلمين في المدينة قبل الهجرة... وربما يعترض على ذلك: بأن سورة الجمعة قد نزلت بعد هجرته (ص) إلى المدينة؛ فكيف صلى مصعب الجمعة قبل تشريعها...

والجواب: إننا لو سلمنا أن المراد بجمع، صلى الجمعة... مع أن من المحتمل ان يكون المراد صلى جماعة— لو سلمنا ذلك— فإن قوله تعالى في سورة الجمعة: «يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله (١)». ليس ناظراً إلى اقامة الجمعة، وإنما هو يوجب السعي إلى الجمعة التي تقام، فلعل وجوب اقامتها كان قبل ذلك على لسانه صلى الله عليه وآله في مكة، ولكن لم يكن يمكن اقامتها، أو كان يقيمها سراً ولم يصل ذلك إلينا...

و يؤيد ذلك قوله تعالى: «و إذارأ و اتجارة أولهواً انفضوا اليها و تركوك قائماً، قل ما عند الله خير من اللهو و من التجارة» (١) فان ذلك يشير الى أن الجمعة كانت قد شرعت قبل ذلك. وان هذا كان سلوكهم معه (ص).

و يؤيد ذلك ما أخرجه الدارقطني، عن ابن عباس، قال: آذن للنبي (ص) الجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع أن يجمع بمكة؛ فكتب إلى مصعب بن عمير: أما بعد، فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم و أبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بر كعتين. قال: فهو أول من جمع، حتى قدم النبي (ص) المدينة، فجمع بعد الزوال من الظهر، و أظهر ذلك (٢).

وثمة روايات تفيد: أن أول من جمع بهم هو أسعد بن زرارة (٣).

بيعة العقبة الثانية:

و يعود مصعب بن عمير من المدينة إلى مكة، فيعرض على النبي صلى الله عليه وآله نتائج عمله؛ فيسر بذلك نبي الاسلام عليه و على آله الصلاة و السلام سروراً عظيماً (٤)

وفي موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة يأتي من أهل المدينة جماعة كبيرة بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمسة مئة (٥)، فيهم المشركون، وفيهم المسلمون المستخفون من حجاج المشركين من قومهم.

والتقى بعض مسلميهم بالرسول صلى الله عليه وآله، و وعدهم اللقاء في العقبة في أواسط أيام التشريق ليلاً، إذا هدأت الرجل، و امرهم أن

(١) - الجمعة ١١.

(٢) - الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن الدارقطني.

(٣) - الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن أبي داود، وابن ماجه و ابن حبان، و البيهقي، و عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن المنذر.

(٤) - و في البحار ج ١٩ ص ١٢: أن مصعباً قد كتب إلى النبي صلى الله عليه وآله بذلك و كذا في اعلام الوري ص ٥٩

(٥) - طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤٩

لا ينبهوا نائماً، ولا ينتظروا غائباً

ويلاحظ هنا ما لهذا التوقيت من أهمية، فانه لو انكشف أمرهم، فانه يكون بعد تمام حجهم، ومفارقتهم للبلد، ولا يبقى من ثم مجال للضغط عليهم بشكل فعال... ويلاحظ كذلك أمره (ص) لهم بأن لا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً... فإن ذلك ليس إلا من أجل أن لا ينكشف أمرهم إذا لاحظ غيرهم عدم طبيعية تصرفاتهم.

وفي تلك الليلة بالذات ناموا مع قومهم في رحالهم، حتى إذا مضى ثلث الليل بدؤا يتسللون إلى مكان الموعد، واحداً بعد الآخر، ولا يشعر بهم أحد، حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة، وهم سبعون أو ثلثة وسبعون رجلاً، وامراتان...

والتقوا بالرسول صلى الله عليه وآله هناك في الدار التي كان صلى الله عليه وآله نازلاً فيها، وهي دار عبدالمطلب، وكان معه حمزة وعلي، والعباس (١)...

وبايعوه على أن يمينوه واهله مما يمينون منه أنفسهم، وأهلهم وأولادهم، وأن يؤوهم و ينصروهم، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل، و النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يقولوا في الله، ولا يخافوا لومة لائم، وتدين لهم العجم، و يكونون ملوكاً...

وعند مالك، عن عبادة ابن الصامت: «بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن لاننازع الأمر أهله وأن نقول (أونقوم) بالحق حيثما كنا، لانخاف في الله لومة لائم (٢)» وقال السيوطي: «يريد الملك والامارة (٣)»

(١) - اعلام الورى ص ٥٩، و تفسير القمي ج ١ ص ٢٧٣، والبحارج ١٩ ص ١٢-١٣ و ٤٧ عنها، و عن قصص الانبياء، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٢.

(٢) - الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج ٢ ص ٤.

(٣) - تنوير الحوالك ج ٢ ص ٤.

وقد أدرك العباس بن نضلة خطورة الموقف، ولا سيما من قوله صلى الله عليه وآله «وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً»، وأنهم مقدمون على مقاومة— ليس فقط مشركي مكة أو الجزيرة العربية— وإنما العالم بأسره. فأحب أن يستوثق من الأمر، ويفتح عيون المبايعين ليكونوا على بصيرة من أمرهم، حتى لا يقولوا في يوم ما: لو كنا نعلم أن الأمر ينتهي إلى هذا لم نقدم...

ومن هنا فقد قال لهم: يامعشر الأوس والخزرج، تعلمون على ماتقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض، وعلى حرب ملوك الدنيا؛ فإن علمت أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذتموه وتركتموه، فلا تغروه فإن رسول الله، وإن كان قومه خالفوه، فهو في عز ومنعة.

فقال له عبدالله بن حزام، والد جابر، وأسعد بن زرارة، وأبوالهيثم بن التيهان: مالك وللكلام؟! يا رسول الله، بل دمننا بدمك، وأنفسنا بنفسك، فاشترط لنفسك، ولربك ماشئت...

ويذكرون أيضاً: أن أسعد بن زرارة قد قال في بيعة العقبة: يا رسول الله، إن لكل دعوة سبيلاً، إن لين، وإن شدة. وقد دعوت اليوم إلى دعوة متجهمة للناس، متوعرة عليهم:

دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك، وتلك رتبة صعبة، فأجبنك إلى ذلك.

ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والارحام، القريب والبعيد، وتلك رتبة صعبة؛ فأجبنك إلى ذلك.

ودعوتنا، ونحن جماعة في دار عز ومنعة، لا يطمع فيها أحد، أن يرأس علينا رجل من غيرنا أفرده قومه، واسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة فأجبنك إلى ذلك الخ (١).

هذا... ويذكرون هنا كذلك: أن العباس بن عبدالمطلب قد حضر

بيعة العقبة لأنه أراد أن يستوثق لابن أخيه فبدأ هو الكلام، فقال: يامعشر الخزرج، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا، فهو في عزم من قومه، ومنعة في بلده، وقد أبى إلا الانحياز اليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وماتحملت من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده.

وفي رواية، أنه قال لهم: قد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد، وبصر في الحرب، واستقلال بعبادة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة فروارأيكم، واثتمروا بينكم الخ.

فأجابوه بكلام لا مجال له... ثم طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم أن يخرجوا له اثني عشر نقيباً، أي كفيلاً يكفل قومه، فأخرجوا له تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس... فكانوا نقباء وكفلاء قومهم...

وعرفت قريش بالاجتماع؛ فهاجت، وأقبلوا بالسلاح...

وسمع الرسول صلى الله عليه وآله النداء؛ فأمر الانصار بالتفرق، فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا ان نميل عليهم بأسيا ففعلنا. فقال: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم. فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله...

فجاءت قريش على بكرة أبيها، قد حملوا السلاح... وخرج حمزة ومعه السيف، هو وعلي بن أبي طالب عليه السلام... فلما نظروا الى حمزة، قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟.

فعمل حمزة بالتقية من أجل الحفاظ على النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين والاسلام، فقال: ما اجتمعنا، وما هاهنا أحد، والله، لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي.

فرجعوا، وغدوا إلى عبدالله بن أبي فقالوا له: قد بلغنا: أن قومك بايعوا محمداً على حربنا. والله، ما من حي أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم...

فحلف لهم عبدالله: أنهم لم يفعلوا، ولا علم لهم بذلك، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم... فصدقوه وتفرقت الانصار، ورجع رسول الله إلى مكة...

ولكن قريشاً قد تأكدت بعد ذلك من صحة الخبر؛ فخرجت في طلب الأنصار؛ فأدركوا سعد بن عباد، والمنذر بن عمير... فأما المنذر فأعجزهم. وأما سعد فأخذوه، وعذبوه، وبلغ خبره جبير بن مطعم، والحارث بن حرب بن أمية، فأتياه وخلصاه؛ لأنه كان يجير لهما تجارتها، ويمنع الناس من التعدي عليها...

ولنا قبل المضي في الحديث ها هنا وقفات... فنقف أولاً؛ لنشير إلى:

دور العباس في بيعة العقبة:

تذكر بعض الروايات: أن العباس كان في بيعة العقبة مع النبي، ولم يكن أحد غيره معه... ويقولون: إنه وإن كان حينئذٍ مشركاً، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له. وقد قدمنا ما ينسب إليه من قول في هذه المناسبة...

ولكننا بدورنا نشك في صحة ذلك... وذلك

أولاً: إن في الكلام المنسوب إلى العباس تحذيراً واضحاً عن النبي (ص)، وليس توثيقاً لأمره كما يقولون، ولا سيما قوله: «واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة الخ».

وثانياً: إن فيه ما يخالف الحقيقة، ولا سيما قوله: «قد أبى محمد الناس كلهم غيركم»؛ فإن معناه أن الناس كلهم غير الانصار قد وافقوا النبي (ص)، وقبلوا مناصرته، ولكنه هو رفضهم مع أن الامر على عكس ذلك تماماً، باستثناء قبيلة شيبان بن ثعلبة التي رضيت بحمايته مما يلي مياه العرب، دون

مايلي مياه كسرى... وقبيلة شيان ليست هي «الناس كلهم»... واحتمال إرادة خصوص أهل عشيرته كما ترى لا يتلاءم مع التعبير «الناس كلهم». واحتمال أن تكون العبارة: «أبي محمداً الناس» ليس له ما يؤيده، لأن النص الموجود بين أيدينا خلافه.

وثالثاً: لم يكن قد طرح بعد موضوع الهجرة إلى المدينة ولم يكن النبي (ص) قد أري دارهجرتهم ولا أخبرهم برؤياه تلك، فمن أين علم العباس أن النبي (ص) سوف يهاجر إلى المدينة، فهل نزل عليه الوحي في ذلك؟! لست أدري، ولكننا نقرا في كلامه قوله: «وقد أبي إلا الانحياز لكم، واللحوق بكم... إلى أن قال... وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه الخ.».

رابعاً: إن ما ينسب إلى العباس لا يصدر إلا عن مسلم مؤمن تام الايمان... أما العباس فلم يكن قد اسلم بعد، بل بقى على شركه إلى وقعة بدر، وخرج لحرب النبي (ص) فيها مكرها، واسلم ثمّة، كما سيأتي، بل لسوف يأتي: أنه لم يسلم الى زمن فتح مكة...

والذي نرجحه: هو أن الذي كان حاضراً وتكلم بكلام يهدف منه إلى شدّ العقدة له (ص) هو العباس بن نضلة الانصاري (١) وليس العباس بن عبدالمطلب... ولذا يلاحظ مدى التشابه بين كلاميها المنقول والمنسوب اليها...

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي بين العباسين لتشابه الاسمين، أو لعل العباسيين أرادوا إثبات فضيلة جليّة لجدهم، بهدف الحصول على مكاسب من نوع معين، ولعل، ولعل...

أبو بكر في العقبة:

وتذكر بعض الروايات الشاذة: أن أبا بكر قد حضر العقبة، وجعله

(١) - الاصابة ج ٢ ص ٢٧١، والبحار ج ١٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٣.

العباس على فم الشعب.

ونحن لانطيل في بيان بطلان هذا... بعد أن كانت سائر الروايات تنص على أنه لم يكن إلا من ذكرنا: حمزة، وعلي عليها السلام، والعباس... مع الشك في هذا الأخير أيضاً، وأن حمزة وعلياً قد خرجاً إلى فم الشعب حينما علمت قريش بالامر، وهاجت وحملت السلاح، وذلك في أواخر لحظات الاجتماع، حسبما تقدم...

حمزة وعلي (ع) في العقبة:

إن كون الاجتماع في دار عبدالمطلب ليقرب صحة ماورد من أن حمزة وعلياً قد حضرا بيعة العقبة... خصوصاً... وأنه قد كان ثمة حاجة إليهما، ليقفا ذلك الموقف البطولي الرائع في وجه قريش وخيلائها وجبروتها: لينعاهما عن دخول الشعب. ويعطيا الفرصة للمجتمعين للتفرق (١). حتى إذا دخلت قريش الشعب لم تجد أحداً... فترفع الأمر إلى ابن أبي فينكر ذلك. ولولا موقفهما ذاك لكانت قد جرت الامور على غير ذلك النهج، ولوقع المسلمون في مأزق حرج وخطير جداً...

والغريب في الأمر: أننا نجد عدداً من الروايات لا تذكر حضور أميرالمؤمنين، عليه السلام، وأسدالله واسد رسوله... مع أنها هي نفسها تذكر قضية تجمهر وهياج قريش، وغضبها من الاجتماع، وإن كانت تسكت عن هجومها على الشعب، ودفع حمزة وعلي لها، بل تكتفي بذكر اكتفائها باللقاء مع ابن أبي، ثم تتبعها للمسلمين، وظفرها بابن عبادة إلى آخر ما تقدم...

وقد فات هؤلاء أن قريشاً التي عرفت بالاجتماع بعد انفضاضه فتغضب وتهيج وتتصل بابن أبي، فانكر ذلك ثم لما تأكدت من الامر بعد انصراف الحاج تلحق بالمسلمين، وتؤدي سعد بن عبادة الخ... لا يمكن أن تسكت عن الهجوم على محل الاجتماع، وأخذ الانصار والنبي (ص) بالجرم

(١) - ويحتمل البعض: أن بعض سفهاء قريش وليس كل قريش - قد حاولوا دخول الشعب فصدمهم علي وحمزة ولكننا نقول لامانع من تجمهر قريش... ولكن علياً وحمزة عاقا وصولها إلى مكان الاجتماع إلى حين تفرق المجتمعين.

المشهود، وتكون حينئذٍ معذورة أمام من تريد الاعتذار منهم... فلماذا سكنت هنا. وغضبت وتصرفت بعنف هناك...

وعلى كل حال... فقد عودنا هؤلاء أن نرى منهم كثيراً من أمثال هذه الخيانات للحق والدين، لاهداف دنيوية رخيصة، وصدق المثل الذي يقول:

«لأمرٍ ماجدعٍ قصير أنفه».

وأما إذا قيل: كيف يمكن لرجلين: أن يقفا في وجه قريش ويرداها على أعقابها؟!... وهي في إبان غضبها، وأعلى درجات تحمسها...

فإن الجواب عن ذلك هو: أن الرجل الواحد أيضاً كان يكفي لرد كيد قريش، وذلك لأن هذا الرجل والرجلين يقف على فم الشعب حيث لا يمكن أن يعبر منه إلا أفراد أو جماعات صغيرة يمكن ردها على أعقابها برد الفئة الأولى منها... وقد كان يقال لعمر بن عبدود (الذي قتله أمير المؤمنين (ع)) أنه يعد بألف فارس، وذلك لأنه وقف على فم الوادي، ومنع الف فارس من ورودها، ولم يكن يمكن دخول الألف إلا متفرقين بسبب ضيق المكان.

سرية الاجتماع:

وإن المحافظة على سرية الاجتماع، التي بلغت الحد الذي لم يستطع حتى من كانوا ينامون مع المسلمين: أن يشعروا بشيء، ولا عرفوا بغيبة رفقاتهم، وكذلك الحال في موعد الاجتماع ومكانه، والطريقة التي تم بها، رغم ضخامته، واتساع نطاقه— إن كل ذلك— ليعتبر مثلاً رائعاً، ودليلاً قوياً على مدى وعي أولئك المسلمين و يقظتهم، وحسن تدبيرهم.

كما أنه برهان آخر على أن اللجوء إلى عنصر السرية— لا يعتبر تخاذلاً إذا كان المسلمون لا يملكون مقومات الدفاع عن أنفسهم في مقابل قوى الظلم والطغيان وهو دليل آخر على أن التقية التي يقول بها الشيعة وأهل البيت، ونزل بها القرآن... وتحكم بها الفطرة والعقل السليم هي الأسلوب الصحيح

في التعامل مع الواقع بمرونة، ووعي، حينما يكون الباطل هو القوي مادياً، ولا يملك أهل الحق ما يدفع عنهم أو يمنع... ونقف عند.

شروط البيعة:

ويلاحظ هنا: أن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، قد أخبرهم بما سوف يعترض طريقهم من مشاكل وصعوبات، في سبيل نشر الدعوة، والدفاع عنها... وذلك من أجل أن يكونوا على علم مسبق بذلك، ليكونوا على بصيرة من أمرهم، ومن دون أي إبهام أو غموض... حتى لا يترك لهم غداً مجالاً للاعتذار بأنهم ما كانوا يعرفون: أن الأمر سوف ينتهي بهم إلى ما انتهى إليه من مصاعب ومتاعب... بل هو لا يريد أن يشعروا في أنفسهم بالغبن، أوحى أن يمد ذلك في وهمهم وخيالهم على الإطلاق.

وأيضاً... من أجل أن يدلل لكل أحد على أنه لا يريد أن يخدع أحداً بالوعود الخلابية، ولا أن يجعلهم يعيشون الآمال والاحلام الفارغة لأن الوسيلة— عنده— جزء من الهدف... رغم أنه في أمس الحاجة إلى نصرتهم، بل هو لم يجد— طيلة فترة دعوته— غيرهم...

لماذا النقباء:

وإن من طبيعة العربي الالتزام بالعهد، والوفاء بالذمار، وتعتبر كل قبيلة: أنها مسؤولة عن الوفاء بما يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها...

وعندما بايع النبي الانصار على الايمان والنصرة— حسباً تقدم— أراد أن يلزمهم ذلك بشكل محدد، بحيث يستطيع أن يجد في المستقبل من يطالبه بالوفاء بالالتزامات والعهد، وكان أولئك النقباء هم الذين يتحملون مسؤولية الوفاء بتلك الالتزامات. وهم الذين يمكن مطالبتهم بذلك، لأنهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم ومن قومهم على حد سواء.

أما إذا ترك الأمور في مجارها العامة، فلربما يمكن لكل فرد فرد أن يتملص ويتخلص من التزاماته، ويلقي التبعة على غيره، ويعتبر أن ذلك غير مطلوب منه، ولا يمكن— بحسب تصوره— أن يكون هو كفرد مسؤولاً عنه...

وأما بعد أن التزم أفراد معينون، كل واحد منهم من قبيلة. فإن المسؤولية قد أصبحت محدودة، ويمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلما دعت الحاجة إلى ذلك... ولا سيما في مواقف الحرب والدفاع...

وبذلك تبتعد القضية عن الأهواء الشخصية، والأهم من ذلك عن الفوضى في المواقف العامة، وتدخل مراحل التنظيم والبناء الاجتماعي على مستوى الفرد والجماعة...

المشركون في مواجهة الأمر:

يلاحظ: أن المشركين قد اهتموا لأمر هذه البيعة جداً، حتى إنهم تهددوا أهل المدينة بالحرب، مستغلين بذلك ضعف المجتمع المدني، وتفككه بسبب الحروب الداخلية بين الأوس والخزرج...

نعم... إنهم يهددونهم بالحرب، رغم أن حرباً كهذه لسوف تجر عليهم أخطاراً جسيمة من وجهة نظر اقتصادية، لأن قوافلهم إلى الشام، محل تجارتهم المفضل كان طريقها على المدينة... مما يعني: أن المشركين كانوا يرون في هذه البيعة خطورة قصوى، تجعلهم يضطرون إلى التضحية بعلاقاتهم الحسنة مع كل من يتقبل هذه الدعوة ويناصرها، حتى ولو كانوا أهل المدينة الذين كانوا يكرهون جداً أن تنشب الحرب فيما بينهم وبينهم، كما تقدم قولهم ذلك لابن أبي... كما أنه يدلنا على مدى ما كان يتعرض له المسلمون في مكة من ظلم واضطهاد...

منازعة الأمر أهله:

قد تقدم أن من جملة ما اشترطه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل المدينة في ضمن نص البيعة، هو أن لا ينازعوا الأمر أهله...

وإن اشتراط ذلك في نص بيعة، يتقرر مصير الاسلام على نجاحها

وعدمه... وتعرض البيعة لخطر الرفض والانقسام، فيما لورفضوا الالتزام بذلك... كما كان الحال بالنسبة لبني عامر— حسبما تقدم— لما يدل على أن هذا الأمر كان له أهمية قصوى بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله الذي كان رأيه يمثل رأي الاسلام الواقعي... وأنه لن يتنازل عن هذا الأمر ولو تعرض لأعظم الأخطار... مما يعني أن هذا الأمر ليس له وإنما هو لله يضعه حيث يشاء... وأن هذا الامر هو الذي إذا لم يبلغه فما بلغ رسالة ربه سبحانه وتعالى...

كما أننا يمكن أن نفهم: من ذلك: أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان من أول الأمر يمهّد السبيل لجهة معينة والا. فكيف ينهى الناس عن منازعة الامر أولئك الأهل المخصوصين والمؤهلين للملك والخلافة ثم ينسى أن يعين شخص ذلك الخليفة منهم.

وليعطف ذلك على ماتقدم من تعيينه ذلك الشخص حين انذار عشيرته الأقربين... ثم على ما يأتي بعد من مواقف وتصريحات وكتابات له، ولاسيما في قضية الغدير...

النبي لم يؤمر بالحرب بعد:

كما أننا لا بدو أن نعطف النظر على نقطة أخرى، وهي: أننا نجد (ص) لا يأذن للمجتمعين بأن يميلوا على قریش بأسيافهم لأن معنى ذلك هو القضاء على هذا الدين، وعلى حماة الابرار، ولاسيما إذا لاحظنا قلتهم، وكونهم في الموسم، الذي تجتمع فيه الناس من كل حذب وصوب، وكلهم على نهج وطريقة، ومذاق قریش و يدورون فلکها دينياً وعقائدياً وفكرياً، وحتى مصلحياً أيضاً... ولن يكون هناك أية فرصة لانتصار الأنصار على عدوهم في بلاده...

وقريش التي ترى في المدينة أهمية خاصة ولاسيما بملاحظة أهمية طريق قوافلها إلى الشام الذي يمر من هناك ولاجل ذلك أطلقت سعدبن عبادة... قریش هذه لن تسكت على موقف الانتصار هذا... ويكون لها كل الحق أمام أهل الموسم وحتى امام المدنيين المشركين في أن تضرهم الضربة

القاصمة والقاضية، لأنهم في موقف المعتدي، وعلى قریش أن ترد هذا
الاعتداء بالكيفية وبالجم الذي تراه مناسباً...

الباب الخامس

من مكة إلى المدينة

الفصل الأول: ابتداء الهجرة إلى المدينة.

الفصل الثاني: هجرة الرسول الاعظم (ص)...

الفصل الثالث: إلى قباء

الفصل الرابع: حتى المدينة...

الفصل الاول

ابتداء الهجرة إلى المدينة

حب الوطن من الايمان:

لقد ورد عنهم عليهم السلام أن «حب الوطن من الايمان» (١) وإننا لأول وهلة لربما يصعب علينا تصور معنى سليم ومقبول لهذه الكلمة؛ إذ لماذا يكون حب الوطن من الايمان؟! وهل يمكن لهذا التراب بما هو تراب، ولد الانسان عليه، وعاش في أجوائه مهما كان وضعه الجغرافي سيئاً، قيمة واحترام الى حد أن يعتبر حبه من الايمان؟ وبسوى هذا الحب، فإن الايمان يكون ناقصاً، وليس فيه تلك الفاعلية المتوخاة؟

وإننا في مقام الاجابة على هذا السؤال، لابد وأن نلاحظ:

أن هذا الحب الذي يهتم به الاسلام لا يمكن أن يكون حباً عشوائياً لا هدف له، ولا فائدة منه. ولا في خط مخالف للاسلام... وإنما هو حب منسجم مع أهداف الاسلام العليا، ومن منطلق ايماني واقعي الهنيء، فإنه «من الايمان»...

كما أن الوطن الذي يعتبر الاسلام حبه من الايمان، ليس هو محل ولادة الانسان، وإنما هو الوطن الاسلامي الكبير الذي يعتبر الحفاظ عليه حفاظاً على الدين والانسانية، لأن به يعزالدين، وتعلو كلمة الله، وهو قوة

(١) - سفينة البحار ج ٢ ص ٦٦٨.

للاسلام، لأنه محل استقرار وهدوء، وموضع بناء القوة فكرياً وأورجياً ومادياً، ثم الحركة على صعيد التنفيذ للانتقال إلى الوضع الافضل والأمثل... أما حيث الغربة وعدم الاستقرار، فهناك الضياع، وهدر الطاقات، وحيث لا يجد الانسان الفرصة للتأمل والتفكير في واقعه ولا في مستقبله، ولو أنه استطاع ذلك، فلسوف لا يستطيع تنفيذ قراراته، لعدم المركزية التي تمنحه الحركة المنظمة، والثابتة. ثم التركيز والاستمرار...

نعم... إن الوطن ليس إلا وسيلة للدفاع عن الدين والحق، وللوصول إلى تحقيق الاهداف الخيرة والنبيلة، فالدين والانسان هو الاصل، والوطن وغيره لا بدو أن يكون في خدمة هذا الدين، ومن أجل ذلك الانسان...

فن يحافظ على وطنه، ويحبه بدافع الحفاظ على الاسلام؛ وحببه، فان حفاظه وحببه هذا يكون من الايمان...

وأما إذا كان الوطن وطن الشرك والكفر والانحراف، والانحطاط بإنسانية الانسان... فان الحفاظ على وطن كهذا وحببه يكون حفاظاً على الشرك وتقوية له، كما أن حبه هذا يكون من الكفر والشرك، لامن الايمان والاسلام...

ومن أجل ذلك فقد حكم الاسلام والقرآن على من كان في بلاد الشرك وكان بقاؤه فيها موجباً لضعف دينه وإيمانه: أن يهاجر منها إلى بلاد الايمان والاسلام إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بدينه قوياً فاعلاً، وبإنسانية خلقة نبيلة، قال تعالى: «ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الارض، قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً (١)».

بل إن محل ولادة الانسان إذا كان يحارب الدين الحق، ويسعى في اطفاء نور الله، فانه يجب تدميره على كل أحد حتى على نفس هذا الذي ولد

وعاش فيه (١).

ومن هنا نعرف أن هجرة النبي صلى الله عليه وآله واصحابه من مكة إلى المدينة كانت هجرة طبيعية ومنسجمة مع مقتضيات الفطرة والعقل السليم والفكر الصحيح، الذي يلاحظ سمو الهدف ونبل الغاية، و يقيم كل شيء انطلاقاً من ذلك الهدف، وعلى طريق الوصول والحصول على تلك الغاية...

ولنتقل الآن إلى الحديث عن ظروف الهجرة وعواملها وأحداثها، في حدود مايسمح به المجال، فنقول:

دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة:

و إذا أردنا الحديث عن دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة فيمكننا الإشارة إلى مايلي:

أولاً: إن مكة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة، فقد حصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها على أقصى مايمكن الحصول عليه، ولم يبق بعد أي أمل في دخول فئات جديدة في الدين الجديد، في المستقبل القريب على الأقل...

وقد كان ثمة مبرر لتحمل الأذى والمصاعب، حينما كان يؤمل أن تدخل في الاسلام جماعات تقويه، وتشد من أزره.

وأما الآن... وبعد أن أعطت مكة كل مآلها فخرجت جماعات من شبان المؤمنين ومن المستضعفين، ولم يبق فيها إلا مايجب الصد عن سبيل الله، ويضع الحواجز والعراقيل الكثيرة أمام تقدم هذا الدين، ويمنع من انتشاره واتساعه... فان البقاء في مكة ليس فقط يكون لامبرر له، بل هو خيانة للدعوة الاسلامية، ومساعدة على حرها، والقضاء عليها، ولاسيما بعد أن جندت قر يش كل طاقتها للمصدعن سبيل الله، وإطفاء نوره، و يأبى الله إلا

(١) - ويرى العلامة المحقق الشيخ على الأحمدي: أن معنى قولهم عليهم السلام: حب الوطن من الايمان: أن من يحب وطنه فانه يسعى إلى تنفيته من الانحرافات، وحل مشاكله، وهداية مجتمعه الى طريق الحق والايمان والاسلام، لأن الايمان هو الذي يدفعه إلى ذلك، كما هو معلوم..

أن يتم نوره ولو كره المشركون...

نعم... لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة، في القول والعمل، بكل هدوء بال، واطمينان خاطر، بعيداً عن ضغوط المشركين، وفي منأى عن مناطق سيطرتهم ونفوذهم...

وقدرأينا: أنهم كانوا يلاحقون تحركات النبي صلى الله عليه وآله، ويرصدونها بدقة، ويتهددون، بل ويعذبون كل من يدخل في هذا الدين الجديد، ويخيفون كل من يحتمل دخولهم فيه.

وثانياً: إن الاسلام ومثله وداعيته الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم، لأنه دين البشرية جمعاء: «وما أرسلناك إلا كافة للناس (١)»...

وواضح: أن ما حصل عليه حتى الآن لا يمكنه من تطبيق كافة تشريعات الاسلام، وتحقيق كامل أهدافه... ولا سيما بالنسبة إلى ذلك الجانب، الذي يعالج مشاكل الناس الاجتماعية وغيرها، مما يحتاج إلى القوة والمنعة في مجال فرض القانون والنظام...

ومن الناحية الأخرى: فانه إذا كان بنو عبدالمطلب والهاشميون قد استطاعوا أن يؤمنوا الحماية لشخص الرسول من اعتداءات الآخرين على شخصه الكريم، فانهم لم ولن يستطيعوا أن يؤمنوا له القدرة على حماية أصحابه... الذين دخلوا في هذا الدين، وقبلوا رسالة السماء. فضلاً عن ان يتمكنوا من تأمين الحد الأدنى من الحماية له، فيما لو أراد أن يتوسع في نشر رسالة الاسلام، وفرض هيمنة هذا الدين وسلطانه، إذا احتاج الأمر إلى ذلك

...

وأما بعد وفاة أبي طالب عليه السلام فان الأمور قد تطورت بشكل مخيف حتى بالنسبة إلى شخص النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما رأينا وسنرى...

ثالثاً: ولقد صبر أولئك الذين أسلموا سنوات طويلة في مواجهة التعذيب والظلم والاضطهاد، حتى لقد فر قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربية، وبقي الباقي يواجهون محاولات فتنهم عن دينهم، بمختلف وسائل القهر تارة، ومختلف وسائل الاغراء أخرى...

و إذا استثنينا أشخاصاً معدودين كحمزة أسد الله وأسد رسوله، وبعض من كانت لهم عشاير تمنعهم (١)... فإن بقية المسلمين كانوا— غالباً— من ضعفاء الناس، الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يجدون سبيلاً إلا الصبر، وتحمل الأذى.

وإذا فرض عليهم أن يستمروا في مواجهة هذه الآلام والمشاق، دونما أمل أو رجاء... فهما كانت قناعتهم بهذا الدين قوية وراسخة— فإن من الطبيعي والحالة هذه— أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، والملل من حياة كهذه... وقد تستميلهم بعض الاغراءات العاجلة، فيهلكون ويهلكون... فانه ليس بمقدورهم أن يقضوا حياتهم بالآلام والمتاعب. ولقد رأينا بعضهم يهيم بالعودة إلى الشرك، ويتطلب السبل لمصالحة مشركي مكة، حينما اشيع في غزوة أحد أن النبي صلى الله عليه وآله قد قتل. وقد نزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة:

«وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب منكم يومئذ على عقبه فلن يضر الله شيئاً، وهو في الآخرة من الخاسرين (٢)».

رابعاً: لقد رأت قريش: أخيراً: انها قد اهتدت للطريقة التي تستطيع بواسطتها أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله... دون أن تكون مسؤولة أمام الهاشميين بشكل محدد... أو بالأحرى دون أن يستطيع الهاشميون أن

(١)— وحتى هؤلاء فانهم لم يسلموا من الاضطهاد النفسى والمقت الاجتماعي المر... وربما يكون ذلك بالنسبة لبعضهم أشد من التعذيب الجسدي، تبعاً لنسبة الوعي والشعور المرهف الذي كان يمتاز به بعضهم على غيره...

(٢)— آل عمران ١٤٤.

يطالبوا بدم النبي صلى الله عليه وآله... وذلك بأن يقتله عشرة، كل واحد منهم من قبيلة، فيضيع دمه في القبائل، ولا يستطيع الهاشميون مقاومتهم جميعاً؛ فاما أن يقاتلوا القبائل كلها، وتكون الدائرة عليهم، واما أن يقبلوا بالدية، وهو الأرجح... وإذا قتل النبي صلى الله عليه وآله، فان القضاء على غيره من اتباعه يكون اسهل وأيسر، ولا يشكل لقريش مشكلة ذات شأن... بل وحتى لو تركوهم على ما هم عليه، فان أمرهم لسوف يصير الى التلاشي والاضحلال.

هكذا كانت تفكر قريش وتخطط... وإن عناية الله سبحانه وإن كانت تشمل النبي صلى الله عليه وآله وترعاه... إلا أن من الواضح: أن اقدام قريش على تنفيذ مخططاتها فشلت وأنجحت لسوف يعرض علاقاتها مع الهاشميين لنكسة خطيرة، ولسوف تزيد مضاعفاتها بشكل خطير ببقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة... كما أن عادة الله قدجرت على أن لا يحول بين أحد وبين تنفيذ إراداته— بشكل قهري وقسري، إلا بنحو من العناية والالطاف التي تشمل ذلك النبي الذي يكون حفظه ضرورياً لحفظ الدين والانسان...

وهكذا... فقد كان لابد للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولن معه من المسلمين من الخروج من مكة إلى مكان آمن وسلام، يستطيع فيه النبي صلى الله عليه وآله... أن يقوم بنشر دعوته، وابلاغ رسالته، على النحو الافضل والاكمل...

سراختيار المدينة:

وأما عن سراختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بالذات داراً لهجرته، ومنطلقاً لدعوته، دون غيرها ولو الحبشة مثلاً؛ فذلك يرجع إلى عدة عوامل، نذكر منها:

١— إن مكة كانت— كما قدمنا— تتمتع بمكانة خاصة في نفوس الناس، وبدون السيطرة عليها، والقضاء على نفوذها الوثني واستبداله بالنفوذ الاسلامي... فان الدعوة تعتبر فاشلة، وكل الجهود تبقى بدون جدوى؛ فان

الدعوة كانت بحاجة إلى مكة، بنفس القدر الذي كانت مكة بحاجة فيه إلى الدعوة...

فلا بد إذن... من اختيار مكان قريب منها، ويمكن أن يمارس منه عليها نوع من الضغط السياسي والاقتصادي، وحتى العسكري إن لزم الأمر في الوقت المناسب، حيناً لا بد له وأن يفرض سلطته عليها.

والمدينة... هي ذلك الموقع الذي تتوفر فيه مقومات هذا الضغط، فهي تستطيع مضايقة مكة اقتصادياً، لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية، وقريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى.

وقد تقدم: أن المشركين قد قالوا لعبدالله بن أبي، حين بيعة العقبة: «ما من حي أبغض من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم».

وتقدم أيضاً: أنهم لما أخذوا سعد بن عبادة بعد بيعة العقبة وعذبوه، جاء الحارث بن حرب وجبير بن مطعم وخلصاه، لأنه كان يجير لها تجارتها... وإذا كانت قریش قد لقيت من أبي ذر ما لقيت مما قد عرفنا... فإن ماسوف تلقاه من أهل المدينة سيكون أشد وأعظم خطراً، وابعد أثراً...

٢— لقد عرفنا مما تقدم: أن الهجرة إلى المدينة هي الحل المفروض، الذي لا خيار معه... وذلك لأن الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتّي تجدي نفعاً، بعد أن رأينا: أنهم رفضوا الاستجابة إلى النبي (ص)، حينما هاجر إليهم، لأنهم يرون: أن مكة هي التي تستطيع أن تضايقهم اقتصادياً، وهم إليها أحوج منها إليهم... كما أنهم لا يستطيعون في المستقبل المنظور على الأقل إلا أن يدوروا سياسياً في فلكتها، ويخضعون لسيطرتها. وأما سائر قبائل العرب، فقد جرب أن يعرف مدى استعدادهم لقبول دعوته، والدفاع عنها؛ فوجد ما لا يتوقع غلّة، ولا يبيل صدی، إن لم نقل إنه وجد ما يزيد الطين بلة، والامر خطورة...

وأما اليمن وفارس، والروم وبلاد الشام وغيرها... فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين، اللتين لن يكون نصيب الرسول والرسالة

منها سوى المتاعب والاختطار الجسيمة. وقد تكلمنا عن شيء من ذلك عند الحديث عن عوامل انتصار الاسلام وانتشاره في أواخر الباب الأول من هذا الكتاب... ولسوف نرى أن كسرى قد حاول أن يقوم بعملية خطيرة تجاه الرسول ورسالته حينما أرسل إليه صلى الله عليه وآله يدعو إلى الاسلام...

وأما الحبشة... فلم تكن بلداً قادراً على أن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة، لاقتصادياً ولا سياسياً ولا عسكرياً، ولا حتى فكرياً، واجتماعياً.

وإذن... فلا يبقى إلا المدينة... فكانت الهجرة إليها...

٣- وبعد كل ماتقدم؛ فن الجهة الأخرى، فان المدينة كانت أغنى من مكة زراعياً... أي أنها لو فرض عليها: أن تتعرض لضغط تجاري من نوع ما— مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئاً من ذلك— فانها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط، وتحفظ لنفسها بنوع من الحياة، ولو بصعوبة ما، من دون أن تستسلم لارادة الآخرين، وتنساق وراء رغباتهم، كما كان الحال بالنسبة لغيرها...

هذا... عدا عن أن الدعوة التي تحتاج إلى نشاط واسع، وجهد شامل، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمي— هذه الدعوة— تحتاج إلى استقرار اقتصادي داخلي، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة في سبيل نشر دينهم، وبث رسالتهم...

٤- وإذا كان الحج من أهم تشريعات الاسلام؛ فانه سوف يفقد فعاليته، مادامت مكة في أيدي الوثنيين...

وايضاً... فادامت مكة في أيدي الوثنيين؛ فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع في القبائل العربية، وقد سية من نوع ما في نفوسهم...

فلابد إذن... من اخراجها من أيديهم لينتهي ما لهم من رصيد معنوي في نفوس الناس، ولتفتح القلوب بكل مالديها على الدين الجديد، وليتمكن المسلم من أن يؤدي احدى اعظم شعائره— الحج— بحرية تامة، دونما رادع

اوزاجر...

ويدل على ذلك ، ما يرويه الطبراني وغيره: أنه لما عرض النبي الاسلام على ذي الجوشن الضبابي، أبى أن يدخل فيه إلا أن يرى النبي صلى الله عليه وآله قد غلب على الكعبة. وفي رواية أخرى، أنه قال له: «رأيت قومك قد كذبوك وأخرجوك وقتلوك ، فانظر ماذا تصنع؛ فان ظهرت عليهم آمنت بك ، واتبعتك ، وإن ظهر واعليك لم أتبعك (١)».

وبعد هذا... فان أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة، وهي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة سكانية جيدة، تستطيع أن تقوم بالمهمة التي توكل إليها تجاه مكة على اكمل وجه، ولا توجد هذه الميزة في أي من المناطق القريبة إلى مكة...

هـ — ثم إن أهل المدينة كانوا في الاصل من مهاجري اليمن، التي كانت تمتلك شيئاً من الحضارة البدائية في قديم الزمان، فهم ليسوا أعراباً؛ لتكون قلوبهم معنة في القسوة. ولا كان ثمة لهم زعامات ومصالح خطيرة في المنطقة، كما كان الحال بالنسبة لقريش، ولا كانوا يعيشون في تلك الأجواء النفسية المعينة، كما كانت تعيش قريش؛ نتيجة لموقعها النسبي في العدنانية، ولوقعها في زعامة مكة، وحجابه البيت.

هذا كله... عدا عن التناقض الظاهر بين العدنانية والقحطانية... حيث لا يسع القحطانيين، حتى ولو لم تكن ثمة دوافع دينية وعقيدية: أن يسلموا النبي (ص) إلى اعدائه...

ويشهد لهذا... أننا نجد بقايا هذا التناقض حتى إلى ما بعد وفاة النبي (ص)؛ فنجد أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانية على القحطانية في العطاء... الأمر الذي مهد السبيل أمام الأمويين لاستغلال هذه الروح واشعال الفتنة بين اليمانية والقيسية، بينما نجد أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن

(١) — مجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٨، وقال: «رواه عبدالله بن أحمد، وأبوه، ولم يسق المتن، والطبراني ورجاله رجال الصحيح، وروى أبو داود بعضه» انتهى.

يرى لبني اسماعيل على بني اسحاق فضل (ولهذا البحث مجال آخر).

٦- ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون، وقد أنهكتهم الحروب واكلتهم، ويعيشون في رعب دائم وخوف مستمر، حتى لقد تقدم أنهم ما كانوا يضعون السلاح لافي الليل ولا بالنهار. وتقدم أن الخزرج ذهبوا إلى مكة يطلبون الحلف من القرشيين فلم تلب قر يش طلبهم... وكانوا يتمنون من كل قلوبهم أن يجدوا مخرجاً من المأزق الذي يرون أنفسهم فيه، حتى إن اسعدبن زرارة لا يخفى لهفته على هذا الامر حيث قال للنبي (ص) حينما دعاه إلى الاسلام: «إنا من اهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين اخوتنا من الاوس حبال مقطوعة، فان وصلها الله بك، ولا أحد أعز منك الخ»... وكل ذلك قد تقدم...

هذا... وبعد أن دخل الاسلام إلى المدينة، فقد كان لا بد أيضاً من الحفاظ على المسلمين فيها، وشد ازهرهم، حتى يمكن لهم الاستمرار في نصره هذا الدين، واعلاء كلمة الله...

٧- وأخيراً... فقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي في المنطقة قد جعل الكل مستعدين لقبول هذا الدين... ولكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة، وإلى ظروف مشجعة... فلما ذا يهملهم الرسول (ص)، ولا يهيب لهم الفرصة لذلك؟!.

هذا... ما رأينا الاشارة إليه في هذا الصدد في هذه العجالة...-

المواخاة بين المهاجرين:

وكتمهيد لعملية الهجرة، حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب، التي تحتاج إلى التعاون والتعاقد بأعلى مراتبه، كانت عملية المواخات التي أريدها السمو بعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحي، وجعلها علاقة إلهية تصل إلى درجة الأخوة؛ وليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية، وانسجاماً، وبعيداً عن النزاع النفسية التي ربما

توحي للمعين والمعان بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينها نفسياً على الأقل...

وعلى كل حال... فلقد آخى الرسول صلى الله عليه وآله بين المهاجرين، على الحق والمواساة... فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين عثمان، وعبدالرحمان بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وكون عثمان في الحبشة حينئذ لا يضر، كما سيأتي في المؤاخاة بعد الهجرة (انشاء الله) وبين عبادة بن الحارث وبلال. وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد وطلحة، وبين علي عليه السلام ونفسه صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: أما ترضى أن اكون أخاك؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت، قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة (١).

ولسوف يأتي انشاء الله: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد آخى بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة، ولسوف نذكر طائفة من مصادر حديث المؤاخاة هناك إن شاء الله، ونذكر انكار ابن تيمية وغيره لحديث مؤاخاة مهاجري لمهاجري وجوابه... ثم نعلق على حديث المؤاخاة بما نراه مناسباً... فإلى هناك...

ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة...

ويقولون: إن بيعة العقبة الثانية قد كانت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة بثلاثة أشهر، ويقولون أيضاً... إنه بعد أن عقد النبي صلى الله عليه وآله بيعة العقبة الأولى - على الظاهر - مع أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة من ايداء المشركين، ولم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم صلى الله عليه وآله بالهجرة إلى المدينة، وبقي صلى الله عليه وآله بمكة ينتظر أن يؤذن له... فخرجوا أرسالاً، حتى أذن الله سبحانه لنبيه الأكرم (ص) بالهجرة، كما سيأتي...

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ عن الاستيعاب.

وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤ وتلخيصه للذهبي.

المثل الاعلى:

وجدير بالملاحظة هنا: أن نرى المسلم الحقيقي يضحى بوطنه الذي نشأ وعاش فيه، وبكل ما يملك من متاع الحياة الدنيا، وأيضاً بعلاقاته الاجتماعية، وروابطه النسبية— يضحى بكل ذلك وسواه، ويقدم على معاداة الناس كلهم، حتى آبائه وأخوانه وابنائهم... ويخرج منه من ثم ليواجه مستقبلاً يعرف أنه مليئ بالأحداث والأخطار، في سبيل هدفه ودينه وعقيدته. وهو أروع مثل نستفده من عملية الهجرة... سواء في ذلك الهجرة إلى المدينة، أو الهجرة إلى الحبشة...

هجرة عمر بن الخطاب:

ومما يلفت النظر هنا هو ما يقال عن كيفية هجرة عمر بن الخطاب، حيث يروون عن علي عليه السلام أنه قال:

ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة تقلد بسيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملاً من قر يش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة؛ فقال: شأنت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، فمن أراد أن تثكله أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي.

قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه (١).

ونحن بدورنا نقطع بعدم صحة هذا الكلام... وذلك لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعة، وذلك:

أولاً: لما تقدم في حديث إسلامه عن البخاري وغيره، من أنه حين

(١) — منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٧ عن ابن عساکر، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢/٢١، وأشار إلى ذلك في نور الابصار ص ١٥.

اسلم اختبأ في داره خائفاً، حتى جاءه العاص بن وائل، فأجاره، فخرج حينئذٍ...

ثانياً: إن مواقف الحربية كانت عموماً غير مشجعة لنا على تصديق مثل هذا الكلام فلقد فرقي أحد، ورفقي حنين، رغم أنه يرى الخطر يهدد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فلا يلتفت إليه، ولا يفكر إلا في الاحتفاظ بنفسه... وأما فراره في خيبر فهو أعجب وأعجب حيث إنه قد كان معه من يدافع ويحامي عنه... أما في واقعة الخندق فلم يجزؤ على الخروج إلى عمرو بن عبدود... وحينما أخذ النبي صلى الله عليه وآله سيفاً في أحد، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه طلبه أبو بكر، وعمر فلم يعطها إياه. واعطاه أبادجانه. إلى غير ذلك مما لا مجال له، ولسوف نشير إلى بعضه فيما يأتي إن شاء الله تعالى...

وثالثاً: لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه لم يجزؤ على أن يأخذ رسالة النبي صلى الله عليه وآله للمكيين في عام الحديبية، بحجة: أن بني عدي لا ينصرونه إن أودى!! فمن كانت هذه فعالة هل يحتاج إلى بني عدي، أو إلى غيرهم؟!...

ورابعاً: وفي فتح مكة، قال أبوسفیان للعباس، حينما كانا يستعرضان الألوية، فر عمر، وله زجل، قال أبوسفیان: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟! قال: عمر بن الخطاب. قال: لقد أمر بني عدي بعد— والله— قلة وذلة. فقال العباس: يا أباسفیان إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الاسلام (١)».

وخامساً: إنهم متفقون على أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان أشجع البشردون استثناء، بل سيأتي أن بعضهم يحاول ادعاء اشجعية أبي بكر على سائر الصحابة— وإن كان سيأتي أن العكس هو الصحيح— ونحن نرى في حديث الهجرة أن النبي صلى الله عليه وآله يختفي في الغار، وأبو بكر يخاف ويبكى، رغم كونه مع النبي الاعظم، الذي يتولى

(١)— مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١ وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥ عن ابن عساکر من طريق الواقدي.

الله رعايته وحمايته، وظهر الكثير من المعجزات الدالة على ذلك... وقد ذكر الله حزن أبي بكر في القرآن... فكيف يخافان ولا يخاف عمر؟!

ولما ذا لم يحم عمر رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يخرج من مكة إلى المدينة؟! .

ولماذا يرضى عمر للنبي (ص) أن يتحمل كل هذه الصعاب والمشاق، حتى يتمكن من التخلص من الورطة التي هو فيها؟!

بل إذا كان لعمر هذه الشجاعة والشدة؛ فلماذا يضطر النبي (ص) إلى الهجرة؛؟ فليحمه هذا البطل الشجاع، وليرد عنه بعض ما كانت قريش تؤذيه به؟! .

هذا... ولاندرى لماذا لم يحدثنا التاريخ عن موقف مماثل لحمزة بن عبدالمطلب، أسدالله وأسد رسوله، الذي شج رأس أبي جهل شجة منكرة، وعز المسلمون باسلامه؟!...

ولماذا يترك النبي والهاشميين محصورين في الشعب يكادون يهلكون جوعاً، ولا يجروء أحد على أن يوصل لهم شيئاً من طعام؟!... لان عمر عند هؤلاء قد اسلم قبل الحصر في الشعب، وان كنا اثبتنا في ماتقدم بشكل قاطع: أنه قد اسلم قبل الهجرة بقليل...

إلى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة التي لن تجدها عند هؤلاء الجواب المقنع والمفيد...

ماهي الحقيقة إذن؟...

ولكن الحقيقة هي: أن هذا التهديد والوعيد إنما كان من أميرالمؤمنين علي عليه السلام، حينما هاجر، ولحقه سبعة من المشركين في ضحنان وسيأتي تفصيل القضية حين الكلام على هجرة أميرالمؤمنين على عليه السلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله...

ولكن اعداء علي عليه السلام لم يستطيعوا أن يتحملوا أن يروا هذه الكرامة له، ولا سيما بعد أثبت صحتها بمبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة...

فلم يكن إلى إنكارهم مبيته على الفراش سبيل، فأغاروا على فضيلته الأخرى - كعادتهم - فاستولوا عليها، ونسبوا إلى غيره... وعظموا من شأن أبي بكر في الغار - كما سنرى... بل انهم لم يرضوا إلا أن تكون فضيلة عمر على لسان علي نفسه - كما عودونا في مناسبات كهذه، فإن ذلك أوقع في النفس، وأبعد عن الشبهة، وأدعى إلى القبول...

ولكن الله تعالى يقول «نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»... وهكذا كان...

ماذا عن الهجرة إلى المدينة؟

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالهجرة إلى المدينة، تمهيداً لخروجه هو صلى الله عليه وآله إليها أيضاً، وقال لهم: إن الله عزوجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها، فهاجر إليها المسلمون، بعضهم سراً، وبعضهم علانية، مضحين بوطنهم، وبعلاقاتهم، وكثير منهم بشرواتهم، ومكانتهم الاجتماعية، وكل شيء في سبيل دينهم، وعقيدتهم...

وهذا معناه: أن الدين والعقيدة فوق وأعلى من كل شيء، فالوطن، والمال، والجاه، كل ذلك لا قيمة له، إذا كان الدين مهدداً بالخطر؛ لأن الحفاظ على الدين الصحيح، معناه الحفاظ على الوطن والمال وكل شيء، وبدونه يكون كل شيء في معرض الزوال، إن لم يكن عبئاً أوقف خطراً يهدد هذا الإنسان في كثير من الظروف والأحوال...

قريش والهجرة:

قد قدمنا بعض الكلام حول الهجرة وموقف قريش منها حين الكلام على هجرة الحبشة فلانعيد وإذا كانت قريش قد قاومت الهجرة إلى الحبشة

بذلك الشكل القوي، حتى لقد حاولت استرجاع المسلمين من أرض الحبشة...
فاذا عساها يكون موقفها من الهجرة إلى المدينة، والتي ترى فيها أعظم الخطر
على مصالحها، وعلى وجودها ومستقبلها؟!...

لقد حاولت أن تمنع المسلمين من الهجرة بمختلف الوسائل، فكانت
تجسس من تظفر به منهم، وتفتنه عن دينه، وتمارس ضده مختلف أساليب القهر
والقسوة، فلم تنجح ولم تفلح... كما أنها من الجهة الأخرى ترى نفسها عاجزة
عن التصفية الجسدية لأكثر المسلمين؛ لأن المهاجرين كانوا—عموماً—
من القبائل المكية، وليس قتل أي منهم إلا سبباً في إثارة حرب أهلية
بين المشركين أنفسهم. وهذا ولاشك ليس في مصلحة قريش في أي
حال...

ويشهد لما ذكرناه ما حصل لأبي سلمة حينما خرج بزوجه وولده،
فقام إليه رجال من بني المغيرة فأخذوا زوجته منه؛ لأنها منهم، فثار بنو
عبدالاسد، قبيلة، الزوج فانتزعوا سلمة من أمه... والقضية معروفة ومشهورة
في كتب التاريخ والرجال...

وأدركت قريش: أن هذه الهجرة الواسعة سوف تعقبها هجرة الرسول
الاعظم نفسه؛ لئلا رس بحرية تامة عملية الريادة والقيادة والهداية بشكل
أوسع وأعمق، ولسوف يحميه المدنيون بكل مآلديهم... فلم يكن لديها هم إلا
المنع من تحقق ذلك بأي وسيلة تقدر عليها، أو حيلة تهتدى إليها...

الفصل الثاني

هجرة الرسول الاعظم (ص)

المؤامرة:

واجتمع اشراف قريش في دارالندوة، ولم يتخلف منهم أحد: من بني عبدشمس، ونوفل، وعبدالدار، وجمح، وسهم، وأسد، ونخزوم وغيرهم، وشرطوا: أن لا يدخل معهم تهامي، لأن هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١)...

كما أنهم قد حرصوا: على أن لا يكون عليهم من الهاشميين، أو من يتصل بهم عين أوريقيب (٢)...

وتذكر الروايات: أن ابليس قد دخل معهم بصفة شيخ نجدى، وتشاوروا فيما بينهم ما يصنعون بمحمد... فذكروا الحبس في الحديد، فأروا أن من الممكن أن يتصل بأنصاره، ويطلقوا سراحه. وذكروا النفي إلى بعض البلاد فأروا أن ذلك يمكن الرسول من نشر دينه، فاستقر رأيهم أخيراً على اقتراح أبي جهل، أو ابليس - بأن يأخذوا من كل قبيلة شاباً جلدأ قوياً، حسيباً في قومه، نسيباً، وسطاً، ويعطى كل منهم سيف صارم، ويدخلوا على النبي صلى الله عليه وآله بأسيا فهم، فيضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل، لأن بني عبدمناف لا يقدرّون على حرب قومهم جميعاً، فيضطرون إلى القبول بالدية، فيعطونهم إياها، وينتهي الأمر...

(١) و (٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢١ والسيرة الخليلية ج ٢ ص ٢٥، وراجع نورالابصار ص

وواضح: أن الشروط التي اعتبروها في العشرة، إنما هي من أجل أن لا تفكر أية قبيلة بتسليم صاحبها الأمر الذي سوف يجعل الهاشميين أكثر قدرة على ضرب قريش، مهما كانت الضربة محدودة... كما أن ذلك يجعل الذين يقدمون على اقتراح تلك الجريمة أكثر ثقة واقداماً على هذا الأمر الخطير، الذي لا يجوز التردد ولا الضعف والوهن فيه...

وعلى كل حال... فقد أخبر الله تعالى نبيه بهذه المؤامرة عن طريق الوحي، ونزل قوله تعالى: «وإذ يمكربك الذين كفروا؛ ليشتبكوا، أو يقتلوك، أو يخرجوك. ويمكرون، ويمكر الله، والله خير الماكرين (١)».

والمكر: هو التدبير السري لافشال عمل يعزم عليه الغير..

مبيت علي (ع)، وهجرة النبي (ص):

ويقول المؤرخون: إن أولئك القوم الذين انتدبتهم قريش، اجتمعوا على باب النبي صلى الله عليه وآله، أي باب عبدالمطلب على ما في بعض الروايات (٢)... يرصدونه، يريدون بياته، وفيهم: الحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضربن الحارث، وأميرة بن خلف وزمعة بن الاسود وابوهب وابوجهل وابوالغيظلة وطعمة بن عدي، وأبي بن خلف، وخالد بن الوليد، وعتبة، وشيبة، وحكيم بن حزام، ونبيه، ومنبه ابنا الحجاج (٣).

نعم... لقد اختارت قريش من قبائلها العشر، أو الخمسة عشر، عشرة أو خمسة عشر رجلاً؛ بل أكثر، على اختلاف النقل؛ ليقتلوا النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بضربة واحدة بسيوفهم. بل قيل: إنهم كانوا مئة رجل (٤).

(١) الانفال ٣٠.

(٢) البحار ج ١٩ ص ٧٣ عن الخرائج والجرائع...

(٣) لقد وردت اسماء هؤلاء كلاً أو بعضاً في روايات مختلفة، في السيرة الحلبية ج ٢ والبحار ج ١٩

ص ٧٢ و ٣١ و مجمع البيان.

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٨ و نورالابصار ص ١٥

و نحن نستبعد ذلك، لمخالفته لسائر الروايات الاخرى...
لقد اجتمعوا فأخبر الله تعالى نبيه بمكرهم...

فأمر صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علياً عليه السلام بالمبيت على فراشه، بعد أن أخبره بمكر قريش، فقال علي عليه السلام: أوتسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم. فتبسّم علي ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكر الله، فنام على فراش النبي صلى الله عليه وآله، واشتمل ببرده (ص) الحضرمي. ثم خرج النبي (ص) في فحمة العشاء، والرصد من قريش قد أطفأوا بداره ينتظرون...

فخرج صلى الله عليه وآله، وهو يقرأ هذه الآية: «وجعلنا من بين أيديهم سداً، ومن خلفهم سداً؛ فأغشىناهم؛ فهم لا يبصرون (١)».

و كان بيده صلى الله عليه وآله قبضة من تراب، فرمى بها في رؤوسهم، ومر من بينهم، فاشعروا به، وأخذ طريقه إلى غار ثور..

فجاء أبو بكر وأمير المؤمنين علي عليه السلام نائم، فقال: يا نبي الله، وأبو بكر يحسبه أنه نبي الله. قال: فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمونة، فأدركه، فانطلق أبو بكر، فدخل معه الغار (٢).

(١) سورة يس ٩. وراجع أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٠، ٨١.

(٢) راجع في الفقرات الاخيرة: مناقب الخوارزمي الحنفي ص ٧٣ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامشه و صحاحه، ومسند أحمد ج ١ ص ٣٣١، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٣٤، وشواهد التنزيل ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٠٠، وتفسير البرهان ج ١ ص ٢٠٧، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٣٠، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ط النجف ص ٦٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٥، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠ عن أحمد و رجاله رجال الصحيح غير واحد و هو ثقة، وعن الطبراني في الكبير والوسط، والبحار ج ١٩ ص ٧٨ و ٩٣ عن الطبري وأحمد، والعياشي، وكفاية الطالب، وفضائل الخمسة ج ١ ص ٢٣١، وذخائر العقبى ص ٨٧، وكفاية الطالب ص ٢٤٢، وقال ان ابن عساكر ذكره في الاربعين الطوال، وترجمة الامام علي بن أبي طالب (ع) من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودي ج ١ ص ١٨٦ و ١٩٠، ونقله المحمودي في هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل، حديث ٢٩١ وعن غاية المرام ص ٦٦، عن الطبراني ج ٣ في الورق ١٦٨/ب وفي هامش كفاية الطالب عن: الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٣. وأما الفقرات الأخرى فهي موجودة في مختلف

قالوا: وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول الله (ص)، وهو يتصور (أي يتلوى ويتقلب)، وقد لدف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح؛ فهجموا عليه، فلما بصروهم علي عليه السلام قد انتصوا السيوف، وأقبلوا عليه، يقدمهم خالد بن الوليد... وثب به علي عليه السلام، فختله، وهز يده، فجعل خالد يقمص قاص البكر، ويرغو رغاء الجمل. وأخذ منه السيف. وشد عليهم بسيف خالد؛ فأجفلوا أمامه اجفال النعم إلى خارج الدار، وتبصروه، فاذا علي. قالوا: وإنك لعلي؟ قال: أنا علي. قالوا: فانا لم نردك؛ فافعل صاحبك؟ قال: لا أعلم لي به (١)...

قريش في طلب النبي (ص):

فأذكت قريش العيون، وركبوا في طلب النبي صلى الله عليه وآله الصعب والذلول. واقتفوا أثره، حتى وصل القائف إلى نقطة لحوق أبي بكر به، فأخبرهم أن من يطلبونه صار معه هتارجل آخر... واستمروا يقتفون الأثر حتى وصلوا إلى باب الغار، فصرقهم الله عنه؛ حيث كانت العنكبوت قد نسجت على باب الغار، وباضت في مدخله حمامة وحشية، كما يذكرون. وغير ذلك، فاستدلوا من ذلك على أن الغار مهجور، لم يدخله أحد، وإلا لتخرق النسيج، وتكسر البيض، ولم تستقر الحمامة الوحشية على بابه...

وأمهل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الليلة القادمة؛ فانطلق تحت جنح الظلام، هو وهند بن أبي هالة، حتى دخلا الغار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فأمر الرسول هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين.

→ كتب الحديث والتاريخ.

وفي البحار ج ١٩ ص ٦١ وأمالى الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨١ أن النبي (ص) أمر أبا بكر بهند بن أبي هالة: «ان ينتظرا في طريقه إلى الغار بمكان عينه لهما. وفي البحار في ج ١٩ ص ٧٣، من الخرائج والجرائح، قال: «ومضى وهم لا يرونه، فرأى أبا بكر قد خرج في الليل يتجسس من جبهه. وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم، فأخرجه معه إلى الغار.»

وإذا صح هذا؛ فيرد سؤال: كيف لم يخبر أبو بكر النبي بامرهم؟! إلا ان يقال: إنه إنما جاء بخبر النبي (ص) بذلك - ولكن الأهم من ذلك: كيف اطلعت قريش أبا بكر على تدبيرها مع نرصها الشديد على التكتّم فيه، عن كل من له بالنبي أدنى صلة كما تقدم تصريح الديار بكرى ويره بذلك...

فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين ترتحلها إلى يثرب.

فقال: إني لاأخذهما، ولااحدهما إلا بالثمن.

قال: فهي لك بذلك.

فأمر علياً عليه السلام فأقبضه الثمن.

ثم وصاه بحفظ ذمته، وأداء أماناته، وكانت قريش، ومن يقدم مكة من العرب في الموسم يستودعون النبي صلى الله عليه وآله، ويستحفظونه أموالهم وأمتعتهم. وأمره أن ينادي صارخاً بالابطح غدوة وعشياً: من كان له قبل محمد امانة، فليأت، فلنؤد إليه أمانته وقال (ص) لعلي حنيئذ— أي بعد ان ذهب الطلب عن النبي (ص) إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه، حتى تقدم علي؛ فأذ أمانتي على أعين الناس ظاهراً... ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي، ومستخلف ربي عليكما، ومستحفظه فيكما... فأمره أن يبتاع رواحله وللفواطم، ومن أزمع الهجرة معه من بني هاشم.

قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله (يعني ابن أبي رافع): أو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجد ماينفقه هكذا؟.

فقال: إني سألت أبي عما سألتني عنه— وكان يحدث لي هذا الحديث—فقال: وأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام؟. قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مانفعتي مال قط مثل مانفعتي مال خديجة. وكان رسول الله (ص) يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكل، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة...

وبعد أن أقام رسول الله (ص) في الغار ثلاثاً انطلق يؤم المدينة (١)...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام يذكر مبيته على الفراش، و مقام رسول الله (ص):

ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
فوقاه ربي ذوالجلال من المكر
وقد وطنت نفسي على القتل والاسر
هناك وفي حفظ الاله وفي ستر
قلانس يفرين الحصا أيما يفرى

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصا
محمد لما خاف أن يكروابه
وبت أراعيهم متى ينشرونني
وبات رسول الله في الغار آمناً
أقام ثلاثاً ثم زمت قلانس
هكذا يذكر المؤرخون...

ولسوف يأتي ان شاء الله بعض الكلام حول سفره، ووروده قباء، و
غير ذلك بعد الكلام على بعض الأمور التي ترتبط بما تقدم؛ فنقول:

المثل الأعلى للتضحية

يقول العلامة السيد هاشم معروف الحسيني: «وهنا تبدأ قصة من
أروع ما عرفه تاريخ الفداء والتضحية، فالشجعان والابطال يثبتون في المعارك
في وجه أعدائهم، يدافعون بمالديهم من سلاح وعتاد مع أنصارهم وأعوانهم،
وقد تضطروهم المعارك إلى أن يثبتوا في مقابل العدو، لامنفردين، أما أن يخرج
الانسان إلى الموت طائعاً مطمئناً بدون سلاح ولاعتاد، وكأنه يخرج ليعانق
غادة حسناء، فينام على فراش تحف به المخاطر والأهوال، أعزل من كل شيء
إلا من ايمانه، وثقته بربه، وحرصه على سلامة القائد، كما حدث لعلي(ع)،
حينما عرض عليه ابن عمه محمد(ص) أمرالمبيت على فراشه؛ ليتمكن هو من
الفرار، والتخلص من مؤامرة قریش؛ فهذا ما لم يحدث في تاريخ البطولات، و
ما لم يعرف من أحد في تاريخ المغامرات، في سبيل المبدأ والعقيدة...

ويقول: ولم يكن مبيت علي ليلة الهجرة هي المرة الأولى؛ فلقد كان
أبوطالب في أيام الحصار في الشعب ينيم علياً على فراش النبي، حتى إذا
حصلت حادثة اغتيال، كان في علي دون النبي، ولم يكن ليمانع في ذلك أبداً
بل كان يقدم عليه برضانفس، وطيبة خاطر(١)»

المبيت... والخلافة:

والغريب هنا: أن نجد أحد من عرف بنصبه وبالعداء لشيعة علي

عليه السلام وحببيه، يضطر لأن يعترف بأن قضية مبيته عليه السلام على فراش النبي (ص) ليلة الهجرة، من الاشارات الواضحة إلى خلافته، فيقول:

«هذا الذي كان من علي في ليلة الهجرة، إذا نظر إليه في مجرى الأحداث التي عرضت للامام علي في حياته بعد تلك الليلة؛ فإنه يرفع لعيني الناظر إمارات واضحة، وإشارات دالة على أن هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة لم يكن أمراً عارضاً بالاضافة الى علي، بل هو عن حكمة لها آثارها و معقباتها، فلنا أن نسأل:

اكان لالباس الرسول (ص) شخصيته لعلي تلك الليلة ما يوحى بأن هناك جامعة تجمع بين الرسول وبين علي اكثر من جامعة القرابة القريبة التي بينها؟. وهل لنا أن نستشف من ذلك أنه إذا غاب شخص الرسول كان عليا (كذا) هو الشخصية المهيأة لأن تخلف، وتمثل شخصه، وتقوم مقامه؟. وأحسب أن احداً قبلنا لم ينظر إلى هذا الحدث نظرنا هذه إليه، ولم يقف عنده وقتنا تلك حتى شيعة علي...» (١)

قريش... و علي (ع):

١- وإننا لا بدو أن نشير أخيراً: إلى أن من الملاحظ: أن قريشاً لم تصر على أمير المؤمنين في استنطاقها له عن مكان ابن عمه...

وما ذلك إلا لانهم قد علموا أنهم إنما يحاولون عبثاً، ويطلبون مستحيلاً، فان من كان يحمل مثل هذا الاخلاص، ومثل هذه التضحية النادرة في التاريخ لن يفشي لهم سرّاً قد ضحى نفسه في سبيل كتمانها، لذلك نراهم قد اطلقوه وانصر فوا عنه يائسين (٢).

٢- لقد كان علي في موقفه تجاه النبي (ص) مثلاً أعلى للانسانية

(١) علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب ١٠٥.

(٢) - راجع: حياة أمير المؤمنين محمد صادق الصدر ص ١٠٦/١٠٥.

الكاملة، فقد عرف الناس معنى الاخلاص، وماهية التضحية، وحقيقة الايمان.

حيث إنه يرى نفسه مقتولاً على كل حال... إما لظن المشركين أنه رسول الله، فيخبطوه باسيافهم ضربة رجل واحد، وإما انتقاماً منه، حيث كان سبباً لخلاص من سقاه احلامهم، وعاب آهتهم، وفرق جماعتهم، وهم يعرفون أيضاً حب النبي (ص) له ومنزلته منه، فاذا قتلوه فانما يقتلون أخاه وابن عمه، والرجل المخلص الذي يفديه بنفسه (١).

قريش والمبيت:

ويقول البعض أيضاً: «إن هذا الذي كان من علي ليلة الهجرة في تحديه لقريش هذا التحدى السافر، وفي استخفافه بها، وقيامه بينها ثلاثة أيام يغدو ويروح— إن ذلك لا تنساه قريش لعلي أبداً...»

ولولا أنها وجدت في قتله يومئذ إثارة فتنة تمزق وحدتها، وتشتت شملها، دون أن يكون في ذلك— ما يبلغ بها غايتها في محمد (ص)— لولا ذلك— لقتلته، وشفت ما بصدرها منه، ولكنها تركته، وانتظرت الايام لتسوى حسابها معه (٢)...

ولقد كان حساباً عسيراً حقاً، ولا سيما بعد أن أضاف إلى ذلك: أنه قتل رجالها وجندل صناديدها، وبقي اليد الطولى لابن عمه يضرب بها هنا وهناك كل متكبر جبار، اين وأنى شاء... وقد بدأ هذا الحساب العسير فور وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى قبل أن يغسل و يكفن و يدفن...

مقايسة:

وإن مبيت أمير المؤمنين هذا، قد ضيع الفرصة على قريش، وأفضل ما كانت دبرته في النبي صلى الله عليه وآله، كما أنه قد كان سبباً لتمكين

(١)— المصدر السابق ص ١٠٧ و ١٠٨.

(٢)— علي بن أبي طالب لعبد الكريم الخطيب ص ١٠٦.

الدين، واعلاء كلمة الحق...

وأما أن يقاس ذلك بقضية ذبح اسماعيل. فلا يصح ذلك، لأن اسماعيل قد استسلم لوالد شقيق رحيم، وعلي عليه السلام إنما استسلم لعدوه الذي لا يرحمه ومن لا يشفى غليله إلا سفك دمه، وصب أقسى أنواع العذاب والتنكيل عليه، مع شماتة قاتلة.

وقد تكلم الاسكافي على هذه القضية في نقضه لعثمانية الجاحظ، وكلامه في شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ فراجعه... ولو أردنا استقصاء الكلام حول هذه النقطة لطال بنا المقام...

إرادة الله:

لقد كان من الممكن أن ينصر الله رسوله من دون أن يضطر الى اللجوء إلى الغار، و إلى مبيت علي عليه السلام على فراشه وذلك عن طريق آيات باهرة، وعنايات ومعجزات قاهرة...

ولكن لا... فقد شاءت العناية الالهية أن تسير الامور على سجيتهما، وعلى وفق أسبابها الطبيعية، مع تسديدات وعنايات تشمل الامور الخارجة عن حدود الطاقة، ويكون ذلك مثلاً لنا جميعاً، ودرساً مؤثراً: في الجد والعمل في سبيل الدين والعقيدة، وليس لنا أن ننتظر المعجزة من السماء، وبعد ذلك... «لينصروا الله من ينصره». و «إن تنصروا الله ينصركم».

بين النظرة المصلحية، والواقع:

ولقد وقع المشركون في تناقض عجيب، فهم في نفس الوقت الذي يصرون فيه على تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والافتراء عليه، حتى إنهم كانوا يقولون عنه: مجنون. ساحر. شاعر. كاهن، الخ... نراهم يأتُمونَه على أموالهم وودائعهم إلى الحد الذي يحتاج معه إلى أن يترك ابن عمه ينادي في الناس ثلاثة أيام؛ ليأتوا ويأخذوا ودائعهم... الأمر الذي يدل على أن عدم إيمان المشركين بما يدعوههم إليه ليس إلا استكباراً وعناداً، لاعن قناعة

بعدم صحة ما جاءهم به، قال تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (١)»

أي أنهم كانوا يجحدون بما جاءهم به، إما زعماً منهم: أن في ذلك حفاظاً على مصالحهم الشخصية ومستقبلهم... وأما تقليداً أعمى للضالين من آبائهم واجدادهم... وإما حفاظاً على امتيازاتهم، أو حسداً، أو غير ذلك...

و إن ابقاء علي عليه السلام في مكة ليؤدي للناس أماناتهم وودائعهم، في ظروف حساسة، وخطيرة جداً كهذه الظروف، هو من أروع الامثلة للانسان الكامل، الذي يلتزم بمبادئه، ويحترم قناعاته، ولا يجيد عمارسه الله به قيد شعرة، ولا يبحث عن المذرات والفرص، وإنما هو يعيش من أجل مبادئه العليا، وتحقيق اهدافها... ولا يعتبر المبدأ وسيلة لتحقيق مآربه وأهدافه...

نعم لقد كانوا يسمونه بالأمين. وكان ذلك من ابرز صفاته الشخصية حتى قبل نبوته... وها هو يؤدي إليهم أماناتهم، مع أنهم يريدون نفسه ودمه... ولا يحول ذلك بينه وبين أن يهتم بامانات الناس، برهم وفاجرهم. وقد كان له كل العذر لو أنه لم يردها عليهم...

وبعض المحققين يقول هنا: انه لا يرى أحاديث عامة أهل السنة تهتم بهذه الصفة العظيمة التي هي أساس انسانية الانسان، كما أن أحاديث «الحكمة» قد محيت منذ توفي (ص) بعناية وتعمد تام من الخلفاء الحكام... وإلا فأين هذا الأمر الذي يخبر الله في اكثر من سبع آيات: أنه كان وظيفة للنبي (ص) في أيام رسالته: «يعلمهم الكتاب والحكمة»... فقد عرفنا: أنه (ص) قد علم الناس الكتاب، وبقي هذا الكتاب بحفظ من الله: «إننا نحن نزلنا الذكر، وإناله لحافظون (٢)»... ولكن أين هي تلك الحكمة التي علمها النبي (ص) لأمتة، ونحن نرى: أنه لم يبق منها عند علماء الاسلام ومن يهتم بالأحاديث سوى نحواً من خمسة حديث في الفقه والاحكام والاخلاق والحكمة جميعاً؟ وكم منها من حديث في الحكمة ياترى...

نعم نحن نجد في أحاديث الأئمة الكثير من الحكمة، ومنها الكثير من الاحاديث في الامانة والصدق الذي هوشعبة منها، وقد جعلوها محوراً للاخلاق العملية. واهتموا بها بصورة عجيبة.

الارض والمبدأ:

لقد رأينا: ان الارض ليست هدفاً في نظر الاسلام، و إنما الهدف هو الاسلام نفسه، فان المقام في الارض والاحتفاظ بها، إذا كان معناه الذل والقهر، والحرمان، وعدم تحقيق الاهداف الدينية السامية الكبرى، التي تكون بها سعادة الانسان... فيجب ترك هذه الارض والتخلي عنها إلى غيرها من أجل الصلاح والاصلاح، وبناء المستقبل، والحصول على السعادة والكرامة الحقيقية... فالانسان أولاً... وكل ما عداه فانما هو من أجله وفي خدمته...

ومن معطيات الهجرة ايضاً:

وبعد هذا... فان قضية الهجرة تعطينا: وجوب نصر المسلمين بعضهم بعضاً. ووجوب أن يكونوا يداً واحدة على من سواهم، من دون أن يكون للروابط القبلية أي تأثير في ذلك. ووجوب أن يكون المنطلق لهم في تعاونهم وتوآدهم، وتراحمهم، والتأسي في المعاش فيما بينهم هو الدين والعقيدة، لا الروابط القبلية أو المصلحية، أو غير ذلك.

ثم هي تعطينا حسن التدبير، ودقة التخطيط الذي اتبعه صلى الله عليه وآله... فان مبيت أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي جعل قريشاً تطمئن إلى وجوده (ص) على فراشه، حينما جاء المحيطين بالبيت من اخبرهم بانه (ص) قد خرج وانطلق لحاجته (١).

أبوطالب في حديث الغار:

وقد جاء في بعض الروايات: أن أباطالب عليه السلام، قال للنبي (ص) حينما ائتمروا به: هل تدري ما ائتمروا بك؟ قال: يريدون أن يسجنوني أو يقتلونني أو يخرجوني. قال: من حدثك بهذا؟ قال: ربي. قال: نعم الرب ربك الخ (١)...

ولكن من الواضح: أن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، لان ائتمارهم كان بعد بيعة العقبة الثانية وقبل الهجرة بقليل، أي في السنة الثالثة عشرة، و أبوطالب قد توفي في السنة العاشرة من البعثة، أي بعد خروج المسلمين من الشعب...

مع آية الغار:

قال تعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا، ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن، إن الله معنا؛ فأنزل الله سكينته عليه، وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم (٢)».

ربما يقال: إن هذه الآية تدل على فضل أبي بكر، لأمر:

منها: أنه عبر عن أبي بكر بأنه ثاني اثنين. بدعوى أنه أحد اثنين في الفضل، ولا فضل أعظم من كون أبي بكر قريناً للنبي صلى الله عليه وآله.

ومنها: أنه جعل صاحباً للنبي صلى الله عليه وآله، والصحبة في هذا المقام العظيم منزلة عظمى.

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «إن الله معنا» أي أنه

(١) - الدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٩ عن سنيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.
(٢) - التوبة ٤٠.

معها بلحاظ نصرته ورعايته، ومن كان شريكاً للنبي (ص) في نصرته الله له،
كان من أعظم الناس...

ومنها: قوله تعالى: فأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ... فان السكينة قد انزلت
على ابي بكر؛ لأنه هو المحتاج إليها، لما تدخله من الحزن، دون النبي (ص)؛ لأنه
عالم بأنه محروس من الله سبحانه وتعالى (١).

ولكن ذلك كله لا يصح:

١— فان عائشة تقول: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، غير ان الله
أنزل عذري (٢) وحتى عذرها هذا قد ثبت أنه لا يمكن أن يكون قد نزل فيها،
كما أثبتناه في كتابنا حديث الافك...

٢— وأما كونه ثاني اثنين، فليس فيه إلا الاخبار عن العدد، وهو
لا يدل على الفضل، إذ قد يكون الثاني صبيهاً، أو جاهلاً، أو مؤمناً، أو فاسقاً
الخ... وواضح: أن الفضيلة في القرآن منحصرة بالتقوى: «إن اكرمكم
عند الله أتقاكم»، لا بالثانوية...

ويزيد المظفر: انه لو كان المراد الاثنينية في الفضل والشرف، لكان
أبو بكر أفضل لأنه هو الأول، والنبي هو الثاني بمقتضى الآية (٣)!!

كما أن من الواضح: أن الهدف هو الاشارة إلى أن النبي (ص) كان
في موقف حرج، ولا من يرد عنه او يدفع، اما رفيقه فليس فقط لا يرد عنه،
وانما يمثل عبئاً ثقيلاً عليه، بحزنه وخوفه ورعبه، فهو بدل ان يخفف عن النبي
(ص) ويشد من أزره، يحتاج الى ان يخفف نفس النبي (ص) عنه،
ويسليه!! أو على الأقل لم يكن له اي أثر في الدفاع عن الرسول والتخفيف
من المشقات التي يتحملها، إلا انه قد زاد العدد، وصار العدد بوجوده اثنين.

(١) — راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٤٠٤ و ٤٠٥.

(٢) — صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١٢١، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٩، وفتح

القدير ج ٤ ص ٢١، والدر المنثور ج ٦ ص ٤١.

(٣) — دلائل الصدق ج ٢ ص ٤٠٤.

٣— وأما جعله صاحباً للنبي (ص)، فهو أيضاً لافضيلة فيه؛ لأن الصحبة لا تدل على أكثر من المرافقة والاجتماع في مكان واحد، وهو قد يكون بين العالم وغيره، والكبير والصغير، وبين المؤمن وغيره، قال تعالى: «وما صاحبكم بمجنون» (١)، وقال: «فقال لصاحبه وهو يحاوره، أكفرت بالذي خلقك؟» (٢)».

فالصحبة من حيث هي لافضل فيها...

٤— وأما قوله تعالى: «إن الله معنا»؛ فهو قد جاء على سبيل التسلية لابني بكر؛ ليذهب حزنه، ويذكره بأن الله تعالى سوف يحفظهم عن اعين المشركين، وليس في ذلك فضيلة، بل فيه اخبار بأن الله ينجيهم من ايدي اعدائهم، ولسوف ينجي الله ابابكر مقدمة لنجاة نبيه...

٥— إن هذا الحزن قد صدر منه— كما يقول المؤرخون— بعد ما رأى من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة، التي توجب اليقين بأن الله يرد عن نبيه، ويحفظه من اعدائه... فهو قد رأى خروجه من بين القوم، وهم لا يرونه، ورأى نسج العنكبوت على باب الغار، ورأى الحمامة تبيض وتقف على باب الغار، وغير ذلك، كما انه (ص) كان يخبر: بانه ستفتح على يديه كنوز كسرى وقيصر، وان الله سيظهر دينه، وينصر نبيه فحزنه في مقام كهذا، وعدم ثقته بنصر الله مع رؤيته لكل هذه الآيات لما يجب ان يردع عنه ويمنع، والنهي عنه مولوي، وهو يكشف عن عدم رسوخ قدم في معرفة جلال وعظمة الله.

وقد قيل: إن ابابكر قال: يا رسول الله، إن حزني على أخيك على بن أبي طالب ما كان منه. فقال له النبي (ص): إن الله معنا (٣).

٦— وأما أن النصر كان من الله لهما معاً، فهو شريك للنبي في نصرته الله لهما، وهذا فضل عظيم... فهو أيضاً باطل ويدفعه صريح الآية، فانها قد

(١)— التكوير الآية ٢٢.

(٢)— الكهف الآية ٣٤.

(٣)— راجع كنز الفوائد للكرجكي ص ٢٠٤.

خصت النصر— ولعله بمعنى أنه تعالى نجى نبيه من الكفار— بالرسول، قال تعالى: «إلا تنصروه (الضمير يرجع إلى النبي (ص)) فقد نصره الله إذ أخرجه إلى الخ». فالنصر إذن ثابت لخصوص النبي صلى الله عليه وآله، وأبو بكر تابع محض، والتبعية في النصرة إنما هي لأجل اجتماعهما في مكان واحد، وذلك لا يدل على فضل لابي بكر (١). اوفقل: إن حفظه لأبي بكر إنما هو مقدمة لحفظ شخص النبي (ص) كما قلنا.

٧— وأما قضية السكينة، فلا يصح قولهم إنها نزلت على أبي بكر، بل هي نازلة على خصوص النبي صلى الله عليه وآله، حيث إن الضمائر المتأخرة والمتقدمة في الآية كلها ترجع إليه (ص) بلا خلاف، وذلك في قوله: تنصروه. نصره. يقول. أخرجه. لصاحبه. أيده. فرجوع ضمير في وسطها إلى غير النبي (ص) يكون خلاف الظاهر، ويحتاج إلى قرينة قاطعة.

كلام الجاحظ... ومافيه:

وناقش الجاحظ (٢) و غيره فيما ذكرناه فقالوا: إن النبي (ص) لم يكن بحاجة إلى السكينة لتنزل عليه... وكأنه يريد أن يجعل من ذلك قرينة لصرف اللفظ عن ظاهره...

ولكنه كلام باطل؛ أما

أولاً: فقد قال تعالى في سورة التوبة في الآية ٢٦ عن قضية حنين: «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين». وقال في سورة الفتح في الآية ٢٦: «فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين».

كما أننا نرى أنه ذكر نزول السكينة على المؤمنين فقال: «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً (٣)». وقال: «فعلّم مافي قلوبهم؛ فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» (٤).

(١) — دلانل الصدق ج ٢ ص ٤٠٥.

(٢) — العثمانية ص ١٠٧.

(٣) — الفتح ٤. (٤) — الفتح ١٨.

وهنا يتساءل البعض عن سر آخراج ابي بكر من السكينة، ولم حرم منها هنا، مع أن الله قد أنزلها على النبي (ص) هنا وعليه وعلى المؤمنين في غير هذا الموضع!!؟

وأقول: لربما يمكن الجواب: بأن انزلها على الرسول هنا يكفي؛ لأن في نجاته نجاته لصاحبه، وفي خلاصه خلاصه... ولكنه جواب متهاك؛ لأن السكينة إنما توجب اطمينان القلب، وذهاب القلق، وهو أمر آخر غير النجاة والخلاص...

فيبقى السؤال الآن بانتظار الجواب

ثانياً: إن السكينة هي: نعمة من الله تعالى، ولا يجب في نزول النعمة الاتصاف بما يضادها، ولذلك تنزل الرحمة بعد الرحمة...

وثالثاً: من أين علموا: أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن بحاجة إليها... مع عدم وجود ما يدل عليه في الآية... فلتكن كآية حنين بمعنى أن هذه السكينة بمثابة الاعلام بأن مرحلة الخطر القصوى قد انتهت؟!!

ولماذا لا يظن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن حزن أبي بكر، ورعبه وخوفه وبكاءه كان لمشاكل أخرى— وهو وان كان يعلم: أنه سوف ينجو منها في النهاية إلا أنها تشكل— على الأقل، عراقيل وموانع، تؤخر وصوله إلى هدفه الاقصى والبعيد...

رابعاً: يرى العلامة الطباطبائي: أن الآية مسوقة لبيان نصر الله تعالى نبيه، حيث لم يكن معه أحد يتمكن من نصرته، ومن هذا النصر انزال السكينة عليه، وتقويته بالجنود... ويدل على ذلك تكرار كلمة (اذ) ثلاث مرات، كل منها بيان لما قبله بوجه، فتارة لبيان وقت النصر، وأخرى لبيان حالته (ص) وثالثة لبيان وقت هذه الحالة؛ فالتأييد بالجنود كان لمن نزلت السكينة عليه (١)...

و يقول المحقق السيد مهدي الروحاني: إن أبابكر لما لم يستجب لطلب النبي (ص) في أن لا يحزن ولا يخاف، فإن السكينة نزلت على النبي (ص)، وبقى أبوبكر على عدم سكينته، الأمر الذي يدل على أن أبابكر لم يكن مؤهلاً لهذا التفضل والتكرم من الله تعالى...

ماذا يقول المفيد هنا... وما ذا يجيبون:

و يقول المفيد، وغيره: إن حزن أبي بكر إن كان طاعة لله؛ فالنبي صلى الله عليه وآله لا ينهى عن الطاعة؛ فلم يبق إلا أنه معصية (١).

وأجاب الحلبي وغيره: بأن الله خاطب نبيه بقوله: «ولا يحزنك قَوْمهم» فنهى الله لنبيه لم يكن إلا تأنيساً وتبشيراً له، وكذلك نهى النبي لأبي بكر (٢).

ونحن نرى: أن جواب الحلبي هذا في غير محله، وذلك:

لأن حزنه وشكّه في نصر الله، والذي يشير إليه قوله (ص) له: «إن الله معنا» كان مما لا يجمل ولا يحسن؛ إذ قد كان عليه أن يثق بنصر الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، بعد ما رأى من المعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، الدالة على أن الله تعالى سوف ينجي نبيه من كيد المشركين...

وعليه فلا يمكن أن تكون الآية واردة في مقام مدحه وتقريظه، ولا بد من حمل النهي على ما هو ظاهر فيه، ولا يصرف عن ظاهره إلا بقريته. بل ما ذكرناه يكون قريته على تعيين هذا الظاهر.

ولا يقاس حزن أبي بكر بحزن النبي صلى الله عليه وآله، والمشار إليه بقوله تعالى: «ولا يحزنك قَوْمهم»، وغيرها... وذلك لأن النبي (ص) إنما كان يحزن من أجل ما يراه من العوائق أمام دعوته، والموانع التي تعترض طريق انتشار

(١) - الافصاح في امامة أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ١١٩.

(٢) - السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٣٨.

وانتصار دينه، لما يراه من استكبار قومه، ومقامهم على الكفر والطغيان، فالنبي له (ص) ولموسى (ع) ليس نهي تحريم، وإنما هو تأنيس وتبشير بالنصر السريع لدينه، وللتنبيه على عدم الاعتناء بقولهم، وعدم استحقاقهم للحزن والاسف...

فحزن النبي (ص) هنا يدل على عمق إيمانه، وفنائه في ذات الله تعالى، وهولا يقاس بحزن من يحزن من أجل نفسه، ومن أجل نفسه فقط.

والآيات صريحة فيما نقول: فنجد آية تقول: إنه (ص) كان يحزن لمسارعة قومه في الكفر: «لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر (١)». وأخرى تقول: إنه يحزن لمابدا له من تكذيبهم إياه: «قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون؛ فانهم لا يكذبونك (٢)». و «من كفر فلا يحزنك كفره» (٣). وثالثة تقول: إنه (ص) كان يحزن لاتخاذهم آلهة من دون الله: «فلا يحزنك قولهم، إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون (٤)»... وهكذا سائر الآيات، كما لا يخفى على من لاحظها...

فآيات على حد قوله تعالى: «ولا تذهب نفسك عليهم حسرات (٥)»...

أضف إلى كل ماتقدم... اننا لولم نعرف واقع حزن أبي بكر... فإننا لا يمكن أن نقيسه على حزن النبي المعصوم، بل علينا أن نأخذ بظاهر النبي، وهو التحريم، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل...

سؤال يحتاج إلى جواب:

و إذا كان أبو بكر يحزن وهو يرى ما يرى من الآيات والمعجزات، ولا يصبر لينال أجر الصابرين الموقنين... فكيف تكون حالته لو أراد أن ينام في مكان أمير المؤمنين علي عليه السلام في تلك الليلة... وهل من الممكن أن

(١) - آل عمران ١٧٦، والمائدة ٤١. (٢) الانعام ٣٣. (٣) لقمان ٢٣.

(٤) - سورة يس ٧٦. (٥) - فاطر ٨.

لا يضعف وينهار أمام كيد قريش، ويستسلم لجبروتها في اللحظات العسيرة... ولتنقلب من ثم ماجريات الامور رأساً على عقب؟.

سؤال يطرح نفسه... وربما، ولن يجد الجواب الكافي والشافي في المستقبل القريب على الأقل....

وسؤال آخر: وهو أنه هل يمكن أن نصدق بعد هذا ما يدعى من أشجعية أبي بكر بالنسبة لسائر الصحابة؟!...

ولسوف يأتي انشاء الله تعالى حين الكلام على غزوة بدر، بعض ما يرتبط بهذا السؤال الثاني... فإلى هناك ...

ولكننا مع ذلك لا بد وأن نكون قد عرفنا مدى صحة قولهم: إنه كان— في طريقها إلى الغارتارة يمشي أمام النبي (ص)، وأخرى خلفه، وثالثة عن يمينه، ورابعة عن يساره؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك ، فقال: يا رسول الله، اذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك (١).

فانه كلام لا يصح... فان حزنه في الغار وخوفه وهو يرى الآيات والمعجزات التي يذكرها نفس هؤلاء الراوين لهذه الرواية قدزاد في كدر النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، حتى لقد احتاج النبي (ص) إلى أن ينزل الله سكينته عليه...

هذا... عدا عن أنه لا معنى لتخوف الرصد، فقد كانت قريش مطمئنة إلى أنها تحاصر النبي (ص)، وتحيط به... وأنه لن يكون له نجاة من مكرها وكيدها... ثم هل كان لديه سلاح يدفع به عن النبي (ص)، أو عن نفسه؟!...

أصف إلى ذلك : فراره في احد، وحنين، وخيبر— كما سنرى إن شاء الله تعالى— ولم يؤثر عنه فيما سوى ذلك أي موقف شجاع يذكر.

التأكيد على موقف أبي بكر:

وإننا نكاد نطمئن إلى أن الهدف من هذا وسواه هو تعويض أبي بكر عما فقده، في مقابل مييت علي عليه السلام على فراش النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث باهى الله به ملائكته، كما سئرى...

من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله:

وقد ورد: أن الله تعالى قد أوحى إلى جبرائيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة.

فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد (ص)؛ فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة؟ اهبطا إلى الارض، فاحفظاه من عدوه...

فنزلا، فكان جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبريل ينادي: يخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله به الملائكة. فأنزل الله عزوجل:

«ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، والله رؤوف بالعباد(١)».

(١) — الآية في سورة البقرة ٢٠٧ والرواية في: اسد الغابة ج ٤ ص ٢٥، والمستجد للتنوخي ص ١٠، وثمرات الاوراق ص ٣٠٣، وتفسير البرهان ج ١ ص ٢٠٧. واحياء العلوم ج ٣ ص ٢٥٨، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٩، وكفاية الطالب ص ٢٣٩، وشواهد التنزيل ج ١ ص ٩٧، ونور الابصار ص ٨٦، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٣١، وتذكرة الخواص ص ٣٥ عن الثعلبي، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٥ و٣٢٦، والبحار ج ١٩ ص ٣٩ و٦٤ و٨٥ عن الثعلبي في كنز الفوائد وعن الفضائل لأحمد ص ١٢٤ و١٢٥، وعن الروضة ص ١١٩، وامالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣.

وقال ابن شهر آشوب: إن هذا الحديث قدرناه: الثعلبي، وابن عاقب في ملحمة،

قال الاسكافي: «وقد روى المفسرون كلهم: أن قوله تعالى: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله نزلت في علي (ع) ليلة المبيت على الفراش (١)».

كذبة مفضوحة:

وبذلك يظهر كذب ما ذكره فضل بن روزهان من أن أكثر المفسرين يقولون: إن الآية قد نزلت في الزبير والمقداد، حيث أرسلها النبي (ص) إلى مكة لينزلا خبيب بن عدي عن الخشب التي صلب عليها، وكان حول خشبته أربعون من المشركين، فخاطروا بأنفسها حتى انزلاه، فأنزل الله الآية...

ويكذب هذا بالاضافة إلى ما ذكره الاسكافي آنفاً المصادر المتقدمة لحديث نزول الآية في علي (ع)... ويذكر المظفر أن المفسرين لم يذكروا ذلك، حتى السيوطي والرازي والكشاف. مع أن الرازي قد جمع في تفسيره كل أقوالهم، والسيوطي جمع عامة رواياتهم...

وذكر في الاستيعاب بترجمة خبيب: أن الذي أرسله النبي (ص) لانزاله هو عمرو بن أمية الضمري (٢)...

وابن تيمية ماذا يقول؟!!

وقد انكر ابن تيمية نزول هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام،

وابوالسعادات في فضائل العشرة، والغزالي في الاحياء، وفي كيمياء السعادة عن عمار، وابن بابويه، وابن شاذان والكليني، والطوسي، وابن عقدة، والبرقي، وابن فياض، والبدلي، والصفواني والثقفني بأسانيدهم عن ابن عباس، وأبي رافع وهندبن أبي هالة... والغدير ج ٢ ص ٤٨ عن بعض من تقدم، وعن: نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٩ عن السلفي. ونقله المحمودي في هوامش شواهد التنزيل عن بعض من تقدم، وعن: ابي الفتوح الرازي ج ٢ ص ١٥٢ وغاية المرام باب ٤٥ ص ٣٤٦. وأشار إليه مغلطاي في سيرته ٣١، والمستطرف، وكنوز الحقائق ص ٣١.

(١) - راجع: شرح النهج ج ١٣ ص ٢٦٢.

(٢) - راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٢.

وقال: كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير. وأيضاً قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له: لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم؛ فلم يكن فيه فداء بالنفس، ولا إثارة بالحياة. والآية المذكورة في سورة البقرة، وهي مدنية باتفاق. وقد قيل: إنها نزلت في صهيب (رض) لما هاجر (١)...

ونقول:

١- لقد أجاب الاسكافي المعتزلي على دعوى الجاحظ: انه (ص) قال لعلي: لن يصل إليك شيء تكرهه! فقال «هذا هو الكذب الصراح، والإدخال في الرواية مالميس منها. والمعروف المنقول، أنه (ص) قال له: فاضطجع في مضجعي، وتغش ببردي الحضرمي، فان القوم سيفقد ونني، ولا يشهدون مضجعي؛ فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك، حتى يصبحوا؛ فاذا أصبحت فاغد في امانتي.

ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم، وأخذه الجاحظ، ولا أصل له.

ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب، ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو، حتى تصور، وانهم قالوا له: رأينا تصورك إلخ... (٢)».

هذا... وقد تقدم: أن النبي صلى الله عليه وآله إنما قال: إنه لا يصل إليه شيء يكرهه. بعد مبيته على فراشه، حيث التقى معه في الغار، وأمره برد ودائعه، وأن ينادي في مكة بذلك، وطمأنه الى أن نداه هذا لن يتسبب له بمتاعب وصعوبات...

٢- ويدل على ذلك :

الف: ولو صح ما ذكره ابن تيمية لم يكن معنى للافتخار بموقفه ذلك؛

(١) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧.

(٢) - شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٣.

فقد روي أن عائشة فخرت بأبيها، ومكانه في الغار مع الرسول، (ص) فقال عبدالله بن شداد بن الهاد: وأين انت من علي بن أبي طالب، حيث نام في مكانه، وهو يرى أنه يقتل؛ فسكتت، ولم تجر جواباً (١).

باء- وعن أنس: أنه (ع) كان موطناً نفسه على القتل (٢).

جيم- بل إن علياً نفسه قد اكد على هذا، ودفع كل شبهة فيه، حينما قال شعره المتقدم.

وقيت بنفسي خير من وطئى الثرى... إلى أن قال:

وبت أراعيهم متى يشبتونني وقد وطلنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً هناك وفي حفظ الاله وفي ستر (٣)
دال: وعنه عليه السلام: «وأمرني أن أضطجع في مضجعه، وأقيه
بنفسي، فاسرعت إلى ذلك مطيعاً له، مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه، ففضى
صلى الله عليه وآله لوجهه، واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قریش
موقنة في أنفسها أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله، فلما استوى بي وهم البيت
الذي انا فيه ناهضتهم بسيفي؛ فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس. ثم
أقبل على اصحابه، فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين (٤)...»

وقيل انهم ضربوا علياً وحبسوه ساعة ثم تركوه (٥).

٣- وأما دعوى ابن تيمية: أن حديث حراسة جبرائيل وميكائيل له
(ع)، ونزول الآية فيه، كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير...

(١)- أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٦٢، والبحار ج ١٩ ص ٥٦ عنه.

(٢)- المصدران السابقان.

(٣)- نورالابصار ص ٨٦، وشواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٢، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤
وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وأمالي الشيخ ج ٢ ص ٨٣، وتذكرة الخواص ص ٣٥،
وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٣٠، ومناقب الخوارزمي ص ٧٤/٧٥، والفصول المهمة لابن الصباغ
ص ٣١، والبحار ج ١٩ ص ٦٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٥.

(٤)- البحار ج ١٩ ص ٤٥ عن: الخصال ج ٢ ص ١٤-١٥.

(٥)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٥.

فلا تصح أصلاً؛ فاننا لم نجد أحداً منهم قد صرح بكذب هذه الرواية سواء، فهو يدعى عليهم مالا يعرفون، وينسب إليهم ما هم منه بريئون؟... بل قد عرفت تصحيح الحاكم والذهبي لهذا الحديث، وتقدم أيضاً طائفة كبيرة من الذين رووه من كبار العلماء والحفاظ، من دون غمز فيه أولئذ... إلا ان يكون شيطان ابن تيمية قد أوحى إليه، بأن ينسب إليهم ما هم منه براء.

٤- وأجاب الحلبي عن كلام ابن تيمية بقوله: «... لكنه في الامتاع لم يذكر أنه (ص) قال لعلي ما ذكر؛ وعليه فيكون فداؤه للنبي (ص) بنفسه واضحاً. ولا مانع من تكرار نزول الآية في حق علي، وفي حق صهيب. وحينئذ يكون شري في حق علي (رض) بمعنى باع، أي باع نفسه بحياة المصطفى. وفي حق صهيب بمعنى اشترى، أي اشترى نفسه بماله. ونزول هذه الآية بمكة، لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية؛ لأن الحكم يكون للغالب» (١).

ولكن بعض ما أجاب به الحلبي محل نظر؛ فان استعمال شري بمعنى باع تارة وبمعنى اشترى أخرى محل نظر لأنه يلزم منه استعمال المشترك في أكثر من معنى، وقد منعه طائفة من العلماء...

ولأن صهيياً لخصوصية له في بذله ماله. فان كثيراً من المهاجرين قد تخلوا عن أموالهم، للمشركين وهاجروا فراراً بدينهم...

وعن قضية صهيب نقول:

لقد رووا: أنه لما أراد رسول الله (ص) الخروج إلى الغار أرسل أبا بكر مرتين أو ثلاثاً إلى صهيب؛ فوجده يصلي، فكره أن يقطع عليه صلاته... وبعد أن جرى ماجرى، عاد صهيب إلى بيت أبي بكر، فسأل عن أخويه: النبي (ص) وأبي بكر، فأخبروه بما جرى... فأراد الهجرة وحده... ولكن المشركين لم يمكنوه من ذلك حتى بذل لهم ماله؛ فلما اجتمع مع النبي (ص) في قباء قال (ص): ربح صهيب ربح صهيب أوريح البيع، فانزل الله: ومن

الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله إلخ (١)...
والفاظ الرواية مختلفة كما يعلم بمراجعة الدر المنثور للسيوطي...
وغيره... ويكفي أن نذكر أن بعضها يذكر: أن الآية نزلت لما أخذ المشركون
صهيباً ليعذبه، فقال لهم: اني شيخ كبير لا يضر امنكم كنت ام من غيركم،
فهل لكم أن تاخذوا مالي وتدعونى ودينى؟ ففعلوا (٢).

ورواية أخرى تذكر القضية بنحو يشبه ماجرى لامير المؤمنين - حين
هجرته وتهديده اياهم ورجوعهم عنه؛ فراجع (٣).

ولكنها قصة لا تصح، أما أولاً: فلأن ارسال النبي (ص) أبابكر الى
صهيب ثلاث مرات في ظرف كهذا غير معقول، ولا سيما وهم يذكرون أن
قريشاً كانت تطلب أبابكر كما تطلب النبي وجعلت مئة ناقة لمن يأتي به، -
وان كنا نعتقد بعدم صحة ذلك كما سنرى - ولكن قريشاً ولا شك تهتم في أن
تستدل على النبي من خلال أبي بكر.

وثانياً: إن كلامه معه وهو في الصلاة، واخباره بالامر، لا يوجب قطع
صلاة صهيب، إذ باستطاعته أن يلقي إليه الكلام و يرجع دون ان يقطع عليه
صلاته... هذا بالاضافة إلى هذه الصدفة النادرة فانه يأتيه مرتين أو ثلاثاً،
وهو لا يزال يصلي!!...

وثالثاً: لماذا يهتم النبي (ص) بصهيب خاصة و يترك من سواه من
ضعفاء المؤمنين، الذين كانت قريش تمارس ضدهم أقسى انواع التعذيب
والاذى؛ فلا يرسل إليهم ولومرة واحدة ولا نقول ثلاث مرات، وهل هذا
ينسجم مع مانعرفه من عدل النبي (ص) وعطفه الشديد على أمته؟...

(١) - الاصابة ج ٢ في ترجمة صهيب، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣ و ٢٤ والدر المنثور ج ١ ص
٢٠٤ عن ابن سعد، وابن أبي اسامة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابي نعيم في الحلية، وابن
عساكر وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي في الدلائل وابن أبي خيثمة وفي النصوص
اختلاف.

(٢) و (٣) - السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٨.

إلا أن يقال: — لعل غير صهيب كان مراقباً من قبل المشركين، أو أن صهيباً كان اشد بلاءً من غيره إلى غير ذلك من الاحتمالات التي أشار إليها البعض.

ورابعاً: اننا نجد بعض الروايات تقول: إن أبا بكر — وليس النبي (ص) — هو الذي قال لصهيب: ربح البيع يا صهيب (١) كما أن ابن هشام يذكر القضية، ولكنه لا يذكر نزول الآية فيه (٢).

وفي رواية أخرى: إن الآية نزلت في المقداد والزبير حينما ذهبا إلى مكة لينزلا جثة خبيب عن خشبته (٣).

وخامساً: إن الآية إنما تتمدح من يبذل نفسه في مرضاة الله، لا أنه يبذل المال في مرضاته، ورواية صهيب ناظرة إلى الثاني لا الأول...

وسادساً... فد قلنا آنفاً انه لم يكن صهيب هو الوحيد الذي بذل ماله في سبيل دينه، فلماذا اختص هذا الوسام به دون غيره...

وسابعاً: انهم يذكرون: أنه لم يتخلف مع النبي (ص) أحد من المهاجرين إلا من حبس أوفتن إلا علياً وابابكر (٤).

وثامناً: إن الرواية القائلة بأن صهيباً كان شيخاً كبيراً لا يضر المشركين أكان معهم أم مع غيرهم.

لا تصح؛ لان صهيباً قد توفي سنة ثمان اوتسع وثلاثين وعمره سبعون سنة (٥) فعمره يكون حين الهجرة واحداً أو اثنين وثلاثين سنة، فهو قد كان في عنفوان شبابه، لا كما تريد أن تدعيه هذه الرواية المفتعلة.

(١) — مجمع البيان ج ٦ ص ٣٦١، والبحار ج ١٩ ص ٣٥ عنه، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤.

(٢) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢١. (٣) — السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٨.

(٤) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٣، وسيرة مغلطاي ج ٣١.

(٥) — الاصابة ج ٢ ص ١٩٦.

هذا كله... عدا عن تناقضات روايات صهيب، وعدا عن أن عدداً منها لا يذكر نزول الآية في حقه... كما أنها عموماً إما مروية عن صهيب نفسه، أو عن تابعي لم يدرك عهد النبي، كعكرمة، وابن المسيب، وابن جريج، وليس هناك سوى رواية واحدة وردت عن ابن عباس الذي ولد قبل الهجرة بثلاث سنين فقط...

ويجب أن يعلم: أن صهيباً قد كان من اعوان الهيئة الحاكمة بعد النبي (ص)، ومن تخلف عن بيعة أمير المؤمنين، وكان يعادى أهل البيت عليهم السلام (١).

هـ— بقي في كلام ابن تيمية المتقدم قوله: إن سورة البقرة مدنية، ولو صح نزولها في علي (ع) لكانت مكية... وجوابه واضح... فان نزول الآية لو سلم أنه كان في نفس ليلة المبيت، فن الواضح أن النبي (ص) كان حينئذٍ في الغار، وليس معه سوى أبي بكر؛ فلم يكن ثمة مجال للإعلان بنزول الآية إلا بعد وصوله (ص) إلى المدينة، واستقراره فيها، ثم إتاحة الفرصة له في الطرف المناسب لظهور هذه الفضيلة العظيمة لابن عمه ووصيه... فلا بأس أن تعد بهذا الاعتبار مدنية، وتجعل في سورة البقرة، التي كان نزولها في مطلع الهجرة، كما هو معلوم...

وأما ما ذكره الحلبي من تكرر نزول الآية فهو أمر لا دليل عليه... بل الأدلة الآنفة تدفعه وتنافيه...

تسمية أبي بكر بالصديق:

يرى البعض: أن الله تعالى قد سمى أبا بكر بالصديق في قضية الغار— كما في شواهد النبوة— حيث قد روي: أنه حين أذن الله تعالى لنبيه بالهجرة، قال لجبرئيل: من يهاجر معي؟ قال جبرئيل: أبو بكر الصديق (٢).

(١)— راجع ذلك وغيره في ترجمة صهيب في قاموس الرجال ج ٥ ص ١٣٥ / ١٣٧.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٣ عن شواهد النبوة، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٩.

ولكننا نشك في صحة ذلك، أما:

أولاً: فلتناقض الروايات في تسمية أبي بكر بالصديق، وسبب ذلك، وزمانه؛ فن قائل: إن ذلك كان في قضية الغار كما هنا. ومن قائل: إن ذلك كان حينما رجع النبي (ص) من رحلة الاسراء، وتصديق أبي بكر له في ذلك، وحين وصف النبي (ص) لقومه بيت المقدس (١)... وقول ثالث: أن ذلك كان حين بعثة النبي (ص)، حيث صدقه أبو بكر، فسمي الصديق (٢)... وقول رابع: إن ذلك كان حين رحلة النبي (ص) إلى السماء، حيث وجد وصفه بالصديق مكتوباً في بعض المواضع التي وصل إليها!!!... وأما...

ثانياً: فلأن لدينا العديد من الروايات الصحيحة والحسنة سنداً، والمروية في عشرات المصادر، تنص على أن «الصديق» هو أمير المؤمنين عليه السلام، دون أبي بكر؛ ونذكر منها:

١— عن علي عليه السلام— بسند صحيح على شرط الشيخين—: أنه قال: أنا عبدالله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقوها بعدي إلا كذاب مفترى... لقد صليت قبل الناس بسبع سنين (٣).

(١) و (٢)— راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٩ وج ١ ص ٢٧٣، وغير ذلك... وقد اشرنا إلى ذلك حين الكلام على الاسراء والمعراج، وذكرنا بعض مصادره هناك، فراجع...

(٣)— مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١٢ وتلخيصه للذهبي هامش نفسه الصفحة، والاوائل ج ١ ص ١٩٥، وفرادى السمطين ج ١ ص ٢٤٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٨، وراجع ج ١ ص ٣٠ والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٢٦، والخصائص للنسائي ص ٤٦ بسند رجاله ثقات، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٤، بسند صحيح، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٦، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٥٧، وذخائر العقبى ص ٦٠ عن الخلفي والآحاد والمثاني مخطوط في كوبرلي رقم ٢٣٥، ومعرفة الصحابة لابي نعيم مخطوط في مكتبة: طوب قوسراى رقم ٤٩٧ ج ١ وتذكرة الخواص ص ١٠٨ عن أحمد في المسند وفي الفضائل وفي هوامش ترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساکر بتحقيق المحمودى، ج ١ ص ٤٥/٤٤ عن: مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦/ الورق ١٥٥/ أو كثر العمال ج ١٥ ص ١٠٧ ط ٢ عن ابن أبي شيبة، والنسائي، وابن أبي عاصم في السنة، والعقيلي والحاكم وأبي نعيم وعن العقيلي في ضعفائه ج ٦/ الورق ١٣٩، ومعرفة الصحابة لابي نعيم ج ١/ الورق ٢٢/أ، وتهذيب الكمال للمزي ج ١٤— الورق ١٩٣/ ب وعن تفسير الطبري، وعن احمد في

والظاهر هو أن المراد: أنه (ع) كان يتعبد مع النبي (ص) على دين الخنيفية— حتى قبل بعثته— من حين تمييزه،... وحتى عموم الدين، ونزول قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر... بل وقبل ذلك أيضاً... وبذلك يبطل قول ابن كثير: «كيف يتمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلاً (١)».

٢— وأخرج القرشي في شمس الأخبار رواية طويلة مفادها: أن الله قد سمى علياً بـ «الصديق الأكبر» في ليلة الاسراء (٢)...

٣— عن ابن عباس: الصديقون ثلاثة: حزقيل، مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار، صاحب آل ياسين، وعلي بن أبي طالب. الثالث أفضلهم... وقرئ منه ما روي عن أبي ليلى الغفاري بسند حسن كما نص عليه السيوطي (٣) وكذا عن الحسن بن عبدالرحمان بن أبي ليلى (٤).

الفضائل الحديث ١١٧ ورواه في ذيل احقاق الحق ج ٤ ص ٣٦٩ عن ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤١٧ وج ٢ ص ١١ و ٢١٢. والغدير ج ٢ ص ٣١٤ عن كثير ممن تقدم وعن الرياض النضرة ج ١٥٥ و ١٥٨ و ١٢٧.

(١) — البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦.

(٢) — الغدير ج ٢ ص ٣١٣/٣١٤.

(٣) — الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٠، عن أبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن النجار، وابن عساكر، والصواعق المحرقة ط المحمدية ص ١٢٣، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥٥.

وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٢٤، وذخائر العقبى ص ٥٦، وفيض القدير ج ٤ ص ١٣٧، وتاريخ ابن عساكر— ترجمة الامام علي (ع) بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ٢٨٢ وج ١ ص ٨٠ وكفاية الطالب (ص) ١٢٣ و ١٨٧ و ١٢٤، والدر المنثور ج ٥ ص ٢٦٢ عن تاريخ البخاري، وعن أبي داود، وأبي نعيم والديلمي وابن عساكر، والرازي في تفسير سورة المؤمن، ومناقب الخوارزمي ص ٢١٩، ومناقب الامام علي لابن المغازلي ص ٢٤٦ و ٢٤٧، ومعرفة الصحابة لابي نعيم مخطوط في مكتبة طوب قپوسراى رقم ٤٩٧ ونقله في هامش كفاية الطالب عن كنز العمال أيضاً ج ٦ ص ١٥٢ عن الطبراني، وابن مردويه، والرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ وبعض من تقدم، ونقله المحمدي في هامش ترجمة الامام علي من تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٨٠/٧٩ عن بعض من تقدم وعن: السيف اليماني المسلول ص ٤٩ والفتح الكبير ج ٢ ص ٢٠٢ وغاية المرام ص ٤١٧ و ٦٤٧ ومناقب علي من كتاب الفضائل لاحد الحديث ١٩٤ و ٢٣٩، والسلفي في مشيخة البغدادية، الورق ٩/ ب و ١٠/ ب. والغدير ج ٢ ص ٣١٢، عن بعض من تقدم، وهوامش شواهد التنزيل عن الروض النضير ج ٥ ص ٣٦٨.

(٤) — مناقب الخوارزمي الخنفي ص ٢١٩.

فحصر النبي (ص) للصديقين بالثلاثة، ينافي تسمية أبي بكر بـ «الصديق» على النحو المتقدم، وإلا لكانوا أربعة، ولم يصح الحصر.

٤— عن معاذة قالت: سمعت علياً— وهو يخطب على منبر البصرة— يقول: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، واسلمت قبل أن يسلم أبو بكر (١).

وظاهره: أنه في صدد نفي صديقية أبي بكر، التي شاعت بين الناس...

٥— عن أبي ذر، وابن عباس قالا: سمعنا النبي (ص) يقول لعلي: أنت الصديق الأكبر، وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل (٢). وقریب منه عن أبي لیل الغفاري.

٦— عن أبي ذر، وسلمان: إن الرسول (ص) أخذ بيد علي، فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يضافحني يوم القيامة، وهذا الصديق

(١) — ذخائر العقبى ص ٥٦ عن ابن قتيبة، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٨، وانساب الاشراف، بتحقيق المحمدي ج ٢ ص ١٤٦، والآحاد والمثاني مخطوط في كوبرلي رقم ٢٣٥، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٤، والمعارف لابن قتيبة ص ٧٣/٧٤، والغدير ج ٢ ص ٣١٤ عن بعض من تقدم وعن ابن ايوب والعقيلي، عن كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٥ طبعة أولى... وليراجع الغدير ج ٣ ص ١٢٢ عن الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ وعن مطالب السؤل ص ١٩ وقال: كان يقولها في كثير الاوقات والطبري ج ٢ ص ٣١٢ وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٧ وعن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٥.

وراجع في حديث ابن عباس وابي ليل الغفاري: الاصابة ج ٤ ص ١٧١ وهامشها الاستيعاب ج ٤ ص ١٧٠ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣ و ٤١٧.

(٢) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٨، وفرائد السمطين ج ١/ ص ١٤٠، وترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساکر، بتحقيق المحمدي ج ١ ص ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ بعدة أسانيد وفي هامشه عن الاسكافي في نقضه لعثمانية الجاحظ المطبوع معها في مصر ص ٢٩٠ واللاكي المصنوعة ج ١ ص ١٦٨، وذيل احقاق الحق ج ٤ ص ٢٩—٣١ و ٣٤ والغدير ج ٢ ص ٣١٣ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥ عن الحاكمي، وعن شمس الاخبار للقرشي ص ٣٠، وعن المواقف ج ٣ ص ٢٧٦، وعن نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٥ وعن الحمويني...

الاكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل إلخ (١).

٧- وفي خطبة طويلة لأم الخير بنت الحريش أوردتها في صفين، وصفت فيها أمير المؤمنين عليه السلام بـ «الصديق الاكبر» (٢)...

٨- وقال محب الدين الطبري: «إن رسول الله سماه صديقاً» (٣).

٩- وقال الخجندي: «وكان يلقب بيعسوب الامة، وبالصديق

الاكبر» (٤).

١٠- وجاء في رواية أخرى: «فيجيهم ملك من بطنان العرش: يامعشر الآدميين. ليس هذا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلأ، ولا حامل عرش، هذا الصديق الاكبر علي بن ابي طالب إلخ (٥)».

١١- إن آية: أولئك هم الصديقون قد نزلت في علي عليه السلام وكذا آية: الذي جاء بالصدق وصدق به، وآية أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين... نعم... كل هذه الآيات قد نزلت في علي (٦) (ع).

١٢- وفي رواية عن أنس: «وأما علي فهو الصديق الاكبر

(١) - مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ عن الطبراني والبخاري، والغدير ج ٢ ص ٣١٣ عنه وعن: كفاية الطالب ص ١٨٧ من طريق ابن عساكر وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٨ وعن اكمال كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦ عن البيهقي وابن عدي عن حذيفة، وعن أبي ذر وسلمان.

(٢) - العقد الفريد ط دارالكتاب ج ٢ ص ١١٧، وبلاغات النساء ص ٣٨، والغدير ج ٢ ص ٣١٣ عنها وعن صبح الاعشى ج ١ ص ٢٥٠ ونهاية الاربع ج ٧ ص ٢٤١.

(٣) و(٤) - الغدير ج ٢ ص ٣١٢ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥ وغيرها...

(٥) - كنز العمال ط ٢ ج ١٥ ص ١٣٤.

(٦) - راجع على سبيل المثال: شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٣/١٥٤/١٥٥ وج ٢ ص ١٢٠ وفي هوامشه مصادر كثيرة، وترجمة الامام علي (ع) من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٤١٨، وهوامشه، ومناقب ابن المغازلي ص ٢٦٩، وغاية المرام ص ٤١٤، وكفاية الطالب ص ٣٣٣، ومناهج الكرامة للحلي، ودلائل الصدق للشيخ المظفر ج ٢ ص ١١٧ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٨، وعشرات المصادر الأخرى...

إلخ (١) ...».

وبعد كل ماتقدم... فاننا نعرف: أن لقب «الصديق» خاص بالامام علي عليه السلام، ولا يمكن اثباته لغيره...

هذا... وقد ذكر العلامة الاميني في الغدير ج ٥ ص ٣٢٧/٣٢٨ و ٣٢١ و ٣٣٤ و ٣٥ و ج ٧ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ روايات تدل على أن الصديق هو أبوبكر... وفندها بما لا يدع مجالاً للشك في كذبها وافتعالها؛ حيث حكم كبار النقاد والحفاظ عليها بالوضع والكذب من امثال: الذهبي، والخطيب، وابن حبان، والسيوطي، والفيروزآبادي والعجلوني، ومن أراد أن يقف على ذلك، فعليه بالرجوع إلى كتاب الغدير؛ فان فيه ما ينفع الغلة، ويزيح الشبهة...

متى كان وضع هذه الالقاب:

والظاهر أن سرقة هذا اللقب، وغيره من الالقاب، قد حصلت في وقت متقدم، حتى اضطر الامام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الاعلان على منبر البصرة ويردد ذلك كثيراً؛ أنه هو الصديق الأكبر... وليس أبابكر، وأن كل من يدعي هذا اللقب لنفسه فهو كذاب مفتر... ولكن السياسة التي حكمت على الأمة وهيمنت على فكرها واتجاهاتها مدة طويلة من الزمن قد استطاعت أن تحتفظ بهذه الالقاب لمن تريد الاحتفاظ لهم بها، ولم يكن ثمة أية قوة تستطيع أن ترد أو أن تمنع... أوحى أن تعترض ولو بشكل ايجابي وسلمي بحت.

الراحتان:

ويقولون: إن أبابكر بعد أن بدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة، وأخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه يرجو أن يؤذن له، حبس نفسه على رسول الله (ص)، واشترى راحتين بثمانمائة درهم— وكان أبوبكر رجلاً ذاملاً—

وعلفها ورق السمر، أو الخبط أربعة أشهر (١) أوستة أشهر (٢) على اختلاف النقل... ولما أراد (ص) الهجرة عرض أبو بكر الراجليين على الرسول (ص) فأبى أن يقبلها إلا بالثمن...

ولكن علفه للراجليين أربعة أشهر أوستة لا يمكن أن يصح، وذلك.

١- لأن النبي (ص) قد أمر أصحابه بالهجرة قبل هجرته هو (ص) بثلاثة أشهر فقط، بل يقول البعض: إن ذلك كان قبل هجرته شهرين ونصفاً على التحرير (٣)، بل يقول البعض إن بيعة العقبة قد كانت قبل الهجرة بشهرين وليال (٤)، وقد أمر (ص) أصحابه بذلك بعد بيعة العقبة كما هو معلوم فكيف يكون أبو بكر قد علفها أربعة أشهر بعد أمره (ص) لأصحابه بالهجرة؟!.

٢- إن ثمة نصاً يقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد اشترى للنبي (ص) ثلاثاً من الابل، واستأجر الاريق بن عبد الله، وأرسل الابل معه الى النبي (ص) ليلة الخروج من الغار (٥).

فلعله اشترى الابل من أبي بكر، واستلمها وارسلها إلى النبي (ص) معه...

ماهي الحقيقة:

ولكن الحقيقة هي: أنهم لما رأوا: أنه (ص) لم يقبل الراجليين من أبي

(١) - راجع: وفاة الوفاء ج ١ ص ٢٣٧، والثقات لابن حبان ج ١ ص ١١٧ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٨٧ وغير ذلك كثير، وعن كون أبي بكر رجلاً ذاملاً راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٢٨.

(٢) - نور الابصار ص ١٦ عن: الجمل، على الهمزية، وعن كنز العمال ج ٨ ص ٣٣٤ عن البغوي بسند حسن عن عائشة.

(٣) - فتح الباري ج ٧ ص ١٨٣ و ١٧٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥ و ٥٥ عنه.

(٤) - سيرة مغلطاي ص ٣٢ وفتح الباري ج ٧ ص ١٧٧ وراجع الثقات لابن حبان ج ١ ص ١١٣ وغير ذلك.

(٥) - ترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٣٨ والدر المنثور.

بكر إلا بائثن، ورأوا في ذلك تضعيفاً للخليفة الأول، ثم هم يرون في مقابل ذلك: أن علياً يبذل نفسه في سبيل الله... عوضوا أبابكر عن ذلك بأنه قد علف الراحلتين هذه المدة الطويلة...

وبعد ماتقدم... فان شراء الرسول للراحتين، أو شراء امير المؤمنين للرواحل يبين: أن أبابكر قد هاجر على نفقة الرسول (ص) وليس على نفقة نفسه.

الخروج من خوخة أبي بكر للهجرة:

و يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج إلى الغار من خوخة لبيت أبي بكر كما نص عليه في سيرة ابن هشام وغيره. وفي البخارى: أنه (ص) ذهب إلى أبي بكر ظهراً ومن ثم ذهب إلى الغار...

ونقول:

١- قد كذب الحلبي ذلك، وقال: «والأصح: إنما كان خروجه من بيت نفسه (١)».

٢- إنه قد تقدم: أن أبابكر جاء إلى بيت النبي فوجد علياً نائماً مكانه، فأخبره علي (ع) بذهاب النبي (ص) نحو بئر ميمون؛ فلحقه في الطريق: فكيف يكون قد خرج إلى الغار من خوخة أبي بكر؟! وكيف يكون قد خرج إلى الغار ظهراً؟.

٣- هذا كله... عدا عن أن سائر الروايات تنص على أنهم جلسوا على بابهِ إلى الصباح. فخرج من بينهم، في فحمة العشاء وبقي علي نائماً مكانه. وهذا يكذب أنه قد خرج ظهراً...

٤- وكيف يكون قد خرج من بيت أبي بكر، مع أنهم يقولون: إن

القائف كان يقص أثر رسول الله (ص)، حتى بلغ مكاناً؛ فقال: هنا صار مع محمد آخر. بل البعض يصرح: أنهم قد عرفوا أنها قدم ابن أبي قحافة (١). واستمروا على ذلك حتى بلغوا إلى فم الغار...

وبذلك كله يعلم أيضاً عدم صحة مارواه في الدر المنثور والحلبية، من أنه (ص) قدم مشى ليلته على اطراف أصابعه؛ لثلاثاً يظهر أثر رجله حتى حفيت رجلاه— كأن المسافة بعيدة إلى هذا الحد!!— فحمله أبو بكر على كاهله، حتى أتى على فم الغار، فانزله. وفي رواية: انه ذهب إلى الغار راكباً ناقته الجدعاء ابتداء من منزل أبي بكر (٢).

قريش... في طلب ابي بكر:

ويقولون: إن قریشاً قد بذلت في النبي (ص) مئة بعير، وفي أبي بكر مثلها... ذكر ذلك الجاحظ وغيره...

وأجاب الاسكافي المعتزلي: «... فبأهلها بذلت في أبي بكر مئة بعير أخرى، وقد كان رد الجوار، وبقي بينهم فرداً لاناصرله، ولادافع عنده، يصنعون به ما يريدون، إما أن يكونوا أجهل البرية كلها، أو يكون العثمانية اكذب جيل في الأرض، وأوقحه وجهها. وهذا مما لم يذكر في سيرة، ولا روي في أثر، ولا سمع به بشر، ولا سبق الجاحظ به أحد (٣)».

ونزيد نحن هنا: إنه إذا كانت قبيلته قد منعتة أولاً كما يقولون، فلماذا تخلت عنه الآن؟ وإذا كان أبو بكر من أذل بيت في قریش، كما سبق بيانه حين الكلام على هجرته إلى الحبشة؛ فلماذا تبذل فيه قریش مئة بعير، كما تبذل في النبي (ص) نفسه؟... ولما ذالم تضع عليه الارصاد والعيون، ولم ترسل إليه فتبئته كما أرادت أن تبئت النبي (ص)؟... ولماذا

(١) — البحارج ١٩ ص ٧٤ وعن الخرائج والجرائح وليراجع ص ٧٧ و ٥١ وليراجع أيضاً. اعلام

الورى ص ٦٣، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٨، وتفسير القمي ج ١ ص ٢٧٦.

(٢) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٤—٣٨ وراجع، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٨.

(٣) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٩.

تبذل في أبي بكر هذا المقدار مع أن الذي فوت عليها ظفرها بالنبي (ص) — و هو علي — آمن فيما بينهم يغدو و يروح، و لا من يعترض أو يتكلم ... هذا ... ولكن الحقيقة هي: ان الهدف من ذلك هو الارتفاع بأبي بكر ليساوي الرسول الاعظم منزلة و خطراً، فضلاً عن أن يذهب بكل آثار مبيت امير المؤمنين على الفراش، حتى لا يلتفت إليه، ولا يهتم به أحد في قبال عظمة و خطر أبي بكر؟! ...

الانتظار الى الصباح:

وأما لماذا انتظر المشركون إلى الصباح في ليلة الغار؛ فيذكر البعض: انهم أرادوا أن يقتحموا عليه الجدار، فصاحت امرأة من الدار؛ فقال بعضهم لبعض: إنها لسبة في العرب: أن يتحدث عنا: أنا تسورنا الحيطان على بنات العم (١).

أو لعله لما قيل: من أن أباهب لم يرض بقتله (ص) ليلاً؛ لما فيه من الخطر على النساء والاطفال ...

ولعله للامرین معاً... أو لعله ليشاهد الناس قتله من قبل جميع القبائل؛ ليكون ذلك حجة على بني هاشم، فلا يتم لهم الطلب بثأره؟! ...

شراء ابي بكر للموالى !! ونفقاته!!

و يقولون: إنه لما خرج أبو بكر احتمل معه ماله كله، وهو خمسة آلاف أوستة آلاف درهم، فدخل أبو قحافة على أهل بيت ولده — وقد ذهب بصره — فقال: والله إنني لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت أسماء: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، فأخذت أبحاراً فوضعتها في كوة في البيت، الذي كان أبي يضع ماله فيه، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن

أردت أن اسكن الشيخ بذلك (١).

ويذكرون أيضاً: ان عامر بن فهيرة، كان يعذب في الله، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، فكان يروح عليها— وهما في الغار— بمنحة غنم من غنم أبي بكر؛ فكان يرعاها؛ فيمر عليها في المساء ليحلب لهما... وكانت اسماء بنت أبي بكر تأتيها إذا أمست بما يصلحها من الطعام...

وعن عائشة: أنفق أبو بكر على النبي (ص) أربعين الف درهم. وفي لفظ: دينار.

ويروون أنه (ص) قال: مامن أحد أمنّ علي في صحبته، وذات يده من أبي بكر. ومانفعي مال مانفعي مال أبي بكر؛ فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟

وأقال: ليس أحد أمنّ علي في أهل ومال من أبي بكر... وفي رواية أخرى: إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الاسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر.

وعن عائشة في حديث الغار: فجهزناهما أحت الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب— يقول الواقدي: كان في السفرة شاة مطبوخة— فقطعت اسماء بنت أبي بكر نطاقها قطعتين، فشدت فم الجراب بواحدة، وفم قربة الماء في الآخر، فسميت: ذات النطاقين...

وفي الترمذى: عنه (ص): إن ابابكر زوجه ابنته، وحمله إلى دار الهجرة، وصحبه في الغار، وفي رواية: ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها

(١) — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٣ وكنز العمال ج ٢٢ ص ٢٠٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٧٩، والاذكياء لابن الجوزي ص ٢١٩، وحياة الصحابة ج ٢ ص ١٧٣/١٧٤، وجمع الزوائد ج ٦ ص ٥٩ عن الطبري، وأحد ورجاله رجال الصحيح، غير ابن اسحاق، وقد صرح بالسمع...

ماخلا أبابكر، فان له عندنا يد الله يكافئه بها يوم القيامة (١).

ونحن نقول: إن كل ذلك محل شك وريب، بل هو لا يصح إطلاقاً،
وذلك لما يلي:

١- عامر بن فهيرة:

أما كون عامر بن فهيرة مولى لابي بكر، فقد تقدم كلام ابن اسحاق، والواقدي، والاسكافي وغيرهم فيه، حيث قالوا: إن النبي هو الذي اشتراه واعتقه، وليس أبابكر...

٢- أبو قحافة الأعمى:

وأما رواية أن اسماء قد وضعت الاحجار في المكان الذي كان أبوها يضع فيه ماله، ليتلمسها أبو قحافة الأعمى ليطمئن ويسكن... فيكذبها...

الف: «قال الفاكهي ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال عبدالله: لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغار، ذهبت استخرج وأنظر هل أحد يخبرني عنه، فاتيت دار أبي بكر، فوجدت أبا قحافة، فخرج علي ومعه هراوة، فلما رأني اشتد نحوي، وهو يقول: هذا من الصباة الذين أفسدوا علي ابني (٢)».

فهذه الرواية توضح أن أبا قحافة لم يكن حينئذ قد عمي بعد. وسندها معتبر عندهم...

(١)- راجع: في كل ذلك تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٠-٣٢٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢ و ٣٣ و ٤٠ و ٣٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢، وصحيح البخاري باب الهجرة، وفتح الباري ج ٧، وصحيح مسلم، وصحيح الترمذي، والدر المنثور، والفضول المهمة لابن الصباغ، والسيرة النبوية لابن كثير ولسان الميزان ج ٢ ص ٢٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٩ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٢ عن الطبراني والغديري، وغير ذلك كثير لا مجال لتتبعه...

(٢)- الاصابة ج ٢ ص ٤٦٠/٤٦١. وهذه الرواية تدل على ان ابا قحافة يرى ان ابنه ابا بكر قد صار من الصباة وأنه قد اسلم بعد جماعة عبدالله منهم، وهذا ينافي ما تقدم من أنه كان أول من اسلم.

باء- لم نفهم لماذا لم يترك أبو بكر لأهل بيته شيئاً؟ وما هذا الجفاء منه لهم؟! ومن اين علم ابوقحافة الضرير بأنه قد حمل ماله معه حتى قال لهم: انه قد فجعهم بنفسه وماله؟!!

جيم: ولماذا هذا الدور لاسماء؟ ألم تكن زوجة للزبير حينئذٍ، وألم تهاجر معه إلى المدينة قبل ذلك، حيث لم يبق من اصحاب النبي (ص) في مكة سوى علي وأبي بكر، ومن يفتن ويعذب؟! واين كانت زوجات أبي بكر عن ذلك كله؟!!

٣- مع أدوار لاسماء أيضاً وغيرها

وأما أن اسماء كانت إذا أمست تذهب بالطعام إليهما إلى الغار، وأنها هي هيأت الزاد لهما حين سفرهما إلى المدينة. وأنها هي التي ارسلت إليه الراحلتين. وأيضاً تسميتها بذات النطاقين، فيرد عليه:

أولاً: إنهم يقولون في مقابل ذلك: انه بعد غياب النبي (ص) وأبي بكر مضت ثلاث ليال ولا يدرون أين توجه الرسول (ص)، حتى علموا ذلك من هاتف الجن في ابيات أنشدها. وأما القول: ان المراد: بعد ثلاثة أيام من خروجه من الغار، فلا يصح، إذ قد صرحوا بأنهم علموا بخروجه إلى المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار(١) هكذا ذكر الحلبي الشافعي والعهدية في ذلك عليه...

ويقول مغلطاي: «ولم يعلم بخروجه عليه الصلاة والسلام إلا علي وأبي (كذا) بكر (رض)؛ فد خلا غاراً بثور إلخ (٢)».

وثانياً: لقد ورد: أن أمير المؤمنين (ع) هو الذي كان يأتي النبي (ص) بالطعام، والشراب إلى الغار(٣). بل لقد ورد أن النبي (ص) قد ارسل الى

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥١.

(٢)- سيرة مغلطاي ص ٣٢.

(٣)- تاريخ دمشق، ترجمة الامام علي بتحقيق المحمدي ج ١ ص ١٣٨، واعلام الورى ص ١٩٠، والبحار ج ١٩ ص ٨٤ عنه.

علي ليرسل اليه بزادوراحلة ففعل، وأرسل ذلك إليه. وأرسل ابو بكر لابنته فارسلت إليه بزادوراحلتين اى له ولعامر بن فهيرة كما في الرواية... ولعلها هي التي اشتراها منه على أيضاً (١) كما أنه قد احتج عليه السلام بذلك يوم الشورى، فقال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله الطعام وهو في الغار، ويخبره الاخبار غيرى؟ قالوا: لا (٢).

وهذا يعلم ايضاً عدم صحة ما قيل من أن عبدالله بن أبي بكر، كان هو الذي يأتيها بالاخبار من مكة الى الغار (٣).

وثالثاً: وأما حديث النطاق أو النطاقين، فبالإضافة إلى تناقض رواياته (٤) نذكر: أن المقدسي بعد أن ذكر القول الأول قال: «... ويقال: لما نزلت آية الخمار ضربت يدها إلى نطاقها، فشقتة نصفين، واختمرت بنصفه (٥)».

ويقولون أيضاً: إنها قالت للحجاج: «كان لي نطاق أعطي به طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النحل، ونطاق لا بد للنساء منه (٦)».

حديث سد الأبواب وخلة أبي بكر:

وأما حديث باب وخلة أبي بكر: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، فلانريد التوسع في الكلام عليه بل نكتفي بما ذكره المعتزلي هنا، فانه قال: إن البكرية قد: «وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه

(١) - اعلام الورى ص ٦٣، والبحار ج ١٩ ص ٧٠ و ٧٥ عنه وعن الخرائج وعن قصص الانبياء...

(٢) - الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٠٤.

(٣) - والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٩، وسيرة ابن هشام، وكنز العمال ج ٢٢ ص ٢١٠ عن البغوى وابن كثير.

(٤) - راجع لبعض موارد التناقض لاكلها: الاصابة ج ٤ ص ٢٣٠، والاستيعاب بهامشها ج ٤ ص ٢٣٣.

(٥) - البدء والتاريخ ج ٥ ص ٧٨.

(٦) - الاصابة ج ٤ ص ٢٣٠، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٢٣٣.

الاحاديث، نحو: لو كنت متخذاً خليلاً؛ فانهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء، ونحو سد الابواب، فانه كان لعلي عليه السلام؛ فقلبته البكرية إلى أبي بكر الخ (١)».

ومع ذلك فيعارض هذا الحديث مارووه من أن النبي (ص) قد اتخذ أبابكر خليلاً بالفعل كما نقله العلامة الاميني في الغدير ج ٨ ص ٣٤ عن: الرياض النضرة للمحب الطبري ج ١ ص ٨٣، وارشاد الساري ج ٦ ص ٨٣ عن الحافظ السكري، وكنز العمال ج ٦ ص ١٣٨ و ١٤٠ عن الطبراني، وأبي نعيم...

فأيها نصدق ياترى...

هذا... ولربما نتكلم عن حديث سد الابواب في موضع مناسب، وعن حديث الخلة حين الكلام على حديث المؤاخاة إن شاء الله تعالى...

٥- ثروة أبي بكر:

وأما عن ثروة أبي بكر، وأنه قد انفق أربعين ألف درهم أودينار على النبي (ص) وغير ذلك مما يذكرونه، فنقول:

إننا بالاضافة إلى ما قدمناه من عدم صحة ماجرى بين اسماء وأبي قحافة، حين الهجرة وغير ذلك خلال الصفحات الخمس المتقدمة نشير إلى ما يلي:

أولاً: ان حديث: ان امنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، وأنه لم يكافئه على اليد التي له عليه، والله هو الذي يكافئه عليها... فلا يصح، وذلك بملاحظة ما يلي:

١- بما ذا كافأ النبي صلى الله عليه وآله أبا طالب وخديجة على تضحياتهما، ونفقاتهما وما قدماه في سبيل الدين والاسلام، وعلى مواساتهما

بالنفس والمال والولد؟! ألم يكن ما انفقاه وقدماه للإسلام أعظم مما قدمه وانفقته اي انسان آخر في سبيل الاسلام؟... ثم كانت خدمات علي عليه السلام الجلى لهذا الدين، والتي لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد معاند.

٢- وحديث المنة على الرسول عجيب، فانه لم يكن في مكة بحاجة إلى احد؛ اذ قد كانت عنده أموال خديجة وحتى اموال ابي طالب (١) وكان ينفق منها على المسلمين إلى حين الهجرة، وكان ينفق على علي عليه السلام في بدء امره، تخفيفاً على أبي طالب، وقد جاء أن عمر قديراً اسما بنت عميس: بأن له هجرة ولا هجرة لها، فقالت له: «كنتم مع رسول الله (ص) يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم» ثم اشتكته إلى رسول الله (ص) فأخبرها: أن للمهاجرين إلى الحبشة هجرتين ولأولئك هجرة واحدة (٢).

٣- و يكفي أن نذكر أنه لم يقبل منه البعير أو البعيرين حين هجرته إلا بالثمن، الذي نقده إياه فوراً—وهو في أخرج الاوقات.. واذا صح حديث رد رسول الله (ص) هبة ابى بكر هذه فهذا يأتي على كل ما يروونه في انفاق الممال من قبل ابى بكر على النبي (ص).

٤- هذا كله عدا عن أن النبي صلى الله عليه وآله لم يجهز في مكة جيشاً، ولا أسعر حرباً ليحتاج إلى النفقة الواسعة في تجهيز الجيوش، واعداد الكراع والسلاح...

كما أنه لم يكن يتفكه، ويتنعم بانفاق الأموال...

(١)— قد تقدم في أول البحث: أن ابا طالب كان ينفق في الشعب على الهاشميين من امواله... وأما أموال خديجة، فأمرها اشهر من ان يحتاج إلى بيان... وقد تقدم كلام ابن ابي رافع حول اموال خديجة...

(٢) — راجع: الاوائل ج ١ ص ٣١٤، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٥ عن البخاري، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٣٥ ط سنة ١٣٠٩ هـ. وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٧٢، وكنز العمال ج ٢٢ ص ٢٠٦، عن أبي نعيم والطياييسي، وليراجع فتح الباري ج ٧ ص ٢٤١، ومسنند أحمد ج ٤ ص ٣٩٥ و

وأما بعد الهجرة إلى المدينة... فان أبا بكر قد ضمن بماله - الذي كان خمسة أوستة آلاف درهم - كما يقولون - عن كل أحد، حتى عن ابنته اسماء التي كانت في أقسى حالات الفقر والجهد، حينما قدمت المدينة، حتى لقد كانت تخدم البيت، وتسوس الفرس وتصدق النوى لناضح، وتعلمه وتستقي الماء وتنقل النوى على رأسها من بعد ثلثي فرسخ - حتى ارسل إليها أبوها خادماً كفتها سياسة الفرس، كما ادعت (١).

كما أن النبي (ص) قد مر في سنوات ضيق شديدة وصعبة، ولا سيما قبل خيبر، حتى لقد كان ربما يبقى اليومين أو الثلاثة بلاطعام، حتى يشد على بطنه الحجر (٢) وكان الانصار يتعاهدونه بجفان الطعام، فأين كانت عنه أموال أبي بكر وآلاف دراهمه، التي بقيت إلى تبوك، حيث يدعون: أنه جاء بجميع ماله، وهو أربعة آلاف درهم حينئذ (٣)؟!.

وثانياً: كان ماتقدم لو كان مرادهم المنة على رسول الله (ص) بالانفاق عليه... وأما إن كان المراد المنّ على الرسول (ص) بالانفاق في سبيل الله سبحانه... فهو أيضاً لا يصح إذ لم نجد في التاريخ ما يدل على ذلك، بل لقد وجدنا ما يدل على خلافه... فان أبا بكر قد ضمن بماله إلى حد أنه لم يتصدق ولو بدرهمين في قصة النجوى، ولم يفعل ذلك سوى أمير المؤمنين عليه السلام، حتى لقد أنزل الله تعالى قرآناً يؤتب فيه الصحابة ويلمهم على ذلك ثم تاب عليهم، قال تعالى: «أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات؛ فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم الآية (٤)». ولو أن أبا بكر تصدق بدرهمين لم يكن ممن توجه إليهم هذا العتاب منه تعالى...

(١) - راجع: حديث الافك ص ١٥٢.

(٢) - وقد وصفت عائشة حالته هو وأهل بيته بما يقرح القلوب، فراجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم

٢ ص ١٢٠ وليراجع من ص ١١٢ حتى ص ١٢٠.

(٣) - حياة الصحابة ج ١ ص ٤٢٩ عن ابن عساکر ج ١ ص ١١٠.

(٤) - المجادلة ١٣، وراجع دلائل الصدق ج ٢ ص ١٢٠، والاولئل ج ١ ص ٢٩٧، وهامش

تلخيص الشافعي ج ٣ ص ٣٧/٢٣٥، عن العديد من المصادر.

وثالثاً: والاهم من ذلك: أنه لا معنى لأن يكون الانفاق لوجه الله، ثم
يمن على الرسول (ص)، كما أخبر (ص) عنه كما تزعم الرواية... بل المنّة لله
ولرسوله عليه في ذلك...

وقد نهى الله عن المن. فقال: «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (١)»، وقال: «ولا تمنن تستكثر (٢)». ولذلك فاننا لا يمكننا أن نقبل
أن النبي (ص) يمدح هذا المنان عليه (أي على المن) ويقرضه... ولا سيما
وهو آمن الناس عليه في صحبته وماله...

إشارة هامة:

ولذلك فان... الظاهر هو أن النبي (ص) بعد أن لم يستطع اقناع أبي
بكر بالكف عن المن عليه بأنه قد ترك أمواله وداره في مكة، وأنه رافقه إلى الغار،
وتحمل الاخطار، وحزن وجزع خوفاً من الاعداء... اضطر (ص) إلى أن
يخبر الناس بحالة أبي بكر هذه؛ علّه يكف عن بعض ما كان يفعل، وذلك
كأسلوب اضطراري أخير من أساليب التربية والتوجيه... ولا سيما وأن ما يمن
به عليه لم يكن أبوبكر متفرداً به؛ فان الكل قد هاجر وترك ماله، وأرضه
ووطنه، والكل قد تحمل الاخطار والمتاعب، وكثير منهم تعرض إلى أقسى
أنواع التعذيب والتنكيل... وعن مقامه معه في الغار، فان الخطر على
أمير المؤمنين كان أعظم من الخطر عليه؛ فلماذا إذن هذا المن منه، حتى عدّه
النبي (ص) امن الناس عليه؟!...

ورابعاً: وإذا كان أبوبكر— كما يقول الطوسي والمفيد— في أول
أمره معلماً للأولاد، ثم صار خياطاً، ولم يكن قسمه إلا كواحد من المسلمين،
ولذا احتاج إلى مواساة الانصار له— وكان أبوه صياداً، ثم صار ينش الذباب،
وينادي على مائدة ابن جدعان بشبع بطنه وستر عورته (٣) فان من الطبيعي

(١)— سورة البقرة ٢٦٤. (٢)— المذثر ٦.

(٣)— تلخيص الشافي ج ٣ ص ٢٣٨، ودلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٠، والافصح ص ١٣٥
وراجع الغدير ج ٨ ص ٥١. ويشك المحقق السيد مهدي الروحاني في كون أبي بكر كان معلماً،
على اعتبار ان جمع الاطفال في المكتب وتعليمهم أمر مستحدث، ولم يكن معهوداً في مكة في
الجاهلية ويتساءل عن تلامذة أبي بكر من هم، ولماذا لم يوجد في مكة سوى عدد ضئيل ممن كان
يعرف القراءة والكتابة كما مر في أول الكتاب.

أن لا تكون لابي بكر ثروة من هذا القبيل لخمسة آلاف ولا ستة آلاف، فضلاً عن أربعين ألف درهم أو دينار.. لأن مثل هذه الثروات إنما تجتمع لدى الانسان من التجارة، أو الزراعة، لا من قبيل صناعات ابي بكر... فكيف يقولون إذن: إنه كان سيداً من سادات قريش، ومن ذوي المال والثروة والجاه فيها؟! ولماذا يترك أباه عند ابن جدعان وهو بهذه الحالة فضلاً عن ابنته اسماء؟!...

وخاصةً: إن أمير المؤمنين عليه السلام حينما تصدق بمال قليل جداً— كما في إطعامه المسكين، واليتيم، والاسير— قد نزلت فيه آية قرآنية: «و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و أسيراً. إنما نطمعكم» الآية (١). وحينما تصدق بخاتمه نزل فيه قوله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون» (٢). وحينما تصدق بدرهم سرّاً و آخر جهراً، وثالث ليلاً، ورابع نهاراً، نزل فيه قوله تعالى: «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار، سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم» (٣)»... كما أنه لم يعمل بأية النجوى سوى علي عليه السلام...

و بعد كل ماتقدم نقول: كيف ينفق أبو بكر ماله أربعين الف درهم أو دينار، وكيف يكون له يد عند النبي الله يكافؤه عليها، حتى مانفعه مال كما منفعه مال ابي بكر... ثم لا يذكر الله من ذلك شيئاً، ولا يحدثنا التاريخ ولا الحديث عن مورد واحد من ذلك بالتحديد؛ بحيث يمكن اثباته؟! أم أن المحدثين والمؤرخين قد تجاهلوا عمداً فضائل ابي بكر، التي تصب في هذا الاتجاه؟ ولماذا إذن لم يتجاهلوا مال علي في ذلك أيضاً؟!!

أم أن أبا بكر قد ظلم وتجنى عليه الحكام والملوك واتباعهم والمزيفون من العلماء كما تجنوا على أمير المؤمنين علي عليه السلام؟! فمنعوا الناس من ذكر فضائله وروايتها...

نعم قد ذكروا عتقه الرقاب من الضعفاء والمعذبين في مكة، ولكن

(١) — الانسان ٨. (٢) — المائدة ٥٥.

(٣) — وراجع فيما تقدم هامش تلخيص الشافي للاطلاع على بعض مصادره...

قد تقدم أن اثبات ذلك غير ممكن... وقد انكره الاسكافي المعتزلي عليه، وقال: إن ثمنها في ذلك العصر لا يبلغ مئة درهم— لو فرض صحة الرواية...

أم أن عدالة الله تعالى قد اقتضت ذكر نفقات أمير المؤمنين علي عليه السلام على قلبها في القرآن وعلى لسان النبي صلى الله عليه وآله، واهمال نفقات أبي بكر، التي تبلغ الآلاف الكثيرة؟! وهل هذا عدل؟! تعالى الله الملك الحق العدل المبين الذي لا تظلم عنده نفس بمثقال ذرة فما فوقها...

أم يصح أن يقال: إن نفقات أبي بكر لم تكن خالصة لوجه الله تعالى، وإنما جرت على وفق سجيته وطبعه في الكرم والجود؟! وكان ذلك هوسر اهمال الله لها؟ فلماذا لا يمدح الله هذه السجية؟، وإذا كان لافضل فيها فلماذا يقول الرسول: إن الله سوف يكافئه عليها؟! ولماذا إلى آخر ما هنالك من الاسئلة التي لن تجدها جواباً مقنعاً ومفيداً ومقبولاً...

وبعد كل ماتقدم فإن الحديث عن ثروة أبي بكر، منقول— كما يقول الشيخ المفيد— عن خصوص ابنة أبي بكر عائشة، وفي طريقه من هم من امثال الشعبي المعروفين بالعصبية، والتقرب إلى بني أمية بالكذب، والتخرص والبهتان(١).

كلمة أخيرة حول ما يقال في ثروة أبي بكر:

ونعتقد: أن ما يقال عن ثروة لأبي بكر، انفقها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان نتيجة ردة الفعل العنيفة من قبل انصار الخليفة الأول، حينما رأوا أنه صلى الله عليه وآله يأبى أخذ الراحلة منه إلا بالثمن(٢) و يرون في مقابل

(١) - الاصحاح في امامة أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ١٣١-١٣٣.

(٢) - صحيح البخاري ط مشكول ج ٥ ص ٧٥ و تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٠٤، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣١ وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٥٣ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٨٤-١٨٨، ومسنند أحمد ج ٥ ص ٢٤٥، والكامل لابن الأثير، وغير ذلك كثير. والسيرة الحلبية ج

ذلك الآيات النازلة في علي عليه السلام، ونفقاته وتضحياته ليلة المبيت وغيرها...

فكان لا بد و أن يتحركوا لاثبات فضائل لابي بكر، وتضحيات له
جسام...

ثم يوجهون قضية الراحلة بأنه (ص) اراد أن تكون هجرته لله تعالى
بنفسه وماله (١) .

ولكنهم يعودون فينسبون هذا التوجيه حينما يذكرون جراب الزاد،
والشاة المطبوخة، ومنحة الغنم حين الهجرة... ويغفلون عن التناقض الظاهر
بين كونه اراد الهجرة بنفسه وماله هناك... وبين انفاقاته الكبيرة من مال
أبي بكر وزاده ومنحته والخ...

ولا بأس بالتناقض في أقوال النبي (ص) وافعاله، مادام أنه لم
تنقض فضيلة لابي بكر، ولم يحرم منها!!

التزوير... والتحوير:

ولكن الصحيح هو أن مقاله (ص) إنما كان بالنسبة لأموال خديجة:
«مانفعمني مال قط مثلما نفعمني مال خديجة» — كما تقدم — وقد حورلصالح
أبي بكر، وصيغ بصيغ مختلفة، والعبارات التي تصب في مجرى واحد، وتشير
إلى هدف فارد، وهو اثبات فضيلة لأبي بكر، وابي بكر فقط... شأن كثير
من الاحاديث التي اشار إليها المعتزلي في شرحه للنهج، وذكر انها من وضع
البكرية في مقابل فضائل امير المؤمنين عليه السلام... وكما يظهر لكل أحد
بالتتبع والمقارنة...

تجلي الله لأبي بكر:

عن أنس: لما خرج (ص) من الغار أخذ أبو بكر بغرزه؛ فنظر (ص)
إلى وجهه، فقال:

يا أبا بكر ألا أبشرك؟ قال: بلى فذاك أبي وأمي. قال: إن الله يتجلى يوم القيامة للخلائق عامة ويتجلى لك خاصة...

ومع أننا ندر مامعنى هذا التجلي، إلا أن يكون على مذهب المجسمة الضالة؛ فاننا نجد: أن الفيروز آبادى قد عد هذا الحديث من أشهر الموضوعات في باب فضائل أبي بكر، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل، و حكم الخطيب بوضعه عند ذوي المعرفة بالنقل. وحكم أيضاً بوضعه وبطلانه كل من: الذهبي، والعجلوني، وابن عدي، والسيوطي، والعسقلاني، والقاري وغيرهم (١).

كلام هام حول الفضائل:

يقول المدائني: «كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، وعبيده، وأهل ولايته، الذين يروون فضائله ومناقبه، فسأدنونهم، وقربوهم، واكرمهم، واكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه، وعشيرته ففعلوا ذلك، حتى اكتبوا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات، والكساء والحباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجدمروا من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلةً أو منقبةً إلا كتب اسمه، وقربه، وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً...

ثم كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد جهر وشفافي كل مصر، وكل وجه وناحية، فاذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من

(١) - راجع: تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ٣٨٨ وج ١٢ ص ١٩، وكشف الحفاء ج ٢ ص ٤١٩، واللاكي المصنوعة ج ١ ص ١٤٨، ولسان الميزان ج ٢ ص ٦٤ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢١ و٢٣٢، و٢٦٩ وج ٣٣٦٣ والغدير ج ٥ ص ٣٠٢ عن تقدم، وعن أسنى المطالب ص ٦٣.

المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فان هذا أحب إلي، وأقر لعيني، وأدحض لحنة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله...

فقرئت كتبه على الناس؛ فرويت أحاديث كثيرة في مناقب الصحابة، مفتعلة لاحقيقة لها، وجد الناس في رواية مايجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاب، فعملوا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه وتعلموه كمايتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونسائهم، وخدمهم، وحشمهم، فلبثوا بذلك ماشاء الله...

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة: أنه يحب علياً، وأهل بيته، فاحموه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اهتمموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به، واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشد واكثر منه بالعراق، ولاسيا بالكوفة، حتى إن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته؛ فليلق إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولايحده حتى ياخذ عليه الايمان الغليظة: ليكتمن عليه؛ فظهر حديث كثير موضوع. وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة، والولاة. وكان اعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث حتى يحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا في مجالسهم، ويكسبوا به الاموال والضياع، والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والاحاديث الى أيدي الديانين الذين لايستحلون الكذب والبهتان قبلوها فرووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا: أنها باطلة لما روهها ولا تدينوا بها، فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليها السلام، فازداد البلاء والفتنة إلخ...» النصائح الكافية ص ٧٢/٧٣ عن المدائني.

ما أنت إلا إصبع دميت:

وفي رواية: أن ابا بكر صار يسد كل جحر وجده في الغار، فأصاب يده ما أدامها، فصار يمسح الدم عن إصبعه ويقول:

ما أنت إلا اصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت (١)

وهذا لا يصح؛ لأن هذا البيت هو لعبدالله بن رواحة، قاله في جملة أبيات له، في غزوة مؤتة، وقد صدمت إصبعة فدميت (٢).

وفي الصحيحين: عن جندب بن سفيان: أن النبي (ص) قد قال ذلك في بعض المشاهد، أو في الغار، حينما دميت إصبعة (٣).

وذكر آخرون: أنه صلى الله عليه وآله قال ذلك حينما لحقه أبو بكر، لظنه (ص) أنه بعض المشركين فاسرع فأصابه حجر، ففلق إبهامه (٤)... ولعله صلى الله عليه وآله قد قرأ «دميت ولقيت» بفتح ياءيهما، وسكون تاءيهما حتى لا يكون شعراً، لأنه لا يقول الشعر ولا ينبغي له...

وفي بعض المصادر: أن قائله هو الوليد بن الوليد بن المغيرة، حين فرم من المشركين حين هجرته، أو حينما ذهب ليخلص هشام بن العاص وعباس بن ربيعة (٥)...

وقيل: إن أبادجانة قال ذلك في غزوة أحد (٦).

وهكذا يتضح: أن الاقرب هو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه قد قال ذلك. وقد نسب ذلك إلى أبي بكر، تصنعاً وتزلفاً ليس إلا، وذلك لا يسمن ولا يغني من جوع...

(١) - حلية الاولياء ج ١ ص ٢٢، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٨٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٦/٣٥.

(٢) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٩ و ٣٦.

(٣) - صحيح مسلم ج ٥ ص ١٨١ و ١٨٢، وصحيح البخاري ج ٢ ص ٨٩ ط الميمنية، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥١٨.

(٤) - راجع البحار ج ١٩ ص ٩٣ عن مسند أحمد، وعن تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٠٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٦ عن ابن الجوزي...

(٥) - نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٣٢٤، والمصنف لعبد الرزاق ج ٢ ص ٤٤٧، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٠.

(٦) البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠٢.

عمدة فضائل أبي بكر:

هذا... ومما يلفت النظر، ويقضي بالعجب: أن تكون صحبته له وكونه معه في الغار وكبر سنه هما عمدة ما استدلوابه يوم السقيفة لأحقية أبي بكر بالخلافة دون غيره، فقد قال عمر يوم السقيفة: «من له مثل هذه الثلاث: ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا».

وقال: إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السباق المسن. وقال يوم البيعة العامة: «إن أبا بكر رحمه الله صاحب رسول الله، وثاني اثنين أولى الناس بأموركم؛ فقوموا فبايعوه (١)». وعن سلمان: «أصبتم ذالسن فيكم، ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم».

وحينما طلب اليهود من أبي بكر أن يصف لهم صاحبه قال: «معشر اليهود، لقد كنت معه في الغار كاصبعي هاتين إلخ...» وعن عثمان: «إن أبا بكر الصديق (نظن أنها زيادة من الرواة لما تقدم) أحق الناس بها إنه لصديق، وثاني اثنين وصاحب رسول الله». هكذا عن أبي عبيدة.

وعن علي والزبير: «الغار، وشرفه، وكبره، وصلاته بالناس» (٢).

(١) - راجع هذه النصوص في: مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٨٢ عن الطبراني ورجاله ثقات وبعضه عن ابن ماجه، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣١١، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٨ عن البخاري، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٨ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٣٨، والغدير ج ٧ ص ٩٢ عن بعض من تقدم وعن: الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢، ١٦٦. (٢) - راجع في ماتقدم كذاً أو بعضاً شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٨، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٦٦، وسنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٣...

وذكر ذلك في الغدير ج ٥ ص ٣٦٩ وج ٧ ص ٩٢ وج ١٠ ص ٧ كلاً أو بعضاً عن المصادر التالية: مسند أحمد ج ١ ص ٣٥، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٢٨، ونهاية ابن الاثير ج ٣ ص ٢٤٧، وصفة الصفوة ج ١ ص ٩٧، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٦، والصواعق المحرقة ص ٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٣١ وج ٢ ص ١٧، والرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٥، وكنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ عن الاطر ابلسي في فضائل الصحابة ونقل أيضاً عن الكنز ج ٣ ص ١٣٩ و ١٣٦ و ١٤٠ عن ابن أبي شيبة وابن عساكر، وابن شاهين، وابن جرير، وابن سعد، وأحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وأخيراً فقد قال العسقلاني: «وهي أعظم فضائله التي استحق بها أن يكون الخليفة بعد النبي (ص)، ولذلك قال عمر بن الخطاب: إن أبابكر صاحب رسول الله، ثاني اثنين، فانه أولى المسلمين بأمرهم».

و إذا كانت أعظم فضائله التي استحق بها الخلافة، وإذا كانوا لم يتمكنوا من ذكر فضيلة أخرى له، مع أنهم في أخرج الأوقات، وفي أمس الحاجة إلى التشبث بكل حشيش في مقابل الانصار؛ فماذا عساهم أن يصنعوا في مقابل علي وفضائله العظمى التي هي كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار؟ وهل يمكنهم أن يحتجوا بشيء ذي بال في مقابله؟!... وهل يبق أمامهم من مخرج سوى اللجوء إلى أساليب العنف والارهاب؟! وهكذا كان!!

نعم... و إذا أفقده الحجاج هذه الفضيلة، وبقي صفرايدين... حتى لقد كان بلال يفضل عليه، حتى اضطر بلال - ولعله لدوافع لم يستطع التاريخ أن يفصح عنها - لأن يستنكر ذلك ويقول: كيف تفضلوني عليه، وأنا حسنة من حسناته؟! (١).

نعم... إذا أفقده الحجاج الموضوعي هذه الفضيلة، كما قد رأينا ذلك فيما تقدم، فما الذي يبق أمام ابي بكر للحفاظ على ماء وجهه ومنصبه؟!... إننا نترك الجواب على ذلك للقارئ الفطن والمنصف.

عثمان حين قضية الغار:

وأخرج ابن منده بسندواه، عن اسماء بنت أبي بكر، قالت: كنت أحمل الطعام إلى أبيي، وهو مع رسول الله (ص) بالغار، فاستأذنه عثمان في الهجرة، فأذن له في الهجرة إلى الحبشة (٢).

(١) - الغدير ج ١٠ ص ١٣، عن تاريخ ابن عساکر ج ٣ ص ٣١٤.

(٢) - كنز العمال ج ٢٢ ص ٢٠٨ عن ابن عساکر، والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤.

ولكن من الواضح: أن عثمان قد هاجر إلى الحبشة قبل قضية الغار
بثمان سنين...

وكون المراد غاراً آخر يحتاج إلى دليل، ولم نجد في التاريخ ما يدل
على أنه دخل غاراً آخر، وبقي فيه مع أبي بكر مدة... هذا كله عدا عما تقدم
من عدم صحة قولهم: إن أسماء كانت تأتيهم بالطعام إلى الغار...

يوم الغار... ويوم الغدير:

قال ابن العماد وغيره: «تمادت الشيعة في هذه الاعصر في غيهم
بعمل عاشورا، باللطم والعويل، وبنصب القباب والزينة وشعار الاعياد
يوم الغدير؛ فعمدت غالبية السنة وأحدثوا في مقابلة يوم الغدير الغار، وجعلوه
بعد ثمانية أيام من يوم الغدير، وهو السادس والعشرون من ذي الحجة،
وزعموا: أن النبي (ص)، وأبأبكر اختفيا حينئذ في الغار.

وهذا جهل وغلط؛ فان أيام الغار إنما كانت بيقين في صفر، وفي
أول شهر ربيع الأول إلخ... (١)».

وقد كان عليه أن يقول: «وهذا نصب وجهل، قد أعمى
بصائرهم»... وهل ليوم الغار الذي أظهر فيه أبو بكر ضعفه، وشكه، وعرف
كل أحد أنه (ص) لم يأخذ منه البعير إلا بالثمن... أن يكون كيوم الغدير الذي
جعل فيه أهل البيت احد الثقلين الذين لن يضل من تمسك بهما، وجعل علي
فيه مولى للمؤمنين وإماماً لهم بعد الرسول. إلى غير ذلك مما نقله جهابذة
العلماء، واعاظم الحفاظ؟!...

الكلمة الأخيرة في حديث الغار:

وأخيراً... فما أحرانا: أن نتمثل بقول الشاعر:

من كان يخلق مايقول فحيلتي فيه قليلة...

(١) - شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠، والامام الصادق والمذاهب الاربعة ج ١ ص ٩٤، وبحوث
مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٥ والمنظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٠٦...

وحسبنا ما ذكرناه هنا حول الاكاذيب التي جادت بها قرائهم حول قضية الغار، وقد يلاحظ القارئ أننا لم نكثر المصادر للنصوص التي ذكرناها هنا، وعذرنا في ذلك هو أننا لم نر حاجة إلى ذلك لأننا رأينا أنها متوفرة جداً في مختلف الكتب الحديثية والتاريخية، ولن يجد القارئ كبير عناء في البحث عنها واستخراجها...

ولعل القارئ يجد في هذا الذي ذكرناه مقتعاً وكفاية، وهو يكشف له زيف الكثير مما لم نذكره لوضوح كذبه وفساده، وقد آن الأوان للعودة إلى الحديث عن السيرة العطرة سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

الفصل الثالث:

إلى قباء

في الطريق إلى المدينة:

وعن أبي عبدالله عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج من الغار متوجها إلى المدينة، وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مئة من الابل. خرج سراقه بن جشعم فيمن يطلب، فلحق رسول الله (ص)، فقال صلى الله عليه وآله: اللهم اكفني سراقه بما شئت، فساخت قوائم فرسه، فثنى رجله ثم اشتد، فقال: يا محمد ان علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي انما هو من قبلك، فادع الله ان يطلق لي فرسي، فلعمري، إن لم يصبكم خير مني لم يصبكم مني شر، فدعارسول الله (ص)؛ فأطلق الله عزوجل فرسه، فعاد في طلب رسول الله (ص) حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما أطلقت قوائم فرسه في الثالثة، قال: يا محمد، هذه إبلي بين يديك فيها غلامي، فان احتجت إلى ظهر أولبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأردعنك الطلب...

فقال: لاجابة لي فيما عندك ...

ولعل رفض النبي صلى الله عليه وآله ما عرضه عليه سراقه قد كان من منطلق: أنه لايريد أن تكون لمشرك عليه يد... وقد تقدمت بعض النصوص الدالة على ذلك ...

وسار صلى الله عليه وآله حتى بلغ خيمة أم معبد، فنزل بها، وطلبوا عندها قري؛ فقالت: ما يحضر نبي شي. فنظر رسول الله (ص) إلى شاة في

ناحية قد تخلفت من الغنم لضرها، فقال: أتأذنين في حلها؟ قالت: نعم، ولاخيرفيها. فمسح يده على ظهرها، فصارت من اسمن ما يكون من الغنم، ثم مسح يده على ضرعها، فأرخت ضرعاً عجيباً؛ ودرت لبناً كثيراً، فطلب (ص) العس، وحلب لهم فشرّبوا جميعاً حتى رووا...

ثم عرضت عليه أم معبد ولدها الذي كان كقطعة لحم، لايتكلم، ولايقوم، فأخذ تمرة فمضعها، وجعلها في فيه، فنهض في الحال، ومشى، وتكلم، وجعل نواها في الارض فصار نخلة في الحال، وقد تبدل الرطب منها، وأشار إلى جوانبها فصار مراعي.

ورحل صلى الله عليه وآله فلما توفي لم ترطب تلك النخلة، فلما قتل علي عليه السلام لم تحضر، فلما قتل الحسين عليه السلام سال منها الدم (١).

فلما عاد أبو معبد، ورأى ذلك سأل عن سببه، قالت: مرّ بي رجل من قريش، من حاله وقصته كذا وكذا (و وصف أم معبد له صلى الله عليه وآله معروف ومشهور) فعرف أنه النبي (ص)... ثم قصد بعد ذلك رسول الله (ص) فأمن هو وأهله (٢).

الكرامات الباهرة بعدالظروف القاهرة:

وليس ذلك كله بكثير على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكراماته الظاهرة، ومعجزاته الباهرة... فهو أشرف الخلق و اكرمهم على الله من الاولين والآخرين إلى يوم الدين.

ومن الجهة الثانية: فان حصول هذه الكرامات بعد مصاعب الهجرة مباشرة إنما يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً: من أنه قد كان من الممكن أن تتم الهجرة بتدخل من العناية الالهية... ولكن الله تعالى أبى إلا أن يجري الأمور

(١) - تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٥ عن ربيع الابرار...

(٢) - حديث أم معبد مشهور بين المؤرخين، والنص المذكور من أول العنوان إلى هنا هوللبخارج ١٩ ص ٧٦/٧٥ عن الخرائج والجرائح.

إلابأسبابها... و من أجل أن يكون هذا الرسول هو الاسوة الحسنة، والقدوة لكل أحد، في مواجهة مشاكل الحياة، وتحمل أعباء الدعوة إلى الله بكل ما فيها من متاعب، ومصاعب وأزمات...

كما أن ذلك لما يساعد على تربية الانسان وتكامله في عملية اعداده ليكون عنصراً فاعلاً و بانياً و مؤثراً، لامنفعلاً و متاثراً و حسب... إلى غير ذلك مما يمكن استفادته من الأحداث الآنفة الذكر...

هجرة أمير المؤمنين عليه السلام:

واستمر رسول الله صلى الله عليه وآله في هجرته المباركة حتى قرب من المدينة، فنزل باديء ذي بدء في قباء في بيت عمرو بن عوف، فأراده أبو بكر على دخول المدينة وألصقه فابى، وقال: ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أُمى، وأخي، وابنتي، علياً و فاطمة(ع)(١).

فلما أمسى فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل على بعض الانصار، وبقي رسول الله بقباء نازلاً على كلثوم بن الهدم(٢).

ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أخيه علي عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير اليه، وقلة التلوم، وأرسل الكتاب مع ابي واقد الليثي.

فلما أتاه كتاب النبي صلى الله عليه وآله تهباً للخروج والهجرة؛ فأعلم من كان معه من ضعفاء المؤمنين، وأمرهم أن يتسللوا، ويتخفوا تحت جنح الليل إلى ذي طوى، وخرج عليه السلام بفاطمة بنت الرسول، وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم، و فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله (ص). وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فاعنف بهم. فأمره عليه السلام بالرفق فاعتذر بخوفه من الطلب... فقال أمير المؤمنين

(١) - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٣٥ دون ذكر للاسم، وأمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣، وراجع اعلام الورى ص ٦٦، والبحار ج ١٩ ص ٦٤ و ١٠٦ و ١١٥ و ١١٦ و ٧٥ و ٧٦

(٢) - اعلام الورى ص ٦٦، والبحار ج ١٩ ص ١٠٦ عنه.

عليه السلام: اربع عليك ، فان رسول الله (ص) قال لي: (أي حين سفره من الغار كما تقدم: يا علي أما إنهم لن يصلوا من الآن اليك بأمر تكرهه.

وأدركه الطلب قرب ضجنان، وهم سبع فوارس مثلثون وثامنهم مولى للحارث بن أمية، يدعى جناحاً...

فأنزل علي عليه السلام النسوة، وأقبل على القوم منتضياً السيف، فأمره بالرجوع. فقال: فان لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أولترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك .

ودنا الفوارس من المطايا ليثوروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها؛ فأهوى جناح بسيفه، فراغ علي عليه السلام عن ضربته، وتحتله علي (ع)، فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كائبة فرسه، وشد عليهم بسيفه، وهو يقول:

خلو اسبيل الجاهد المجاهد آليت لأعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه، وقالوا: أغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب.

قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله بيثرب، فمن سره أن أفري لحمه، وأهريق دمه، فليتبعني، أو فليدن مني.

ثم أقبل على صاحبيه، فقال لهما: اطلقا مطاياكما، ثم سار ظاهراً حتى نزل بضعجان، فتلوم بها قدر يومه و ليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة الرسول (ص) فعبدوا الله تلك الليلة قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر؛ فصلى بهم علي عليه السلام صلاة الفجر، ثم سارهم؛ فجعلوا يصنعون ذلك في كل منزل، حتى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم.

«الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً، وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والارض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً... إلى قوله: فاستجاب

لهم رهم: إني لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى.» الآيات (١).

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قدومه (ع) قال: أدعوالي علياً، قيل: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي، فاتاه صلى الله عليه وآله بنفسه، فلما رآه اعتنقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً...

وقال صلى الله عليه وآله لعلي: يا علي، أنت أول هذه الامة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة الى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن، قد امتحن قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلا منافق، أو كافر (٢)

وعليه... فان الهجرة العلنية... والتهديد بالقتل لمن يعترض سبيل المهاجر قد كان من علي عليه السلام، وليس من عمر بن الخطاب، وقد تقدم بعض ما يدل على عدم صحة نسبة ذلك إلى عمر، وإنما نسب ما كان من أمير المؤمنين (ع) إلى غيره، شأن الكثير من فضائله ومواقفه عليه السلام...

كتاب تبع الأول:

ويذكر البعض: أن تبع الأول قد آمن به (ص) قبل ولادته (ص) بمئات السنين في قصة طويلة... نرغب عن ذكرها، لاننا لم نتأكد من صحتها ولكن ذكرها القرطبي، و ابن حجة الحموي عنه في ثمرات الاوراق ص ٢٩٠/٢٩١ فن أراد التحقيق حولها؛ فليراجعها...

أبوبكر شيخ يعرف:

قد جاء في بعض الرويات: ان النبي (ص) أقبل الى المدينة وكان ابوبكر رديف النبي (ص). وأبوبكر شيخ يعرف، والنبي (ص) شاب

(١) - آل عمران ١٩١-١٩٥

(٢) - راجع فيما ذكرناه: أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣-٨٦، والبحار ج ١٩ ص ٦٤-٦٧ و ٨٥ و تفسير البرهان ج ١ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ عن الشيباني في نهج البيان، وعن الاختصاص للشيخ المفيد، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٣/١٨٤، واعلام الورى ص ١٩٠ و يراجع: امتاع الاسماع للمقريزي ج ١ ص ٤٨.

لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك . وفي لفظ أحمد: من هذا الغلام بين يديك ، فيقول: يهديني السبيل، فيحسب الحاسب، أنه يهديه الطريق، وإنما يعني سبيل الخير...

وفي التمهيد: إن الرسول (ص) كان رديف أبي بكر، فكان إذا قيل لأبي بكر: من هذا وراءك ؟ إلخ. وصرح القسطلاني: بأن ذلك كان حين الانتقال من بني عمرو بن عوف، أي من قباء إلى المدينة. وفي نص آخر: انه لما قدم (ص) المدينة تلقاه المسلمون؛ فقام أبو بكر للناس، وجلس النبي (ص) وأبو بكر شيخ، والنبي (ص) شاب. فكان من لم ير النبي يجيئ أبو بكر زاعماً أنه هو فيعرفه النبي (ص) حتى أصابت الشمس رسول الله، فجاء أبو بكر فظلل عليه بردائه، فعرفه الناس حينئذ (١).

ولكن ذلك لا يمكن أن يصح وذلك :

أولاً: إن كون أبي بكر يعرف، والنبي لا يعرف لا يمكن قبوله، فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض نفسه على مختلف القبائل التي كانت تقدم مكة، طيلة سنوات عديدة. وقد سار ذكره في الآفاق، وبايعه من أهل المدينة أكثر من ثمانين، قبل ثلاثة أشهر فقط... فكيف يكون أبو بكر يعرف، والنبي لا يعرف (٢)؟!...

ثانياً: لقد كان الناس من أهل المدينة ينتظرون قدومه صلى الله عليه وآله وسلم بفارغ الصبر، وقد استقبله حين قدومه حوالى خمسمئة راكب (٣)

(١) - راجع في ذلك كلاً أو بعضاً: إرشاد الساري ج ٦ ص ٢١٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١، و صحيح البخاري ط مشكول باب الهجرة ج ٦ ص ٥٣ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٧، ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٧، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٨٦، وعميون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٠٢، والمعارف له ص ٧٥ والغدير ج ٧ ص ٢٥٨ عن كثير ممن تقدم وعن: الرياض النضرة ج ١ ص ٧٨ و ٧٩ و ٨٠، وعن طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٢٢.

(٢) - راجع: الغدير ج ٧ ص ٢٥٨.

(٣) - الثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣١، ودلائل النبوة ج ٢ ص ٢٣٣، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٥، عن التاريخ الصغير للبخاري، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٢، والسيرة النبوية لدحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٣٢٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٦.

بظهر الحرة و كان النساء والصبيان والشبان، وغيرهم يهزجون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع الخ...

و كان قد مكث في قباء أياماً يستقبل الناس... فهل يمكن أن يكون متنكراً حين قدومه من قباء إلى المدينة، كما يقول القسطلاني؟!...

وثالثاً: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبر أبابكر، بسنتين وعدة أشهر؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد عام الفيل، وأبوبكر استكمل بخلافته سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث توفي— كما يدعون— بسنّ النبي (ص) عن ثلاث وستين سنة (١).

وإذن فكيف يصح قولهم: إنه شيخ والنبي صلى الله عليه وآله

شاب...

ومما ذكرناه نعرف عدم صحة ما روي عن يزيد بن الأصم— المتوفى بعد المئة عن ٧٣ سنة— من أن النبي (ص) قال لأبي بكر: أنا اكبر أو أنت؟ قال: لا، بل أنت اكبر مني و اكرم، وخير مني، وأنا أسن منك (٢)...

وأما الاعتذار عن ذلك بأن الشيب كان في وجه أبي بكر ولحيته كثيراً، بخلافه صلى الله عليه وآله (٣)... أو أن أبابكر كان تاجراً، يعرفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشام...

(١)— المعارف لابن قتيبة ص ٧٥، مدعي الاتفاق على ذلك، واسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٣، ومرآة الجنان ج ١ ص ٦٥ و ٦٩ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٠ والاصابة ج ٢ ص ٣٤١— ٣٤٤، والغدير ج ٧ ص ٢٧١ عن تقدم وعن المصادر الآتية: الكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٨٥ و ج ٢ ص ١٧٦، وعميون الأثر ج ١ ص ٤٣ والسيرة الخلبية ج ٣ ص ٣٩٦ والطبري ج ٢ ص ١٢٥ و ج ٤ ص ٤٧ والاستيعاب ج ١ ص ٣٣٥، وقال: لا يختلفون: أن سنه انتهت حين وفاته ثلاثاً وستين سنة، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٥.

(٢)— الغدير ج ٧ ص ٢٧٠ عن: الاستيعاب ج ٢ ص ٢٢٦، والرياض النضرة ج ١ ص ١٢٧ و تاريخ الخلفاء ص ٧٢ عن خليفة بن خياط، وأحمد بن حنبل وابن عساكر...

(٣)— فتح الباري ج ٧ ص ١٩٥، وراجع: الغدير ج ٧ ص ٢٦٠ و ٢٦١.

هذا الاعتذار— لا يصح، وذلك لأن الشيب وعدمه لا يخفى الشيخوخة والشباب، حتى لقد ورد التعبير في بعض تلك الرويات بـ «ما هذا الغلام بين يديك؟» فما معنى التعبير بالغلام عن رجل يزيد عمره على خمسين سنة...

وايضاً... فقد روى ابن عباس بسند صحيح: أن أبا بكر قال للنبي (ص): يا رسول الله قد شبت؟ قال: شيبتي هود والواقعة والخ... وروى الحفاظ مثله عن ابن مسعود، وعن أبي جحيفة، قالوا: يا رسول الله، نراك قد شبت، قال شيبتي هود وأخواتها(١).

والسور المذكورة مكية كما هو معلوم... وهذه الروايات تفيد: أن الشيب قد بان فيه صلى الله عليه وآله على خلاف الطبيعة، واسرع فيه، حتى صار الناس يسألونه عنه، وعما أثره(٢).

وأما أن أبا بكر كان تاجراً يختلف إلى الشام، فقد تقدم: انه كان في الجاهلية معلماً للأولاد وبعد ذلك صار خياطاً... كما وأن رسول الله (ص) قد كان أيضاً يختلف إلى الشام، وكان التعرف عليه أدمى وأولى، بملاحظة ما كان له من الشرف والسؤدد في قريش والعرب، وأنه كان له في أهل المدينة قرابة...

هذا كله... عدا عما أسلفناه من أن رسول الله (ص) كان يعرض نفسه على القبائل التي تقدم مكة لعدة سنوات...

وايضاً... فان صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تدل عليه، وقد وصفته أم معبد لزوجها فعرفه. أما أبو بكر، فقد تقدمت صفته عن عائشة وغيرها في بعض الفصول.

(١) — مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٤٣ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة واللمع لابي نصر ص ٢٨٠ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٥، والغدير ج ٧ ص ٢٦١ عنهم وعن: تفسير القرطبي ج ٧ ص ١ وتفسير الخازن ج ٢ ص ٣٣٥ وعن جامع الحفاظ الترمذي، و نوادر الاصول للحكيم الترمذي، وأبي يعلى، والطبراني، وابن أبي شيبه.

(٢) — الغدير ج ٧ ص ٢٦١.

رأي العلامة الاميني:

ويرى الاميني قدس سره: أن قضية: أنت اكبر مني و أنا أسن منك تنقل عن النبي (ص) مع سعيد بن يربوع المخزومي، الذي توفي سنة أربع و خمسين عن مئة وعشرين سنة...

ويرى أيضاً: أن حجة أبي بكر يوم السقيفة على مخالفه قد كانت كبر سنه، فحاول محبوه تأييد هذه الدعوى بما ذكرنا من كونه أسن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي (ص) اكبر منه، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان شاباً، بل غلاماً، لا يعرف!! وأبو بكر كان شيخاً يعرف!! (١)

النفاق في مكة:

وقبل أن نبدأ الحديث عما بعد الهجرة نرى أن من المناسب الإشارة إلى أمر يرتبط بالحياة المكية، والحكم على بعض الظواهر فيها مع ارتباط له وثيق ايضاً في الحياة في المدينة بعد الهجرة، وهو موضوع: هل كان يوجد في من اسلم قبل الهجرة من المكيين منافقون يبطنون خلاف ما يظهرون أم لم يكن؟!

وهل كانت أجواء مكة صالحة لظهور أشخاص من هذا القبيل، يعتنقون الاسلام و يبطنون الكفر، أم لا؟! ...

يقول العلامة الطباطبائي، مامفاده:

انه ربما يقول البعض: لا، لم يكن في مكة منافقون... إذ لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله، ولا للمسلمين قوة ولا نفوذ، يجعل الناس يهابونهم، ويتقونهم... أو يرجون منهم نفعاً مادياً، أو معنوياً من نوع ما... فلماذا إذن... يتقربون لهم و يتزلفون، و لماذا يظهرون لهم الاسلام، مع انطوائهم على خلافه؟...

بل كان المسلمون في مكة ضعفاء مضطهدين، معذبين؛ فالمتناسب أن يتقى المتقي— رغباً أورهباً— من صناديد قريش وعظمائها لامنهم...

أما في المدينة... فقد قوي أمر النبي صلى الله عليه وآله، وظهر أمر المسلمين، وأصبحوا قوة يمكنها الدفع والمنع، وكان له (ص) في كل بيت أتباع وأنصار، يطيعون أوامرهم، ويفدونهم بكل غال ونفيس، والقلة القليلة الباقية لم يكن يسعهم الاعلان بالخلاف؛ فداروا أمرهم باظهار الاسلام، وابطان الكفر... على أن يكيدوا ويمكروا بالمسلمين كلما سنحت لهم الفرصة لذلك

...

هكذا استدل البعض لاثبات عدم وجود منافقين بين المسلمين الأولين...

ولكنه كما ترى كلام لا يصح...

وذلك لأن النفاق في مكة كانت له أسبابه، ومبرراته، ومناخاته، ونذكر هنا مايلي:

أولاً: إن أسباب النفاق لا تنحصر فيما ذكر، من الرغبة والرغبة الذي الشوكة، ومنه. إذ أننا كثيراً ما نجد في المجتمعات فئات من الناس مستعدة لقبول أية دعوة، إذا كانت ذات شعارات طيبة، تنسجم مع أحلامهم، و آمالهم، وتعددهم بتحقيق رغائبهم، وما تصبو إليه نفوسهم... فيناصرونها— رغم أنهم في ظل أعنى القوى و أشدها طغياناً، وهم في غاية الضعف والوهن ويعرضون أنفسهم لكثير من الاخطار، ويتحملون المشاق والمصاعب من أجلها وفي سبيلها... كل ذلك رجاء أن يوقفوا يوماً ما لتحقيق أهدافهم، والوصول إلى مآربهم، التي يحلمون بها كالعلو في الأرض، والحصول على الثروات، والجاه العريض، وغير ذلك...

نعم... إنهم يقدمون على كل هذا... مع أنهم ربما كانوا لا يؤمنون بتلك الدعوة إلا بمقدار إيمانهم بضرورة الحصول على تلك المآرب والاهداف الآنفة الذكر... ومن الواضح أن المنافق الطامع الذي من هذا القبيل يكون— فيما

لونجحت الدعوة— أشد خطراً على تلك الدعوة من اعتنى اعدائها؛ لأنه إن وجد أن الدعوة لا تستطيع أن تمنحه كل ما يريد— ولو لاقتضاء المصلحة لذلك، فانه سوف يفجر ويغدر، (١) كما أنه يكون هو الاقدر على الانحراف بهذه الدعوة، واخراجها عن نهجها القويم، وصراطها المستقيم إلى المتاهات التي يستطيع في ظلماتها وبهمها أن يحصل على ما يريد دون رادع أو وازع، وهو الذي يملك كل المبررات لذلك . مهما كانت سقيمة و تافهة...

وأما إذا فشلت الدعوة؛ فانه إذا كان قد أحكم أمره فانه يستطيع أن يقول لمن هم على شاكلته: إنا كنا معكم إنما نحن مستهزؤون...

وبعد هذا... فانه إذا كان النفاق في المدينة قد كان في اكثره لدوافع أمنية، أو للحفاظ على المصالح والعلاقات المعينة... فان النفاق المكبي.. لسوف يكون أعظم خطراً، وأشدّ مخنّة و بلاء على الاسلام والمسلمين، حسبما أوضحنا آنفاً...

وبعد كل ماتقدم... نقول: إن من القريب جداً... أن يكون بعض من اتبع النبي (ص) في مكة لم يكن مخلصاً للدعوة، وإنما كان مخلصاً لنفسه فقط... ولاسيما إذا لاحظنا: أن دعوة الرسول قد كانت مقترنة أول يوم بدئها بالوعود القاطعة، بأن حاملها لسوف يكونون ملوك الأرض، وسوف يملكون كنوز كسرى وقيصر(٢)... حيث قد سأل عفيف الكندي العباس بن عبدالمطلب عما يراه من صلاة النبي (ص) و علي و خديجة (ع)، فقال له العباس: هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، زعم أن الله أرسله، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح على يديه... فكان عفيف يتحسر على أن لم يكن اسلم يومئذ، ليكون ثانياً لعلي (ع) في الاسلام(٣)...

(١) — راجع: تفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٨٩.

(٢) — اشار إلى هذا أيضاً العلامة الطباطبائي في الميزان ج ١٩ ص ٢٨٩.

(٣) — ذخائر العقبى ص ٥٩، ودلائل النبوة ج ١ ص ٤١٦، ولسان الميزان ج ١ ص ٣٩٥ وعن أبي يعلى، وخصائص النسائي، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٥٧ ط صادر، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٧،

وحيثما سأله عمه أبوطالب عن سبب شكوى قومه منه قال: إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية (١).

وكذلك ينقل عنه (ص) انه قال لبكر بن وائل حينما كان يعرض دينه على القبائل: فتجعلون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم إلخ...

و قال قريباً من هذا لشيبان بن ثعلبة، وحيثما أنذر عشيرته الأقربين (٢).

بل إن مما يوضح ذلك بشكل قاطع، ما قاله أحد بني عامر بن صعصعة، لما جاء رسول (ص) يعرض عليهم قبول دعوته: «والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لا كلت به العرب». وقد تقدم بعض المصادر لذلك ...

وأخيراً... فإنه إذا كان هذا النفاق يهدف إلى استخدام الدعوة إلى أهداف شخصية، فهو بالتالي مضطر إلى الحفاظ على هذه الدعوة بمقدار اضطراره إلى الحفاظ على مصالحه واهدافه تلك، مادام يرى أو يأمل منها أن تتمكن من تحقيق ما يتمناه، وتوصله إلى اهدافه التي يرجوها...

وهكذا يتضح: أنه ليس من الضروري أن يكون المنافق مهتماً بالكيد للدعوة التي لا يؤمن بها، والعمل على تحطيمها وإفسادها، بل ربما يكون حريصاً عليها كل الحرص، يفديها بالمال والجاه— لا بالنفس— إذا كان يأمل أن يحصل على ما هو أعلى واغلى فيما بعد، ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة في بعض مسلمي مكة، الذين كانوا يواكبون الدعوة ويعاونونها مادام لم تصل النوبة إلى

(١)— سنن البيهقي ج ٩ ص ٨٨ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٤٣٢، وصححه هو والذهبي في تلخيصه، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٨، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٣ عن الترمذي، وتفسير الطبري، وأحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم.

(٢) — راجع: الثقات ج ١ ص ٨٨ والبدایة والنهاية ج ٣ ص ١٤٠ وراجع ص ١٤٢ و ١٤٥ عن دلائل النبوة لابي نعم والحاكم والبيهقي وحياة الصحابة ج ١ ص ٧٢ و ٨٠ عن البدایة والنهاية وعن كنز العمال ج ١ ص ٢٧٧.

ارت، فاذا كان ذلك فانهم يفرون، وينهزمون و يتركون النبي وشأنه، و قدرأينا ذلك في كثير من المواقف... نعم ربما يتمكن الدين تدريجياً من نفوس بعضهم، و تحصل لهم قناعة تدريجية به، ولسوف نشير إلى ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى، و لربما حين الكلام على غزوة أحد...

و خلاصة الأمر: إن الميزان لدى البعض هو أهدافه هو فادامت الدعوة في خدمتها فهومعها، وأما إذا وجدأنا سوف تكون عقبة في طريقها، وتشكل خطراً عليها، فانه لا يألوجهداً، ولا يدع وسيلة في الكيد لها، والعمل على هدمها وتخطيمها...

وثانياً: وهو ما أشار إليه العلامة الطباطبائي أيضاً: إنه لا مانع من أن يسلم أحدهم في أول البعثة، ثم يعرض له ما ينزل ايمانه، و يرتاب، و يرتد عن دينه، ولكنه يكتم ذلك، حفاظاً على بعض المصالح الهامة بنظره، كالخوف من شماتة اعدائه، أو حفاظاً على بعض علاقاته القبلية، أو التجارية أو للعصبية والحمية وغيرها مما يربطه بالمسلمين أو ببعضهم، أو للحفاظ على جاه من نوع معين، أو أي شيء آخر بالنسبة إليه (١).

ولربما يشهد لذلك: أننا قدرأينا البعض يعترف أنه كان كثيراً ما يشك في هذا الأمر، حتى اعترف في الحديبية أنه ارتاب ارتياباً لم يرتبه منذ أسلم (٢). وفي غزوة أحد، حينما سمعوا انه (ص) قد قتل فروا من المعركة، وقال بعضهم: «نلقني إليهم بأيدينا، فانهم قومنا و بنوعمنا» (٣).

وثالثاً: لقد أشار العلامة الطباطبائي أيضاً إلى بعض الآيات الدالة على وجود النفاق في مكة. وذلك كقوله تعالى: «وليقول الذين في قلوبهم مرض و الكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً» (٤) حيث قدوردت هذه الآية في سورة

(١) - تفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٨٩.

(٢) - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٧.

(٣) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧، وبقية الكلام على هذا مع مصادره يأتي انشاء الله تعالى في غزوة أحد.

(٤) - المدثر ٣.

مكية، وكذا قوله تعالى: «ومن الناس من يقول آمنا بالله، فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين، وليعلمن الله الذين آمنوا، وليعلمن المنافقين» العنكبوت ١١.

فان سورة العنكبوت مكية أيضاً... والآية مشتملة على حديث الايذاء والفتنة في الله، وذلك إنما كان في مكة لافي المدينة... وقوله تعالى: «ولئن جاء نصر من ربك» لا يدل على النزول في المدينة لأن النصر له مصاديق كثيرة...

وأضيف: أن الله تعالى إنما يحكى حالة المنافقين المستقبلية بشكل عام...

ثم قال: واحتمال أن يكون المراد بالفتنة ما وقع بمكة بعد الهجرة غيرضائر؛ فان هؤلاء المفتونين بمكة بعد الهجرة إنما كانوا من الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة، وإن أؤذوا بعدها (١)...

ملاحظة هامة على ما تقدم:

ويلاحظ العلامة الطباطبائي أخيراً... أننا نزل نسمع ذكراً للمنافقين إلى حين وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وقد تخلف عنه (ص) في تبوك أكثر من ثمانين منهم، وانخزل ابن أبي في أحد في ثلاثمئة... ثم انقطعت اخبارهم عنا مباشرة، ولم نعد نسمع عن دسائسهم، ومكرهم، ومكائدهم للإسلام وللمسلمين شيئاً، فهل انقلبوا بأجمعهم — بمجرد وفاته (ص) — عدولاً أتقياء، أبراراً أوفياء؟!.

وإذا كان كذلك... فهل كان وجود النبي (ص) فيما بينهم مانعاً لهم من الايمان؛ وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟! نعوذ بالله من التفوه بالعظام، وبما يسخط الرب... أم أنهم ماتوا بأجمعهم — وهم يعدون بالمئات —

بمجرد موته (ص)؟ وكيف لم ينقل لنا التاريخ ذلك؟! ...

أم أنهم وجدوا في الحكم الجديد ما يوافق هوى نفوسهم، ويتلاءم مع
أهوائهم، ومصالحهم؟!!

أم ماذا؟! ماهي الحقيقة؟!!

لست أدري! ولعل الفطن الذكي يدري...

الفصل الرابع:

حتى المدينة

بداية:

وفي المدينة بدأت عملية بناء المجتمع الاسلامي وارساء قواعد الدولة، والتخطيط إلى نشر الاسلام في مختلف أرجاء العالم... وانتقلت الدعوة من مرحلة بناء الفرد إلى مرحلة بناء المجتمع. وتطبيق الاسلام عقيدة وشرية، ومحو كل آثار الجاهلية في العالم أجمع...

وإذا أردنا أن نلم بكل الخطوات التي سارها القائد الاعظم في سبيل ذلك، فاننا لن نتمكن من استقصاء ذلك في عجلة كهذه، وسوف يصرفنا ذلك عن متابعة الاحداث الرئيسة في السيرة العطرة، ولذلك فنحن نترك هذا المجال للآخرين، مكثفين بالتعرض إلى ما يهم الباحث التعرض له ابتداء، من دون تركيز على الجزئيات والتفاصيل إلا بالمقدار الذي نراه لازماً ومقبولاً، فنقول:

غناء أهل المدينة... والنبي (ص) يرقص بأكامه:

ويذكرون: أن أهل المدينة ما فرحوا بشي فرحهم برسول الله (ص)، وعن عائشة: لما وصل (ص) المدينة صار النساء والولائد يقلن:
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعانا الله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

فعدل ذات اليمين، حتى نزل بقباء (١).

وفي رواية: فجعل رسول الله يرقص بأكمامه (٢).

وبعد أن مكث في قباء أياماً، وتوجه إلى داخل المدينة، خرجت نساء من بني النجار بالدفوف يقلن:

نحن نساء من بني النجار يا حبذا محمد من جار
فقال لمن رسول الله (ص): أتحبائي؟ قلن: نعم، يا رسول الله،
فقال: والله وأنا أحبكن، قالها ثلاثاً (٣).

قال الحلبي: «وهذا دليل واضح لسماع الغناء على الدف لغير العرس (٤)».

واستدل ابن كثير برواية الصحيحين الآتية على جواز الغناء في الاعراس ولقدوم الغياب (٥).

ولكن ذلك لا يصح:

وذلك : أولاً: إن ثنيات الوداع ليست من جهة مكة بل هي من جهة الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام (٦)... بل إن السمهودي يقول: «ولم أرلثنية الوداع ذكراً في سفر من

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٢/٣٤١ عن الرياض النضرة، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٤، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢٣٣، ووفاء الوفاء للسمهودي ج ١ ص ٢٤٤ و ج ٤ ص ١١٧٢ و ٢٦٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٤.

(٢) — نهج الحق الموجود في دلائل الصدق ج ١ ص ٣٨٩، ولم يعترض عليه فضل بن روزهان، بل حاول توجيهه ونأو يله.

(٣) — وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٣، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٤، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٠.

(٤) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١. (٥) — البداية والنهاية ج ١ ص ٢٧٦.

(٦) — زاد المعاد ج ٣ ص ١٠ وراجع: وفاء الوفاء للسمهودي ج ٤ ص ١١٧٠.

«والظاهر أن مستند من جعلها من جهة مكة ماسبق من قول النسوة،
وان ذلك عند القدوم من الهجرة» (٢).

ويدل على كون ثنية الوداع من جهة الشام، وخيبر، ماورد من قدوم
النبي (ص) وخروجه، من وإلى تبوك حين قدم من خيبر، ومن الشام، وإلى
مؤتة، وغزوة العالية، والغابة، وكذا ما ورد عنه في حديث السباق، في آمد
الخيال المضمرة... (٣).

وحاول السمهودي تصحيح ماتقدم: بأنهم قد ذكروا أنه (ص) قد مر
بدور الانصار— حين قدم المدينة من قباء— حتى مر بدور بني ساعدة، وانما
هي في شامي المدينة، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية... (٤).

وهو كلام عجيب... فان مروره في دور بني ساعدة لا يقتضى دخول
المدينة من ناحيتهم؛ إذ يمكن أن يدخلها من جهة قباء، ثم تجول به الناقة في
دور الأنصار— كما هو صريح ما ذكره— حتى تصل إلى دور بني ساعدة...

كما أن احتمال هذا يدفعه تصريحهم في رواية: طلع البدر علينا...
بانهم لاقوه بهذا الشعر، ثم عدل بهم ذات اليمين إلى قباء كما تقدم... و
إذن... فهذا الشعر إنما قيل حينما قدم (ص) المدينة من مكة لامن قباء...

وبعد كل ماتقدم... فان الصحيح هو أنهم قد لاقوه بهذا الشعر حينما
قدم من تبوك لامن مكة...

وثانياً: إن استدلال الحلبي بتلك الرواية على تجويز الغناء عجيب،
فان الرواية لا تتضمن إلا أنهم قد أنشدوا الشعر لمقدمه، ولم يكن يصاحب ذلك

(١) و(٢)— وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٢.

(٣)— راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٨ و ١١٦٩، و ١١٧٢ ج ٣ ص ٨٥٧ و ٨٥٨ عن البخاري،
وابن أبي شيبة، والطبراني في الاوسط، وأبي يعلى، وابن حبان، وابن اسحاق، وابن سعد،
والبيهقي إلخ...

(٤)— راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٠.

شيئاً من المحرمات... و إنشاد الشعر ليس بجرام... ولهذا قال بعضهم: «وتعلق أرباب الغناء الفسقي به (أي برواية: طلع البدر) كتعلق من يستحل شرب الخمر المسكر قياساً على أكل العنب، وشرب العصير الذي لايسكر، ونحو هذا من القياسات، التي تشبه قياس الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا» (١).

ولو سلم حرمة سماع صوت الاحنية، فلادليل على أن ذلك كان قد شرع حينئذٍ فإن كثيراً من الاحكام كانت تشرع تدريجاً، كما قالوه في الخمر مثلاً، كما أنه لادليل على وجود من يحرم سماع صوته في المنشدين...

ولو سلم كل ذلك... فلعل لم يكن بالامكان منعهم في ظرف كهذا... أو تبليغهم الحكم الشرعي حينئذٍ... فسكوت النبي (ص) عنهم لعله لمصلحة اقتضت السكوت، ولا يدل ذلك على امضائه فعلهم ذاك...

ورابعاً: وأما ترقيص اكامه (ص)، فهو ينافي المروّة كما اعترف به فضل بن روزهان (٢).

ويقول المظفر: «إن هذا العمل سفه ظاهر، وخلاعة بينة، ومن اكبر النقص بالرئيس، وأعظم منافيات الحياء والمروّة في تلك الاوقات، واشد المباينات للرسالة، لارشاد الخلق، بتهذيبهم عن السفه والنقائص، وتذكيرهم بمقربات الآخرة (٣)»...

هذا كله... مع غض النظر عن نواهيه (ص) القاطعة عن كل هو وغناء ورقص، كما سنرى...

وبعد كل ماتقدم... فاننا نعرف مافي الاستدلال بالرواية الاخرى حول غناء نساء بني ساعدة، وضرهم بالدفوف حين استقباله...

ونحن هنا نرى أنه لا بأس بعرض كل ما استدلوا به على حلية الغناء

(١) - زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ١٧/١٨.

(٢) و (٣) - راجع: دلائل الصدق ج ١ ص ٣٩٠ و ٣٩٣ على الترتيب...

والرقص، ثم مناقشته، ثم طرح القول الحق في المسألة مع بعض أدلته، فنقول:

أدلة حلية الغناء:

وقد استدل على حلية الغناء والرقص... بالاضافة إلى ماتقدم ب:

١- قول الحلبي: «عن أبي بشير: إن النبي (ص) مر و أبابكر بالحبشة، وهم يلعبون، ويرقصون، ويقولون:

يا أيها الضيف المعرج طارقاً إلى أن قال: ولم ينكر عليهم. وبه استدل ائمتنا على جواز الرقص، حيث خلا عن التكرس؛ فقد صحت الاخبار، وتواترت الآثار بانشاد الاشعار بين يديه (ص)، بالاصوات الطيبة مع الدف وبغيره، وبذلك استدل ائمتنا على جواز الضرب بالدف، ولوفيه جلال (١).»

٢- عن بريدة: خرج رسول الله (ص) في بعض مغازيه؛ فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: إنني كنت نذرت: إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال (ص): إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبوبكر، وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فالقت الدف تحت استها، ثم قعدت عليها، فقال (ص): «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إنني كنت جالس وهي تضرب، ثم دخل أبوبكر وهي تضرب إلخ (٢).»

٣- وعن جابر، قال: دخل أبوبكر على رسول الله (ص) وكان يضرب بالدف عنده، فقعد ولم يزجر لما رأى من رسول الله، فجاء عمر (رض)؛ فلما سمع رسول الله (ص) صوته كف عن ذلك. فلما خرجا قالت عائشة: يا رسول الله، كان حلالاً فلما دخل عمر صار حراماً؟ فقال: يا عائشة، ليس

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٢

(٢)- أسد الغابة ج ٤ ص ٦٤، نوادر الاصول للحكيم الترمذي ص ٥٨، ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ باختلاف ودلائل الصدق ج ١ ص ٢٩١/٣٩٠ عن الترمذي ج ٢ ص ٢٩٣ وصححه هو والبغوي في مصابحه وليراجع: القدير ج ٨ ص ٦٤/٦٥. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٢ وسنن البيهقي ج ١٠ ص ٧٧.

كل الناس مرخى عليه (١).

٤- روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن عائشة: دخل علي رسول الله (ص) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعث، - وعند مسلم تغنيان وتضربان- فاضطجع على الفراش، وحول وجهه. ودخل أبو بكر فأنتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله (ص)؟ فأقبل عليه رسول الله (ص) فقال: دعهما... وفي رواية لمسلم: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد (٢).

وزاد في بعض النصوص - كما في البخاري - وليستا بمغنيتين -.

٥- وفي رواية: أن رسول الله (ص) استدعى عائشة لترى حبشية ترقص، فجاءت فوضعت لحيها على منكب رسول الله (ص)، وجعلت تنظر، فقال (ص) لها: أما شبعت؟ أما شبعت؟ وهي تقول: لا، لتنظر منزلتها عنده؛ إذ طلع عمر؛ فرفض الناس عنها؛ فقال (ص): إني لأنظر شياطين الجن والانس قد فروا من عمر (٣).

٦- عن ابن عباس: ان اصحاب النبي (ص) جلسوا سماطين، و جارية معها مزهرتغنيهم وتقول:

هل علي ويحكم
إن لهوت من حرج.

(١)- نيل الاوطار ج ٨ ص ٢٧١ ونوادرا الاصول للحكيم الترمذي ص ١٣٨، والغدير ج ٨ ص ٦٤/٦٥ عن مشكاة المصابيح ص ٥٥ و بعض من تقدم.

(٢)- صحيح البخاري ج ١ ص ١١١ ط اليمينية، وصحيح مسلم ج ٣ ص ٢٢ ط مشكول، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١-٦٢ وهامش ارشاد الساري ج ٤ ص ١٩٥-١٩٧ ودلائل الصدق ج ١ ص ٣٨٩ وسنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢٤، واللمع لابني نصر ص ٢٧٤. والبداية والنهاية ج ١ ص ٢٧٦ والمدخل لابن الحاج ج ٣ ص ١٠٩ والمصنف ج ١١ ص ٤.

(٣)- دلائل الصدق ج ١ ص ٣٩٠، والتاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣١٤، والغدير ج ٨ ص ٦٥ عن صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٤، وصححه وعن مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٧١، وعن مشكاة المصابيح ص ٥٥٠ وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٨ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦٠/٧٦١ عن منتخب كنز العمال ج ٤ ص ٣٩٣ عن ابن عساكر وابن عدي، والمشكاة ص ٢٧٢. عن الشينخين

فتبسم (ص) وقال: لا حرج إن شاء الله تعالى (١).

٧— عن الربيع بنت معوذ: إنها لما زفت إليه (ص) دخل عليها، وجلس، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائها في بدر، حتى قالت احداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال (ص): لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين (٢).

٨— وفي رواية: إنه (ص) كان جالساً وعنده جوار يغنين ويلعبن فجاء عمر فاستأذن فأسكتهن رسول (ص) حتى قضى حاجته وخرج، فسألته عن هذا الذي كلما دخل قال (ص): اسكتن، وكلما خرج قال (ص): عدن إلى الغناء، فقال (ص): هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل (٣).

٩— وفي رواية: أن امرأة دخلت على عائشة، فقال (ص): يا عائشة اتعرفين هذه؟ قالت: لا يا نبي الله. قال: هذه قينة بني فلان، تحبين أن تغنيك؟ قالت: نعم. فاعطاها طبقاً فغنتها. فقال (ص): قد نفخ الشيطان في منخريها (٤).

ويقول شاعر النيل— محمد حافظ ابراهيم— كما هو موجود في ديوانه، في مقام عده لفضائل الخليفة الثاني:

أخاف حتى الذراري في ملاعها	وراع حتى الغواني في ملاحها
اريت تلك التي لله قد نذرت	أنشودة لرسول الله تهديها
قالت: نذرت لئن عاد النبي لنا	من غزوة لعلني دفي أغنيها
ويمت حضرة الهادي وقد ملأت	أنوار طلعته أرجاء واديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت	تشجى بالحنانها ماشاء مشجها
والمصطفى وأبوبكر بجانبه	لا ينكران عليها ما أغنيها

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١.

(٢) — البخاري بهامش فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٤.

(٣) — نهج الحق في ضمن دلائل الصدق ج ١ ص ٤٠٢ عن الغزالي.

(٤) — مسند احمد ج ٣ ص ٤٤٩.

حتى إذ ألاح عن بعد لها عمر
وخبأت دفها في ثوبها فرقاً
قد كان علم رسول الله يؤنسها
فقال مهبط وحي الله مبتسماً
قد فر شيطانها لما رأى عمراً
إن الشياطين تخشى بأس مخزها...

كان ذلك هو عمدة ما استدل به القوم لحلية الغناء... ونحن نرى أن ذلك كله لا يضمن ولا يغني من جوع... وفي مقام توضيح ذلك نقول:

نقض أدلة حلية الغناء:

وإننا إذا أردنا الحديث عما في تلك الأدلة من الوهن والضعف نرى لزماً علينا أن نغض النظر عن التكلم في أسانيد تلك الروايات؛ فإن ذلك حديث يطول... ولربما يتخيل البعض: أنه ليس لأحد الحق في الخدشة فيما في الصحاح، ولا سيما صحيح البخاري ومسلم، وبعض ما تقدم موجود فيها...

ونحن وإن كنا نعتقد أن هذا خيال باطل، وقد تكلم فيه العلماء ولا سيما الشيخ محمود أبو رية في كتابه: أضواء على السنة المحمدية، وكذلك غيره... اننا— مع ذلك نغض الطرف هنا عن البحث في الأسانيد، استجابة لرغبة هؤلاء، وتجاوزاً مع عاطفتهم... ونعطف النظر إلى البحث في المضمون... فنقول:

أولاً: إن نصوص بعض تلك الروايات متناقضة كثيراً، ولا سيما الرواية المتقدمة تحت رقم ٢ والرواية التي تحت رقم ٤ التي عن الصحيحين وغيرهما.

وثانياً: إن هذه الروايات تدل على حرمة الغناء، لا على حليته؛ فمثلاً.

١— قوله في الرواية رقم ٢: «إن الشيطان ليخاف— أوليفرق— منك يا عمر» يدل على الحرمة، إذ لو كان مباحاً— ولا سيما إذا كان وفاء للنذر— لم

يصح منه (ص) تهجين عملها، واعتباره من الشيطان.

٢- والرواية رقم ٣ تدل على ذلك بملاحظة اعتراض عائشة وجوابه

(ص) لها.

٣- في الرواية الرابعة اعتبر ذلك من مزامير الشيطان، ومعنى ذلك :

أنه حرام ومرجوح، و إذن فيرد سؤال: لماذا يرتكب النبي أمراً هذه صفته؟! ...

وأجاب ابن روزهان: انه فعله لضرورة التشريع

ولكنه كلام لا يصح، إذ قد كان من الممكن الاكتفاء بالتشريع بالقول، فانه أخف وأيسر. وأيضاً لو صح ذلك لاقتضى أن يفعل ذلك أمام عامة الناس، لا أن يجلس في بيته وحده ويستمع... ثم كيف يتصور حلية ما يعتبره العقلاء من مزامير الشيطان؟!.

٤- وفي الرواية الخامسة: قال (ص): إني لانظر شياطين الجن

والانس قد فروا من عمر... فاذا كان ذلك مجمعا للشياطين، فلا بد وأن يكون حراماً لاجلالاً.

٥- في الرواية الثامنة قال (ص): «هذا رجل لا يؤثر سماع

الباطل» فان ماهو حلال ومكروه لا يوصف بالباطل.

٦- في الرواية الاخيرة قال (ص) عن المغنية: «قد نفخ الشيطان

في منخرها» وهو يدل على الحرمة ايضاً.

ثالثاً: إننا لا بد وأن نسأل... ماهذا الشيطان الذي يخاف أو يفرق

من عمر، ولا يخاف من رسول الله (ص)؟ وكيف ينعدق النذر لشيئ يكون فيه شيطان يفرق من عمر؟، مع أنه يشترط في النذر كون متعلقه طاعة وراجحاً، وأعلى الأقل أن لا يكون مرجوحاً، كما لا يخفى على من راجع أبواب النذر في كتب الحديث، كالبيهقي، والترمذي، وغير ذلك ...

وكيف يؤثر النبي (ص) سماع الباطل، ولا يؤثره عمر؟! وكيف أصبح عمرها أشد التزاماً من الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

وكيف تكون تلك القينة قد نفخ الشيطان في منخرها... ثم يعرض (ص) على عائشة أن تسمع غناءها؟ وهل تصدر مثل هذه المتناقضات عن عاقل؟ فضلاً عن نبي معصوم؟!.

وكيف يتستر هذا النبي (ص) في بعض اعماله عن البعض، ويعتبر أن اطلاعه عليه هتك للستر المرخي، وموجب للحط من كرامته وشأنه، ولا يتستر بها عن البعض الآخر؟! ألا يدلنا ذلك على أنها من الاعمال القبيحة، وأعلى الاقل غير اللائقة؟...

وأبو بكر نراه يزجر عن الغناء في رواية، ولكنه لا يزجر عنه في رواية أخرى، بل عمر هو الذي يزجر!!...!

ورابعاً: كيف يدعو (ص) عائشة لتتنظر إلى الحبشة وخده على خدها، وهو يشجعهم بقوله: دونكم يا بني أرفدة(١)؟!.. أفلا ينا في ذلك ما هو معروف عنه (ص) من الحياء؟ حتى لقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها كما ورد، وهل هذا يناسب من يعتبر الحياء من الايمان، ومن كان ضحكه التبسم؟!... وهل ينسجم مع منعه لزوجاته من النظر الى الاعمى، وقال لها: أفعميا وان اتما؟! ألسنا تبصرانه(٢)؟!.

وخامساً: ما هي المناسبة بين الضرب بالدف، ورتاء قتلى بدر؟ وهل إن سكوت النبي (ص) كما في الرواية الأولى - لوصحت - يدل على رضاه به؟! ولا سيما إذا كان الامر مما يحتاج إلى التدرج في المنع...

ومن قال: إن هؤلاء الذين كانوا يفعلون ذلك كانوا يحترمون أوامره (ص)، بل لم يثبت كونهم من المسلمين.

(١) - البخاري ط اليمينية ج ١ ص ١١١.

(٢) - راجع: مسند احمد ج ٦ ص ٢٩٦، وطبقات ابن سعد، مصابيح البغوى، وغير ذلك.

سادساً: وأخيراً... إن لدينا روايات كثيرة جداً صريحة في حرمة الغناء، وهي متواترة بلا ريب، ونحن نكتفي منها: بذكر مايلي.

١- عنه (ص): ليكون في أمتي أقوام يستحلون الخمر، والحريز، والمعازف (١).

٢- عن أنس مرفوعاً: صوتان ملعونان فاجران: أنهى عنهما، صوت مزمار، ورنه شيطان عند نغمة مرح، ورنه عند مصيبة...

وفي لفظ عبدالرحمان بن عوف: إنه (ص) قال: انما نهيت عن صوتين أحقين، فاجرين: صوت عند نغمة لهو، ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة إلخ...

ومثل ذلك عن الحسن (٢).

٣- عن عمر بن الخطاب: ثمن القينة سحت، وغناؤها حرام، والنظر إليها حرام، وثمانها من ثمن الكلب، وثمان الكلب سحت (٣).

٤- عن ابن عباس: الدف حرام، والمعازف حرام، والكوبة حرام، والمزمار حرام (٤).

٥- عن ابن عباس، وأنس، وأبي أمامة مرفوعاً: ليكون في هذه الأمة خسف، وقذف ومسح، وذلك إذ شربوا الخمر، واتخذوا القينات،

(١)- سنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢١ عن البخاري في الصحيح والغدير ج ١٨ ص ٧٠ وعنه عن تفسير الآكوسى ج ٢١ ص ٧٦، وقال: أخرجه أحمد، وابن ماجه، وأبو نعيم، وأبو داود بأسانيدهم صحيحة لامطعن فيها، وصححه جماعة آخرون.

(٢)- راجع فيما تقدم: المصنف ج ١١ ص ٦ ونيل الاوطار ج ٨ ص ٢٦٨، وتفسير الشوكاني ج ٤ ص ٢٣٦ والدر المنثور ج ٥ ص ١٦٠ والغدير ج ٨ ص ٦٩ عنهم ماعدا الاول وعن: كنز العمال ج ٧ ص ٣٣٣، ونقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص ٢٤٨، وتفسير القرطبي ج ١٤ ص ٥٣.

(٣)- نيل الاوطار ج ٨ ص ٢٦٤، وارشاد الساري ج ٩ ص ١٦٣ عن الطبراني والغدير ج ٨ ص ٦٩-٧٠ عنها.

(٤)- سنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢٢.

وضربوا بالمعازف (١).

٦— عن أنس، وأبي أمامة مرفوعاً: بعثني الله رحمة للعالمين، وبعثني بمحق المعازف والمزامير، وأمر الجاهلية (٢).

٧— عن أبي هريرة مرفوعاً: يمسح قوم في آخر الزمان قرده وخنازير، فسألوه (ص) عن سر ذلك — فقال: اتخذوا المعازف، والدفوف، والقينات، إلخ...

وروى نحوه من طريق: عبدالرحمان بن سابط، والغازي بن ربيعة، وصالح بن خالد، وأنس بن أبي أمامة، وعمران بن حصين (٣).

٨— أخرج الترمذي من حديث علي مرفوعاً: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء (فذكر منها): إذا اتخذت القينات والمعازف...

ومثله عن أبي هريرة (٤).

٩— عن صفوان بن أمية، كنا عند النبي (ص) إذ جاء عمر بن قره، فقال: يا رسول الله، إن الله كتب علي شقوة فلا أنال الرزق إلا من دفي بكفي؛ فأذن لي في الغناء من غير فاحشة. فقال النبي (ص): لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة. كذبت أي عدواً لله، لقد رزقك الله طيباً؛ فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله. أما إنك لو قلت بعد هذه المقالة لضربتك ضرباً وجيعاً (٥).

(١) — الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢٤ والغدير ج ٨ ص ٧٠ عنه وعن تفسير الالوسي ج ٢١ ص ٧٦ ورواه الطبراني، وأحمد وابن أبي الدنيا.

(٢) — جامع بيان العلم ج ١ ص ١٥٣ ونيل الاوطار ج ٨ ص ٢٦٢ والدر المنثور ج ٢ ص ٣٢٤ والغدير ج ٨ ص ٧٠-٧١ عنهم.

(٣) — الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا، وابن أبي شيبه، وابن عدى، والحاكم، والبيهقي، وأبو داود، وابن ماجه والمدخل ج ٣ ص ١٠٥ والغدير ج ٨ ص ٧١.

(٤) — نيل الاوطار ج ٨ ص ٢٦٣ والمدخل ج ٣ ص ١٠٥ والغدير ج ٨ ص ٧١ عنه وعن: نقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص ٢٤٩، وتفسير القرطبي ج ١٤ ص ٥٣.

(٥) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٣ عن أبي شيبه.

وعلق الحلبي على هذه الرواية بقوله: «إلا أن يقال: إن هذا النهي—
إن صح—محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة، وهو مكروه تنزيهاً، وقوله:
اخترت ما حرم الله عليك للمبالغة في التنفير عن ذلك (١)».

ولكن قد فات الحلبي: أنه إذا كان اتخاذه حرفة مكروهاً تنزيهاً،
فلماذا يتهدده (ص) بالضرب الوجيع؟!!

ولماذا يعتبره عدواً لله تعالى؟!!

كما أن مقابلة ما حرم الله بالطيب دليل على أن المراد بما حرم الله
هو الخبيث، المحرم بنص القرآن: «ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم
الخبائث (٢)»...

١٠— عن أبي أمامة: لا تبيعوا القينات ولا تشروهن، ولا تعلموهن،
ولا خير في تجارة فيهن، وثمانين حرام، في مثل هذا أنزلت هذه الآية:
ومن الناس من يشتري إلخ...

وفي لفظ آخر: لا يحل تعليم المغنيات، ولا بيعهن، وثمانين حرام،
وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية إلخ (٣).

١١— وعن عائشة مرفوعاً: إن الله تعالى: حرم القينة، وبيعها،
وثمانها، وتعليمها، والاستماع إليها، ثم قرأ: ومن الناس من يشتري هو الحديث
(٤).

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٢.

(٢)— الاعراف ١٥٧.

(٣)— نيل الاوطار ج ٨ ص ٢٦٣، وتفسير الشوكاني ج ٤ ص ٢٣٤، والدر المنثور ج ٥ ص ١٥٩،
وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٢، وارشاد الساري ج ٩ ص ١٦٣ والمدخل لابن الحاج ج ٣ ص
١٠٤ وتفسير الطبري ج ٢١ ص ٣٩ والغدير ج ٨ ص ٦٧ عنهم وعن: تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٥١
ونقد العلم والعلماء ص ٢٤٧، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٣٦ وتفسير الألوسي ج ٢١ ص ٦٨ والترمذي
كتاب ١٢ باب ٥١. ونقلوا ان الحفاظ التالية أسماؤهم قد أخرجوه: سعيد بن منصور، وأحمد، وابن
ماجة، وابن المنذر، وابن ابي حاتم وابن أبي شيبه، وابن مردويه، والطبراني، وابن أبي الدنيا...
(٤)— الدر المنثور ج ٤ ص ٢٢٨ والغدير ج ٨ ص ٦٧ عنه وعن تفسير الألوسي ج ٢١ ص ٦٨.

١٢— وسئل ابن مسعود عن قوله تعالى: ومن الناس من يشتري لهو الحديث، فقال هو والله الغناء وفي لفظ: هو والله الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددّها ثلاث مرات.

وعن جابر في الآية: هو الغناء والاستماع له.

وفسر الآية بالغناء كل من: ابن عباس، وابن عمر، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومكحول، وعمرو بن شعيب، وميمون بن مهران، وقتادة، والنخعي، وعطاء، وعلي بن بزيمة، والحسن (١).

١٣— وفي قوله تعالى لابليس: «واستغزز من استطعت منهم بصوتك (٢)» قال ابن عباس، ومجاهد: إنه الغناء والمزامير، واللّهو (٣).

١٤— وقد عد الحسن البصري سيئات يزيد فقال: انه سكير خمير، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير (٤).

وكان من جملة مانقمة أهل المدينة على يزيد: أنه يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان (٥).

(١) — راجع سنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢١ و ٢٢٣ و ٢٢٥ و مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٤١١ و تفسير الطبري ج ٢١ ص ٤٠/٣٩ و المدخل لابن الحاج ج ٣ ص ١٠٤ و تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٤١ و ارشاد الساري ج ٩ ص ١٦٣ و الدر المنثور ج ٥ ص ١٦٠/١٥٩ و فتح القدير ج ٤ ص ٣٤، و نيل الاوطار ج ٨ ص ١٦٣ و الغدير ج ٨ ص ٦٨ عن تقدم و عن تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٥١—٥٣ و نقد العلم والعلماء ص ٢٤٦، تفسير الخازن ج ٣ ص ٤٦ و بهامشه تفسير النسفي ج ٣ ص ٤٦٠ و تفسير الآلوسي ج ٢١ ص ٦٧. وأخرجه ابن أبي الدنيا، وابن أبي شيبه وابن المنذر، والبيهقي في شعب الايمان، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والفريابي، وابن عساکر.

(٢) — الاسراء ٦٤ (٣) — فتح القدير ج ٣ ص ٢٤١ و تفسير الطبري ج ١٥ ص ٨١ و تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩، و الغدير ج ٨ ص ٨٩ عنهم و عن: تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨٨، و نقد العلم والعلماء ٢٤٧ و تفسير الخازن ج ٣ ص ١٧٨ و بهامشه تفسير النسفي ج ٣ ص ١٧٨ و تفسير ابن جزى الكلبي ج ٢ ص ١٧٥ و تفسير الآلوسي ج ١٥ ص ١١١.

(٤) — الغدير ج ١٠ ص ٢٢٥ عن تاريخ ابن عساکر ج ٥ ص ٤١٢ و تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٧ و تاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ٢٠٩ و البداية والنهاية ج ٨ ص ١٣٠ و محاضرات الراغب ج ٢ ص ٢١٤ و النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤١:

(٥) — الغدير ج ١٠ ص ٢٥٥ عن تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤ و الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٤٥ و البداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٦ و فتح لباري ج ١٣ ص ٥٩.

١٥- وعن ابن عباس في قوله تعالى: «وانتم سامدون»: سامدون: هو الغناء بلغة حمير (١).

١٦- عن جابر، عنه (ص): «كان ابليس أول من ناح، وأول من غنى» (٢).

١٧- عن علي عليه السلام، عنه (ص): «كسب المغني، والمغنية حرام، وكسب الزانية سحت، وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحماً نبت من سحت» (٣).

١٨- عن علي (ع): ان النبي (ص) نهى عن ضرب الدف، ولعب الطبل، وصوت المزمار (٤).

وحسبنا ما ذكرناه هنا، ومن أراد المزيد، فليراجع المصادر المذكورة في الحاشية (٥).

أقوال العلماء في الغناء:

وقد ذكر في الغدير: ان امام الحنفية قد حرم الغناء، وهو مذهب

- (١) و (٢) و (٣) و (٤) - المدخل لابن الحاج ج ٣ ص ١٠٤ - ١٠٧.
- (٥) - راجع: المدخل لابن الحاج ج ٣ من ص ٩٦ - ١١٥، وتفسير الطبري ج ٢٨ ص ٤٨ ونيل الاوطار ج ٨ ص ٢٦٤ و ٢٦٣، وسنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢٢، وفتح القدير ج ٤ ص ٢٢٨ وج ٥ ص ١١٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٩٦ وج ٤ ص ٢٦٠، والفائق للزغشري ج ١ ص ٣٠٥، والدر المنثور ج ٢ ص ٣١٧ و ٣٢٤، وج ٥ ص ١٥٩، والغدير ج ٨ ص ٦٤ فابعدها عنهم وعن: القرطبي ج ٧ ص ١٢٢ وج ١٤ ص ٥٣ - ٥٤، والكشاف ج ٢ ص ٢١١، وتفسير الآلوسي ج ٧ ص ٧٢ وج ٢١ ص ٦٨، وارشاد الساري ج ٩ ص ١٦٤، وبهجة النفوس لابن أبي حجر ج ٢ ص ٧٤، وتاريخ البخاري ج ٤ قسم ١ ص ٢٣٤، ونقد العلم والعلماء ص ٢٤٦ و ٢٤٨، ونهاية ابن الاثير ج ٢ ص ٩٥ وتفسير الخازن ج ٣ ص ٤٦٠ وج ٤ ص ٢١٢ والنسفي بهامشه، ج ٣ ص ٤٦٠. وأخرجها سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وعبدالرزاق، والفريابي، وابوعبيد، وابن أبي الدنيا، وابن مردويه، وأبو الشيخ، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي...
- و أما قول ابن الزبير: ما أعلم رجلاً من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم... أو نحو ذلك المصنف ج ١ ص ٦/٥ وسنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢٥، فإنا المقصود هو الترنم والتغني بانشاد الشعر، وليس الغناء، كما ذكره ابن الحاج ج ٣ ص ٩٨ و ١٠٩.

مشايخ أهل الكوفة: سفيان، وحماد، وإبراهيم، والشعبي وعكرمة:

ونهى مالك عن الغناء، واعتبره من العيوب التي ترد بها الجارية، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده.

ونقل التحريم عن جماعة من الحنابلة. وعن عبدالله بن أحمد بن حنبل: أنه سأل أباه عن الغناء، فقال: ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني، ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

وعن أصحاب الشافعي العارفين بمذهبه القول بتحريمه كالمنزني وغيره. وانكروا على من نسب إليه حله، كالقاضي أبي الطيب، وله في ذم الغناء، والمنع عنه كتاب مصنف ولابي بكر الطرطوشي كتاب في الغناء. وأيضاً حرمه الطبري. والشيخ ابواسحاق في التنبيه، ونص على حرمة المحاسبي، والنحاس، والقفال، ونهى عنه القاسم بن محمد، والضحاك، والوليد بن يزيد، وعمر بن عبدالعزيز، وغيرهم ممن لا يمكن حصرهم.

ونقل ابن الصلاح اجماع أهل الحل والعقد من المسلمين على تحريمه.

وذكر الطبري اجماع أهل الامصار على كراهته، والمنع عنه سوى إبراهيم بن سعد، وعبدالله العنبري... راجع كل ذلك في الغدير ج ٨ ص ٧٤-٧٢، والمدخل لابن الحاج ج ٣ من ص ٩٦ حتى ١١٥ ففيه زيادات هامة لم نذكرها روماً للاختصار، فمن اراد المزيد فليرجع إليه...

الغناء عند أهل الكتاب:

وإذا كان الغناء أمراً غريباً عن الاسلام، فلا بد أن نتساءل من أين تسرب هذا الامر إلى بعض المسلمين، حتى أصروا على حلّيته، وممارسته، وحتى أصبح من شعار الصوفية، كما هو معلوم...

الجواب: ان ذلك قد تسرب اليهم من أهل الكتاب...

فقد قال ابن كثير: وهو يتحدث عن مريم أخت عمران التي كانت

في زمان موسى: «وضربها بالدف في مثل هذا اليوم، الذي هو أعظم الاعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدف في العيد» (١) ثم يحكم ابن كثير بالجواز في الاعياد وعند قدوم الغيآب تماماً على وفق ما استنبطه من رواية مريم!!.

سرالوضع والاختلاق:

ولربما يكون سرالاصرار على نسبة ذلك إلى نبي الأمة (ص) و إلى الاسلام هو:

١- اننا نجد: أن عائشة وعمر بن الخطاب كانا يجبان الغناء واللهو ويستمعان إليه، فأما.

بالنسبة لعائشة: «فقد روى البخاري وغيره: أنها كانت تشجع على ذلك ، وتقول: «فاقدروا قدرالجارية الحديدية السن، الحريصة على اللهو» (٢).

كما وأنها قد أذنت لمغن (رجل!!) يغني لبعض الجوارى اللواتي خفضن، و إن كانت قد عادت فأمرت باخراجه (٣).

وبالنسبة للخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد قال ابن منظور: «قد رخص عمر في غناء الاعراب» (٤).

واستأذنه خوات بن جبير بأن يغني، فأذن له؛ فغنى، فقال عمر: أحسن خوات، أحسن خوات (٥)... وسمع رباح بن المغترف يغني، فسأل

(١) - البداية والنهاية ج ١ ص ٢٧٦.

(٢) - مصنف عبدالرزاق ج ١٠ ص ٤٦٥، وصحيح البخاري ط مشكول ج ٩ ص ٢٢٣ و ٢٧٠ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦١ عن المشكاة ص ٢٧٢ عن الشيخين، ودلائل الصدق ج ١ ص ٣٩٣.

(٣) - سنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢٤.

(٤) - لسان العرب ج ١٥ ص ١٣٧ مادة: غنا.

(٥) - الغدير ج ٨ ص ٧٩ عن كنز العمال ج ٧ ص ٣٣٥.

عن ذلك ، فأخبروه، فقال: فإن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب... وقریب من ذلك جرى له مع خوات أيضاً (١).

وعن العلاء بن زياد: أن عمر كان في مسيره؛ فتغنى، فقال: هلا زجرتموني إذ لغوت (٢)؟!

وقد عده الشوكاني والعيني: أنه ممن أباح الغناء هو وعثمان (٣).

وقد استعاد غناء زيد بن سلم وعاصم عمر، و أبدى رأيه فيه كما ذكره ابن قتيبة فراجع (٤).

و إذن... فلعل جعل الإنكار على الجوارى اللواتي كن يغنين في بيت الرسول (ص) من قبل عمر بالذات في أكثر المرويات السابقة... لعله يهدف التشكيك في هذا الذي شاع عنه من جهة... أو للتخفيف من قبح نسبته إليه، حين يرى الناس أن النبي الأعظم (ص) نفسه يستمع الغناء، ويجعل مزامير الشيطان في بيته، ويؤثر سماع الباطل!!... فلا غضاضة بعد على غيره إن هو فعل شيئاً من ذلك .

٢- إن أكثر تلك المنقولات التي تريد اثبات حلية الغناء تحاول التأكيد على دور عائشة:، حتى إنها وهي تنظر إلى الحبشة كان (ص) يقول لها: أما شبعت؟ فتقول: لا؛ لتنظر منزلتها عنده... وذلك يوحي لنا بأن ثمة يد تحاول اثبات فضيلة لأم المؤمنين، والاشارة إلى أنه (ص) كان يراعيها ومحبتها... ثم إن في الروايات اشارات واضحة إلى الاهتمام باثبات فضائل لعمر وابي بكر وعثمان، واثبات مدى تمسكهم بالدين، ومحاماتهم عنه، حتى وإن كان ذلك عن طريق النيل من كرامة النبي الأعظم (ص)، والطعن في نزاهته وعصمته!!...

(١)- نسب قريش لمصعب ص ٤٤٨ و سنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٢٤، والغدير ج ٨ ص ٧٩ عنه وعن الاستيعاب ج ١ ص ٨٦، و ١٧٠، وعن الاصابة ج ١ ص ٥٠٢ و ٤٥٧ و ج ٨ ص ٢٠٩، و عن كنز العمال ج ٧ ص ٣٣٥، و تاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ٣٥.

(٢)- الغدير ج ٨ ص ٨٠ عن كنز العمال ج ٧ ص ٣٣٥.

(٣)- نيل الاوطار ج ٨ ص ٢٦٦، والغدير ج ٧ ص ٧٨ عنه و عن: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج ٥ ص ١٦٠.

(٤)- عيون الاخبار ج ١ ص ٣٢٢.

٣— إننا لانريد، أن نبرئ أيضاً يد الامويين والعباسيين من عملية الدس، والوضع والاختلاق على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... فقد كان ثمة من يهتم في اصفاء صفة الشرعية والقداصة على كل فعل من أفعالهم... وماقصة المهدي مع غياث بن ابراهيم وأبي البختری حينما دخل عليه فوجده يلعب بالحمام، فروى له حديث: لاسبق إلا في خوف أونصل اوحافر. وزاد فيه كلمة: «أوجناح»، ارضاء لرغبة المهدي، فأمرله المهدي... ببدره، فلما خرج قال المهدي: أشهد أن قفاك قفا كذاب (١)... ماهذه القصة عنا ببعيد، ولازلنا نقرأ في كتب التاريخ والأدب العجائب والغرائب حول اهتمام خلفاء بنى أمية وبنى العباس في امر الغناء واللهو... وكانوا يعطون المغنين اعظم الجوائز بالعشرات وبالمئات والالوف (٢) حتى لقد قال اسحاق الموصلي شيخ المغنين «لوعاش لنا الهادي لبينا حيطان دورنا بالذهب والفضة (٣)».

نزول رسول الله (ص) في قباء:

ويقولون: إنه بعد أن استقبل النبي (ص) ذلك الاستقبال الحافل عدل إلى قباء، ونزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم... وفي ذلك اليوم أصر عليه أبو بكر ليدخل المدينة، فرفض. وأخبره: أنه لايريم حتى يقدم عليه ابن عمه، وأخوه في الله، وأحب أهل بيته إليه، الذي وقاه بنفسه— على حد تعبيره (ص)— فغضب أبو بكر، واشمأز، وفارق النبي (ص)، ودخل المدينة في تلك الليلة، وبقي (ص) ينتظر أمير المؤمنين

(١) الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة للقاري ص ٤٦٩، والآلالي المصنوعة ج ٢ ٤٧٠، وراجع: الموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٤٢، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٢٢، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٣٨.

(٢)— راجع: ربيع الابراج ج ١ ص ٦٧٥ ففيه أن الرشيد اعطى ابراهيم الموصلي مئة الف لاحسانه في الغناء، وحسبك بعض ما أورده أبو الفرج في كتابه: الاغانى فراجعه...

(٣) راجع كتاب: حياة الامام الرضا السياسية (للمؤلف) ص ١١٨ عن الاغانى طدار الكتب بالقاهرة ج ٥ ص ١٦٣.

عليه السلام حتى وافاه بالفواطم، وأم ايمن (١) في النصف من ربيع الاول (٢) ونزل مع رسول الله (ص) على كلثوم بن الهدم (٣).

هذا... ويرى البعض... أن الذي قدم بالعيال هو زيد بن حارثة، وأبورافع، ورفع الحلبي التنافي باحتمال أن يكون الكتاب الذي أرسله (ص) إلى علي (ع) حين كان (ص) في قباء كان معها، ثم رافقا علياً في الطريق، وعادامعه (٤). فنسب البعض الجيئ بالعيال إليها، وتجاهل دور أمير المؤمنين الرائد، وموقفه في الدفاع عنها لحاجة في نفسه قضاهها...

تأسيس مسجد قباء:

وخلال اقامته صلى الله عليه وآله وسلم في قباء أسس مسجد قباء المعروف، ويبدو أن صاحب الفكرة، والمباشر أولاً في وضع المسجد هو عمار بن ياسر (٥).

ومسجد قباء هو المسجد الذي نزل فيه قوله تعالى: «المسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه (٦)». وسوف نتحدث عن ذلك في غزوة تبوك، إن شاء الله تعالى...

ويذكر هনারواية «أحجار الخلافة»!! ويذكرونها أيضاً حين

تأسيس مسجد المدينة، ولذا فنحن نرجئ الحديث عنها إلى هناك ...

ومسجد قباء هو أول مسجد بني في الاسلام، كما صرح به

ابن الجوزي وغيره (٧).

(١) - راجع فيما ذكرناه كتاب: البحار ج ١٩ ص ١٠٦ و ١١٦/١١٥ و ٧٥/٧٦ و ٦٤ عن روضة الكافي ص ٣٤٠، واعلام الورى ص، ٦٦ والخرائج والجرائح، وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٣٥ و امالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣.

(٢) - راجع امتاع الاسماع ص ٤٨.

(٣) - راجع: البحار ج ١٩ و البداية و النهاية ج ٣ ص ١٩٧.

(٤) - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٣.

(٥) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥. عن ابن هشام وغير ذلك.

(٦) - التوبة: ١٠٨ (٧) - وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥.

وقد تقدم حين الكلام على هجرة ابي بكر، إلى الحبشة، وارجاع ابن الدغنه له، عدم صحة قولهم: إن أبا بكر هو أول من بنى مسجداً في الاسلام، فراجع...

ويبدو أن بعض النساء قد شاركن في بناء مسجد قباء؛ فعن ابن أبي أوفى لما توفيت امرأته جعل يقول: احموها وارغبوا في حملها، فانها كانت تحمل - ومواليها - بالليل حجارة المسجد الذي اسس على التقوى، وكنا نحمل بالنهار حجرين حجرين (١).

وبعد كل ماتقدم... فان الظاهر هو أن تأسيس مسجد قباء كان بعد قدوم أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ قد ورد: أنه (ص) قد أمر أبا بكر بأن يركب الناقة، ويسير بها ليخط المسجد على ماتدور عليه؛ فلم تنبعث به، فأمر عمر فكذلك، فأمر علياً، فانبعثت به؛ ودارت به؛ فأسس المسجد على حسب مدارت عليه، وقال (ص): إنها مأمورة (٢).

صلاة الجمعة في قباء:

ويذكرون هنا أيضاً: أنه (ص) قد صلى الجمعة في قباء، أو في طريقه منها إلى المدينة...

بل لقد قال بعضهم: إن الجمعة قد فرضت في مكة، لكنهم لم يقيموها لعدم تمكنهم من ذلك... ولعل إلى هذا ينظر ابن غرس، حيث يقول: «إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط (٣)». بل ربما يشك في ذلك في المدينة أيضاً، في هذا الوقت المبكر على اعتبار: أن سورة الجمعة قد نزلت بعد الهجرة بسنوات، بل هي من أواخر ما نزل من القرآن (٤)...

(١) - مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٠ عن البزار، وحياة الصحابة ج ٣ ص ١١٢ عنه...

(٢) - وفاة الوفاء ١ ص ٢٥١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨ وراجع تاريخ جرجان ١٤٤

لكن في العبارة سقط...

(٣) - الاتقان ج ١ ص ٣٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٩.

(٤) - الاتقان ج ١ ص ١٣ و ١١.

ولكن هذا الشك استناداً إلى ذلك في غير محله؛ فان سورة الجمعة ناظرة إلى الالتزام بالسعي لصلاة الجمعة، مما يشعر بأنها قد كانت شرعت قبل ذلك... ويبدو أن تشريعها أولاً قد كان على لسان النبي (ص)...

نعم... يبقى اشكال: أن اقامتها في قباء معناه أنه (ص) قد صلاها في السفر!...

ولكنه اشكال في غير محله... فان من الممكن أن تكون قباء في ذلك الزمان قريبة من المدينة جداً. بل ربما تكون لقرها بحيث تعد من محلاتها... ومن وصل إليها فكانه وصل إلى المدينة، ولا يعد مسافراً بعد...

هذا تمام الكلام في الجزء الثاني من هذا الكتاب و يليه الجزء الثالث ان شاء الله تعالى...

المحتويات :

- ١- محتويات الكتاب إجمالاً
- ٢- محتويات الكتاب بالتفصيل

١- محتويات الكتاب اجمالاً

٣

تقديم

الباب الثالث: من الاعلان بالدعوة حتى وفاة أبي طالب

- ٤٧-٩ الفصل الاول: إلى الهجرة إلى الحبشة
٧٣-٤٩ الفصل الثاني: الهجرة إلى الحبشة: و مايرتبط بها
١٠٣-٧٥ الفصل الثالث: حتى الشعب
١٣١-١٠٧ الفصل الرابع: في شعب أبي طالب
١٦١-١٣٣ الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش

الباب الرابع:

إلى الهجرة

- ١٧١-١٦٣ الفصل الاول: الهجرة إلى الطائف
١٩٥-١٧٣ الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة
٢١٤-١٩٩ الفصل الثالث: بيعة العقبة

الباب الخامس

من مكة.. إلى المدينة

- ٢٣٤-٢١٩ الفصل الأول: ابتداء الهجرة إلى المدينة

٢٩٠-٢٣٧

٣٠٧-٢٩٣

٣٣٢-٣١١

٣٤٧-٣٣٣

الفصل الثاني : هجرة الرسول الاعظم (ص)

الفصل الثالث : إلى قباء

الفصل الرابع : حتى المدينة

محتويات الكتاب

٢ - محتويات الكتاب بالتفصيل:

٣

تقديم

الباب الثالث: من الاعلان بالدعوة حتى وفاة أبي طالب

٤٧-٩	الفصل الاول: إلى الهجرة إلى الحبشة
٩	مقدمة
٩	اهداف الاسلام
١١	وانذر عشيرتك الاقربين
١٢	التعصب الاعمى
١٣	ابن تيمية .. وحديث الدار
١٤	الرد على ابن تيمية
١٨	نقاط هامة في حديث الانذار:
١٨	الف: روايات لا يمكن أن تصح
٢٠	باء: ما المراد بكونه خليفته في أهله
٢٠	جيم: لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة؟
٢٢	دال: علي (ع) في يوم الانذار
٢٢	هاء: موقف أبي لهب
٢٣	واو: الانذار اولاً

٢٤	زاي :ماذاقال النبي(ص) في يوم الانذار
٢٥	حاء: التبشيروالانذار
٢٦	طاء: أخى .. ووصيي
٢٦	فاصدع بماتوثر
٢٨	المفاوضات الفاشلة
٣٠	الف : وماذابعدهذاالفشل الذريع
٣٠	باء: استكبارقريش
٣٢	ماذابعد فشل المفاوضات
٣٣	المعذبون في مكة
٣٤	المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر
٣٨	أول شهيد في الاسلام من آل ياسر
٣٩	عمار بن ياسر
٤٠	التقية في الكتاب والسنة
٤١	امثلة تاريخية
٤٣	التقية ضرورة فطرية عقلية دينية اصلاحية
٤٦	مع المعذبين أيضا

الفصل الثاني: الهجرة إلى الحبشة ومايرتبط بها ٤٩ - ٧٣

٤٩	لابدمن حلّ
٥٠	سراختيارالحبشة
٥١	الهجرة إلى الحبشة
٥٢	من هوأول مهاجر إلى الحبشة
٥٣	هجرة أبي موسى الى الحبشة لا تصح
٥٣	موقف عمر من المهاجرين
٥٤	هجرة أبي بكر لا تصح

٥٨	ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيساً؟!
٥٩	ملاحظة أخيرة
٥٩	فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره
٦٠	محاولة قريش اليائسة
٦١	ملاحظة
٦٢	قريش وخططها المستقبلية
٦٣	الثورة على النجاشي
٦٤	عودة بعض المهاجرين
٦٤	قصة الغرائق
٧١	حقيقة الامر

١٠٣-٧٥

	الفصل الثالث: حتى الشعب
٧٥	تناقضات في تاريخ اسلام حمزة (رض)
٧٥	اسلام حمزة (رض).
٧٧	اسلام حمزة كان عن وعي، لاحمية
٧٧	سرجين أبي جهل في مواجهة حمزة
٧٨	عبس وتولى
٨٣	المذنب رجل آخر
٨٣	سؤال وجوابه
٨٤	الرواية الصحيحة
٨٤	اتهام عثمان
٨٥	اعداء الاسلام وهذه القضية
٨٥	اكاذيب أخرى مشابهة
٨٧	قضية اسلام عمر بن الخطاب
٩٠	وثمة أوسمة أخرى

٩١	١- متى كان اسلام عمر؟!
٩٤	٢- من سمى عمر بالفاروق؟!
٩٤	٣- هل كان عمر قارئاً؟!
٩٦	٤- هل عز الاسلام بعمر حقاً؟!
١٠٠	٥- غسل عمر لمس الصحيفة
١٠١	٦- نزول آية في اسلام عمر
١٠١	ملاحظات أخيرة
١٠٢	خاتمة المطاف

١٠٧-١٣١

الفصل الرابع: في شعب ابي طالب

١٠٧	المقاطعة
١٠٩	أموال خديجة (رض)، وسيف علي (ع)
١١١	حكيم بن حزام.. وعواطفه تجاه المسلمين
١١٢	انشقاق القمر
١١٣	شبهه وحلها
١١٥	الناس... والمؤرخون، وانشقاق القمر
١١٧	امكان الانشقاق والالتيام علمياً
١١٨	دلالة الآية القرآنية على ذلك
١٢٠	الاساطير
١٢٠	نقض الصحيفة
١٢١	حنكة أبي طالب، وايمانه
١٢٢	القبيلية وآثارها
١٢٣	مابعد نقض الصحيفة
١٢٣	وفدمن الحيشة
١٢٤	من مواقف أبي طالب

١٢٦	مع تضحيات أبي طالب رضوان الله عليه
١٢٨	عام الحزن
١٢٩	الحب في الله، والبغض في الله

١٦١-١٣٣	الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش
١٣٣	إيمان أبي طالب رضوان الله عليه
١٣٤	بعض الأدلة على إيمان أبي طالب
١٤٣	الأدلة الواهية
١٤٣	١- حديث الضحضاح
١٤٥	٢- إرث عقيل لأبي طالب
١٤٥	٣- وهم ينهون عنه، و يناؤن عنه
١٤٧	٤- آية النهي عن الاستغفار للمشرك
١٥١	الوجبة الأخيرة
١٥٤	سرية إيمان أبي طالب
١٥٥	ضرورة سرية إيمان شيخ الأبطح
١٥٦	لماذا الافتراء على أبي طالب
١٥٦	أبولهب، ونصرة النبي (ص)
١٥٧	سرافتعال الرواية

الباب الرابع: إلى الهجرة

١٧٣-١٦٣	الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف
١٦٣	لابد من تحرك جديد
١٦٤	الهجرة إلى الطائف
١٦٥	هجرات أخرى له (ص)
١٦٦	ما ذكر عن عدّاس

- ١٦٧ دخوله (ص) مكة بجوار
 ١٦٨ اسلام نفر من الجن
 ١٦٩ الطائف وعلاقتها بمن حولها
 ١٦٩ الاسلام دين الفطرة
 ١٧٠ هل كانت هذه سفرة فاشلة؟

١٧٣ - ١٩٥ الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة

- المجاعة
 ١٧٣
 ١٧٤ النبي (ص) يعرض دعوته على القبائل
 ١٧٥ بنوعا مريبن صعصعة، ونصرة النبي (ص)
 ١- الأمر لله
 ١٧٦
 ٢- سمو الهدف... والنظرة الضيقة
 ١٧٧
 ٣- الدين والسياسة
 ١٧٧
 ٤- نتائج عرضه (ص) دعوته على القبائل
 ١٧٨
 زواج النبي (ص) بسودة وعائشة
 ١٧٩
 ١- سن عائشة
 ١٧٩
 ٢- من طرائف الروايات الموضوعية
 ١٨١
 ٣- جمال عائشة وحظوتها
 ١٨٣
 وماذا بعد..
 ١٨٩
 دخول الاسلام الى المدينة
 ١٨٩
 ١- اخبارات أهل الكتاب
 ١٩٢
 ٢- المشاكل بين الاوس والخزرج
 ١٩٢
 ٣- تعاليم الشريعة السمحاء
 ١٩٣
 ٤- المدنيون والمكيون
 ١٩٤

٢١٤-١٩٩

الفصل الثالث: بيعة العقبة

١٩٩	بيعة العقبة الأولى
٢٠٠	دعوة سعد بن معاذ قومه
٢٠٢	البيعة
٢٠٢	صلاة الجمعة
٢٠٣	بيعة العقبة الثانية
٢٠٧	دور العباس في بيعة العقبة
٢٠٨	ابوبكر في العقبة
٢٠٩	حمزة وعلي في العقبة
٢١٠	سرية الاجتماع
٢١١	شروط البيعة
٢١١	لماذا النقباء
٢١٢	المشركون في مواجهة الامر
٢١٢	منازعة الامر أهله
٢١٣	النبي (ص) لم يؤمر بالحرب بعد

الباب الخامس: من مكة.. إلى المدينة

٢٣٤-٢١٩

الفصل الاول: ابتداء الهجرة إلى المدينة

٢١٩	حب الوطن من الايمان
٢٢١	دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة
٢٢٤	سر اختيار المدينة
٢٢٨	المؤاخاة بين المهاجرين
٢٢٩	ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة
٢٣٠	المثل الأعلى

٢٣٠	هجرة عمر بن الخطاب
٢٣٢	ماهي الحقيقة إذن؟
٢٣٣	ماذا عن الهجرة إلى المدينة
٢٣٣	قريش والهجرة
٢٩٠-٢٣٣	الفصل الثاني: هجرة الرسول الاعظم (ص)
٢٣٧	المؤامرة
٢٣٨	مبيت علي (ع) وهجرة النبي (ص)
٢٤٠	قريش في طلب النبي (ص)
٢٤٢	المثل الاعلى للتضحية
٢٤٢	المبيت... والخلافة
٢٤٣	قريش... وعلي (ع)
٢٤٤	قريش والمبيت
٢٤٤	مقايسة
٢٤٥	إرادة الله
٢٤٥	بين النظرة المصلحية والواقع
٢٤٧	الارض.. والمبدأ
٢٤٨	أبوطالب في حديث الغار
٢٤٨	مع آية الغار
٢٥١	كلام الجاحظ وما فيه
٢٥٣	ماذا يقول المفيد هنا... وبماذا يجيبون
٢٥٤	سؤال يحتاج إلى جواب
٢٥٦	التأكيد على موقف أبي بكر
٢٥٦	من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
٢٥٧	كذبة مفضوحة

٢٥٧. وابن تيمية ماذا يقول؟!
 ٢٦٠ وعن قضية صهيب نقول
 ٢٦٣ تسمية أبي بكر بالصديق
 ٢٦٨ متى كان وضع هذه الألقاب
 ٢٦٨ الراحلتان
 ٢٦٩ ماهي الحقيقة
 ٢٧٠ الخروج من خوخة أبي بكر
 ٢٧١ قريش في طلب أبي بكر
 ٢٧٢ الانتظار الى الصباح
 ٢٧٢ شراء أبي بكر للموالي!! ونفقاته!!
 ٢٧٤ ١- عامر بن فهيرة..
 ٢٧٤ ٢- أبوقحافة الأعمى
 ٢٧٥ ٣- مع أدوار لاسماء أيضاً وغيرها.
 ٢٧٦ ٤- حديث سد الابواب، وخلة أبي بكر
 ٢٧٧ ٥- ثروة ابي بكر
 ٢٨٠ إشارة هامة
 ٢٨٢ كلمة أخيرة حول مايقال في ثروة أبي بكر
 ٢٨٣ التزوير.. والتحوير
 ٢٨٣ تجلى الله لابي بكر
 ٢٨٤ كلام هام حول الفضائل
 ٢٨٥ ماأنت إلا اصبع دميت.
 ٢٨٧ عمدة فضائل أبي بكر
 ٢٨٨ عثمان حين قضية الغار
 ٢٨٩ يوم الغار.. و يوم الغدير
 ٢٨٩ الكلمة الأخيرة في حديث الغار

٢٩٣-٣٠٧

٢٩٣

٢٩٤

٢٩٥

٢٩٧

٢٩٧

٣٠١

٣٠١

٣٠٦

الفصل الثالث: إلى قباء:

في الطريق إلى المدينة

الكرامات الباهرة، بعد الظروف القاهرة

هجرة أمير المؤمنين عليه السلام

كتاب تبع الاول

أبو بكر شيخ يعرف

رأي العلامة الاميني

التفاق في مكة

ملاحظة هامة على ماتقدم

٣١١-٣٣٢

٣١١

٣١١

٣١٢

٣١٥

٣١٨

٣٢٥

٣٢٦

٣٢٧

٣٢٩

٣٣٠

٣٣١

٣٣٤-٣٤٧

٣٣٥

الفصل الرابع: حتى المدينة

بداية

غناء أهل المدينة... والنبي (ص) يرقص بأكمامه

ولكن ذلك لا يصح

أدلة حلية الغناء

نقض أدلة حلية الغناء

أقوال العلماء في الغناء

الغناء عند أهل الكتاب

سرالوضع والاختلاق

نزول رسول الله (ص) في قباء

تأسيس مسجد قباء

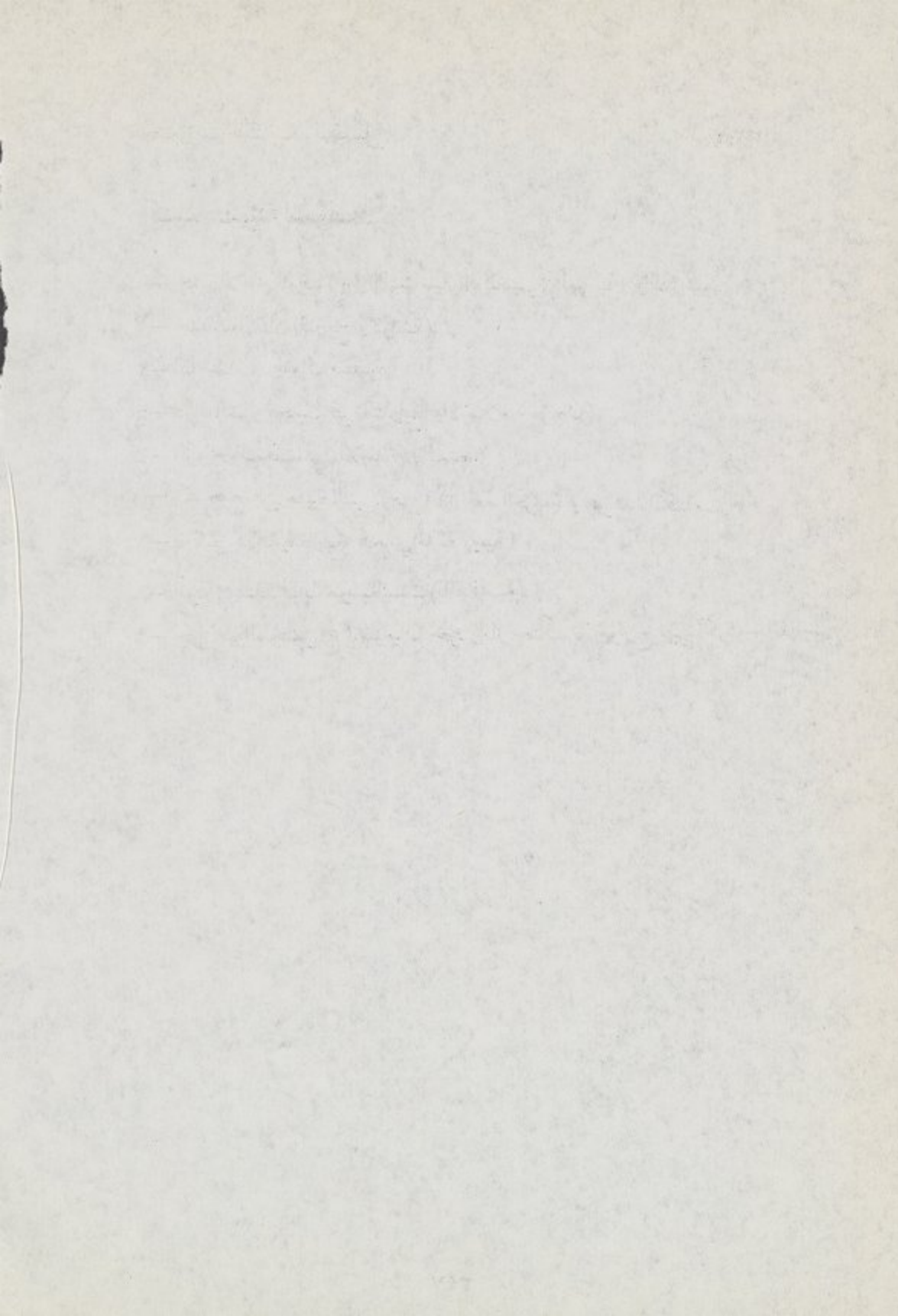
صلاة الجمعة في قباء

محتويات الكتاب:

محتويات الكتاب إجمالاً

كتب مطبوعة للمؤلف:

- ١- حياة الامام الرضا (ع) (السياسية) باللغتين: العربية، والفارسية
- ٢- حديث الافك (تاريخ ودراسة)
- ٣- ابن عباس وأموال البصرة.
- ٤- دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام (جزءان)
- ٥- الزواج الموقت في الاسلام (المتعة)
- ٦- الصحيح من سيرة النبي (ص) (أربعة أجزاء) وهو هذا الكتاب.
- ٧- تحقيق در باره تاريخ هجري (بالفارسية)
- ٨- أبوذر: مسلمان يا سوسياليست (بالفارسية)
- ٩- چرا اميرالمؤمنين (ع) شيعيان خود را از جنگ با خوارج نهی کرد- بالفارسي





Princeton University Library



32101 066594415